مخطوط رقم	3044 م.ك	الموضوع	تفسير
العنوان	مفاتيح الغيب ـ الجزء الثاني عشر ـ		
المؤلف	الرازي ; فخرالدين محمد بن عمر ـ 606 هـ		
أوله			
آخره			
تاريخ النسخ	القرن (7) هـ		
إسم الناسخ			
نوع الخط	نسخ معتاد	عدد الأوراق	205
لغة المخطوط		عدد الأسطر	0
تاريخ التأليف		المقاس	
الملاحظات			
مصدر المخطوط	شستربيتي		
المراجع			

الاقوى وقول ابن عباس انهم اهل الكتاب ... ان المقتسمين
من اليهود والنصارى عند المفسرين اي ان الله تعالى لما ... منهم فقال
لانهم جعلوا القرآن عضين ... ما وافق التوراة والانجيل ...
القول الثالث ... المفسرين قال ابن زيد ... تقاسموا
لنبيته واهله ... الملائكة ما كان ... قتلوهم مثل ... صالح من
التبييت لا من القسمة وقوله الذين جعلوا القرآن عضين فيه مباحث
البحث الاول في معنى اللفظ ... ان الواحد العضة ...
وفي الواحد قولان ذكرهما اهل اللغة في العضين ... الاول ان الواحد
عضة مثل عزة ... واصلها عضوة من عضيت الشي اذا فرقته
وكل قطعة منه ... ونقصانها الواو ... والعضة ...
والتفريق ... العضة ... ذكر ... العضة ...
وثانيها قال ابن السكيت العضة ان تعضه الانسان ...
به ما ليس فيه ... قول ... التعضية ...
... جعلوا القرآن عضين اي جعلوه مفترى ...
جمع ... من الحروف جمع ... بالواو والنون ...
ما ... من الحروف قوله تعالى فوربك
لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون
... المسألة الاولى قوله
تعالى فوربك لنسألنهم ... الى المقتسمين الذين
جعلوا القرآن عضين ... الاخرى ...
الله تعالى اقسم بنفسه انه يسأل هؤلاء ...
من اقسام القرآن ... ويحتمل ان يكون ...

[illegible]

الكلام ... ذكر ... قوله ... اللفظ ... السؤال ...
... ذكر ... عن ...
... ان السؤال ...
من ... الاحوال ... السؤال ... عنها ...
لان ... سؤال ... من ...
ومن ... السؤال ...
ووجه الاول ... ان ... السؤال ... الاستفهام ...
... العالم ... السؤال ...
... السؤال ... لانه ...
... الاستفهام ...
... لان ... السؤال ... الله ...
... الوجه ... الجواب ... السؤال ...
... السؤال ... التوحيد
... السؤال
... السؤال ...
... الوجه الثالث ...
... السؤال ...
... اجمعين ...
... اما قوله ...
ان معنى الصدع في اللغة الشق والفصل
... المقتسمين ...
... قوله تعالى ...
... فاصدع ...

والعدوان لا يعلم لا يمدون عليك الى استماعه او واعظا منهم ولا يعون
عليهم واحفظ حملك للدوس ثم اعلم انه لما صين وعلا ادا
ومه وامن بان بعض الصفي العبيل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي
خص الله محمدا بها لان الانسان لا يواظب على شكر نعم الله سهل طلب الصفي
والمعاونة على الامه مسايل المسئلة الاولى المناسبة
في ذلك السؤال الاول وهو قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
وهو فعل مرور على وزن معود وادى هرون والحسن وابي العالية ومجاهد
والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
العلقه ذلك هي السبع للمثاني رواه ابو هريرة والسبب
في وقوع هذا الاسم على الفاتحة انها سبع اياة فاما السبب في
تسميتها بالمثاني وهو الاول انها مثنى مؤداة بكمالها في كل
صلاة الزجاج سميت مثاني لانها مثنى بعدها ما تقرأ معها السائل
سمعت لماذا العلقه مثاني لانها مثنت بشيء قال الزجاج عليه
ان الله صلى الله عليه وسلم يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين
نصفين والحديث مشهور المسئلة الثانية
من قوله سبعا من المثاني قال الزجاج ذكر احد
ان بعض المفسرين من العراق اي عدد السبع اية من فاتحة
الاية التي يعني بها على الملك وامتاز القراء العشرة وجوز ان يكون
من الصفة والمعنى لسبع سبعا من المثاني كما قال واجتنبوا الرجس
من الاوثان قوله تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم زهرة الاول كانه قيل اياك ان تمد عينيك
الى ما متعنا به الغير ولا تستحسن ما اوتيناه الكافر
فانا اتينا ابن لا تمدن عينيك اي لا تنظر نظر استحسان الى ما متعنا به اصنافا من كفار

وقرأ الواحدي عن هذا المعنى فقال انما نكون ما اعطينه الى الدنيا
اذا لم ننظر نحن واما نظر الى الملك نظر استحسانه وعجبه
وبيت ان صلى الله عليه وسلم لا يعطي الا ما يستغني من متاع الدنيا
في القول الثالث ان لا يعجبهم ولا يمدن عينيك ولا يحملهم على
ما اوتوا من الدنيا واما قوله تعالى ورزق ربك خير وابقى فالمراد منه
من الجنان والدرجات في الجنة الصعب ثم قال ولا تحزن عليهم
ابن عباس يقول لا تحزن على كفرهم ثم قال واخفض جناحك للمؤمنين المتبع في اللغة
تتبع الضعيف ومنه قوله تعالى في صفة الملائكة ما نشهد ان خلقهم
تعني انها تتبع اصل الخلق وتوضع اهل الملائكة ويقال الانسان
يكن كالذئب اللئيب الذي لا يسد جناحه ومنه قولهم اخفض اليك
هذا كلام من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم امره
قول تعالى وقل انا انا النذير المبين كما انزلنا
على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قد ذكرنا
اعلم انه تعالى لما امر رسوله بالاعراض عن الدنيا واخفض الجناح
للمؤمنين امره بان يقول لهم ان انا النذير المبين مثل انزلنا
الذي انزلناه على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين
وانا النذير المبين لكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا العذاب على
المقتسمين والمقتسمون قوم من اهل مكة اقتسموا طرق مكة
ايام الموسم فقعد كل طريق منها رهط منهم يقول لمن يمر بهم
لا تغتروا بهذا الرجل فانه ساحر كاهن وشاعر مجنون
وانما سموا المقتسمين لانهم اقتسموا طرق مكة وقيل
اقتسموا كتبهم التي انزلت عليهم فجعل كل واحد منهم
كتابا وقال ما فيه حق فآمن به وما فيه باطل فكفر به
وقيل اقتسموا ما كانوا يقتسمون به في الجاهلية
وقيل اقتسموا ما كانوا يقتسمون به في الجاهلية

والله تعالى اقسم بحياته وما اقسم بمخلوقاته وهذا يدل على انه اكرم
الخلق على الله وقوله فاصدقهم الصيحة ليس في الآية دلالة
على ان ملك الصيحة صيحة جبريل فاين دليلك في ذلك
قيل لهم لا ليس في الآية دليل الا على ان هناك الصيحة عظيمة
سماعه فقوله مشرقين يقال شرق المسافر سرقا اذا
طلع من حيث يطلع الشمس ومنه قولهم ما دونها ساروا اي طلع طالع فقوله
مشرقين اي داخلين في الشروق تقال اشرق الرجل اذا دخل في
الشروق وهو وقوع الشمس يقال ان في ذلك لآيات للمتوسمين
يقال توسمت في فلان خيرا اي رايت فيه اثره وتفرست فيه
قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المستثبتون في النظر حتى
يعرفوا السمة التي وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر في السمة
قوله وانها لبسبيل مقيم اي لباقية قوم لوط وقد سبق ذكرها في قوله
وما اصل المدينة وفي قوله لبسبيل مقيم اي بامتثال يعبرون ويخافون
قال الزجاج ومن الحجارة التي السماء ومنها ثم قال ان في ذلك
لآية للمؤمنين اي عجل من آيات الله وصدق الانبياء والرسل عرفنا
ذلك قوله تعالى وان كان اصحاب الايكة لظالمين
وانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين اصحاب الايكة قوم شعيب
عليه السلام كانوا اصحاب غياض فبعثوا شعيبا فكذبوه
الله بعذاب يوم الظلة وقد ذكر الله قصتهم في سورة الشعراء
قوله تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وانتقمنا منهم
انا انشأناهم انشاء اخر صنعناهم صنعا اتوا يستوفين الجبال بيوتا
امنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
هذا هو القصة الرابعة وهو قصة صالح قال المفسرون اسم ابي

كان

كان يسكنه ثمود وقوله للمرسلين المراد منه صالح وحده وقوله
مبصرة مذكور في سورة النمل وقوله واستعمركم فيها اي
قد كان في الدنيا وقوله واعرضوا عن امر ربهم
فعقروا الناقة اما انكر فيه وهذا امر يخص في قتل ثلثمائة
وعلموا ونبأهم عند ظهور ما وعدهم به من العذاب ان
الله لصادق لانهم اذا علموا صدقه في ذلك علموا ان
فيكون ما كعنه ذلك العذاب في سبعة ايام وقوله فما اغنى
من عذاب الله وقوله ما اغنى عني ماليه ما كانوا يحسبون اي
والاصنام كما قال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة
لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم
ان تعالى لما ذكر ان اهلك الاعداء فكانه قال
كيف تليق بالحكيم والعدل ان يهلك اولياءه
مستعلين في الحياة والطاعة قال ان ذلك
في الآخرة وهو قوله ان المتقين في جنات وعيون
لقد استقبح على وجه المعتزلة ما فعله الله بالاعداء
قلنا انه تعالى هو الخالق للاسباب والمسببات
ان يسلك العباد فيها ما يحب ان يكون ثم بين
تعالى ما لاجله اهلك الاعداء فقال ان ربك هو الخلاق العليم
ثم بين تعالى ما لاجله اهلك الاعداء فقال ان ربك هو الخلاق العليم
ثم بين تعالى ما لاجله اهلك الاعداء فقال ان ربك هو الخلاق العليم
ثم بين تعالى ما لاجله اهلك الاعداء فقال ان ربك هو الخلاق العليم

قال انكم قوم منكرون اى لا اعرفكم ولا اعرف انكم من اى
الاقوام ولاى غرض جئتم على فلما سمعت الملائكة
ذلك حينئذ بما كانوا فيه بمنزلة ما يعدهم الذى كانوا يوعدون
بنزوله ثم اكد بقوله وانا لصادقون اى لك الكلبى بالعذاب قبل
بالنفض والاضرار بالبيت الذى يبتلى فيه وموعدهم الصبح الك
الاقوام ثم اكد وعده التاكيد بقوله وانا لصادقون

قوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم
ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك
الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين قرئ
فاسر بقطع الهمزة من اسرى وسرى وروى عن ابى جعفر
الكسائى عن صاحب الاوليد فيس من السير والقطع فى الليل
الليل قال امشى لها واتبعى وانظرى اين مطلع الفجر
بهيم وقوله واتبع ادبارهم واتبع اثار بناتك اى اهلك كل
ولا يلتفت منكم احد امضوا حيث تؤمرون قال ابن عباس يعنى
الشام وقال المفضل معناه يقول لكم جبريل قوله وقضينا اليه
على قضينا مالى لا نراه من معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه
مقضيا متحتوما وفسر قوله تعالى قضينا الى بنى اسرائيل
وقوله ثم اقضوا الى ثم انه فسر بعد ذلك القضاء المبتوت
بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفى اسمه اولا ونفسر ما ابهما
بتعجيل الامر وتعظيم له وعند الحشوية ان ما اكتس على الاسماف
كان ما بلا واك اخبر عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء
وفى قوله مصبحين اى فى حال ظهور الصبح قوله
تعالى وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ابن عباس رضى الله عنهما

واتقوا

واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء
بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة
مسفرين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل ان
فى ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لاية للمؤمنين
اعلم ان المراد باهل المدينة من تقدم ذكره وهم قوم لوط ويدل
على ذلك ان الذى جاء الا ان البشارة بهلاك قوم لوط واداء
لوط وقيل ان الملائكة لما كانوا فى بيت لوط استحى منهم حتى
حتى وصل الى قلبهم لوط وقيل امراة لوط البشير بان ذلك الجمال
قالوا فقال لوط بلاتة من الرجال ما اتانى احد منهم قط ولا اخبث منكم
منهم فدعوا الى دار لوط طلبا منهم لخليل الملائكة واستبطاء الملائكة
الشروق فى الفجر فقال لهم لوط لما قصدوا اليه انكم لاشر قوما
لا يسمعون ما اقول لكم ولا يصيبون ولا يستحيون
اذا اقصدكم من امر ما يلزمه العار والنصب الحجارة لهذا كان قوله
فاذا اقصدكم بالسوء كان ذلك اهانة لهم ثم ان قوم لوط قالوا
الله ولا تخزون واجابوا فقالوا اولم ننهك عن العالمين قال الحاكم
معناه ان كنا نلجئ من اتاه من الناس ولا نمكنه من الضيافة
ضيافة والكلام
فيقال للمراد
بناته من صلبه وقيل المراد نساء قومه لان نبى الامة يكون
كالاب لهم والكلام فى هذه المسالة متقرر
مقدم ان الاول
ان المراد منه ان الملائكة قالت
يعمهون اى يتحيرون وكيف
وللمفسرون هاهنا

قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين ۝
في الآية مسائل ۝ المسئلة الاولى قوله فما خطبكم
سؤال عما لاجله ارسلتم الله والخطب والشأن والامر سواء لان
لفظ الخطب اول على عظم الشأن قال فما خطبكم ايها
المرسلون ثم حكى تعالى عن الملائكة قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
وانما افتخروا على هذا القدر لعلم ابراهيم عليه السلام ان الملائكة
اذا ارسلوا الى المجرمين كان ذلك لاهلاكهم واستيصالهم
وانما قوله الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين بلا غير ان المراد
بذلك الارسال اهلاك القوم فان فصل الآل لوط
استثنا منقطع او متصل فلنا قال صاحب الكشاف ان كان
هذا الاستثنا استثنا من قوم كان منقطعا لان القوم موصوفون
بكونهم مجرمين قال لكنا ما كانوا مجرمين فاختلف الشأن في
ان يكون منقطعا او ان كان استثنا من الضمير في مجرمين كان
متصلا كانه قال الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم قال صاحب الكشاف
ويختلف هذا المعنى بحسب اختلاف مدلول الجرم وذلك انهم
لوطا وحوفي المنقطع من حكم الارسال لان على التقدير انما ارسلوا
الى القوم المجرمين خاصة وما ارسلوا الى آل لوط اصلا واما
قوله والملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوهم اما ولاي
سموا اما ولاي اما قوله انا لمنجوهم اجمعين فاعلم
انه قرأ حمزة والكسائي لمنجوهم خفيفة والباقون مشددة وهما
لغتان اما قوله الا امرأته كان صاحب الكشاف
هذا استثنا منقطع من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس ذلك

من باب الاستثنا من الاستثنا لان الاستثنا من الاستثنا انما يكون
فيما اتحد الحكم فيه كما لو قيل اهلكنا هم الا آل لوط الا امرأته وكما لو قال
المطلق لامرأته انت طالق ثلاثا الا اثنين الا واحدة وكما لو قال المقر
لفلان علي عشرة الا ثلثة درهما واما في هذه الآية فقد اختلف
الحكم لان قوله الا آل لوط متعلق بقوله ارسلنا او بقوله مجرمين
وقوله الا امرأته قد تعلق بقوله منجوهم فكيف يكون هذا استثنا من
استثنا واما قوله قدرنا انها لمن الغابرين ففيه مسائل ۝
المسئلة الاولى اعلم ان معنى التقدير في
اللغة فعل الشيء على مقدار معين يقال قدر هذا الشيء بهذا اي اجعله
على مقداره وقدر الله سبحانه الاقوات اي جعلها على مقدار الكفاية
ثم يقيس التقدير بالقضاء فيقال قضى الله عليه وقدره عليه اي جعله
على مقدار ما يليق في الخير والشر وقد مر شيء من معنى قدرنا هناك ۝
المسئلة الثانية انما ذكروا هذه العبارة لما علم من
الخوف والاحتراس بذلك كما تقول لخاصة الملك دبرنا كذا وامرنا
بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما مرادون هذا الكلام
ما علم من الاحتراس بذلك الملك فكذا هاهنا ۝
المسئلة الثالثة قوله انها لمن الغابرين في موضع
مفعول الثاني قصيرا انها تختلف فتبقى مع من يبقى مع لوط فتصل الى
النجاة ۝ قوله تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون قال
انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق
وانا لصادقون ۝ اعلم ان الملائكة لما بشروا ابراهيم بالولد
واخبروه بانهم ارسلوا لعذاب قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك
الى لوط والى اهله فان لوطا وقومه ما عرفوا انهم ملائكة الله فلهذا

هذا الاستفهام قال الفاضي احسن ما قيل في الجواب عن ذلك انه
اراد ان يعرفه ان الله تعالى يعطيه الولد مع انه سيقيه على صفة السمخوخه
او يعطيه ابتداء ثم يعطيه الولد والسبب في هذا الاستفهام ان
العادة جارية بانه لا يحصل للولد من حال السمخوخه البتة ولقائل
ان يقول حمل السباسفا على قول فاذا كان معنى الكلام ما ذكرتم
فلم قال والبشرتموني على الحق فلا يكون من القانطين فلما اجابه بقوله تعالى
بشرناك بالولد مع التاكيد على السمخوخه وقوله فلا تكن من
القانطين لا يدل على انه كان كذلك بل لعله فرح في جوابه بما
يدل على انه ليس كذلك فقال ومن يقنط من رحمة ربه الا
الضالون وفيه جواب اخر وهو اذا كان الانسان عظيم الرغبة
في شيء وانه الوقت الذي يغلب على ظنه حصول ذلك المراد فاذا
فسر بعد ذلك بحصوله عظم فرحه وسروره وتصير ذلك الفرح
القوي كالمدهش له والدليل لقوة فهمه وذكاءه فلعله يتكلم بحسب
مضطربة في ذلك الوقت وقيل ايضا انه تستطيب تلك الاشتمال
قد استبعد الكلام ليسمع تلك البشارة مرة اخرى ومرتين واكثر
طلبا للازدياد بسماع تلك البشارة او طلبا لزيادة الطمانينة
والوقوف على قوله ولكن ليطمان قلبي وقيل ايضا استفهم ابا من
الله بشروه ام من عند انفسهم واحمدهم فقرا بنافع بشرون
بكسر النون مخففة في كل القرآن وقرا ابن كثير بكسر النون
وتشديدها والباقون بفتح النون مخففة اما الكسر فللتشديد
مبشرين بشرونني ادغمت نون الجمع في نون الوقاية وامثاله واما
الكسر والتخفيف فعلى حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع
المثلين وطلبا للتخفيف قال ابو حاتم حذف ابو عمرو نافع نون الجمع قال

الاسقاط

ستوا سقاط المخففين لا يجوز ولا يجيء عنه ما انه اسقط حرف
لما حذف هي النون التي هي علامة الرفع وعلى هذا حذف الحرفين جائز
وقال تعالى ولا تمنن تستكثر فانما اسقط النون على
عين الاضافة والنون علامة الرفع وهي مفتوحة ايضا وقالوا ابشرتك
بكذا قال ابن عباس يريد ما قبضاه الله والمعنى ان الله تعالى تفضي
ان يخرج من صلب ابراهيم اسحق ويخرج من صلب اسحق مثل ما اخرج من
صلب ابراهيم وانه اشار الى هذا المعنى بقوله لا تكن من القانطين فهي
لابراهيم عليه السلام عن الهبوط وقد ذكرنا ان نهي الانسان عن الشيء
لا يدل على كون المنهي واقعا للمنهي عنه كما في قوله لا تطع الكافرين
والمنافقين ثم حكى عن ابراهيم انه قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون

وفيه مسئلتان

المسئلة الاولى هذا الكلام حق
لان القنوط من رحمة الله لا يحصل الا عند الجهل باحد امرين
ان يعتقد كونه تعالى قادرا عليه وما نهيا ان يعتقد كونه تعالى
مخلا جوادا وعالما باجبار ذلك العبد الله وما نهيا ان يعتقد كونه تعالى
منزها عن البخل والحاجة والجهل بكل هذه الامور يسد الضلال
فثبت ان المعنى ما ذكرناه من ان من قنط من رحمة ربه الا الضالون

المسئلة الثانية قرا نافع والكسائي يقنط بكسر النون والباقون
كذلك والقنوط والقنوط كالعكوف والعكوف وهما من القنط فهو قريب

قنطا

وقنط يقنط فهو قانط وحكى ابو زيد قنط يقنط بالضم فيهما
قال ابو علي الكسائي قنط يقنط بفتح النون في المستقبل
ما قنطوا وحكاه ابو زيد ايضا على قنط يقنط بضم النون اكثر
لان مضارع فعل المكسور العين على يفعل بالفتح نحو يستوي ويستحي
مضارع فعل على يفعل بالضم نحو قوله تعالى قال

فنطع

الاليم وادا عفا انه اتى رسوله ان بلغ اليهم صد المحنى فدانه اشهد
رسوله على نفسه فى التزام للعفو والرحمه وخاصتهما انه
انه قال يا عبادى كان معناه يا كل من كان معنى بما يعبودتى
وهذا انما دخل فيه المومن المطيع كذلك يدخل فيه المومن العاصى
وكل ذلك دليل على ان سبب الرحمه من الله سبحانه وتعالى
وعن ما روى عن رسول صلى الله عليه وسلم انه
قال لو يعلم العبد قدر عفو الله ما يدع من حرامه ولو علم قدر عفو الله
لجمع نفسه الى قتلها وعن ابى صلى الله عليه وسلم انه سيبعث من
اصحابه فقال اصحابون وقد تو المحنه والنار من اجل ذلك وقيل
قوله يا عبادى انى انا الغفور الرحيم ○ **قوله**
تعالى ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال
انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتمونى
على ان مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين
قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ○

المسئله الاولى ○ اعلم انه تعالى لما قال فى
تقرير امر البعث ثم اردفه بذكر دلائل التوحيد ثم ذكر تعالى عقيبه اهوال
القيامه وصفه للاشقياء والسعداء اتبعه بقصص الانبياء عليهم السلام
ليكون سماعها من غبا فى الطاعه الموجبه للفوز بدرجات الابرار
ومحذرا عن المعصيه الموجبه لاستحقاق دركات الاشقياء بدا
اولا بقصه ابراهيم عليه السلام والضمير فى نبئهم راجع الى من تقدم ذكرهم
فى الطاعه الموجبه للفوز بدرجات الابرار ومحذرا عن المعصيه
الموجبه لاستحقاق دركات الاشقياء بدا اولا بقصه ابراهيم
عليه السلام والضمير فى قوله تعالى ونبئهم راجع الى قوله عبادى

والسند

والتقدير نبئ عبادى عن ضيف ابراهيم وقال اسحاق الفقه ابنا ونبأتهم
تنبيه وذكر تعالى ان ضيف ابراهيم بشروه بالولد بعد الكبر وبالخوف
لوط من عذاب الاستيصال وكل ذلك يقوى عباده من حيث هو رحيم
بالمومنين وان عذابه عذاب اليم فى حق الكفار ○

المسئله الثانيه الضيف فى الاصل مصدر ضاف يضيف
اذا اتى اليك انا طلب القرى ثم يسمى به والدليل فى اللغه وجماعة
فان قيل كيف سماهم ضيفا مع انهم امتنعوا من الاكل قلنا العادة فى ابراهيم
انهم انما دخلوا عليه لطلب الضيافه فجاز تسميتهم بذلك وقيل انهم
لما دخلوا بغير اذن وبغير سلام ظن انهم يريدون به سوءا فلما
رآهم لا يأكلون ولا يتكلمون ظن انهم ضيف ان لا يأكل وقوله
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما اوسلمت عليك سلاما
قال ابراهيم انا منكم وجلون اى خائفون وكان خوفه لامتناعهم
من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وقيل وقت وقت الحسن
لا يدخل على الرجل فى اهله الا بعد الخافه وقيل لا تواجل ولا تواجل
من اهله بمعنى اوجله وهذا الضيف وذكرهما بالاستقصاء
فى سورة هود قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم بشروه بامرين
احدهما ان الولد ذكر والثانى انه تصير عالما واختلفوا فى تعيين الغلام
المبشر به بشروه بولده بعد وقيل بشروه بانه عليم بالدين حتى
اجاب الله دعوة ابراهيم انه قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر فبم تبشرون
فيه مسئلتان ○

المسئله الاولى لقائل ان يقول ما معنى
استفهام المعنى التعجب كما يقال باى اعجوبه بشرتنى فان قيل
فى الآيه اشكالات الاول انه كيف استفهم عن الولد
منه فى معان الكبر والنكاح وقد اخبر الله تعالى عن هذا الوضع كقوله
حكاية عن زكريا كيف قال فيم تبشرون مع انهم قد بينوا له البشرى به وذكروا فائدة

يبتلوا من جنه الى جنه قيل لهم ادخلوها وقوله ادخلوها بسلام
ليس المراد ادخلوا الجنه مع السلامه من كل الافات في الحال
ومع القطع بتفي هذه السلامه والامن من زوالها ثم قال تعالى ونزعنا
ما في صدورهم من غل والغل الحقد الكامن في القلب وهو اخوذ
من قولهم انقل في حوضه ويعلل اي ان كان لاحدهم في الاساغل
على احد ورجع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم ارحوان اكون
انا وعثمان وطلحه والزبير منهم وعن الحارث الاعور كنت انا عند علي
رضي الله عنه اذ جا ابن طلحه فقال له علي رضي الله عنه
مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اما والله ارجوان اكون انا وابوك
ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل وقال له قال
كلا والله لعمرك ان طلحه في مكان فراجع فلن هذه
الاية لا امر لك مروي ان الموسرين يخسرون وينقبض بعضهم من بعض
ثم يوسر بهم الى الجنه ويدنى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد
والحسد وقوله اخوانا حال والعامل المعنى الا تحقد
الاخوة في النسب بل المراد بها الاخوة في الود والعلة كما قال تعالى
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقوله اخوانا على سرر
متقابلين السرير معروف والعرائس والجمع السرر وقال
ابو عبيدة يقال سرور وسرر وحور وحرر وقال المفضل بعض بنيهم
وكلت بعضون لانهم يستعملون ضمير من يعقل في حرف من جنس واحد
وقال بعض اهل المعاني السرر مجلس رفيع مهيا للسرور وقال
الليث سرور العيش مسعف الذي اطمأن اليه في حال سروره
وفرحه وقال ابن عباس يرد على بعض ذهب مكللة بالزبرجد
والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعا الى الجابية وقوله متقابلين

التقابل التواجه بتعض التدابر ولا شك ان المواجهة اشرف الاحوال
وقوله لا يمسهم فيها نصب النصب الاعياء والتعب اي لا يمسهم فيها
تعب وما هم منها بمخرجين والمراد انهم خلود في الجنة بلا زوال وقال
بلا انقطاع وفوز بلا حرمان قوله تعالى نبئ عبادي
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم
المسئلة الاولى استدل المعتزلة الساكنة في نبئ عبادي
على انه استفتح قوله وقف نحو لان ما قبلها ياء ساكن هو حذف كقوله ويخشى
حركتها على الساكن قبلها فبنى في الوقف على الخفض الا ترى انه لم
يبن ساكن هو حذف كما جاء وما علمنا فيما ساكن الاصل
المسئلة الثانيه ان عباد الله قسمان منهم من يكون
تقيا ومنهم من لا يكون كذلك فلما ذكر الله تعالى احوال المتقين في الآيه
المتقدمه ذكر احوال المتقين في هذه الآيه فقال نبئ عبادي واعلم
انه يبتنى في اصول الفقه ان درجة الحكم على الوصف المناسب فيشعر
بكون ذلك الوصف علة فهنا وصفهم بكونهم عبادا له ثم اتبع ذلك
هذا الوصف الحكم بكونه غفورا رحيما فدل على ان من اتصف
بالعبودية طمع في تحقق ان يكون الله غفورا رحيما ومن انكر ذلك كان
مستوجبا للعذاب الاليم وفي الآيه لطائف احدها ان اضاف
العباد الى نفسه بقوله عبادي هذا اشرف عظيم الا ترى انه لما
اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم لم يزد على قوله سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا وثانيها انه لما ذكر الرحمة والعفو بالغ في
الكلمات بالفاظ بلغته اولها قوله اني وثانيها قوله اني وثالثها
ادخال الالف واللام على قوله الرحيم ولما ذكر العذاب لم يقل اني
المعذب ولما وصف نفسه بذلك بل قال وان عذابي هو العذاب

والرابعة الصابئين والخامسة المجوس والسادسة المشركين
والسابعة المسافقين ويدل على كونها كذلك قوله تعالى ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار والقول الثاني ان قوله ان جهنم مرصادا قوله
لكل واحد منهم جزء مقسوم وفيه مسئلتان

المسئلة الاولى قرأ عاصم في رواية ابي بكر جزء مقسوم والباقون بتخفيف الزاي
وقرأ الدوري جزءٌ بالتشديد كانه جعل الجزء والتي حركتها الى
الراي لقوله حسبي ثم وقف عليه بالتشديد ۝

المسئلة الثانية الجزء بعض الشيء والجمع الاجزاء وحرائه
جعلته اجزاء والمعنى ان الله تعالى يعرف اتباع ابليس بعينهم انه جعله انسانا
وقوله اوبدخل في كل قسم من اقسام جهنم طائفة من هذه الطوائف
والسبب فيه ان سرايت الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلاجرم صار
صاحب سرايت العذاب اعظم مختلفة بالغلظ والخفة **قوله**
تعالى ان للمتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام امنين ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب
وما هم منها بمخرجين

اعلم انه تعالى لما شرح احوال اهل
العذاب اتبعه بوصف احوال الثواب وفي الآية مسائل

المسئلة الاولى في قوله ان المتقين مذكور الوجوه
قال الجبائي جمهور المعتزلة الفاسقين بالوعيد المراد بالمتقين
هم الذين اتوا جميع المعاصي فالوا لانه اسم مدح فلا يتناول الا من
كملت كبائره والقول الثاني هو قول جمهور الصحابة
والتابعين وهو القول المنقول عن ابن عباس ان المراد هم الذين
اتقوا الشرك بالله سبحانه والكفر به والقول هذا القول
هو الحق الصحيح والذي يدل عليه هو ان المتقي هو الاتي بالتقوى

ص واحد كما ان الاتي بالضرب ضرب واحد والاتي بالقتل
ضرب واحد فكما انه ليس من شرط صدق الوصف بكونه ضاربا او قاتلا
كونه اتيا بجميع انواع الضرب والقتل فكذلك ليس من شرط صدق
الوصف بكونه متقيا كونه اتيا بجميع انواع التقوى فان كل فرد
من افراد الماهية والاتي بالتقوى يحتمل ان يكون متقيا سواء ان
الاتي بفرد واحد من افراد التقوى يصرف عليه انه متقيا ۝
قوله تعالى في صفات المتقين اما الصفة الرابعة
لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال من دونهما جنتان فيكون
المجموع اربعة فهو كما دللنا عليه لا من اين بل الله لا سئل قلبه من الخوف
عن الله وقوله فان خافني في صدقه حصول الخوف في قلبه
اما العيون فيحتمل ان يكون المراد منها انهار الجنة
كما في قوله تعالى مثل الجنة
التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير
طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ويحتمل ان
يكون المراد من هذه العيون منابع هذه الانهار وان يقال
اسقولون ان كل واحد من المتقين فحصل بعضو منه او بعين من
العيون فيقال لا بل كل واحد من الوجهين فيجوز ان يحصل كل واحد من العينين
وتنتفع به كل من يحمله من الحور والولدان فيكون ذلك على
قدر احتياجهم وعلى حسب شهواتهم ويحتمل ان يجري من بعضهم الى البعض
لانهم مطهرون عن الحقد والحسد **قوله** ادخلوها بسلام
امنين اعلم ان يكون القائل لقوله ادخلوها هو الله وان يكون ذلك
القائل بعض الملائكة وفيه سؤال لانه تعالى حكم قبل هذه الآية بانهم
في جنات وعيون فاذا كانوا فيها فكيف يمكن ان يقال لهم ادخلوها
والجواب لعل المراد انهم لما ملكوا جنات كثيرة فكلما اراد ان

الذين اخلصوا دينهم وعبادتهم عن كل شائبة تناقض الايمان والتوحيد
بكسر فتح اللام فمعناه الذين اخلصهم الله بالهداية والايمان ليس الامن
الله المسئلة الدالة الاخلاص فعل الشخص الصادر
عن شائبة العين ومتعلق كل من الفعل والمأمور به اما ان يكون اثباته لله فقط او
لغير الله فقط او لمجموع الامرين وعلى هذا التقدير الثالث فاما ان
يكون رضوان الله مرجوحا او مساويا والتقدير الرابع ان يحبه لا لغرض
اصلا فهذه اقسام اما الاول فهو الاخلاص في حق الله تعالى لان
الحامل له على ذلك الفعل طلب رضوان الله تعالى وما جعل الداعية مستوية
الى الامرين لم يصر خالصة بثواب العين فهذا هو الاخلاص واما
الثاني فهو الاخلاص في حق غير الله وظاهر ان هذا لا يكون اخلاصا
في حق الله واما الثالث وهو ان يستوي الامران في الحامل فان كان
يكون راجحا فهذا يجري ان يكون من المخلصين لان الميل يقابله الميل
فبقي القدر الزائد خالصا عن الشوب واما الرابع والخامس فظاهر
انه ليس من المخلصين في حق الله والقسم الثاني مع من فضل الله ان
جعله من قسم الاخلاص واما سائر الاقسام فهو خارج عن الاخلاص
قطعا اما قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فهذا وجوه الاول
ان ابليس لما قال لاغوينهم اجمعين فلما استثنى المخلصين قال علي
الاخلاص قوله هذا يعود على الاخلاص والمعنى ان الاخلاص
طريق علي والي انه تودي الي كرامتي وثوابي وقال الحسن
معناه هذا صراط الي مستقيم وقال بعضهم لما ذكر ابليس انه يغوي
بني ادم الا من عصمه الله بتوفيقه تضمن هذا الكلام تفويض الامور الى
الله تعالى والحاجة اليه فقال تعالى هذا صراط علي اي تفويض الامور
الي ارادتي ومشيتي طريق علي مستقيم السرابع هذا صراط علي بهدى ودلالة

وهو

قهر ومستوجب حق صدق قال الواحدي معناه الي طريق الحق يعني
الي الله والايمان بنبيه الله اي طريق وسبيل مستقيم قوله
تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الاية بعد من الغاوين وان
جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
اعلم ان ابليس لما قال لاغوينهم اجمعين في الارض لاعدلن بعضهم المخلصين
ادم هذا الكلام ان لم يكن له سلطان على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين
فبين تعالى في هذه الاية انه ليس له سلطان على احد من عباد الله سواء
كانوا مخلصين او لم يكونوا مخلصين كل من اتبع منهم ابليس باختياره وهواه
فانما اتاه لتلك المتابعة وليس هذا يدل على ان ابليس يقهرهم
على تلك المتابعة ان يحمل عليها والحاصل فهذا القول ان ابليس لا دليل
له على بعض عباد الله سلطان فلا على الباقين منهم سلطان ولا قدرة
ولا فعلا وتطبيق هذه الاية قوله تعالى حكاية عن ابليس وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقال تعالى في موضع
آخر ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على
الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقوله وان جهنم لموعدهم اجمعين
قال ابن عباس يريد ابليس واشياعه من بعده من الغاوين ثم قال
تعالى لها سبعة ابواب وفيه اقوال الاول انها سبع طبقات
بعضها فوق البعض وتسمى تلك الطبقات الدركات فقد تحكى كونها
كذلك قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والقول
الثاني ان قرار جهنم مقسوم بسبعة اقسام ولكل قسم باب معين وعن ابن
عباس اذا دخلوها خفضهم كلهم ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية
قال الضحاك الطبقة الاولى فيها اهل التوحيد ويقدرون على
قدر اعمالهم ثم يخرجون والثانية اليهود والثالثة النصارى

قد علم بانه لا معنى في تلك المدة الطويلة اما قوله تعالى رب بما اغويتني
لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين فيه مباحث البحث
الاول بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازين واللام
اقسم باغوائك اياي لازينن ونظيره قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا انه في هذا الموضع اقسم بعض الله وهي من صفات الذات
وهي في قوله فبما اغويتني اقسم بفعل الله وهي من صفات الافعال
والفعل قالوا القسم بصفات الذات صحيح اما صفات الافعال فقد
اختلفوا فيه ونقل الواحدي عن قوم اجمعين انهم قالوا الباء ههنا
بمعنى السبب اي بسبب كونك غاويا لازينن كقول القائل اقسم فلان
بمعصيته ليدخلن النار وبطاعته ليدخلن الجنة البحث الثاني
اعلم ان اصحابنا احتجوا بهذه الاية على انه تعالى قد يريد خلق الكفر
في الكافر ويصد عن الدين ويعوقه عن الحق وهو الاول ان
ابليس استدل فطلب البقاء الى يوم القيامة مع انه ضرر ماله لما طلب
هذا الامهال الا ليغويهم ويضلهم وانه تعالى اجابه
الى هذا المطلوب ولو كان تعالى ولكونه تعالى داعيا لمصالح المكلفين
في الدين لما امهله هذا الزمان الطويل ولما مكنه من الاغواء والاضلال
والوسوسة الذي ان اكابر الاولياء والاتقياء عجزوا عن الوصول
الى قليل من الدين الحق وان ابليس ورهطه وشيعته محرومون مخذولون
في الاضلال والاغواء فلو كان مراد الله هو الارشاد والهداية
لكان من الواجب ابقاء المرشدين والمحقين واهلاك المضلين
والمغوين وحيث فعل الضد علمنا انه اراد منهم الكفر في الكفر
الثاني انه تعالى لما اعلمه بانه مصر على الكفر وانه ملعون
الى يوم الدين كان ذلك اغواء له بالكفر لقبح ان يبين عن الكفر والفور

باجمعه

بالجملة معرض عندي على انواع للعاصي وان الكفر الذي ان تعالى
لما سأل الله هذا العمر الطويل مع انه تعالى علم منه انه لا يستفيد من هذا
العمر الطويل الا زيادة الكفر والمعصية وبسبب تلك الزيادات تتزايد
استحقاقه لانواع العذاب الشديد كان ضد الاهمال شيئا المزيد عذابه
وذلك يدل على انه تعالى اراد به ان يزداد عذابه وعقابه الخامس
انما صرح بان الله اغواه فقال رب بما اغويتني وذلك يشعر بان الله
اغواه لا يقال هذا كلام ابليس وهو لعين يجب ان لا نثق بما يقوله
نقول ابليس وان كان لعينا فقد اضاف الاغواء الى نفسه لا بل
نقول الجواب عن الاول بعينه ما ذكرتم هذا كلام فان الله ما اكرهه
عليه وذلك يدل على انه كان صادقا فيما قال وعن الثاني
انه قال لاتبعن هذه الاية رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض والمراد
من قوله هاهنا لازينن لهم هذا المراد من قوله في تلك الاية لاغوينهم اجمعين
الا انه متى ثبت في هذه الاية انه انما امكنه ان يزين لهم الا بما يميل الاجل
ان الله اغواه قبل ذلك فكذلك قوله لاغوينهم اجمعين المراد انه انما يغويهم
بهذا السبب ان الله تعالى اغواه قبل ذلك وعلى هذا التقدير فقد زال التفاوت
وبقي ان يقال فكيف يليق بالله تعالى حكايته عن الشيطان في سوء الفعل
وهذا ولا اغوينهم كما غويتني اما قوله تعالى لاغوينهم الا عبادك منهم المخلصين فقد
مسائل المسئلة الاولى اعلم ان ابليس
استثنى المخلصين لانه علم ان عبيد لا يقدر على اغوائهم ولا يتمكن منهم
وذكرت في مجلس التذكير ان الذي جعل ابليس على هذا الاستثناء
ان لا صبر كاذبا في دعواه فلما احتقر ابليس من الكذب علمنا ان الكذب
قبيح عقلا وشاهد هذه المسئلة الاية الثانية فان عشرة
وابن عامر وابو عمرو والمخلصين بفتح اللام وهم الذين اراد الاولياء

والحمد لله في كل الاوقات
والصلوة على محمد واله

ولما مالك اجمعوا على ان كل سجدة دفعة واحدة وقوله
اجمعوا على ان ابليس كان مامورا بالسجود لادم واختلفوا فى انه هل
كان من الملائكة ام لا وقد سبقت هذه المسئلة بالاستقصاء فى سورة
البقرة وقوله أو ان يكون من الساجدين استيناف وتقديره ان
ولا قال له اسجد فقبل ايادك واستكبر عنه اما قوله تعالى
فاخرج منها فانك رجيم فهو امر ليس جوابا لمعنى ذلك واستكبر على سبيل التوبيخ
ولكنه جوابها على سبيل التنبيه وتقدير ان الذى قاله الله فقال
فاخرج والذى قاله ابليس فقال انظرنى وقد عارض البعض بالعاسى كان رجيما
ملعونا وتمام الكلام فى هذا المعنى مستقصى فى سورة الاعراف
وقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال من عاش يريد
يوم الميعاد ذكر العباد على اعمالهم مثل قوله ذلك يوم الدين
وان قيل كلما ابى يعيد انها الغاية فكيف استثنى الى ان اللعنة لا تزال
الا الى يوم القيامة وعند قيامه تزول اللعن والجواب عنه من وجوه
الاول المراد التابيد وذكر القيامة ابعد فانه يكاد ان ابليس
فى كلامهم كقولهم ما دامت السموات والارض فالمراد منه مدوم مدلس
عليك اللعنة فى السموات والارض الى يوم الدين من غير ان يعرف
فاذا جاء ذلك الوقت عرف انها سقطت اللعن عنه فتصير اللعن
حينئذ كالزايل بسبب ان شدة العذاب تذهل عنه

قوله تعالى قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قد ذكرنا الخوض
فى ان يوم القيامة هل له اول ام لا فى سورة الاعراف
فان قيل كيف يجوز ان يسأل ابليس ربه ان يؤخره الى يوم القيامة
وهو يعلم انه لا يجاب الى ذلك وانه يصير الى النار لا محالة
قلنا انه لما علم ان الله تعالى قد اخبر ان الكافر لا يؤمن ابدا
وان الله تعالى قد علم ذلك منه علم ان الايمان لا يصح منه ابدا
فعند ذلك صار بمنزلة من لا يقبل التوبة ولا يؤمن ابدا
فسأل ربه ان يؤخره الى يوم القيامة لانه لا يموت فيها فلم يلزم سقوط عنه الموت بالكلية
قلنا اجل قوله الى يوم يبعثون الى ما يكون له بدلا منه وهو الوقت الذى
يقبل الكافر فيه فيموت وعلى هذا الوجه يرجع حاصل
هذا الكلام الى الوجه الاول وقد بينا ان المراد بيوم القيامة
المعلوم يوم لا يموت فيه احد الا الله وليس المراد منه يوم القيامة فانه لا يجوز
ان يعلم المكلف متى هو فان فيه اغراء بالمعاصى وذلك لا يجوز على الله
تعالى واجيب عنه بان هذا الالزام انما يتوجه اذا كان وقت
قيام القيامة معلوما للمكلف واما اذا علم الله تعالى انه لا يعلمه الى حين
قيام القيامة الا انه تعالى لما اعلم الوقت الذى تقوم فيه القيامة
لم يلزم منه الاغراء بالمعاصى والجواب عن هذا السؤال
ظاهر وان لم يعلم الوقت الذى تقوم فيه القيامة مدة طويلة فعند ذلك

اذا جعلتنى حيا ملعونا الى يوم القيامة وانظرنى بطلب الاعادة من
الله تعالى الى يوم القيامة وقوله انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
واعلم ان ابليس استنظر الى يوم البعث فاعطى الغيابة وعرضه ان يموت
البتة ثم الله تعالى بعثه البتة من هذا المطلوب وقال انك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم واختلفوا فى المراد منه على وجوه الاول
ان المراد من يوم الوقت المعلوم وقت النفخة الاولى حين تموت الخلائق
فيه وقيل انما سماه الله تعالى بهذا الاسم لان العالم يزال الوقت صوابه
تعالى لا يفنيه كما قال انما نعلها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو وقال
ان الله عنده علم الساعة وقابلهما ان المراد من يوم القيامة المعلوم
هو الذى فى علم ابليس وهو قوله الى يوم يبعثون فلما سماه الى يوم الوقت
المعلوم لان ابليس لما عينه واشار اليه عينه صار ذلك كالمعلوم فلذلك
قيل الى اجل ينبه الله الذى علم ابليس ان يموت الى وقت القيامة
وبعد قيل العامة لا تموت ابدا فلزم سقوط عنه الموت بالكلية
قلنا اجل قوله الى يوم يبعثون الى ما يكون بدلا منه وهو الوقت الذى يموت
فيه الكافر فيموت وعلى هذا الوجه يرجع حاصل
هذا الكلام الى الوجه الاول وقد بينا ان المراد بيوم القيامة
المعلوم يوم لا يموت فيه احد الا الله وليس المراد منه يوم القيامة فانه لا يجوز
ان يعلم المكلف متى هو فان فيه اغراء بالمعاصى وذلك لا يجوز على الله
تعالى واجيب عنه بان هذا الالزام انما يتوجه اذا كان وقت
قيام القيامة معلوما للمكلف واما اذا علم الله تعالى انه لا يعلمه الى حين
قيام القيامة الا انه تعالى لما اعلم الوقت الذى تقوم فيه القيامة
لم يلزم منه الاغراء بالمعاصى والجواب عن هذا السؤال
ظاهر وان لم يعلم الوقت الذى تقوم فيه القيامة مدة طويلة فعند ذلك

قال ابن عباس يريد من قبل خلق آدم وقوله من نار السموم معنى
السموم معنى السموم في اللغة الريح الحارة يكون بالنهار ويكون
وقد يكون بالليل وعلى هذا فالريح فيها نار ولها تأثير على ما
ورد في الخبر انها تدخل جهنم قيل سميت سموما لانها تدخل
البدن وهي المسام الخفية التي تكون في جلد الانسان يخرج منها عرقه
وبخار باطنه قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا
من السموم التي كان منها الجان وبهذا الاية مان قيل لعل كيف
الحيوان من النار قلنا هذا على مذهبنا ان الحياة عند الاستاذ شرط
لامكان حصول الحياة فالله تعالى قادر على خلق الحياة والعلم في الجوهر
الفرد وكذلك يكون قادرا على خلق الحياة والعقل في الجسم الخارج
واستدل بعضهم على ان الكواكب تمنع حصول الحياة فيها بما لا ثر
الشمس في حياة الحيوان وما كان كذلك امتنع حصول الحياة عن الكواكب

قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من
صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين
قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج
منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين اعلم انه
تعالى لما ذكر حدوث الانسان الاول استدل بذكر على وجود الاله
القادر المختار ذكر بعده واقعة وهو انه تعالى امر الملائكة بسجود
فاطاعوه الا ابليس فانه ابى وتمرد وفي الآية مسائل

المسئلة الاولى اما تفسير كونه بشرا فالمراد كونه
جسما كما مر وملائي والملائكة والعرب يباشرون ظاهر الجلد من
وعلى هذا فانما كونه صلصالا من حمإ مسنون فقد تقدم ذكر ولما قوله

تعالى

قال تعالى فاذا سويته ففيه قولان فاذا سويته بالصور الانسانية والخلقة
البشرية والثاني فاذا سويت اجزاءه بتعديل الطبايع وتناسب
الاشكال كما قال تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج واما قوله
ونفخت فيه من روحي ففيه مباحث الاول ان النفخ اخراج الريح في
تجاويف جسم اجوف وهذا هو هذا اللفظ يشعر بان الروح من الريح والا لما صح
وصفها بالنفخ الا ان النفخ الكامل في حقيقة الروح سيجيء في قوله تعالى
قل الروح من امر ربي فلما اضافه الله سبحانه روح آدم الى نفسه تشريفا
له وتكريما وقوله بعد هذا الله ساجدين ففيه مباحث احدها ان ذلك السجود
كان لآدم في الحقيقة او كان آدم كالقبلة لذلك السجود وهذا البحث
قد تقدم ذكره في سورة البقرة وثانيها ان الامور بالسجود عليه
السلام هل دخل فيه الملائكة السموات او بعضهم او ملائكة الارض من الناس من قال
لا يجوز ان يقال ان الكل دخلوا في الملائكة كانوا مامورين بالسجود لآدم عليه السلام
قالوا والدليل عليه قوله تعالى في آخر سورة الاعراف في صفة الملائكة الذين
عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون فقوله وله يسجدون
يفيد الحصر وذلك يدل على انهم لا يسجدون الا لله سبحانه وذلك ينافي
كونهم ساجدين لآدم بقي العموم الا ان الخاص يقدم على العام قالوا
ان في هذا الباب ما يدل على انه تعالى لما نفخ الروح في آدم عليه السلام وجب
على الملائكة ان يسجدوا له لان قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
يقتضي له ساجدين مذكورا بالفاء التعقيب وذلك يمنع من التراخي
وقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون تأكيد بعد تأكيد يدل على ان هذا الباب يقال لو فرضنا ان سجود الملائكة لاجل ان يكون سجود بعضهم قبلة لباقيهم
كان هذا الاحتمال قطعيا فانهم بامر سجدوا دفعة واحدة او سجد كل واحد منهم في وقت آخر

اجمعوا على ان المراد منه ادم عليه السلام ونقل في كتب الشيعة عن
محمد بن علي الباقر انه قال قد انقضى قبل ادم الذي هو ابو البشر الف
ادم او اكثر والخراب او الكثر والخراب هو الانفراج في حدود
العالم بل الامر كيف كان فلا بد من الانتهاء الى انسان اول هو اول
الناس فاما ان الانسان هو ابو ادم فلا طريق الا من حمد السمع ولعل
ان الجسم مخلوق فوجب القطع بان ادم وغيره من الاجسام يكون
مخلوقا من العدم المحض وايضا دل قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله
كمثل ادم خلقه من تراب على ان ادم مخلوق من تراب وتلك
اية اخرى على ان الله تعالى خلقه من الطين وهي قوله اني خالق
بشرا من طين وكاني هذه الايات ادم عليه السلام مخلوق من
صلصال من حماء مسنون ولا شك انه تعالى خلقه ابتداء وانما خلقه
على هذا الوجه اما المحض للتشبيه او لما فيه من دلالة الملائكة ومخالطتهم
للجن لان خلق الانسان من هذه الامور اعجب من خلق الشيء من شكله
وحقيقة المسئلة الماسة في الصلصال قبل الصلصال
الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا ملخ فهو فخار فاذا
اذا نوهمت في صوته مدا فهو صليل واذا نوهمته ترجيعا فهو صلصال
قال المفسرون خلق الله ادم طين مصور وتركه في الشمس اربعين
سنة فصار صلصالا يدري احدما اراد به ولعلهما اراد به وكلهما من العنوان
تشبهه الى ان ينفخ فيه الروح وحقيقة الكلام على ان الله خلق ادم
من طين على صورة الانسان تجفف كما يتأتى الروح اذا امر به سمع لها
صلصلة فلذلك سماه الله صلصالا ويكون حمأ مسنونا تقاوت
واما الليث فقال الحمأة وزن فعله والجمع الحماة والطين الاسود المنتن
والاكثرون وقال ابو عبيد حماه وزن حماه وكله مسنون فيه اقوال

كالفخار

الاول قال ابن السكيت سمعت ابا عمرو يقول في قوله مسنون
اي متغير وقال ابو الهيثم يقال سن الماء يسن سنونا اذا تغير والابل
عليه قوله تعالى اي لم يتغير التالي للمسنون المحكوك وهو ما حكوك
من سنه الحجر على الحجر اذا حككته عليه والذي خرج من الله فما ابتاك
له السنن وسمي المسن مسنا لان الحديد يحك عليه وقال
الزجاج هذا اللفظ ماخوذ من انه على سنه الطريق لانه متى كان كذلك
فقد تغير والسابع قال ابو عبيد المسنون المصبوب والشن الصب
وقال ابن الاعرابي وجمهم سنا والخامس قال ابن عباس المسنون الصور
على صورة ومثال من سنه الوجه وهو صورته السادس روي عن
ابن عباس المسنون المنتن الرطب وهذا يعود الى قول ابي عبيد لانه
لانه اذا كان رطبا يسيل وينبسط على الارض فيكون مسنونا بمعنى انه
مصور واما قوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم اختلفوا
في ان الجان من هو فقال عطاء عن ابن عباس هو ابليس وهو قول
الحسن ومقاتل وقتادة وقال ابن عباس في رواية اخرى الجان هو
ابو الجن وهو قول الاكثرين وسمي جانا لتواريه عن الاعين كما سمي الجن جنا
لهذا السبب الجنين متواري في بطن امه وكفى الجان في اللغة السابر
من قولك جن الشيء اذا استتر والجان للدود واما ما يقال انه سمي جانا لانه
يستتر نفسه عن اعين بني ادم او لكون من باب الفاعل الذي يراد به المفعول
كما يقول في بارد تامر وماء دافق وعيشة راضية واختلفوا في الجن فقال
بعضهم انهم جنس غير ابليس والاصح ان الشياطين قسم من الجن وكل
ما كان منهم موسوسا فانه لا يسمى الشيطان وكل من كان منهم كافرا يسمى
بهذا الاسم والدليل على صحة ذلك ان لفظ الجن مشتق من الاستتار
وكل من كان ذلك كان من الجن وقوله تعالى الجان من قبل

بمعنى لسقيه أدعوا له بالسقيا وأقول سقاه الله وقوله
وما انتم بخازنين يعني به ذلك المنزل من السما يعني له لستم له
بحافظين قوله تعالى وانا لنحن نحيي ونميت
ونحن الوارثون قد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين
وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم اعلم ان هذا
هو النوع السادس من دلائل التوحيد وهو الاستدلال
بحصول الاحياء والاماتة لهذه الحيوانات على وجود الاله
القادر الفاعل المختار وقوله وانا لنحن نحيي ونميت يعني
اي لا قدرة على الاحياء ولا على الاماتة الا لنا وقوله ونحن
الوارثون معناه انه اذا مات جميع الخلائق فحينئذ تزول تلك
كل واحد عن موته ويكون الله هو الباقي الحق المالك لكل
الملوكات وحين كان هذا شيئا لا لاحد فكان وارثا
من هذا الوجه واما قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المتأخرين فقيه وجوه الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما
عنى المستقدمين يريد اصحاب طاعة الله والمتأخرين يريد
المتخلفين عن طاعة الله تعالى اراد المستقدمين الصف
الاول من اهل الصلاة والمتأخرين الصف الاخير وروي
انه صلى الله عليه وسلم رغب في الصف الاول في الصلاة
فازدحم الناس عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية والمعنى
انا نحن نعلم على قدر منازلهم الدالة على الصلاح ومقابل
يعني في وصف للقتال الرابع قال ابن عباس في وصف
رواية الى الخير اذا كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكان قوم يتقدمون الى الصف الاول ويتأخرون

يتباعدون لئلا ترى اذار كعوا وخافوا ابديهم لينظروا من تحت اباطهم فانزل
الله تعالى هذه الاية الخامس قيل المستقدمون هم الاموات
هم الاحياء وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمتأخرون هم امة
محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة المستقدمون من خلق
والمتأخرون من خلق واعلم انه تعالى لما قال انا لنحن
نحيي ونميت اتبعه بقوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المتأخرين منها على انه لا يخفى على الله شيء من احوالهم وحال فيه علمه
تعالى بتقدمهم وتأخرهم في انواع الطاعات والخيرات فلا سبيل ان
يخص الاية بحالة دون حالة واما قوله وان ربك هو يحشرهم والمراد
منه التنبيه على ان الحشر والنشر والبعث والقيامة امر واجب
وقوله انه حكيم عليم معناه ان الحكمة تقتضي وجوب الحشر والنشر على
ما قررناه بالدلائل الكثيرة في اول سورة يونس عليه السلام
قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من
حمإ مسنون قد ذكرنا في اول سورة الحجر في الاية مسائل
المسألة الاولى اعلم ان هذا هو النوع السابع
من دلائل التوحيد فانه تعالى لما استدل بتخليق الحيوانات على صحة التوحيد
في الاية المتقدمة اردفه بالاستدلال بتخليق الانسان على هذا المطلوب
المسألة الثانية بنيت بالدلائل القاطعة انه ممتنع
القول بوجود حوادث لا اول لها واذا ثبت ظهور وجوب انتهاء
الحوادث الى حادث اول فهو اول الحوادث زاد اكان كذلك فلا بد من انتهاء
الناس الى انسان اول فهو اول الناس واذا كان كذلك الانسان
الاول فذلك الاول غير مخلوق من الابوين فثبت لا محالة بقدرة
الله تعالى فقوله تعالى ولقد خلقنا اشارة الى ذلك الانسان والمعروف

قال لواقح وهي ملقحة الجواب ما ذهب الله ابو عبيدة ان
لواقح هاهنا بمعنى ملاقح جمع واستشهد بقول لبيد
ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح
اراد المطوحات وقد ان الاهناري ذلك فقال تقول العرب
انقل الفحل فهو ناقل بدون صقل وهذا يدل على جواز ورود
لاقح بمعنى ملقح الوجه الثاني في الواجب الجواب
قال الزجاج ويجوز ان يقال كما لواقح وان لم تحمل عرضها لان
معناها التسبب وهو كما يقال درع دارعة اي ذات دروع
اي درع ودروع قال الواحدي رحمه الله هذا الجواب
ليس بمعجب لانه لا يكون صحيح اللاقح بمعنى ذات اللقاح وهذا
السؤال ليس بشيء لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن افاد
عين اللقحة فله ان ينسبه الى اللقحة فصح هذا الجواب والوجه
الثاني ان الريح في نفسها لا تلقح تقريب لطريق الاول ان الريح
حاملة للسحاب قال الدليل عليه قوله سبحانه وتعالى وهو الذي يرسل
الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملته
فعلى هذا المعنى تكون الريح لاقحة بمعنى انها حاملة محمل السحاب
والماء والطريق الثاني قال الزجاج يجوز ان يقال للريح تلقح
اذا اتت بالخير كما يقال لها عقيم وهذا كما يقول عند بحت ولدا
البلد يسلمون ما يشتمل عليه من ضروب البشر بما تحمله الله فتكون لاقحا
المعنى على انه الذي هو المسبب وحركة الهواء تكون
لم تكن متحركا لا بد له من سبب وذلك السبب نفس كونه هواء لانه
من لوازم ذاته والا لما استحركه الهواء لتحركه ذاته وذلك محال
فلم يبق الا ان يقال انه متحرك لتحريك الفاعل المختار والاحوال

الذي

الذي تدل الفلاسفة في سبب حركة الهواء عند هبوب الريح قد ذكرناها في هذا الكتاب في اوائل المقالة الثانية وهنا انه لا يمكن شيء منها في هذه الآية وبقي ان يكون المعنى كما هو الله سبحانه واما قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين فمعناه انا انزلنا المطر من السماء او بتقدير من السحاب بعد قوله ان الله ينزل من السحاب فكيف اطلق الله على السحاب لفظ السماء وما بعدها انه ليس السبب في حدوث المطر ما وكان الفلاسفة هم السبب فيه ان الفاعل المختار يتوله من السماء الى الارض لغرض الاحسان الى العباد وكما قال هاهنا فاسقيناكموه قال الازهري يقول العرب لكل ما كان في بطون الانهار ومن السماء او نهر يجري اسقيته اي جعلت سقيا له منه مسقى فاذا كانت السماء السقيه قيل اسقاه وانشدوا قول الراعي فالدرع بركى هكذا اختلف القراء في قوله لستقلكم ما في بطونه فقرؤا بالتاء ولم يختلفوا في قوله في حرف عاصم وهم شاربون وفي قوله الذي هو يطعمني ويسقين واسقاه ابو عبيد حتى رويت واسقيته شعرا اي جعلته شعار ابله وقوله واسقيناكموه جعلناه سقيا له وقال الزجاج اسقى وسقى واحد ومنه سحابا اول وصوته منى بعد السحاب من قال الجبال سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبائل هلال الى قوله سقى قومي لبنى لبين ومن ذا يعادي عمرا اشجع والكثير ويزيد وزرع سقيا اذا لم يحتج الى سقي بعد ان يستحكم نباته وروي والجميع ما لم يحتج الى سقي واسقاه الله غيثا واسقبه حتى كاد مما انبه يتكلمني اتحاف وملاعبه

معلوم غير انه يعرفه الى من يشاء ولعاقل ان يقول لفظ الابد لا يدل
على هذه المسالة فقوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا
على انه تعالى منزه في جميع الاحوال على وجه واحد واذا كان
كذلك كان تفسير الاية في هذا المعنى حكما من غير دليل واصول
ايضا الاية بهذا المعنى حكم من غير دليل فاما قوله ايضا تخصيص
قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه فاقول ايضا تخصيص
من شئ سواء جميع الاشياء الا ما خصه الدليل وهو الموجود القديم
الواجب لذاته وقوله الا عندنا خزائنه اشارة الى الكون والامكان
مقدور لله تعالى وحاصل الامر فيه ان المراد ان جميع الممكنات
مقدور له ومملوكة لخزائن العدم الى الوجود وكيف يدل الاية
تعالى وان كان مقدورا له متساويه الاان الذي يخرجه منها
الى الوجود لحكمة ان يكون متناهيه لان دخول ما لا نهاية له
في الوجود محال فقوله وان من شئ الا عندنا خزائنه اشارة
الى ان مقدوراته غير متناهيه وقوله وما ننزله الا بقدر معلوم
اشارة الى كل ما دخل منها في الوجود فهو متناه ومتى كان الخارج
منها الى الوجود متناهيا كان لامحاله محصورا في الحد والوقت
ومتعددا مع جواز حصوله في سائر الاحياز والاوقات عن ذلك
الحيز وكان مختصا مع انه كان يجوز في العقل حصول سائر الصفات
فاذا كان كذلك كان اختصاص تلك الاشياء المتناهيه لذلك
الوقت لذلك الحيز والحد للعدد والصفات المعينة دون اضدادها
لابد وان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهذا هو المراد
من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم والمعنى انه لولا القادر المختار
الذي خصص تلك الاشياء بتلك الاحوال الجائزة والا لامتنع اختصاصها

بتلك

بتلك الاحوال الجائزة والصفات الجائزة من الانتقال والاحداث
والابداع كقوله تعالى وانزلنا لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله
وانزلنا الحديد فيه بأس شديد وقوله الم نشرح لك صدرك
بعد الاية فيها بيان ان العدم شئ لان قوله تعالى ان من شئ
الا عندنا خزائنه يقتضي ان يكون لكل الاشياء خزائن
حاصلة عند الله تعالى هو تلك الموجودات من حيث انها موجودة
لا نا سنبين ان المراد من قوله تعالى ما ننزله الا بقدر معلوم الاحداث
والابداع والاسكان والتكوين وهذا يقتضي ان يكون حصول تلك
الخزائن عند الله مستفادا على حدوثها وحدوثها في الوجود وابتدائها
هذا يحتمل ان يكون المراد ان تلك الموجودات الحاصلة في الخزائن
كانت مقدرة عند الله عز وجل انها كانت ستوجد في وقت معين
وذلك هذا باطل ثم انه تعالى استدل على اخراج بعضها من العدم الى الوجود
ولقائل ان يقول ولم خص هذا الفعل بالذكر دون سائر افعاله
كونه تعالى قادرا على ايجاد تلك الاشياء واخراجها من العدم الى
الوجود وعلى حد العدم وسقوط الاستدلال بالمباحث الدقيقة فيه
اما قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح فاعلم ان هذا هو النوع
الخامس من الدلائل الذي ذكرناه في قوله الذي خلق الموت والحياة
في وصف الرياح ما تقدم في الكتب والصحاح وهو قول الحسن وقتادة
والضحاك وغيرهم انها تلقح السحاب كما تلقح الانثى الفحل اذا قرب منها
فحملته فذكر الله الرياح هاهنا ويحتمل ان يكون المراد ما قال ابن مسعود
رضي الله عنه ان الرياح تلقح السحاب فيحمل الماء ثم تجيء
بتفسير هذه الاية بما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الرياح تلقح السحاب
في السحاب ثم ان الله تعالى انزل الماء من السحاب فيكون الذي
هكذا الاية واما تفسير الواحدي في البسيط فهو كما ذكرناه فان قيل كيف

ان يكون المراد من قوله ومن لستم له برازقين العقلاء وهم العوال والملائك
والجن ويقوى الكلام ان الناس يطلبون في اكثر الامر
انعم الذين يزرقون العبال والخدم والعبيد وذلك خطأ فان الله
هو الرزاق يرزق الخدم والخلام والملوك والمالك فانه
لولا انه تعالى خلق الاطعمة والاشربة واعطى القوى العادية
والهاضمة والآلات لما حصل لاحد رزق والقول الثاني وهو قول
الكلبي ليس المراد من قوله ومن لستم له برازقين الوحش والطير
فان هذا لا يصح وهذا دليل مع ان صنيعه من يخفض عن يعلم
قلت الجواب عنه من وجهين الاول ان صنيعه من تزدرد
في عين العقلاء والدليل عليه قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء
فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع
والثاني انه تعالى استجمع الاوابد وقال الله حيث
قال وعلم مستقرها ومستودعها فكانها عند الحاجة
تطلب ارزاقها من الله فصارت مشيته من جعل من جنده
الجحفة فلم يتعرد كرها بصيغة من لا يرى انه قال يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم فذكرها بصيغة جمع العقلاء وقال في الاصنام
وانهم عدو لي الا رب العالمين وقال في كل ذلك سجدين فعدها
هاهنا لاسعد اطلاق اللفظ المختصة على الوحش والطير لكونها
شبيهة بالعقلاء من هذه الجهة وسمعت في بعض الحكايات
انه قيل لاعرابي في الاودية بعد الجبال واشد الحر فقال بعضهم
رأيت بعض الوحش رفعت رؤسها الى السماء اشداد عطشها
قال فطلبت العيون فاذا هي طرف لحظتها املاء الاودية

منها والقول الثالث قوله ومن لستم له برازقين على الاسماء

والعبيد

وعلى الوحش والطير وانما اطلق عليها صيغة من يعقل تنبيهًا
لجانب العقلاء على غيرهم

المسألة الثانية

لقائل ان يقول لم قال ومن لستم له برازقين ولم يقل ومن
لستن له برازقات او ذكر ضميرًا عائدًا على الغير المجرور بمن
لكن لا نسلم ان لا يعطف على الغير المجرور بل قال بعضهم ذلك وزيد الا
ما عدا الحافض كقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح واعلم ان ورود العين من غير تاء لمن يعقل اكثر ورودًا من
ورود الاعيان لمن لا يعقل كما مر في الملك ما لك
قوله تعالى ان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر
معلوم وارسلنا الرياح لواقح وانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم
له بخازنين اعلم انه تعالى لما منن على انه انبت في الارض من كل شيء
موزون وجعل فيها معايش لهم ممن لستم له برازقين ذكر ان كل شيء
شيء ورود ذكر ملخصه ليس شيء من الاشياء الا وعندنا
خزائنه وهذا لا يصح على قول العقلاء قال قائل من شيء الجنة
والنار والعرش والكرسي والسموات والارض وما فيهن وما بينهن
وما فوقهن وما تحتهن وما لا يعلمه الا الله تعالى فكيف يصح
ان يقال ان كل هذه الاشياء عندنا خزائنه ثم ان هذا الكلام
معلوم الاقتران بمعلوم وذلك من غير اشتراط ذكر ذلك المعلوم
الحكم ما من علم احكم منطوقه ان علم احكم منطوقه ان علم
احكم منطوقه ان علم احكم منطوقه ان علم احكم منطوقه ان علم
احكم منطوقه ان علم احكم منطوقه ان علم احكم منطوقه ان علم
احكم منطوقه ان علم احكم منطوقه ان علم احكم منطوقه ان علم
احكم منطوقه ان علم احكم منطوقه ان علم احكم منطوقه ان علم
احكم منطوقه ان علم احكم منطوقه ان علم احكم منطوقه ان علم

والجمع رواسيه وجمع الجمع رواسي وهو كقوله تعالى والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم وفي نفس وجهان الاول قال ابن عباس
لما بسط الله الارض على الماء مالت باهلها كالسفينة فارساها الله تعالى
بالجبال الثقال لكيلا تميل باهلها فان قيل اليهود يزعمون ان الله خلق
الارض بدون الجبال فمادت باهلها فخلق الله فيها الجبال بعد
ذلك ويقولون ان الله تعالى خلق الارض والجبال معا فلما كانا كالزوجين
محتمل والوجه الثاني في تفسير قوله والقيا فيها رواسي يجوز ان
يكون المراد انه تعالى خلقها ليكون دلالة للناس على طول الارض
ونواحيها لانها كالاعلام ولاميل الناس عن الجبال للسقفه ولا
ولايقعون في الضلال وهذا الوجه ظاهر الاحتمال في
النوع الثالث من الدلائل المذكورة في هذه الاية قوله تعالى
وانبتنا فيها من كل شيء موزون وفيها احتمالان الاول ان الضمير
في قوله وانبتنا فيها الجبال ان يكون راجعا الى الارض وان يكون
راجعا الى الجبال الرواسي الاول رجوعه الى الارض اولى لان
انواع النبات المنتفع بها اما تولد في الارض واما الجبال فكان
النفع وفيهم من قال رجوع ذلك الضمير الى الجبال الرواسي
اولى لان المعادن انما تتولد في الجبال والانشاء الموزون فيه في
العرف والعادة فقي المعادن لا سيما في المنجم
الثاني احتملوا في المراد بالموزون وفيه وجوه الاول ان يكون
المراد انه تقدر بمقدار الحاجة قال القاضي وهذا الوجه اقرب
لانه تعالى تعلم المقدار الذي يحتاج اليه الناس ويسعونه فاست
الله تعالى في الارض ذلك المقدار فكان الطلاق لفظ الموزون
لاجل معرفة المقدار من باب اطلاق اسم السبب على المسبب

قالوا وشاهد ذلك قوله وكل شيء عندنا بمقدار وقوله وان من
شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم والوجه الاول
في تفسير هذا اللفظ ان هذا العالم عالم الاسباب والله تعالى
الما خلق العادن والنبات والحيوان بواسطة تركيب طبائع هذا
العالم فلا بد وان يحمل من الارض قدر مخصوص ولو قدر ما حصول
الزيادة على ذلك القدر او النقصان منه لم تتولد المعادن والنبات
والحيوان بقدرته وعلمه فكانه تعالى وزن الحكمة حتى
حصلت هذه الانواع والوجه الثالث في تفسير هذا اللفظ
ان اهل العرف يقولون فلان موزون الحركات اي حركاته
متناسبة حسنة مطابقة للصنعة وهذا الكلام موزون
اذا كان مناسبا حسنا بعيدا عن اللغو والسخف وكانوا يسمون الله
موزونا عن ان الحكمة والعقل والكمال بعد حمل اللفظ الموزون
كناية عن الطيب والمناسب فقوله انبتنا فيها من كل شيء موزون
اي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة
ومطابقة المصلحة الوجه الرابع في تفسير هذا اللفظ ان الشيء
الذي ينبت من الارض نوعان المعادن والنبات المعادن
فهي بأسرها موزونة وهي الاصناف السبعة والاحجار والاملاح
والزاجات وغيرها واما النبات فترجع عاقبتها الى الوزن الا ان
المحترق الى الوزن وذلك الفواكه في الاكثر وقوله وجعلنا لكم فيها
معايش فيه مسئلتان

المسئلة الاولى

في المعايش في سورة الاعراف من ليس له ان يقول قوله الاول
انه معطوف على محل لكم كانه قيل ومن ليستم له برازقين على حد القول
فيه احتمالات ثلثة الاول ان كل من يختصه بالعقل فوجب

ان يكون محفوظه منهم لانهم ممنوعون من وحي لهما دلالة الحال ولون
العود منها فلا يصح ان يكون استثناء على التحقيق فوجب ان
يكون معنى لكن من استرق السمع قال الزجاج موضع من نصب
على هذا الاستثناء كما تقول ما لقيت احدا لكن عمرا ويجوز ان يكون في موضع خفض والتقدير
الا من خبل بن عباس في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة
اليسيرة وذلك ان الشياطين يعلمون من امور الشهادة
فتحرقه ولا تصله ومنع من ذلك منصب عوا بفضل النبيين
في البراري وقوله فاتبعه شهاب ذكر نا معناه في سورة الاعراف
في قصة بلعم بن باعورا في قوله واتبعه الشيطان فاخبر
والشهاب شعلة نار تطلع من بعض الكواكب سمي بذلك لبياضه
منها لاجل ما فيها من الحرق ومنها ما النار واعلم
ان في هذا الموضع احتمالا وضعنا ها في سورة الملك
وفي سورة الجن ونذكر منها اشكالا واحدا وهو ان يقال اذا جوز
في الجملة ان بعضها استطال الى السموات وخالط الملائكة وسمع
اخبار الغيوب عنهم ايها سبيل يملك الغيوب على هذا
التقدير وجب ان لا يخرج الاخبار عن الغيب عن كونه معجزا
لان كل غيب اخبر عنه الرسول عليه السلام قام به هذا الاحتمال
وحينئذ لا يخرج كونه معجزا دليلا على الصدق ولقائل ان
يقول الله تعالى اجرى هذا العجز عن ذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه
وسلم لاجل ان يكون هذا العجز لاحد الامور القاطعة بكون محمد
رسولا ويكون القرآن معجزا والقطع بعدم التمكن الا بواسطة
المعجز وكون الاخبار عن الغيب معجزا لا يقتضي الا بعد ابطال هذا
الاحتمال وحينئذ يلزم الدور وهو باطل محال ويمكن ان

باب

ان يجاب عنه بانا نستدل بمرة صلى الله عليه وسلم وسوء لا بسان الحال
ثم بعد العلم بنبوته نقطع بان الله اجرى الشياطين عن ملامسة هذا
الطريق وعند ذلك يصير الاخبار عن الغيب منقطعا عن هذا الطريق
سد فتح الابواب قوله تعالى والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم
فيها معايش ومن لستم له برازقين اعلم ان الله تعالى لما شرح
الدلائل السماوية من تعديد التوحيد اتبعها بذكر الدلائل الارضية
وهي انواع النوع الاول قوله تعالى والارض مددناها
قال ابن عباس بسطناها على وجه الماء وقيل احتمال الخبر
وذلك لان الارض جسم والجسم مما لا يكون مستديرا في الجهات
البتة وهي الطول والعرض والعمق واذا كان كذلك فقد وجب
في هذه الجهات الثلاثة مقدار معين مع ان الامر كذلك في كل
معقول والا لما تصاغرت انما معقولة واذا كان كذلك فقد
اختصاص المقدار المعين مع جواز حصول الاقل والاكثر
اختصاصا بامر جائز وذلك يوجب ان يكون تخصيص مخصص مقدر
وهو الله سبحانه وتعالى فان قيل هل يدل قوله
والارض مددناها على انها بسيطة قلنا الا لان الارض لو كانت كرية
كان في غاية العظم والكرة العظيمة تكون بحيث لو قام انسان على
اي نقطة كانت من نقاط سطحها وانظر اليها فانها ترى كالسطح المستوي فاذا كان كذلك
قال ما ذكرنا من الاشكال والدليل عليه قوله تعالى والجبال
لو تاملت ايها انه تدخل عليها سطوح عظيمة مستوية وكذا
هاهنا النوع الثاني من الدلائل في هذه الآية قوله
تعالى والقينا فيها رواسي وهي الجبال الثوابت فاخبر انه

قطع الشيء عن سببه الحاوي من ذلك تسكين الماء هو ورد عن سببه
في الخرمة والسلوى السراب هو ان يقطع بما كان عليه من
الضياء في حال الصحو فلا يعتد به على حد يقال في الصحو مثله
اقوال اربعة في نفس سكوف وهي في الصفة متقاربة ٥

المسألة الثالثة قال الحساي من جوز دلالة الحس
على الغيوب واعين الناس حتى يروم الشيء على خلاف ما هو به
لم يصح الفرق بينه وبين الانبياء والرسل وذلك لانهم اذا جوزوا ذلك
فلعل هذا الذي يرى بانه محمد بن عبد الله ما هو ذلك الرجل
وانما هو سطاح ولعل هذه المعجزات التي يساعدها العيان لها
حقائق بل هي يكون باب الاذى الذي ظهر من ذلك الساحر وانما
حصل هذه التصورات بفعل الله تعالى **قوله** تعالى
ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها
من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين
اعلم انه تعالى لما اجاب عن منكري النبوة وكان دليل
القوم بالنبوة مفرعا على القول بالتوحيد اتبعه تعالى بدلائل
التوحيد فلما انتهت دلائل التوحيد منها سماوية ومنها ارضية
بدأ فيها بذكر الدلائل السماوية فقال ولقد جعلنا في السماء
بروجا وزيناها للناظرين قال الليث للبروج واحد من بروج
الفلك والبروج جمع وهي اثنا عشر برجا قال والسماوات
البروج وجه دلالتها على وجود الصانع المختار ظاهر لان
هذه البروج مختلفة على ما هو مشهود عليه من اوضاع الاحكام
واذا كان كذلك فالفلك مركب على هذه الاجزاء المختلفة
في الماهية والابعاد المختلفة في الخصوصية وذلك غريب ولا بد له

من

من مركب يركب ذلك الاجزاء والابعاد من حيث الاختلاف الذي
ذكرناه دون السماء كلها من البروج التي جعلها هود الفاعل القادر
وهو المطلوب فاما قوله وزيناها للناظرين فقد بينا ان جعل
شيطان رجيم الامر استرق السمع فاتبعه شهاب مبين فقد استقصينا
الكلام فيه في سورة الملك في قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين والاصل في هذا الامر الذي لا
يدخله قوله زينا السماء للشمس والقمر والنجوم للناظرين اي للمعتبرين
بها والمستدلين على توحيد صانعها وقدرته فما جعل شيطان
رجيم فان قيل ما معنى حفظناها من كل سطان رجيم والشيطان
لا قدرة له على هذه السماء اي حفظها بالشهب الساقطة فلسنا
لما سمعه من الجن في منعها عند حفظ السماء من قاربه الشيطان
لحفظ الله السماء منهم كما قد يحفظ الناس بعضهم في بعض من الفساد
وتعني الرجم في اللغة الرمي بالحجارة ثم قيل لكل من شتم او لعن
او طرد او ابعد رجيم قال الله تعالى لابليس لارجمنك اي لاشتمنك
او لاطردنك او لابعدنك وقوله رجوما للشياطين اي جعلها رجوما
بالكواكب ومنه قوله رجما بالغيب لانه بعيد عن الله تعالى والرجم ايضا
اللعن والطرد ومنه قوله الشيطان الرجيم فعلى هذه
الوجوه قال من عصمنا من السماطين لا يحب عن السماء فكانوا
يخطفونها ويسترقون لحمان الغيوب على الملائكة فيلقونها على الكهنة
فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات والولد محمد صلى
الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها لان نظم الآية يدل
على الاستغراق لان ادخال الجمع على الجمع لا يخرج الجمع

لاخوانهم والحاصل انه لما علم الله انه لا فائدة في تنزل الملائكة
فلهذا السبب قال ما انزل كتبهم فان قيل كيف يحسن من الحاكم
العظيم ان يصور امثاله في وجود ما شاهدوه مالعين السليمة
في النهار الواضح وكان حصول الشك كما لسفسطة لا زيه
ولا منوعيند اقتراحهم على الله تعالى ما يعلم انه تعالى
علمه تعالى مما وصفهم بالتمادي في الغي وصفهم بما يدل على
هذا القول ويجوز ان يقدم الانسان على الكفر على سبيل العناد
والمكابرة ثم يتأمل نفسه ويقال له صحيح من الطريق المعلوم ان
بطلانه والشك في المشاهدات لحاف ما انه نعني ذلك
اذا جمعهم عليه جمع من سوء طالعهم على ذلك في حجة اعطيته خصمه
وانصاف هذه الحجة انما وقعت عن قوم محسوسين بالعيون
الرسول عليه السلام انزال الملائكة وهذا السؤال ما كان الا من
رؤساء القوم وكانوا قليلي العدد فاقتضى العدد القليل على الغرض
مجرى الكثير من حكايات هذه المسألة الثانية
قوله تعالى لقضي الامر حتى تعرجون يقال ظل فلان نهاره
يفعل كذا اذا فعله بالنهار لا فعل النهار فظل بطل الا لفعل
عمل النهار كما لا يقولون مات بالليل والصدر للطول
وقوله فيه يعرجون يقال عرج يعرج عروجا صعد منه المعارج
وهي المصاعد التي يصعد فيها والمفسرون في هذه الآية قولان
احدهما ان جعله مطلقا فيه يعرجون من صفة المشركين قال
من شاء من خلقه للشر لون يصعدون في تلك المعارج ويطلعون
الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عجائب الملائكة
الذين هم من خشيته مشفقون ليتسلوا في ملك الربوبية ويتعجبوا من

على كرمه وجلاله كما حكى ما يأتي المعجزات من اشتهاق القوم ما هنا
به الرسول من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس ان
يأتوا بمثله والقول الثاني انه تعالى انما ذكر هذا العروج للملائكة
انه تعالى لو جعل لهم ولاة الكفار لحسن منهم ان يقولوا لو انزلت
ونصعد فيها الملائكة ونسمع كلامك ونعرف صدقك فبين تعالى
السبب سحرونا وجعلونا نحسب ما شاهدوه من الاشياء
لهذا وقوله لقالوا انما سكرت ابصارنا وفيه مسئلتان
الاولى قرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف والباقون بالتشديد
الكاف قال الواحدي وجه الاستقامة سكرت لغتان وشارت
بالتخفيف اهل اللغة والمراد اصله من السكر وهو سد الشق
ليلا يبخر الماء فكان هذا الابصار سدت من ان نظر كما منع السكر
من الجري والسكر بفتحتين مكان مسكور والعرب تقول لما لا يجري
هو ما خود من السكر الشراب يعني الابصار طريق ويمنع صاحبها من فساد
النظر مثل ما يمنع ما لدجل السكران من تمييز العقل فاذا كان هذا
من فعل آخر وقال ابو علي الفارسي سكرت ابصارنا تحسن ان
موجب سكر فهاد يطلانها وعلى هذا القول اصله من السكون
يقال سكر ساكن والريح تسكن وسكر الريح تبكر ولما سكنت الريح
فيها قال ابن
حالت على ليله ساهرين فليس يطلق ولا ساكن
ويقال سكرت عينه تسكر اذا غرقت وسكنت عن النظر وعلى
هذا معنى سكرت ابصارنا اي سكنت عن النظر بعد القوة
احتيار الزجاج وقال ابو علي الفارسي سكرت صارت
كحيث لا يثبت نور فيها ولا تدرك الاشياء على حقائقها وكان معنى

تحصل الكفر والباطل عليها ان حصول ذلك الكفر ليس منه فان
قالوا انما حصل ذلك الكفر لانه خلق الله ذلك الاعمال فحصول
على هذا المعنى ايضا يدخل حصول ذلك الجهل لاجل جهل آخر سابق
عليه ويستقل الكلام الى ذلك الجهل السابق فان كان ذلك
لاجل جهل اخر لزم التسلسل وهو محال والا وجب انتهاء كل
الجهالات الى جهل اول خلقه الله تعالى في قلبه لا لتحصيله بل بخلق
الله تعالى وهذا هو الذي قلناه اذ المراد من قوله ذلك بسبب
ختم الله على قلوبهم لا موصوفين به والمعنى بجعل في قلوبهم ان لا يؤمنوا
به والوجه الثاني هو ما ذكرناه من ان الواجب على الله تعالى
ان حصول الايمان والكفر تبع ان يكون لعبد عند ذلك ان يجعل
احدا ما وهذا الايمان والصلاح والعلم والحق فان العبد لا يقصد
تحصيل الكفر والجهل والكذب فاذا كان كل احد لا يريد الا الايمان
والحق ثبت انه لا حصول لذلك الا لجعل الكفر والباطل علينا
ان حصول ذلك الكفر ليس منه وهو الذي يظهر ان المراد من
قوله ذلك بسبب ختم الله على قلوبهم هو قوله تعالى في الكفار
والاصنام ختما وانما ذكره الله تعالى بصيغة الجمع لان ملائكته
الموكلين بعذاب الكفار يختمون على قلوب الكفار والضلال
فنسبه الى نفسه وان كان الختم في الحقيقة من الملائكة
بقي ههنا احد شيئين للمعتزلة اما ان يقولوا ان هذا الختم
حكم منه ان المراد كذلك بسبب القسوة في قلوبهم الحاصلة
قال القاضي ان القسوة لا تحصل الا من فعل الكافر فان
يسمى على كفره وتعامله لا يصح اضافته الى الله تعالى فيقال
للقاضي انه يجوز ان يحدث الله تعالى في قلوب الكفار
من نفسه

نفرة

نفور شديد عن فعل الرسول وعن كل ما يأمر به حتى انه يكرهه
ويراه نقيصة له ويصفه بضد صفاته ويعترف بفضائل نفسه
البهيمة والاصغاء لقول فضلاء العالم في طبائع الحيوانات
لكنه دفعها عن نفسه فكيف يقال انها حصلت بفعل الله تعالى
فان قالوا انه تعالى خلق في قلوبهم الاعراض عن الرسول
والعقول بعقول هذا الخلق فظاهر لانا نرى حصول هذه النفرة
السريعة في القلب عقيب العلم في الحس بكونه ان يتعود
الى الايمان والطاعة والرضا بهذا المعنى وقد ان يحدث
مرور هذه الاحوال الفضلية منه بكثرة العود الى الرسول
والتسليم فثبت بهذا ان الذي ذكرناه من ان الموجب للاعراض في
تحصيل هذه الاحوال الفاسدة هو الله تعالى وقد دللنا على ان
اما قوله تعالى وقد جاءت سنة الاولين فالجواب عنه من وجهين
الاول انه يحتمل ان يكون المراد من سنة الاولين ما ذكره الله
من كيفية الدعوة في العقود المتطاولة المتمادية قول النحاج
قد مضت سنة الله في الاولين ان يذكر الامر والعلاج في
قلوبهم وهذا الذي قاله ظاهر لفظ
تحملهم ما بأيدي الصادقين ويعترفون لهم بالفضل
اصرارنا قبل نحن قد سمعنا
في سوء الافعال من قوله ولو قبلوا
ما يدعيه لقال الذين لم يعلموا
الفتح لما طلبوا ملاقاته فيصير حينئذ
من عند الله بمن قال الشيء هذا الامر يتعذر ان يحصل
الذين كفروا من ما يشعر هذا العجب الذي يظهر في انواع

ذلك تسلك عابد الله ايضا لانها ضمير اثنين متعاقبان فيصح عودهما
الى شئ واحد قوله الثاني ان قوله كذلك هنا مثل ما مثلنا اكذا واذا
يجعل السلك مكونا هنا استمرار العقد السلك بعد الخرد كما الله
تعالى قيل هذه الآية والاقرب الاول لانا الحق قلنا الذكر فوجب
ان يكون معطوفا عليه وتشبيها به ومتى كان الامر كذلك كان الضمير
في قوله تسلكه عائدا الى الذكر هذا تمام كلام القوم والجواب
لا يجوز ان يكون الضمير في قوله تسلكه عائدا الى الذكر ويدل
عليه وجوه الاول ان قوله كذلك تسلكه مذكور لغرض التنويه
والمراد منه الحث على التعظيم والاجلال ومثل هذا التعظيم انما
يحسن اذا فعل فعلا يطيقه اما قوى كامل فيستحيل ان يتابع
والدواعي لعالية اما هذا فان ذكر اللفظ المشعر بمعاني العظمة
والجلالة يكون مستقبحا في هذا المقام والضمير هنا كذلك لانه
تعالى سلك استماع القرآن وتحفيظه وتفهمه في قلب الكافر
من اجل انه يؤمن به ثم انه لو تلفظ به ولم يؤمن به فصار تعلق
الله كالمهد الضائع وصار الكافر في الستمان كالطالب الذاهب
واذا كان كذلك كان التنويه للمشعر بالعظمة والجلالة في قوله
تسلكه عين لائق بهذا المقام فثبت بهذا الوجه ان الدليل الذي ذكروه
والوجه الثاني انه لو كان الراجع الى الذكر لوجب ان يقال
كذلك تسلكه في قلوب المجرمين ولا يؤمنون اي ومع هذا
المعنى العظيم لا يؤمنون اما الذي ذكروه للوجه الاول ان قوله لا يؤمنون
به كالتفسير والبيان لقوله تسلكه في قلوب المجرمين وهذا انما
يصح اذا كان تسلك الكفر والضلال في قلوبهم والوجه
الثاني ان قوله انا لم نزل الذكر بعيد وقوله يستمعون به قريب

وعود

وعود الضمير الى القريب المذكور اولى من العود الى البعيد لما قرر
لو كان الضمير في قوله تسلكه عائدا الى الاستهزاء في قوله
لا يؤمنون به عطف الله وحسن ما مضى من الوعيد
بعينه من وجوه الاول ان مستقبل الاول والمضي الى الغير
المذكور فلا مانع من اعتبار هذا المعنى في الضمير الاول فيسهل
المانع من اعتبار معنى المضي الذي عاد الى الذكر وهو الغير الثاني
عاد الى الاستهزاء والضمير الذي عاد الى الذكر وهو من الاعمال
المتعاقبة على الاشياء المختلفة لكن يجوز ان يقال ان السلك
والكفر والماضي والمراد في قوله تسلكه قالوا والمعنى من شأنه
واحكمه وجعل شعاره وجوهه اليكن الهما ما انتقلنا منه وجعلنا
خفيفا فمرت به فلما انقلت دعوا الله ورجعوا الى الاصل الذي
من الشاكرين فلما اما صالحا صالحا سلكنا هذا في قلوب
عبادنا يكون عابد الى الجمع وهذا اطلق على الواحد في قولنا سيرهم
واذا ثبت هذا طعن الاعتراض من هذا الوجه الى الجمع
شئ واحد بقي الاشكال من وجه آخر وهو قوله الى الذكر
الذي في الجواب قال بعض الاذكياء اصل هذا الاشكال
به نفسر لك كذا في قوله تسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون
لك من ان لا يؤمنوا يسلك في قلوبهم الكفر والضلال
الثالث وصوابا من الدليل على العظمة الاعراض عن الاعمال
الاعمال والكفر مع ان يكون ما بعده دليلا ان ذلك
والصدق والعمل والحق يحصل الكفر والجحود والكفر والانكار
واحد لا يفصل الا الاعمال والحق والباطل لا يحصل
الكفر والباطل على ان حصول ذلك الكفر ليس من

دعود

عليه وقوله في شيع الاولين اي جماعهم الاولين واشياعهم وقال
الفراء الشيع الاتباع واحدهم شيعه وشيعة الرجل اتباعه والشيعه
لان بعضهم يتابع بعضا وبيانهم وذكرنا الكلام في هذا الحرف
عند قوله ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
من باب اضافه الصفه الى الموصوف كقوله حق اليقين وقوله
بحانب الغربي وقوله وذلك دين القيمه اما قوله وما ياتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزءون اي بعذاب ما ولا الجهال
مع جميع الانبياء والرسل كذلك واعلم ان السبب الذي
حمل هؤلاء الجهال على هذه العادة القبيحه ومداومتهم الباطله
وذلك شاق عليهم شديد على الطبع والثالث ان الرسول
مبتدئ مخدوم والاقوام جبت عليهم طاعته وخدمته وذلك
ايضا شاق عليهم مشقه والسبب الرابع ان الرسول قد يكون
فقيرا ولا يكون له اعوان وانصار ولا مال ولا جاه فالمستهزئون
والرؤساء ثقل عليهم خدمته من يكون بهذه الصفه الخامس
حملان الله لهم والهادي اعني الكفر والجهل في قلوبهم وهذا
هو السبب الاصلي لهذا السبب وما يشبهها تبع الجهال
والضلال مع اكابر الانبياء عليهم السلام في هذه الاحوال
الفضيحه والافعال المنكره اما قوله كذلك نسلكه في قلوب
المجرمين فيه مسئلتان المسئله الاولى
السلك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في الخيط والرمح في
المطعون وقد تقدم في قوله تعالى ما سلككم في سقر يدخلهم
في جهنم وذكرنا هو عين سلكته واسلكته بمعنى
المسئله الثانيه اجتج اصحابنا بهذه الايه على ان الله تعالى

خلق

خلق الباطل في قلوب الكفار وقالت المعتزله الجهل والضلال والكفر
ليس فعلا لله لان هذا اللفظ لا يمكن ان يكون الضمير عائدا اليه لان قوله
انه تعالى قال وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون
يدل على الاستهزاء والضمير في قوله كذلك نسلكه عائد الى هذا الاستهزاء
والاستهزاء كفر وضلال فقد صح قولنا المراد من قوله كذلك نسلكه و
المراد هو كذلك نسلك الكفر والضلال والاستهزاء بآيات الله
ورسله في قلوب المجرمين لانا نقول اذا كان الضمير في قوله كذلك
نسلكه عائدا الى الاستهزاء كان الضمير في قوله لا يؤمنون به عائدا
الى الاستهزاء لان ضمير ان تعاقبا ولا صنما فوجب عود هما الى شيء
واحد فوجب ان لا يكون المؤمن بذلك الاستهزاء وذلك يوجب
التناقض لان ذلك الكافر لا بد وان يكون مؤمنا بكفره والا لم يكن
كذلك هو المسمى بالعالم بالكفر فلا صدق به في انه ليس بكافر وكان
تعالى هو الذي يسلك الكفر في قلب الكافر ويخلقه فالحد اولى
بالعذر من هذا ولاي الكفار قلنا على هذا التقدير يتبع ان
يدعهم في الدنيا وان يعاقبهم في الاخره فثبت انه لا يمكن حمل هذه
الايه على هذا الوجه سقوط الدليل الصحيح ان الضمير في قوله
كذلك نسلكه عائد الى الذكر الذي هو القرآن فانه تعالى
قال قبل هذه الايه انا نحن نزلنا الذكر وقال بعد كذلك
نسلكه اي كذلك نسلك القرآن في قلوب المجرمين فالمراد حفظ
هذا القرآن وتخليد معانيه وبين انهم مع تمام قدرتهم واصرارهم على ترك
التعرض لهذا القرآن بالابطال والاخفاء فانهم لا يقدرون على شيء من ذلك
بل سبيل هذا القرآن كسبيل الاصل الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل
وذلك يدل على صحة هذا التاويل وجهان الاول ان الضمير في قوله
فلا يؤمنون به عائد الى القرآن بالاجماع فوجب ان يكون الضمير في قوله

انهم رادوا الجواز ايضا ان يطرح بهم السقاط وذلك يوجب خروج
القرآن عن كونه حجة في القول الثاني الكنايه في قوله
له وصيه الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعروف انا لمحمد ما قلوت
وهو قول الفراء وقول من الانباري وقدر من الاسماري هذا
فقال هذا دليل الله الاموال والتنزيل دل على المنزل عليه فحسب
الكنايه عنه لكونه اس معلوما كما في قوله تعالى انا انزلناه
في ليلة القدر فان هذه الكنايه عائده الى القول مع انه لم
يتقدم ذكر وانما صحت الكنايه للسبب المعلوم فكذا هاهنا
الا ان القول الاول اوضح القولين واحسنهما تناسبه لظاهر
التنزيل ❊ المسئله الثالثة اذا قلنا الكنايه
راجعه الى القرآن واحتجوا في انه تعالى كيف تحفظ الذكر فقال
بعضهم حفظه بان جعله معجزا مباينا لكلام البشر يعجز الخلق
عن الاتيان بمثله والسلطان لا يغير اذا ارادوا فيه ونقصوا منه
بخلاف القرآن فظهر بهذا ان هذا النوع من القرآن
فصار كونه معجزا كالحائط المنور بالمدينه لحصنها وحفظها
وقال اخرون انه تعالى صانه وحفظه من ان يزيد احد من
الخلق على معارضته وقال اخرون المعجز الخلق عن الابطال
والسلطان لم يمنع مخالفيه من الطعن فيه وتشهير ذلك فيما
بين الخلق الى اخر بما التكليف فقال اخرون المراد بالحفظ
هو ان جعل الرجال يحفظون حروفه ونقطه لقال له اهل الدنيا
هذا كتاب ليس لكلام الله حتى لو ان الحجاج للهتم لو اسقط له عمدا
وصفوه في حرف من كتاب الله تعالى لوجد كل للصبيان اختلاف
انها الشيخ وصوابه كذا وكذا فهذا هو المراد من قوله وانا له لحافظون

واعلم

واعلم انه لم يبق شئ من معاني الكتب غلى هذه الصفة فان الكتاب
الا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير اما في العصر منه
او في القليل فنقاهد الكتاب خصوصا عن جميع جهات التحريف
مع ان دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله
وابطاله من اعظم المعجزات فدل على ان الله تعالى عن ذلك حفظه
عن التغيير والتحريف واعلم الان قسما من ما ذكرته مستفاد
احسانا عن العيب وكان ذلك ايضا معلوما بالمشاهده ❊ المسئله الرابعه احتج القاضي بقوله انا له لحافظون
على فساد قول الاماميه ان القرآن قد حذف منه الزيادة والنقصان فقال
لو كان الامر كذلك لبقي القرآن مخطوطا قبل الاستدلال
ضعيف لانه يجري مجرى اثبات الشئ بنفسه بالاماميه الذين
يقولون القرآن قد دخله النقصان فانهم لا يقولون ان هذا الذي
بين دفتي المصحف من اوله الى آخره القرآن فثبت
ان اثبات هذا المطلوب بهذا الدليل يجري مجرى اثبات الشئ بنفسه
وانه باطل ❊ قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله الآية
فتح الاولين وما يتبع من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك
نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين
واعلم ان القوم لما اشاروا في الاول وخاطبوا بالتفاهه
وقالوا انك لمجنون ولاستخفاف بعد ان عدد هذه الاحوال
مع جميع الاسماء منكرا كانت قبل البعث على الصبر على سفاهتهم
وجهالتهم لجميع الانبياء عليهم السلام وهذا هو الكلام في فتح الآية وفيه
مسائل ❊ المسئله الاولى في الآية محذوف والتقدير
فاعلم ان سبيلنا من قبلك وسبيل الانبياء قبلك

واعلم

لوما امنا بالملائكه هو الوجه الاول لسكان يقدر عدم الجواب
ان انزال الملائكه لا يكون الا بالحق وعند حصول العذاب وقد علم
الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل عليهم لبقوا مصرين
على كفرهم وعلى هذا التقدير صار انزالهم عبثا باطلا ولا يليق بها
فلهذا السبب ما انزلهم الله تعالى وقال الفراء المراد بالحق هاهنا
الموت والمعنى انهم ما كانوا يؤخرون الا بالموت ولا عذاب الاستئصال
ولا سوء عذاب وهم امطار ولا امهال وهذا ضعيف لان عذاب الاستئصال
يسمى الايه فلهذا السبب ما انزلت الملائكه واما ان كان المراد ما
ذكره تعالى لوما ما سالنا الملائكه استعجالهم في قولهم العذاب الذي
كان الرسول عليه السلام يعدهم به فيقول الجواب
ان الملائكه لا يرسلون الا بعذاب الاستئصال وكلما امه محمد
صلى الله عليه وسلم ان لا يعذبهم ذلك وان علم الله في
امان بعضهم وعلى ان اولاد الباقين

المسئله الثانيه قال الفراء والزجاج لو لا ولوما الفعل وحدها هلا
ويستعملان في الحبس والاستفهام والحض مثل قولك لولا اتيت فعلت
كذا ومنه قوله تعالى لولا ايم اكما موشين والاستفهام كقوله
لولا انزل عليه ملك وكقول الاعشى قالوا لوما الهم بسه بدل
عن اللام في لولا وشله استوى على الشي واستوى عليه وحكى
الاصمعي حالله وحالمته اذا صاد فقه فهو طالي وحالمي

المسئله الثالثه ما انزل الملائكه الا بالحق قرا
حمزه والكسائي وحفص عن عاصم ما تنزل على فعل ما لم يسم فاعله
والملائكه بالرفع والباقون ما ننزل الملائكه على اسناد فعل النزول
الى الملائكه

المسئله الرابعه قوله وما كانوا اذا

منظرين معنى لو قلنا الملائكه لو نظروا الى ما عملوا فان التكليف
يزول عند نزول الملائكه قال صاحب الكشاف التنفيس المطل يقال
من كبته من كلمته من اراد وهو لهم ينتظرون الا قليلا يعني يقتلهم
ارحلتي ثم صم انهما ان مصدر اذا ثم استثقل الضمتين فحولوا
فصار اذ ثم حمى لفظه ان تقلب الياء الفا لانها وقعت بعد ضم وقبل
وملكا ولو انظروا ان كانت الملائكه تنظر لطلبوا مصدر الوعد حسن ثم قال
تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وفيه مسائل

المسئله الاولى ان القوم انما طلبوا الاتيان بالملائكه ليشهدوا
عليه الذكر لاجل انهم سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى
نزل الذكر على ثم انه تعالى جعل هذا الذكر معجزا في نفسه فقال انا
نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واما قوله انا نحن نزلنا الذكر فمعناه انا
كنا قادرين على ان نجعل الذكر بحيث لا يقدر احد على الطعن فيه
الواحد منهم اذا فعل فعلا او قال قولا ثم تعالى عن ذلك الفعل او القول
فكذا هاهنا

المسئله الثانيه الضمير في انا لحافظون
الذكر من التحويف والزيادة والنقصان في قوله تعالى ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فان قيل فالله تعالى قد
ضمن حفظ القرآن في الصحف فقد وقع الامن من الله تعالى بحفظه وبحفظ الله
فلا خوف عليه والجواب ان جمع القرآن كان من الصحابة
حفظ الله اياه فانه تعالى لما اراد حفظه سخرهم لذلك قال الصابوني
وفي هذه الايه دلاله قويه على صحة نبوة محمد لان كل من تامل
الله تعالى قد وعد بحفظه القرآن والحفظ لا معنى له الا ان يكون مصونا
من الزيادة والنقصان فلو دخل شيء من الزيادة في القرآن او نقص شيء
مصونا عن التغيير وما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز ان يطعن الصحابه

ومشبهها ان كان مجنونا لادراك الفعل المعين فحالوا دراك القدرة
والمشبه الموحش لادراك الفعل هو الذي قد ادراك الفعل بعينه
ويعود الالزام وان لم يكونوا موحشين لادراك الفعل ما كان ما صلح
له ولعينه كان يرجحان لاحد الطرفين على الاخر ان لم يكن لمرجح
فقد عاد الامر الى انه حصل ذلك الاختصاص لا لمخصص وهو
باطل فان كان تخصيص الله وحسن يعود الالزام ۞

المسئلة الدالة دلت الادلة على ان كل من مات
او قتل فانما مات باجله وان من قال لمحبوبه ان مت قبل اجلة مخطي
ما ان والوان هذا لاستدلال انما يلزم اذا حملنا قوله وما اهلكنا
على الموت اما اذا حملناه على عذاب الاستيصال فكيف يلزم قلنا
في قوله وما اهلكنا اما ان يدخل تحته الموت او لا يدخل فان
دخل والاستدلال ظاهر لانهم وان لم يدخل فنقول ما وجب
لاجله مستقل وجب في عذاب الاستيصال ان لا يستلم ولا ما خر
وقته وللعين قائم في الموت فوجب ان يكون الحكم ما هنا كذلك ۞

قوله تعالى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر
انك لمجنون لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل
الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون ۞ اعلم انه تعالى لما بالغ في تهديد
الكفار ذكر شبههم في انكار نبوته والشبهة الاولى
انهم كانوا يحملون عليه بالجنون وقد احتمال الاول انه صلوات
الله عليه وسلامه عند نزول الوحي حال مشبهه بالغشي فظنوا
انها جنون والدليل عليه قوله ويقولون انه لمجنون وما هو
الا ذكر للعالمين وايضا قوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة والثاني

انهم

انهم كانوا يسمعون منه ويشاهدون منه وسوسة حتما من عند اسماع الوحي اذا سمع كلاما
مستعذبا من غير روية قالوا به جنون وانت مجنون لتعذبه الا ترى
من طريقة العقل في قوله انك لمجنون في هذه الاية يحتمل الوجهين
اما اولا فبما الذي قال عليه السلام في حق الاول
انهم كذبوا على سبيل الاستهزاء كما قالوا ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون وكما قيل لشعيب انك لانت الحليم الرشيد
وكما قال تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وانتصاب الحال
والثاني وايضا الذي قال عليه الذكر في زعمه والعقلاء وعند اصحابه
وانباعه ثم حكى عنهم والوا في تعنتهم شبههم لو ما تاتينا بالملائكة
ان كنت من الصادقين وفيه مسئلتان ۞ **المسئلة** الاولى
المراد لو كنت صادقا في ادعاء النبوة لاتيتنا بالملائكة شهدوا على
بصدقك كما دل عليه من الايات الدالة على الرسل الحكم بالحاول لتحصيل
امر وله طريق اخر وهو يفضي الى حصول ذلك المقصود قطعا وطريق
طريق احد هذين يفضي وقد لا يفضي ويكون في محل الشكوك والشبهات
فلو كنت صادقا في ادعاء النبوة لوجب في حكم الله انزال الملائكة
الذين يصدقونك بصدقك وحيث لم يفعل ذلك علمنا انك لست
النبي في شيء وهذا السؤال يرجع حاصله وتظيره ما قوله تعالى في
سورة الانعام وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر
وفيه لضال اخر وهو ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم
بنزول العذاب ان لم يؤمنوا والقوم طالبوا منه نزول العذاب وقالوا له
لو ما تاتينا بالملائكة الذين يشهدون علينا بدلك العذاب الموعود وهذا
هو المراد من قوله تعالى في هذه السورة من قوله ما نتنزل الملائكة
الا بالحق وما كانوا اذا منظرين فيقول ان ذلك هو المراد من قوله

ادم وهذا الاجل ودون الامل تسمع وتسعون منه فان لحقته احدى
والا فالهرم من ورائه وعن علي رضي الله عنه انما اخشى عليكم اثنين
طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل يصد عن الاخرة
وان طول الهوى يصد عن الحق **قوله** تعالى
وما اهلكنا من قرية الا لها كتاب معلوم ما تسبق من امة
اجلها وما يستاخرون في الاية مسائل **المسئلة** الاولى
اعلم انه تعالى لما توعد من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم
بقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون اتبعه
بما هو كالزجر وهو قوله وما اهلكنا من قرية الا لها كتاب
معلوم وانما تمنع فيه التقدم والتاخير بالذين يعدون كان وقت
هلاكهم في الكتاب موخرا وذلك يدل على الزجر والتحذير
المسئلة الثانية قال قوم المراد بهذا الهلاك عذاب
الاستيصال الذي كان الله تعالى يفعله بالمكذبين كما فعله في قوم
نوح وقوم هود وغيرهم وقال اخرون المراد بهذا الهلاك الموت
قال القاضي والاقرب ما قدمناه لانه في الوعيد ابلغ ومن تعالى
ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل لان العذاب موخر لان
لكل اجل وقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر وقال اخرون
المراد بهذا الهلاك مجموع الامرين وهو تنزل عذاب الاستيصال
وتنزل الموت لان كل واحد منهما مناف للاخر في كونه هلاكا
فوجب حمل اللفظ على القدر المشترك الذي فيه السواء وهو الهلاك
المسئلة الثالثة قال الفراء ولن للوقت والواو مدخولة
في قوله وما اهلكنا كما هي في قوله وما كنا غائبين وهو قوله
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وهو كما تقول ما اتيتنا احدا

الا وعليه ثياب فان شئت قلت الا عليه الثياب اما قوله ما
تسبق من امة اجلها وما يستاخرون ففيه مسائل
المسئلة الاولى قال الواحدي من في قوله من امة
زائدة كقولك ما جاءني من احد وقال اخرون ليست زائدة لانها
تفيد التبعيض الى هذا الحكم ثم لم يحصل في بعض الاعواض هذه الخصيصة
ويكون ذلك في اوان عموم التي اكدت **المسئلة**
الثانية قال صاحب النظم معنى سبق ما كان يا فعل يسخل
كان معناه انه ما وجد خلف كقولك سبق زيد عمرا اي جاء وخلفه
وراءه ومعناه انه قصر عنه وما بلغه فلما كان فاعل كان
كان المعنى في ذلك قولك سبق فلان كما تقول مضى قبل
اباته ولم يبلغه بقوله ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون
معناه انه لا يحصل الاجل قبل ذلك الوقت ولا بعد بل انما يحصل
في ذلك الوقت بعينه والسبب فيه ان اختصاص كل حادث بوقت
معين دون الوقت الذي قبله او بعده انما يحصل في ذلك الوقت بعينه
والسبب فيه ان على سبيل الاتفاق لا يقع ترجيح ولا مرجح فان
يجوز ان يعتبر في الكون على الاخر لا مرجح وقال ولما اختص حدوثه
بذلك الوقت لا بعينه لان الله العالم لما علم حصوله في ذلك الوقت بعينه واذا كان كذلك
فقدرة الاله واراداته امتنع انفكاك ذلك التخصيص وعلمه حتى يصير ذلك
ذلك الاختصاص بعينه واجبا كان غير ذلك خلاف الله تعالى اعني القدرة
والارادة والعلم ممتنعا كان تقدم ذلك الاختصاص ممتنعا اذا عرفت
هذا فنقول هذا الدليل بعينه قائم في افعال العباد اعني ان الصادر
من العبد هو الايمان والطاعة ومن ضده وهو الكفر والمعصية متى حصل
ان امتنع دخول التغير فان قالوا انما يلزم لو كان المستحيل انما هو وقوع ذلك الغير

صلى الله عليه وسلم واذا كان يوم القيامة واجتمع اهل النار
ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار لهم ألستم مسلمين
قالوا بلا قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيغضب
الله بفضل رحمته فيامر من شاء من كل من كان من اهل القبلة من
النار فيخرجون فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وعلى هذا القول اكثر
المفسرين وروى مجاهد عن ابن عباس ما نزل الله يخرج للمؤمنين
ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة شفاعة الملائكة والانبياء حتى
انه تعالى يخرج من كان من المسلمين فليدخل الجنة قال
فهناك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال القاضي هذه
الروايات مبنية على انه تعالى يخرج اصحاب الكبائر من
النار وعلى ان شفاعة الرسول مقبولة في اسقاط العقاب
وهذان الاصلان عند مردودان فعند هذا اجمل هذا الخبر على
اصل مطابق قوله ويوافق مذهبه وهو انه تعالى يخرج من النار كل
طائفة من المؤمنين الجنة بحيث تغلب على ظن من يراهم الكفرة
انه تعالى لا يدخل الجنة منهم احدا فعند ذلك يتمنى الكفرة
ويودون لو كانوا مسلمين وعلى هذا الطريق يصح هذا الاخبار والله اعلم
فان قيل اذا كان اهل القيامة قد يتمنون امثال هذه الاحوال
وجب ان يتمنى المؤمن الذي يعلم تفاوت درجة المؤمن الذي يعلم
ثوابه والمتمنى لا يكون في الغالب الا احد احوال اهل الجنة فلنا
ارضى كل احد بكل ما فيه ونزع من قلوبهم طلب الزيادات
كما قال تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اما قوله تعالى

ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون ففيه مسائل

المسألة الاولى المعنى دعهم الكفار يأكلوا ويتمتعوا
ملذات الدنيا ولا تخالفهم في الاخذ والقول ويلههم الامل عن
الايمان والطاعة فسوف يعلمون عاقبة ما هم فيه من الكفر
ثم بين ان الغرض من ذكر هذه الاحوال ان الدين كان واسع الرعد
لهم عن الحديث قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يصح لاحد شيء تركه فقد
لمته
وانشدوا

مرت هالك قالا سنها وسنب ولقد اطلت هنا نهارا وتعتب

قوله هالة عنها اي ان حبها وعرض عنها مالك بالمعروف
يشغلهم الامل عن الايمان والطاعة فسوف
يعلمون

المسألة الثانية احتج اصحابنا بهذه الاية
على انه تعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون له مفسدة
في الدين والدليل عليه انه تعالى قال لنبيه ذرهم ياكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فكل ما كان اقبالهم على التمتع واستغراقهم في طول الامل ولهو
عن الايمان والطاعة هم انه تعالى اذا علم فيها مالت المعتزلة لو
ليس من اراد ان يحرمه ثوابه وعقابه ظاهر وقول اذا
اذا اقتضى ما في العالم الله تعالى ربه على ان اقبل على هذه الاعمال
يضرهم في دينهم وهذا يدل على ان مذهبه انه تعالى اذا علم ان
على انه لو زال ذلك الشيء مفسدة

المسألة دلت الاية على ان ابواب البيع والشراء وسائر وجوه الاشتغال بالاعمال ليست
من اخلاق الموسى وعن بعضهم السعي في الدنيا اخلاق الكاسبين
والاحراز في ذم الامل كثير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
بعرض ابن ادم اثنان الهرم وعند الهرم يتمنى طول العمر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ذئبان

درهم

على ما لم يدخل عليه الا ترى ان رب انما تدخل على الاسم المفرد نحو
نحو ربّ رجل ذاك ولا تدخل على الفعل فلما دخلت عليها هاها
للدخول على الفعل كهذه الآية ◎ المسئلة الثالثة ◎
اتفقوا على ان رب موضوعة للتقليل ثم في التقليل تطيرت في
الكثير فاما قال الرجل ربما اكرمني اقلا ربما على تقليل الزمان
قال ابو الحجاج ومن قال ان رب بمعنى بها الكثير فهو ضد
ما يعرفه اهل اللغة وعلى هذا التقدير هاهنا سؤال وهو
ان معنى الكافرين الاسلام مقطوع به وكلمة رب تفيد الظن
والمعنى ان ذلك الشيء يكثر ويتصل ولا يليق به لفظة ربما مع
انها تفيد التقليل والجواب عنه من وجهين الاول
ان العرب انهم اذا اداروا التكثير ذكروا لفظا موضوعا للتقليل
واذا اراد والتقليل وضعوا لفظا دالا للتكثير والمقصود منه
الهذار والرفع والاستغناء عن التصريح بالغرض فيقولون ربما ندمت
على ما فعلت ولعلك تندم على فعلك وان كان الفعل
حاصلا بكثير الندم ودعوى بعض شك ومنه قول القائل
قد انزل العزاز بصفر منه اناسله والوجه الثاني في الجواب
ان هذا التعليل ابلغ في التهديد ومعناه كيف يقل الندم في كونه
واخراك عن هذا الفعل ولعلكم والوجه الثالث انه
يتعلم العرب عن عني ذلك الذي القليل ◎ المسئلة
الرابعة اتفقوا على ان كلمة رب تختصه بالدخول على الماضي
كما تقول ربما فضل عبد الله ولا يكاد يستعمل المستقبل
بعدها وقال بعضهم ليس الامر كذلك والدليل عليه قوله
ربما تكره النفوس من الامر لها ترجه وهذا استدلال

ضعيف

ضعيف لانا بينا ان كلمة رب في هذه الآية داخلة على الاسم
وكلامنا في انها اذا دخلت على الفعل وحينئذ يكون ذلك الفعل
ماضيا فان رجحوها من الآخر الا اني اقول قولها ولي الا بانه
لا يجوز دخول هذه الكلمة على الفعل المستقبل لا لكن يتمسك
بالدليل العقلي واما الرجوع فيه الى النقل والاستعمال وانهم
وجدوا ما استعملا على هذا الاستعمال فالجواب انه حاين صحيح وكذا الله
اعلم بما حاصل واشرف شغل لم تشتغلوا به وردت في هذه الآية جوابان
وصحته ثم نقول ان الآية جاءت لاجل هذا السؤال من وجهين الاول
قالوا المعروف في اخبار الله تعالى عن حال الماضي المقطوع به في الحقيقة
فكانه قيل ربما ودوا والثاني ان كلمة ما في قوله ربما يود الذين
كفروا اسم وهو صفة له والتقدير رب شيء يود الذين كفروا قال
الزجاج ومن زعم ان الآية على اضمار كان وتقديره ربما كان يود الذين
كفروا فقد هجم بذلك على قول سيبويه الا ترى ان كان لا يضمر عنده
ولم يحك عبد الله المقتول وانت تريد كان عبد الله المقتول ◎
المسئلة الخامسة ◎ في تفسير الآية وجوه على مذهب
المفسرين فان كل احد حمل قوله ربما يود الذين كفروا على محل اخر
والاصح ما قاله الزجاج فانه قال الكافر كلما رأى حالا من احوال
العذاب ورأى حالا من احوال المسلم وذلك كان مسلما وهذا الوجه
هو الاصح واما المتقدمون فقد ذكروا وجوها قال الضحاك المراد
منه ما يكون من الهول فان الكافر اذا شاهد هذه الاحوال
وذلك كان مسلما وقيل ان هذا الحال يحصل اذا استوفى كل
واحد حقه وقيل اذا عند دخولهم النار وقول الجواب ما يقولون احقا هذا
وقيل اذا عند حلول الموت وروى ابو موسى رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ويضع الرسل وروى ابو موسى رضي الله عنه ان النبي

هذه السورة وآخرها مطابقان في افتقاد هذا المعنى واعلم
ان الجواب المستقصى عنه مذكور في اول السورة فلا فائدة في الاعادة
المسئلة الرابعة هذه الآية دالة على انه لا فضيلة
للانسان ولا منقبة الا بعقله لانه تعالى بين انه انما انزل
الكتاب ولما بعث الرسل ليذكروا اولوا الالباب فلولا الشرف
العظيم والمنزلة العالية لاولي الالباب والا لما كان الامر كذلك
والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

سورة الحجر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك
آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون اعلم
ان قوله تعالى تلك اي ما تضمنته السورة من الآيات
والمراد بالكتاب والقرآن المبين الكتاب الذي وعد الله به
محمدا صلى الله عليه وسلم وسمي بالقرآن للتفخيم والمعنى
تلك آيات ذلك الكتاب الكامل وهي كونه كاملا مسددا للبيان
اما قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ففيه
مسائل **المسئلة** الاولى ربما نافع وعاصم
ربما مخففة الباء والراء وقرأ ابن كثير وابو عمرو مشددة
مخففة وقيل وكثر يقللون تارة ويقولون في هذا
اللفظ لغات وذلك لان الراء من ربما وردت مضمومة ومفتوحة
اما اذا كانت مضمومة فالباء قد ترد مخففة ومشددة وسائلة
على كل التقديرات تارة مع حرف ما وتارة بدونها وايضا ربما

مع الباء قد ترد بدونها والتشديد
اسمى ما اردت ان تجيء فيه بالرب لدعهم ما كم مبتدع
والتشديد تارة
ارهير ان يشيب الذؤابة فانني بعد هيضل فتى لعقت لعيضل
والهيضل ما عد منحله وايضا هذه الكلمة قد تجيء حالة تتردد
الباء وتحذفها مع حرف ما كقولك ربما وربما ومع الباء وحرف
كقوله ربما ما احمد كله اذا كانت الراء مضمومة وقد تشدد
مفتوحة فيقال ربما وعليه ما حكاه قطرب قال ابن علي من
الحروف ما دخل عليه الباء فغيرته ولا ولا فهذه
اللغات كلها رواها الواحدي في البسيط **المسئلة**
الثانية ربما حرف عند سيبويه يلحقها فاعل احدها ان يكون
بكم معنى وذلك قول الشاعر

ربما تكره النفوس من الامر له فرجه كحل العقال

تمامه هذا البيت اسم والدليل عليه عود الذكر اليه من الصفة
قال المعنى رب شيء تكرهه النفوس واذا عاد الضمير اليها كان
اسما ولم يكن حرفا الا ان قوله تعالى الحسبوف انما عدم به لما
عاد الذكر اليه علمنا بذلك انه اسم وهايدل على انها قد تكون
اسما اذا وقعت بعد رب وقوع من بعدها في قوله

ما رب من يبغض اذواد نا وحرمي تغصابه اذ عيدن كما دخلت
على كله من وكما تتكون فلذلك تدخل على كلمة ما هذا
ضرب والضرب الاخر ان تدخل ما كافة كما في هذه الآية
والنحويون يسمون ما هذه الكافة مهيئة لانها كفت الحروف
عن العمل الذي كان لها فاذا حصل هذا الكف جاز بعده تهيأ للدخول

وبين هذه الاحوال تطهر في الوجه فلهذا السبب خص الله تعالى
هذين العضوين بالظهور اثار الغضب فيهما فقال الله تعالى في القلب
نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وقال في الوجه وتغشى وجوههم
النار يعني بعشى وانما ذكر الله تعالى هذه الصفات الثلاث قال
بعضهم الله كل نفس ما كسبت قال الواحدي المراد منه انفس الكفار
لان ما سبق ذكره لا يليق الا بهم الاعمال قال وقول من قال
اللفظ على عمومه لان لفظ الاية يدل على انه تعالى يجزي كل نفس بعملها
وكسبها وان كان كسب المؤمنين الايمان والطاعة كان الاليق
بهم هو الثواب واعلم انه تعالى لما عاقب المجرمين بجزيهم فلان
ليست المطيعين مطلقا عنهم كان اولى قال تعالى ان الله سريع الحساب
والمراد انه تعالى لا يظلمهم ولا يزيد على عقابهم الذي يستحقونه وحد العقل
منه ان الاخلاق الطاهرة هي المؤدي لحصول الاكرام الروحانية وحصول
تلك الاخلاق في النفس على قدر صدور تلك الافعال منهم في الحياة
الدنيا فان الملكات النفسانية انما تحصل في جوهر النفس بسبب
الافعال المتكررة وعلى هذا التقدير فتلك الاكرام مغلوبة بسبب
تلك الافعال فيحكم بنقصانها وضعفها وذلك بسببه
الحساب ثم قال تعالى هذا بلاغ للناس ولينذروا به اي كفاية
في الموعظة ثم احتلفوا فقيل ان قوله هذا اشارة الى المذكور من
قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب واما قوله تعالى ولينذروا به
فهو معطوف على محذوف اي ليتعظوا ولينذروا وهذا البلاغ
ثم قال وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولو الالباب
وفيه مسائل

المسئلة الاولى قد ذكرنا في هذا الكتاب مرارا ان النفس الانسانية لها سعيان القوة النظرية

وكمال

وكمال حالها في معرفتها للموجودات بأقسامها واجناسها وانواعها
حتى تصير النفس كالمرآة التي يتجلى فيها قدس الملكوت ويظهر فيها
جلال الالهية وبقدر هذه الموارد والحلايا بمعرفة توحيد الله تعالى
بحسب ذاته وصفاته والسعيد الذي الله الحق العليم وبالجملة
في ان تصير موصوفة بالاخلاق الفاضلة وبقدر سعادات هذه القوة
طاعة الله وخدمته اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى وليعلموا
انما هو اله واحد اشارة الى المطلوب بحسب القوة النظرية
العلمية فان القائلين في هذا التذكير انما هو الاعراض عن الاعمال
الباطلة والاقبال على الاعمال الصالحة وهذه الجملة كالدليل
للتعليل في انه لا سبيل للانسان الا الى احد الخصلتين

المسئلة الثانية هذه الاية تدل بأن التذكير
بهذه المواعظ والمصالح مشروط بالوقوف على التوحيد والاقبال
على العمل الصالح والوجه فيه ان المراد اسماع هذه التخويفات
والتحذيرات لعلم خوفه واستغل بالتفكر والتأمل والنظر وصل
الى معرفة التوحيد فالبدن والاستغال بالاعمال الصالحة

المسئلة الثالثة قال القاضي اول هذه السورة
واخرها تدل على ان العبد مستقل بفعله ان شاء اطاع وان شاء عصا
اما اول السورة فقوله تعالى لتخرج الناس من الظلمات الى النور وانا
قد ذكرنا هناك ان هذا يدل على ان المقصود من انزال الكتاب ارشاد
الخلق كلهم الى الدين والتقوى ومنعهم من الكفر والمعصية واما اخر السورة
فلان قوله تعالى ولينذروا به ولذكر اولو الالباب يدل على انه تعالى انما انزل هذه
السورة وانما ذكر هذه النصائح والمواعظ لاجل ان ينتفع الخلق بها
فيصيروا مؤمنين مطيعين ويتركوا الكفر والمعصية فظهر ان اول

احدها قال الكلي مقرونين كل كافر مع شيطان في غل وقال عطا
هو معنى قوله وإذا النفوس زوجت اي قرنت فيقرن الله تعالى
نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بقرنائهم من الشياطين
واقول خط العقل الفعلي فيه ان الانسان اذا فارق الدنيا اما
ان يكون قد اخلص نفسه وهذبها وصفاها الى معرفة الله تعالى
وطاعته او ما فعل ذلك فان تركها مشغولة في الملذات الحسية مقبلة
على الاحوال الوهمية فان كان الاول فتلك النفس تقارن مع ملكية
البهجة في الحضيرة الالهية والسعادة بالعصمة الصمدية وان كان الثاني فتلك النفس تقارن مع الاسف
والحزن والبلاء الشديد بسبب الميل الى عالم الجسم وهذا هو المراد
بقوله تعالى واذا النفوس زوجت وشيطان النفس الكافرة
هي الملكات الباطلة والخواطر الفاسدة وهو المراد من قول
عطا ان كل كافر مع شيطانه يكون مقرونا في الاصفاد والقول
اللفظي في قوله مقرنين في الاصفاد هو قرن الكفار بعضهم
والمراد بتلك النفوس الشقية والارواح الكدرة الظلمانية لكونها
مجانسة مشاكلة فيضم بعضها الى بعض ويسلب ظلمة كل واحد منها
الى الاخرى والحاصل كل واحد منها الى الاخرى في تلك الظلمات
والخسارات وهي المراد بقوله مقرنين في الاصفاد والعقل قال
ثم ربما قرنت الدنيا وارجلهم الى ورائهم بالاغلال وخط العقل
ان الملائكة المخلصة في حوض النفس انما تحصل بتكرر الافعال
الصادرة من الجواهر والاعضاء ما كانت تلك الملكات
ظلمانية كدرة فصارت في المآل كان ايديها وارجلها مقرنة
واما قوله في الاصفاد ففيه وجهان احدها ان يكون ذلك

متعلقا

متعلقا بمقرنين والمعنى انهم مقرونون مصفدون وخط العقل فيه
ما سبقت الاشارة اليه الصفة الثالثة قوله تعالى سرابيلهم
من قطران السرابيل جمع سربال وهو القميص والقطران فيه ثلاث لغات
قطران بتخفيف الطاء وكسرها مع كسر الطاء وهو يعلو على
وجه البعير الاجرب فيطلي به الابل الجرب فيحرق الجرب بحرارته
وقد تقدم مرارته الى داخل الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال
النار وهو من الرائحة اسود اللون فيطلى به جلود اهل النار حتى يبلغ
ذلك الطلاء السرابيل وهي القمص فيحصل بها اربعة انواع من العذاب
لدرع القطران وحرقته وامساك النار في جلودهم واللون الوحش وبئس
الدرع هي ايضا للعادات بئس قطران العمامة وقطران الدراهم كالمقارعات
بين نار الدنيا ونار الاخرة واقول خط العقل من هذا ان خوض الروح
جوهر لامع من جوهر عالم السر وعجب الجلال فهذا البدن الحامل
للقميص والسربال له فيحصل النفس من الالام والغموم فالمعدل
بسبب هذا البدن الذي خوضه الجوهر النفيس يفيد السهو والغضب
والحرص والعصب لما سارع الجوهر الروح بسببه وكونه والكدورة
والكدورة وهو الذي يخفي لمعان الروح بسببه وضوئه وهو بسبب
حصول الشر والعقوبة فما اشبه هذا الجسد بهذه السرابيل وقرأ
بعضهم من قطر والقطر النحاس والصفر المذاب فيرد الله تعالى الابدان
وتلك النار لا تطفأ وذلك القطران لا ينفد كما لا يهلك النار اجسادهم
والاهلال التي عليهم الصفة الثالثة قوله تعالى وتغشى وجوههم
النار وتظهر وقوله تعالى انها عليهم مؤصدة بوجوههم سوء العذاب وقوله تعالى يوم
يسحبون في النار على وجوههم واعلم ان موضع العلم والمعرفة
والنور والجهل هو القلب وموضع الفكر والوهم والخيال هو الرأس

ولتعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب ثم اعلم
انه تعالى لما اوعد الكفار بين وقت انتقامه فقال
يوم تبدل الارض غير الارض وعظم من حال ذلك اليوم لانه لا
امر اعظم في العقول والنفوس من تغير السموات والارض وفي
الآية مسائل المسألة الاولى اعلم ان التبديل
يحتمل وجهين احدهما ان يكون الذات باقية وتبدل الصفة بصفة
اخرى والثاني ان يفنى الذات الاولى ويحدث ذات اخرى
والدليل على ارادة ذكر لفظ التبديل لارادة التغيير في
الصفة جائز انه تعالى بدلت الخلقة حاتما اذا اذهبها وسوتها
خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات وتقول بدلت قميصي جبة اي قلبت
العين من صفة الى صفة اخرى وتقول تبدل زيد اذا تغيرت
احواله واما ذكر لفظ التبديل عند وقوع التبديل في الذات
فكقوله تبدلت الاراضين دنانير ومنه قوله ومدائن تختتم حنين
اذا علمت ان اللفظ محتمل لكل واحد من هذين المفهومين
ففي الآية قولان الاول ان المراد تبديل الصفة لا تبديل
الذات قال ابن عباس هي تلك الارض الا انها تغيرت
في صفاتها فتسير عن الارض جبالها فتنهار فتصير
كالادم ترى فيها عوجا ولا امتا وروى ابو هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تبدل الارض غير الارض
فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا
امتا وقوله والسموات اي وتبدل السموات ما بالناس
كواكبها وانفطارها وتكوير شمسها وخسوف قمرها وكونها

قال

قال كالمهل وقال كالدهان والقول الثاني ان المراد تبدل الذات قال
ابن مسعود تبدل بارض كالفضة البيضاء النقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل
عليها خطيئة هذا ترجيح هذين القولين ومن الناس من رجح القول الاول
وقال لان قوله يوم تبدل الارض المراد هذه الارض والتبديل صفة
مضافة اليها وعند حصول الصفة لابد وان يكون الموصوف موجودا
فلما كان الموصوف بالتبديل هو هذه الارض ما فنيت عند حصول ذلك
التبديل وجب ان يكون الباقي هو الذات فثبت ان هذه الآية
تقتضي كون الذات باقية عند حصول ذلك التبديل والقائلون
بهذا القول هم الذين يقولون عند قيام القيامة لا يعدم الله الذوات
والاجسام وانما يعدم صفاتها واحوالها واعلم انه لا يبعد
ان يقال المراد من تبديل الارض والسموات هو انه تعالى يحمل الارض
جهنم ويحمل السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى ان كتاب
الفجار لفي سجين وقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين اما قوله
تعالى وبرزوا لله الواحد القهار فمقول اما البروز فقد مر تفسيره
في قوله تعالى وبرزوا لله جميعا واما ذكر الواحد القهار هاهنا لان الملك
اذا كان للملك الواحد القهار لا يتغير ولا يتبدل لاحد
عليه فكان الامر وغايته الصعوبة وسطوة قوله تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار ولما وصف الله سبحانه نفسه بكونه
قهارا بين عجزهم وذلهم فقال وترى المجرمين واعلم انه تعالى بين
من صفاتهم وعجزهم وذلهم امورا اما الصفة الاولى فكونهم
مقرنين في الاصفاد يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شددته ووصلته
والقرن الجبل لشدته وجاء فلان قرنا على البعير لكثرة ذلك في الاصفاد
جمع صفد وهو القيد اذا عرفت هذا فنقول في قوله مقرنين ثلاثة اوجه

ذلك اللحم تصلصلت في جوانبها ملفقة ايام وغابت الانيا عن عين الزرد
فتكسرت تلك العصا التي علق عليها اللحم فسقطت السود وضبطت
الى الارض فهذا هو المراد من قوله مكرم قال الفاضل هذا بعيد
جدا لان المخاطب فيه عظيم وما امكان القائل ان يقبل عليه وما حاصل فيه
خبر ولا حجة في تاويل الاية المبتدة ○ المسئلة الثانية
قوله تعالى وعند الله مكرم فيه وجهان الاول ان يكون
المكرم مضافا الى الفاعل كالاول والمعنى مكتوب عند الله مكرم
وهو مجازم عليه مكرم هو اعظم منه والثاني ان يكون المكرم
مضافا الى المفعول والمعنى وعند الله مكرم وهو عذابهم الذي
يستحقون ما يتم من حيث لا يشعرون ولا يحسبون اما قوله
تعالى وان كان مكرم لتزول منه الجبال فاعلم انه قرا
الكسائي وحده بفتح اللام ورفع اللامين بعده والباقون
بكسر الاولى ونصب الثانية اما القراءة الاولى فمعناها ان مكرم
كان لان تزول منه الجبال وليس المقصود من هذا الكلام
الاخبار عن وقوعه بل التعظيم والتهويل وهو كقوله تكاد السموات
يتفطرن منه واما على القراءة الثانية فالمعنى ان لفظ ان في قوله
وان كان مكرم بمعنى ما واللام المكسورة بعدها بمعنى بها الجحود
وفي سيبلها نصب الفاعل الفعل المستقبل والنحويون يسمونها
لام الجحود ومثله قوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان
الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه والجبال هاهنا لامر التي صلى
الله عليه وسلم ولامر دين الله عز وجل واعلامه ودلالته
على معنى ان نبوتها كنبوت الجبال الراسية لان الله تعالى
وعد نبيه الظهار دينه على كل الاديان وذلك على صحة هذا

المعنى

المعنى قوله تعالى ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي فوعده
المعهود عليهم والعليه عليهم والمعنى وما كان مكرم لتزول منه الجبال
اي وكان مكرم امور واضعف من ان تزول منه الجبال الراسيات
اي هو دين محمد صلى الله عليه وسلم ودلايل شريعته وقرا علي وعمرو
ان كان مكرم ○ قوله تعالى لا تحسبن الله مخلف
وعده رسله ان الله عزيز وانتقام اعلم انه تعالى قال في الاية الاولى
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقال في هذه الاية فلا تحسبن
الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز وانتقام والمقصود منه التنبيه
على انه تعالى لعلو شانه وكمال عظمته وكبريائه لا يليق بالعاقل
اما ان يكون غافلا واما ان يكون مخلفا في الوعد وكلا القسمين في العقول
السليمة ان كل ذلك محال كما في القول بانه لا يقبح العاقل باطلا
وقوله مخلف وعده رسله يعني قوله تعالى انا لننصر رسلنا وقوله
تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قبل هلا قيل مخلف رسله
وعده وما قدم المفعول الثاني على الاول قلنا ليعلم انه لا يخلف
الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليدل
على انه تعالى لا يخلف وعده رسله وقرئ وعده رسله بجعل الرسل
ونصب الوعد والمعنى لا يخلف رسله وعده وهذه القراءة في
الضعف كمن قرا قتل اولادهم شركاءهم ثم قال ان الله عزيز
وانتقام طالب لاهل المكر والاستقام لاوليائه منهم ○
قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في
الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله
كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به

المعاينة والطاهر يشهد بخلافه لانه تعالى وصف اليوم بانه العذاب
تمسهم فيه وانهم يسألون الرجعة وقال لهم اولم تكونوا اقسمتم من
قبل ما لكم من زوال فلا طريق لذلك الا يوم القيامة وحمله ابو مسلم
هذه الآية مشبهة بقوله تعالى ٥ واتقوا اما رزقناكم من قبل ان ياتي
احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
ثم حكى الله تعالى ما يقوله الكافر في ذلك اليوم فقال
مقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب فقال بعضهم طلبوا
الرجعة الى الدنيا للاقرار وقال بعضهم بل طلبوا الرجوع الى حال
التكليف ليجيبوا دعوتك ويتبعوا الرسل واما على قول الذي
مثل صاروبل هذا لانه طاهر قال تعالى مخبرا عنهم اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ومعناه ما ذكر الله تعالى في آية اخرى
وهو قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الى غير
ذلك مما كانوا ينكرونه من المعاد فوبخهم الله بهذا القول لان التقريع
بهذا القسم اوجع ومعنى ما لكم من زوال شبهة في انهم كانوا يقولون
لا زوال لنا من هذه الحياة الدنيا الى حياة اخرى وهذه الدار
الى دار الجزاء لانهم كانوا ينكرون ان يرجعوا من حياة الى موت
او عيش شاب الى هرم او عن فقر الى غنى ثم انه تعالى زادهم توبيخا
اخر بقوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم يعني سكنتم
في مساكن الذين كفروا من قبلكم وهم قوم نوح وهود وصالح انفسهم
بالكفر والمعصية لان من شاهد هذه الاحوال وجب
عليه ان يعتبر فاذا لم يعتبر كان مستوجبا للذم والتقريع ثم قال
تعالى وتبين لكم كيف فعلنا بهم والمعنى ان اولئك المتقدمين كانوا
ظالمين لانفسهم ثم انهم تنوا واغتروا فعند هذا تعلموا ان لا فايدة في

طلب

طلب الدنيا والواجب الحق والاجتهاد في طلب الآخرة
والواجب على من عرف هذا ان يكون اهلا وحلالا يكون ذلك
زجرا له هذا اذا فرضنا طلبا واما اذا مضى بالتوبة فلا يسمى
العقد بركانه تعالى يقول الم نعمركم كيف فعلنا بهم وليس كذلك
لهم سنين ثم ان قوله وضربنا لكم الامثال يدل على ما اوردنا
الله تعالى في القرآن مما يعلم به انه قادر على الاعادة كما قدر على
الابتداء قادر على التعذيب المؤجل كما يفعل بالكافر العاجل وذلك
في كتاب الله تعالى كثير قال الله تعالى ٥ وقد مكروا مكرهم
تعالى وقد علم مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال ٥ وفيه مسائل المسألة الاولى
اختلفوا في الضمير في قوله ومكروا اين هو على وجوه ٥
الاول ان يكون الضمير عائدا الى الذين ظلموا انفسهم من كفار
الذين ظلموا انفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى
اقرب مذكور والثاني ان يكون المراد قوم محمد صلى الله
عليه وسلم والدليل عليه قوله تعالى وانذر الناس يوم يأتيهم
العذاب يا محمد وقد مكر قومك معك ومع ذلك فالله هو الذي
ذكره الله تعالى في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك وقوله مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه
جهدهم والثالث ان المراد من هذا المكر ما نقل ان نمرود
حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا ورفع فوقه اربعة
اربعة نسور وكان قد قعد في التابوت ورفع الصبيان الاربعة
من الارض عصيا اربعة وعلق على كل واحد منها قطعة
من اللحم ثم انه جلس مع صاحبه في ذلك التابوت فلما ارتفع النسور

لاجرم كان عدم الانتقام محالا الثالث ان المراد ولا نحسبنه
بما املي معاملة الغافل عما يعلمون ولكن معاملة الرقيب عليهم
على الستر والتغطية والرابع ان يكون هذا كلاما وان كان خطابا
للنبي صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر الا انه ملوف في الحقيقة
خطابا مع الامة وعن سعيد بن جبير انه تسلية للمظلوم وتهديد
للظالم ثم بين تعالى انه انما يؤخر عقاب هؤلاء الظالمين ليوم
موصوف بهذه الصفات الصفة الاولى انه يشخص فيه
الابصار يقال شخص بصر الرجل اذا انفتح عيناه فنظر حتى لا يطرق
بهما وشخوص البصر دليل على الجبن والدهشة وسقوط القوة
الصفة الثانية قوله مهطعين وفي مهطعين لاهل اللغة
اقوال احدها قال ابو عبيدة الاهطاع هو الاسراع فيقال
مهطع للسعي في اثر العدو واستهطع اذا اسرع وعلى هذا الوجه فالمعنى
ان الخائف من يعجل مسرعا خائفا من سوء المنوف ان
يبقى واختلفوا من الله تعالى ان خالهم بخلاف هذا المعنى مع شخوص
ابصارهم مكونون مهطعين اي مسرعين وهو ذلك الذاهب والقول
الثاني في الاهطاع قال احمد بن يحيى المهطع الذي ينظر في
ذل وخضوع وخشوع والثالث المهطع الساكت والرابع
قال الليث يقال للرجل اذا تردد المهطع الصفة الثالثة
قوله مقنعي رؤوسهم والاقناع وضع الراس والنظر في ذل وخشوع
وقوله مقنعي رؤوسهم المعنى ان كل احد منكم شاهد بالعيان يطرف
راسه عنه لان لا يراه فمن تعالى انه خالهم بخلاف هذا المعنى عيانا
فانهم مرفوعو رؤوسهم الصفة الرابعة قوله تعالى لا يرتد
اليهم طرفهم والمراد من هذه الصفة دوام ذلك الشخوص دائما وقوله

لا يرتد اليهم طرفهم بعد دوام هذا الشخوص يدل على ان
دوام تلك الحيرة والدهشة من قلوبهم الصفة الخامسة
قوله وافئدتهم هواء والهواء الخلاء يقال للاحمق جعل وصفا
مقبل قلب فلان هواء اذا كان حيران لا عقل في قلبه والمراد
بيان ان قلوب الكفار في اليوم القيامة عن جميع الخواطر
والافكار للعلم بما لهم من الخسران والخيبة وخالية
من كل شيء الا من العلم بما هم فيه من هذه الصفات
الخمسة فقد احتملوا في وقت حصولها قبل ان يعاينوا الصفات
الخامسة بدليل انه تعالى انما ذكر هذه الصفات عقيب قوله ذلك
اليوم وانه يوم يقوم الحساب وقيل انما حصل علمهم بما يجري
من غير تفكر والسعداء صيروا الى الجنة والاشقياء الى النار وقيل
بل الحامل عندها به الداعي والقائم من الصيرورة الاولى الى الثانية
الذي ذكرناه والله اعلم قوله تعالى وانذر الناس
يوم يأتيهم العذاب معنى الانذار والانذار ما يتقى به
وهو ما فيه العذاب معنى قوله الذين ظلموا انفسهم بالكفر
وهو تقدير الكلام وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وسكنتم كهيئة فعلهم وفعلتم كالاعمال
اعلم ان قوله يوم يأتيهم العذاب فيه مباحث النحث الاول
قال صاحب الكشاف يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان وانذر هم
وهو يوم القيامة البحث الثاني في لفظ الالف واللام
في لفظ العذاب للمعهود السابق يعني وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب
الذي يقدم ذكره وهو شخوص الابصار المذكور في قوله تعالى مهطعين مقنعي رؤوسهم
البحث الثالث في لفظ التحويف قال اصحابنا في الفعلين على الف
قوله يوم يأتيهم العذاب صيرورة يوم القيامة مرادة بقوله الله سبحانه على انه حال

الله تعالى وقوله ربنا واجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي دليل على ان
مثل هذه الامور لا تحصل الا من الله تعالى وذلك يصح بان ابراهيم
عليه السلام كان مصرا على ان الكل من الله المسئلة الثالثة
بعد ان قال ربنا واجعلني مقيم الصلاة واجعل بعض ذريتي كذلك
لان كلمة من في قوله ومن ذريتي للتبعيض والمذكور بعد التبعيض
لا بد وان يكون بعض ما قبله فعلم بهذا ان الله تعالى اعلم ابراهيم
ان بعض ذريته لا يكون مقيما للصلاة وذلك يدل على ان الظالمين
لا ينالون عهدي المطلوب السادس ان الله تعالى عليه
السلام لما دعا لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين دعا الله تعالى ان يتقبل دعاءه
فقال ربنا وتقبل دعاء وقال ابن عباس قوله تعالى دعائي
اي عبادتي واعتراكم وما ندعوا من دون الله المطلوب السابع
قوله ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
وفيه مسائل المسئلة الاولى لقائل ان يقول طلب
المغفرة انما يكون بعد صدور الذنب فهذا يدل على انه كان
قاطعا بان الله يغفر له فكيف طلب تحصيل ما كان قاطعا لحصوله
والجواب المقصود منه الالتجا الى الله وقطع الطمع الا
من فضل الله وكرمه ورحمته المسئلة الثانية
ان قال قائل كيف جاز ان يستغفر لابويه وكانا كافرين الجواب
عنه من وجوه الاول ان المنع لا يعلم الا بالتوقيف فلعله لم يرد
منه منع فظهر بهذا انه جائز الثاني المراد بالوالدين آدم وحوا
الثالث كان ذلك شرط الاسلام ولعله ان يقول لو كان
الامر كذلك لما كان ذلك الاستغفار باطلا ولو لم يكن باطلا
لبطل قوله الاقول الراجح لانه لا يستغفر لك وقال بعضهم كانت
امه مؤمنة ولهذا السبب خصها بالذكر في قوله فلما تبين له انه عدو

لله تبرأ منه والله اعلم وفي قوله يوم يقوم الحساب قولان الاول
يقوم الحساب للمقدس وهو مستفاد من قيام القائم على الرجل ٥
والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها وعلى قولهم
قامت السوق لك استعلت وبلغت ضوءها الثاني ان يستند الى الحساب فيكون المعنى يقوم
الناس ان يستند الى الحساب فيكون اضمارا على شرط المضاف وقيل
قوله واسئل القرية وقوله تعالى ولا تحسبن الله
غافلا انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين
مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء اعلم انه
لما بين دلائل الموحدين حكى عن ابراهيم عليه السلام انه طلب
من الله ان يصونه من الشرك طلب منه ان يوفقه للاعمال الصالحة
وان يخصه بالمغفرة يوم القيامة وكل ذلك يدل على انه كان قاطعا
بحصول يوم القيامة وبانه تعالى يجازي المحسن والمسيء فلا
يمكن على وجود يوم القيامة وعلى كونه تعالى عالما بجميع المعلومات
عما يعمل الظالمون والمقصود منه التسلية على انه تعالى لم يترك المظلوم
من الظلم للزوم ان يكون عالما بكل الظلامات وعالما بقدر كل الاعواض
او كان قادرا على كل المقدورات وعالما بكل المعلومات
محالا على الله تعالى امتنع ان لا يستوفي المظلوم من الظالم فمن قال كيف
يليق بالرسول ان يسئل ربه ان يغفر له ذنبا مع ان الله موصوف بالغفران
والجواب من وجوه الاول المراد به الامة على ما كان
عليه من انه لا يحسبن انه كان غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها اخر وكقوله يا ايها الذين امنوا امنوا والثاني
المقصود منه انه لو لم يقم لكان عالما بالانتقام لاجل غفلته عن
ذلك الظالم ولما كان استماع هذه الغفلة معلوما لكل احد

وانه تعالى هو العالم بها والمحيط بأسرارها فقال انك تعلم ما نخفي
وما نعلن والمعنى انك تعلم حوائجنا ومصالحنا ومقاصدنا فما نخفي
من الوجوه بسبب حصول الغرقة فيه منه ومن اسماعيل وما نعلن
من البكاء وقيل ما نخفي من الخوف المدعى في القلب وما نعلن من ردها
جري لسانه وبين ما جرى فالتقدير له بعد الوداع الى من وكلتنا وما لك الى
الله اكلتنا وما لنا الا الله امر ثم بعد ذلك قال تعالى ثم قال تعالى
وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء وفيه وجهان احدهما
انه كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام كقوله وكذلك
يفعلون قال الثاني انه من كلام ابراهيم معنى ولا يخفى على الذي هو
عالم الغيب شيء في كل مكان الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحاق وفيه مباحث اللفظ الاول لفظ
ان للعوان يدل على انه تعالى انما اعطى ابراهيم هذه من الولد من
على الكبر والشيخوخة فاما معنى ذلك الشيء فمعين معلوم من
القرآن واما الذي رجع فيه الى الرواية قيل ان اول ولد اسماعيل كان
سن ابراهيم تسعا وتسعين سنة واول ولد اسحق كان سنه مائة وابنتي
عشر سنة واما ذكر على الكبر لان لقائل ان يقول هذا الولد في هذا
السن اعظم من حيث ان هذا الزمان زمان وقوع الياس من الولد
والطف والحاجة في وقت الياس اعظم النعم ولان الولد في تلك
السن العالية كالنتاية لابراهيم فان قيل ان ابراهيم عليه السلام
انما ذكر هذا الدعاء عند ما استخرج هاجر وابنها اسماعيل عليه السلام
في ذلك الوادي وفي ذلك الوقت ولد له اسحق فكيف يمكنه
ان يقول الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق
قلنا قال القاضي هذا الدليل يقتضي ان ابراهيم عليه السلام انما

ذكر

ذكر هذا الكلام في وقت لم يحصل له فيه من الدعاء وهذا بعيد ايضا
انه انما ذكر هذا الدعاء بعد كبر اسماعيل وظهور اسحاق وان كان ظاهر
الروايات خلافه البحث الثاني في قوله تعالى على الكبر
معنى مع كانه قال الحمد لله على ما يرزقني من كبر السن حتى توكل
الكف وهي في موضع اتكال وعصاه وهب لي حية فاتكا وفي حال
الكبر البحث الثالث الباء سيبويه في قوله ربنا انك تعلم
ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء
ومن قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق
وذلك انه كان في قلبه لذة وطمأنينة من الله لعاقبتها واعلم ذريتها
بعد موته ولكنه لم يصرح بعد المطلوب بل قال ربنا انك تعلم ما
نخفي وما نعلن اي تعلم ما في خلوتنا وخارجها قال الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق الى قوله لسميع الدعاء
انهما سببان لسعادتي في الدين والدنيا فكان هذا دعاء
لهما بالخير وللعوته بعد موته على سبيل الامر والتدريس وذلك
يدل على ان الاستقبال ما لم يعد الحاجة الى الدعاء افضل من الدعاء
ثم قال ان ربي لسميع للدعاء على سبيل الامر والتفويض لعلمه بوجه
الاحتياج والمصلحة وذلك ان ربي لسميع الدعاء اي هو العالم بالمقصود
سواء صرحت به او لم اصرح وقوله سميع الدعاء من باب اضافة
كلام فلان الى فاعله وقيل سمع الله لمن حمده المسألة
الخامسة قوله اجعلني مقيم الصلاة يدل على ان
للعبد افعالا اختيارية خلافا لاصحابنا بهذه الآية على ان
افعال العباد مخلوقة لله تعالى فعالوا ان قوله تعالى حكاية عن ابراهيم
اجعلني بني ان يعد الاصنام تركا على ان ترك الشيء لا يحصل الا بفعل

تعظيم البالب سمي محرما لانه عظيم الحرمة لاجل انتهاك حرمته
السرابع لانه محروم عن الملوفان اي منع كما سمي عتيقا لانه اعتق
منه الخامس ان الناس يحرمون على انفسهم اشياء
كانت تحل لهم قبل السادس حرم موضع البيت يوم خلق
السموات والارض وحفه بسبعة من الملائكة وجعل مثل البيت المعمور
الذي يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم رفع الى السماء الرابع حرم على عمان ان يعبدوا الدما
والاقوال وغير هذا روي ان هاجر كانت تلقمه لسان فوهتها
لابراهيم عليه السلام فقالت لسارة كنت لوليان يعني الله لي ولدا
من خليله منعني منه ورزقه حاد مني فقالت لابراهيم بعدها
عوتنقلها الى ملك واسعل وضيع ثم رفع فقالت هاجر الى من
تكلنا فقال الى الله ثم دعا لهؤلاء ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد
غير ذي زرع الى اخر الآية ثم ان الحيض وعطش الصبي فانتهت
بالصبي الى موضع زمزم فضرب عقبه فنفجر عينها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ام اسمعيل لو انها تركت لكان
زمزم عينا معينا ثم ان ابراهيم عليه السلام دفنها بعد كبر اسمعيل
وانفوهوا سمعيل واحد السبعة قالت القاضي الى ان الامور المذكورة
في هذه الحكاية بعيدة لانه لا يجوز لابراهيم عليه السلام ان ينقل
ولده من غير اطعام ولا مانع انه كان يحمله الى بلد اخرى حيث
من يدل السلام لاجل قول سارة فاوحى الله اليه انه لا يحصل
هناك ماء ولا طعام واقول ظهور هذا مما يمنع احتمال ان يكون
اكوام الاسماعيل عليه السلام ان ذلك كان قبل ان يرحلا فاما للمعتزلة
وعند المعتزلة انه حين امر ابراهيم ثم قال ربنا ليقيموا الصلاة
واللام متعلق باسكنت اي اسكنت قوما من ذريتي بعد الوادي الذي

لا زرع

لا زرع فيه ليقيموا الصلاة ثم قال فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم
وفيه مباحث البحث الاول قال الاصمعي هوى يهوي هويا
بالفتح اذا سقط من علو الى سفل وقيل هوى اليهم يهوي وقيل اسرع
اليهم وقيل اهوى اليهم ويعدى الهوي بنفسه قال هوى الحر من راس
الجبل اذا انحدر وانتصب البحث الثاني ان هذا الدعاء
جامع للدين والدنيا اما للدنيا فلانه يوصل ويسهل الناس الى اقبل
القرى بامثال اليهم تجبى الثمارات فالاول من اللبس يسع عيشهم
ويكثر طعامهم ولباسهم والثاني من قال فيه فجعل فيه سبل الناس اليك
البلد بسبب النسل والاطاعة بسبب قوله تعالى البحث الثالث كلمة
من في قوله واجعل افئدة من الناس تهوي اليهم تفيد التبعيض فالمعنى
واجعل افئدة بعض الناس مائلة اليهم فلهذا قال مجاهد لو قال
افئدة الناس لحجت اليهود والمجوس ولكنه قال
افئدة من الناس فهم المسلمون قال والدليل عليه من الثمرات وذلك يدل
على ان المطلوب بهذا الدعاء ان يحصل للمكان اليهم الذي يحتمل
ان يكون المراد اجعل اهل القرى اليهم على سبيل المبالغة فان يكون
المراد عمان القرى بالعرف هذا الحمل تلك الملازم قال العلماء
ينكرون وذلك يدل على ان للعقود العاقل من ضائع الدنيا
ان يسترجع لاداء الحاجات قالت الطاعات فان الواجب عليه
السلام بين انه انما طلب بتبعيض الناس على اولاد ان يتفرغوا للعابدة
الطاعات فاقام الواجبات المطلوب السابع قوله انك تعلم
ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء واعلم
انه صلى الله عليه وسلم لما طلب من الله تعالى بعض المنافع لاولاده
وتسهيلها عليهم ذكر انه تعالى يعلم عواقب الامور وخفايا شافي المستقبل

الاول انه لا تأويل على الوجه الثاني الا حمل السؤال على المناسب
فلو حمل لابراهيم عليه السلام مع انه غير حاصل لمحمد صلى الله عليه وسلم
لكان ذلك تنقيصا في حق محمد صلى الله عليه وسلم السادس ان
محمدا عليه السلام مأمور بالاقتداء بابراهيم عليه السلام لقوله تعالى
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله تعالى واتبع ملة ابراهيم فكما
وجه في متابعة اتباعه محمد صلى الله عليه وسلم في استنباط
العقاب من اصحاب الكبائر اذا عرفت هذا فلنذكر اقوال المفسرين
قال الشعبي ومن عصاني ثم تاب وقبل الرجل الرجلا فما كان
قبل ان تعلم ان الله يغفر الشرك وقيل من عصاني ما دامت على الكفر
فانك غفور رحيم بمعنى لعل اقادر على ان تغفر له وترحمه فان يقلبه
عن الكفر الى الاسلام وقيل المراد من هذا للعفو ان لا تعاجلهم
بالعقاب بل تمهلهم حتى يتوبوا او يكون المراد لا تعجل اجتزامهم فتعوقهم
التوبة واعلم ان هذه الوجوه ضعيفة اما الاول فهو
حمل هذه الشفاعة قبل ان يعلم ان الله لا يغفر الشرك فنقول هذا بعيد
لانا متى ان نعتقد هذا الا بدليل ولا دليل على انه لا يجوز ان يكون مراد ابراهيم
عليه السلام من هذا الدعاء هو الشفاعة في اسقاط عذاب الكفر واما
الثالث وهو قوله المراد من كونه غفورا رحيما ان يفعله عن الكفر
الى الايمان فهو الصحيح لان المغفرة والرحمة مشعرتان باسقاط
العذاب فلا استعارة فيهما واما الرابع وهو ان محل المغفرة
والرحمة على ترك التعجيل بالعقاب او على تعجيل الاذن بهما فقول
هذا محال لان كثيرا ما نشاهد الاكثرون منهم لم يعاجلهم الله و
بالعذاب ولا ملجوء مع ان اهل الاسلام متفقون على انهم ليسوا موجبين

ولا معفورين فتعلل تفسير المغفرة والرحمة بما ذكرناه وقد ورد ناه من الدليل والله عز وجل اعلم ثم قال
ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم
يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض
ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع
الدعاء رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر
لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

اعلم
انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام في هذا الموضع انه طلب من الله
اموراً سبعة الاول طلبه من الله تعالى بعد الامان وهو قوله رب
اجعل هذا البلد امنا والابتهال في طلب الامن من هذا الدعاء على ان
اعظم انواع النعم والمبرات ان الله تعالى يحفظ من قصد الحرم بالدين والدنيا الا ترى
بعض العلماء انه لا امن افضل لمن دخله فقال الامن افضل والليل
عليه ان شاء ابو بكر رحمه الله فانه نعم فقد نعم ان الله قال على
الرعي والاكل ولو انها رعيت في موضع لم يربط بالعقب منها دينار
فانها تمشي على العلف ولا تسأله الى ان يوقد لها على النار الثاني
استدل من الزم الحج على المعسر والمملوك بان الله تعالى بين ان قصد
التوحيد وتصفيته عن الشرك وهو قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
والمطلوب الثالث قوله تعالى ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد
غير ذي زرع كمكة غير ذي زرع اي ليس فيه شيء من الزرع كقوله تعالى
غير ذي عوج اي لا خلل فيه ثم الجواب عند ذكر المحرم وذكروا
في تسمية الحرم بالحرم الاول ان الله حرم التعرض له والقتال
به والثاني انه كان لا يزال يسمع عزيزا بابه كل جبار كالحرم الذي

بيان واسئلة كلامه والجواب عن السؤال الاول من وجوه
الاول قال صاحب الكشاف وقوله ومن اراد سبحانه من صلبه
والفائدة في عدم الدعاء بعض الفائدة التي ذكرناها في قوله واجنبني وبني
والثاني قال بعضهم اراد من اولاده واولاد اولاده كل من كان موجودا
موجود في حال الدعاء ولا شك ان دعوته مجابة فيهم الى يوم القيامة
محاصل لم يعبد احد من اولاد ابراهيم صنما والصنم هو المثال المصور
وما لبس بصنم مصور قبر او عمارة او فرش ملعبوا والتمثال والاشكال
يعبدون احيانا بخصوصه وهذا الجواب ليس بقوي لانه عليه
السلام لا يخاف ان يزيد بعد الدعاء الاصنام غير الله والحجر كالصنم
في ذلك والسؤال الرابع ان هذا الدعاء مختص بالموجودين من اولاده
والدليل عليه انه قال في آخر الآية فمن تبعني فانه مني وهذا يدل
على ان من لم يتبعه على دينه ليس منه ويطعن قوله تعالى لينال عهدي
من اهلك انه عمل غير صالح الخامس لعله وان كان واقعا في الدعاء
الا ان الله تعالى اجاب دعاءه في حق البعض دون ذلك لا يوجب
تخصيص الامة عليهم السلام ويطعن قوله تعالى في حق ابراهيم قال
اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين في المسئلة الثالثة احتج اصحابنا بقوله
اجنبني وبني ان بعد الاصنام على ان الكفر والايمان من الله تعالى
الدليل ان ابراهيم عليه السلام طلب من الله تعالى ان يجنبه وبنيه
اولاد من الكفر فدل ذلك على ان العبد من الكفر والقبيح
من الاحوال ليس الا من الله وقول المعتزلة انه محمول على الالطاف
وهذا باطل فاسد لانه عدول عن الظاهر ولانا قد ذكرنا
وجوها كثيرة في فساد هذا التأويل ثم ان الله عز ابراهيم انه قال

رب

رب انهن اضللن كثيرا من الناس وابقى كل الكفر على الذين قوله
عليه السلام اضللن كثيرا من الناس واجاب ذلك بان الجماد لا يعقل ولا يميز البتة الا انها
حصل عن عبادتها ما اضيف اليها كما يقول بعضهم الدنيا غرتهم اي
اغتروا بها واغتروا بسببها ثم قال من تبعني فانه مني اي ان من تبعني
يقضي لبعض احتصاصه بي وقربه مني وهو يعم كل من تبعه في امر الدين
فانك غفور رحيم احتج اصحابنا بهذه الآية على ان ابراهيم عليه السلام
ذكر هذا الكلام والغرض منه الشفاعة في حق اصحاب الكبائر من امته
والدليل عليه ان قوله ومن عصاني فانك غفور رحيم صريح في طلب
الرحمة والمغفرة لاهل المعصية ولا معنى للشفاعة الا ذلك
للكفار والمعصية والاول باطل من وجهين الاول انه
عليه السلام في مقدمة هذه الآية سأل ربه ان يجنبه وبنيه عن الكفر فقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والصنم عبارة عن الكفر فقوله
على ان من لم يتبعه على دينه ليس منه وبطلان قوله تعالى لينال عهدي
الظالمين والثاني ان الامة مجمعة على ان الشفاعة في اسقاط العقاب
غير جائز واما بطلان قوله ان قوله ومن عصاني فانك غفور رحيم
شفاعة في العصاة الذين لا يكونون بعد من الكفار واذا ثبت هذا
نقول ان المعصية اما ان تكون من الصغائر او من الكبائر وعلى
التقديرين فالكبائر قبل التوبة والاول باطل لان قوله
ومن عصاني اللفظ فيه مطلق فيتناول الصغير والكبير فدل على العالم
وايضا الصغائر والكبائر بعد التوبة والعفو عنها مخصوص
فلا يمكن حمل اللفظ عليه فثبت ان دعاء الآية يتناول في استيفاء العقاب
عن اهل الكبائر قبل التوبة واذا ثبت حصول هذه الشفاعة في حق
ابراهيم عليه السلام فقد حصولها في حق محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى

والرحمة ۞ قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ۞ اعلم انه تعالى
لما اتى بالدلائل المتقدمة انه لا معبود الا الله سبحانه وانه لا يحسن
عباد غير الله البته حكى عن ابراهيم عليه السلام انه طلب من الله اشياء
احدها قوله رب اجعل هذا البلد امنا والمراد مكة فان قيل اي
فرق بين قوله رب اجعل هذا البلد امنا وبين قوله رب اجعل هذا بلدا
امنا قلنا سأل الله في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي امنها
اهلها فلا يخافون وسأل في الثاني ان يزيل عنها الصفة التي كانت
حاصلة لها وهي الخوف فيحصل لها ضد الصفة وهي الامن كأنه قال
هو بلد مخوف فاجعله امنا وقد تقدم نظير هذا في سورة البقرة وبانعا
قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وفيه مسائل ۞ المسألة
الاولى قرئ واجنبني من جنبه الشر وجنبه واجتنبه
قال الفراء اهل الحجاز يقولون جنبني بالتخفيف واهل نجد
جنبني شر واجنبني واصله من جعل الشيء في جانب وحاجب ۞
المسألة الثانية لقائل ان يقول الاشكال على هذه
الآية من وجوه احدها ان ابراهيم عليه السلام حكم بان الله يجعل
لهذا البلد امنا وما قبل الله دعاءه لان جملة خربوا الكعبة واغاروا على مكة
وثانيها ان الانبياء عليهم السلام لا يعبدون الا من اتته البينة واذا كان كذلك
فما الفائدة في قوله اجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقد علمنا ان الله سبحانه
لا يجعل اولياءه من عبدة الاصنام لان عبدة الاصنام كفار والله تعالى
لم يقبل دعاء الكفار وقريش كانوا من اولاده مع انهم كانوا يعبدون
الاصنام فان قالوا انهم ما كانوا اولاد ابراهيم ولما كانوا ابناء اسماعيل وذلك

مخصوص

مخصوص فنقول اذا كان المراد من اولئك الابناء من صلبه وهم
كانوا اولاد اسمعيل واسحق فاسمعيل واسحق هما كانا من اكابر الانبياء وقد
علم ان الانبياء لا يعبدون الصنم فقد بطل السؤال في لفظ الفائدة
في ذلك الدعاء والجواب عن السؤال الاول من وجهين الاول
انه نقل انه عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة ذكر هذا الدعاء والمراد منه
جعل ما حول البلد امنه من الخوف والثاني ان المراد جعل اهله اتقياء
كقوله تعالى واسأل القرية اي اهل القرية وهذا الوجه عليه اكثر المفسرين
وعلى هذا التقدير الجواب من وجهين احدهما ان حصول
فائدة في الامن وهو ان اصحاب الفيل انما كان غرضهم التقرب
مع سد العرب اليه ومنعهم من الالتجاء اليه فلما خافوا بعضهم بعضا من ذلك الامن
الوحش فانهم يعدون اذا كانوا بمكة ويستوحشون من الناس خارج مكة
وهذا النوع من الامن حاصل لاهله والجواب عن السؤال الثاني ظاهر
الرجاء معناه وهو على احتساب عادته اكتفاء بما سبق ولما سمعنا ان الله
اي فضل على الانسان ولما قبل ان نقول السؤال باق لانه لما كان
من المعلوم انه تعالى يعصم الانبياء عليهم السلام على الاحساب من عبادة الاصنام
فما الفائدة في هذا السؤال والصحيح عندي في الجواب وجهان الاول
انه عليه السلام وان كان يعلم انه تعصمه من عبادة الاصنام الا انه كان يحب
ذلك تضعيفا للنفس واطهارا للخاصة والعامة الى فضل الله في كل
المطالب والثاني ان الصوفية يقولون الشرك نوعان شرك جلي
وهو الذي يقوله المشركون وشرك خفي وهو تعلق القلب بالاسباب
الظاهرة والتوحيد المحض وهو ان يقطع نظره عن الوسايط ولا يرى
متوسطا سوى الحق سبحانه فعلى ان المعنى بقوله واجنبني وبني ان
نعبد الاصنام المراد منه انه يعصمه من هذا الشرك الخفي والله اعلم

نعمة الله لا تحصوها وكما اعتبرت هذه الشطايا العصبية فاعتبر
مثله في الاعصاب في كل واحد من الاعضاء البسيطة والمركبة مثل
الكبد والكيموية والوضع والعقل والانفعال حتى تتم اقسام
هذا الباب فهذا الاصل له واذا اعتبرت هذا في هذا الانسان
الواحد فاعرف اقسام نعم الله تعالى في نفسه وروحه وان في عالم
عالم الارواح اكثر من عجايب عالم الاجسام ثم لما اعتبرت حالة
الحيوان الواحد فهذا اعتبر عالم الافلاك والكواكب وطبقات
العناصر وعجايب البر والبحر والنبات والحيوانات وغير هذا
يعرف ان عقول جميع الخلائق لو ركبت وجعلت عقلا واحدا
ثم تامل الانسان في عجايب حكمة الله في اقل الاشياء لما ادرك منها
الا القليل فسبحانه تعالى وتقدس عن اوهام المتوهمين والسبب
الذي اذلك ادراك اللقمة الواحدة لبعضها في الفم فانظر الى
ما قبلها والى ما بعدها فاعلم ان تلك اللقمة من الخبز لا يتم الا
اذا كان هذا العالم كله قائما على الوجه الاوجب لان الخبز
لا بد منها وانها لا تصير الا بمعونة الفصول الاربعة وتركيب الطبائع
وظهور الرياح والامطار ولا تحصل منها شيء الا بعد دوران الافلاك
واتصال بعض الكواكب ببعض على وجوه مخصوصة في الحركات
وفي كمياتها في الجهة والسرعة والبطوء بعد ان تكون الحنطة
لا بد من الات الطحن والجبن وهي لا تحصل الا عند تولد الحديد
في ارحام الجبال ثم ان الالات الحديدية لا تمكن اصلاحها الا بالات
الاخرى حديدية سابقة عليها فلا بد من انتهائها الى حديد
هي اول هذه الالات فتامل ايها الكيف تكونت وتصورت على
الاشكال المخصوصة ثم اذا حصلت تلك الالات فلا بد من اجتماع الغمام

الاربع

الاربعة وهي الارض والماء والهواء والنار حتى تكون طبخ الخبز على ذلك الوجه
فهذا هو النظر فيما تقدم في تحصيل هذه اللقمة واما النظر فيما تحدر بها
فهذا مثل في تركيب بدن الحيوان وانه تعالى كيف خلق هذه الاعضاء
حتى تمكنه الانتفاع بتلك اللقمة وانه كيف تصور للحيوان ما لا كل
وفي اي الاعضاء تحدث تلك المضار ولا يمكن ان تعرف العلل من هذه
الاشياء الا بمعرفة علم التشريح وعلم الطب بالكلية فظهر بما ذكرنا
ان الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته الا بمعرفة جملة هذه الامور
والعقول قاصرة عن ادراك هذه من هذا الباحث فظهر بالبرهان الباهر
صحة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انه تعالى قال
ان الانسان لظلوم كفار قيل بظلم النعمة بالعقوق بتركها وكفار شديد
الكفران بها وقيل ظلوم في الشدة بتركها وبجزع كفار في النعمة
بمنع وقيل المراد من الانسان هاهنا الجنس يعني ان عادة هذا الجنس
هو هذا الذي ذكرناه وهاهنا احتمالان الاحتمال الاول الانسان
محمول على النسيان وعلى الملالة فاذا وصل نعمة تنسيها في الحال فظلمها
بترك شكرها واذا الزمها فانه في الحال يملها فيقع في كفران النعمة
وايضا فان نعم الله كثيرة فمتى حاول التامل في بعضها اشتغل عن البواقي
الاحتمال الثاني انه قال في هذا الموضع ان الانسان لظلوم
كفار وقال في سورة النحل ان الله لغفور رحيم ولما تاملت فيه
ظهر لك دقيقة فكانه يقول اذا حصلت النعم الكثيرة فانت الذي
احدثتها واما الذي اعطيتها فحصل لك عند اخذها صفات وهي كونك
ظلوما كفارا وفي صفات عند اعطائها وهي كونه غفورا رحيما والمقصود
كانه تعالى يقول ان كنت ظلوما فانا الغفور وان كنت كفارا فانا رحيم
اعلم بحرك وتصورك فلا اقابلك الا بالوفاء وسال الله حسن العاقبة والرحمة

الانهار واعلم ان السحر التحيل لا ينفع به في الزراعات لاجرم
ذكر الله تعالى انعامه على الخلق بتسخير الانهار والعيون حتى سعيت
الامم منها على مواضع الزرع والنبات وايضا الصلاح لعدد الجم من
مياه الانهار والحجة السادسة قوله تعالى وسخر لكم
الشمس والقمر دائبين واعلم ان الانتفاع بالشمس والقمر
عظيم وقد ذكر الله تعالى في آيات منها وجعل القمر فيهن نورا
وجعل الشمس سراجا ومنها قوله تعالى والشمس والقمر حسبان ومنها
قوله وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ومنها قوله تعالى وهو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقوله دائبين معنى الدوب في اللغة
هو الجري على عادة مطردة يقال دأب يدأب دأبا ودأبا وقد ذكرنا
هذا في قوله تعالى قال تزرعون سبع سنين دأبا والمعنى
المقصود قوله دائبين قال المفسرون معناه يدأبان في سيرهما
ودأبهما دؤبا في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان وان الشمس
سلطان النهار والقمر سلطان الليل ولولا الشمس لما حصلت الفصول
الاربع ولولاه لاختلت مصالح العالم بالكلية وقد ذكرنا منافع الشمس
والقمر بالاستقصاء في اول هذا الكتاب الحجة الثامنة
والتاسعة قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار واعلم
ان منافعها مذكورة في القرآن كقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
النهار معاشا قال للتكلمون تخص الليل والنهار بحار لانهما
عرضان قالا عراض لا تسخر الحجة العاشرة قوله
وآتاكم من كل ما سألتموه اعلم انه تعالى لما ذكر تلك النعم العظيمة
بين بعد ذلك انه لم يقتصر عليها بل اعطى عباده من المنافع والمرادات
ما لا يأتي على بعضها التعداد والاحصاء فقال وآتاكم من كل ما سألتموه والمفعول

محذوف

محذوف يعقبين من كل مسؤول شيأ وقرئ من كل ما سألتموه وما
مسألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك بعض ما تليه
ويجوز ان تكون ما موصولة والعائد محذوف اتاكم من كل الذي سألتموه
ولم يصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكأنكم سألتموه وطلبتموه بلسان
الحال ثم ان الله تعالى لما ذكر هذه النعم ختم الكلام بقوله وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها قال الواحدي النعمة ما صنا اسم اقيم مقام المصدر
فقال انعم الله عليه بتشديد النعام ونعمه اقيم الاسم مقام الانعام كقولك
انفقت عليك انفاقا ونفقة شيأ واحدا والملائكة يجمع لانه في معنى
المصدر ومعنى قوله لا تحصوها لا تقدروا على معرفة جميعها لكثرتها
واعلم ان الانسان اذا اراد ان يقوم على القيام بشكر انعام الله
منعم عليه ان يأخذ في شيء واحد ليعرف عجز نفسه عنه ونحن نذكر
منه مسألتين المسألة الاولى ان الاطباء ذكروا ان الانسان فيه
جنها دما غليظا ومنها لحما غليظا اما الدم فانه يسعى ثم ان الله تعالى
انعم في معرفة الكم المناسب من كل واحد من تلك الارواح السبعة
ثم لا شك فيه ان كل واحد من تلك الارواح ينقسم الى شعب كثيرة
وكل واحد من تلك الشعب ايضا ينقسم الى شعب دقيقة ادق من الشعر
ولكل واحد منها نعم الى الاعضاء والوان واحوالا احتاج الى معرفتها
الحكيم او يسبب الكيفية او بسبب الوضع لاحاطت بمصالح البدن
ان تلك الاسباب الدقيقة مكونة لامور جلية ولكل واحد منها
حكمة مخصوصة فاذا نظر الانسان في هذا النوع عرف ان الله تعالى
لحسب ان كل شعبة من تلك السبعة العظيمة على العدد نعمة عظيمة
ولو مانت لعظم الضرر عليه وعرف قطعا انه لا سبيل الى الوقوف
عليها والاطلاع على احوالها فعند هذا تقطع بصحة قوله تعالى وان تعدوا

من السما ما فيه قولان الاول ان المراد من السحاب ونفس السحاب
سما استقا وامن العلو والارتفاع والثاني انه تعالى انزله من نفس
السما وهذا لعدل الانسان لما كان واقفا على تله جعل عالي
ويرى الغيم اسفل منه فاذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ما طوا عليهم
فاذا كان هذا الامر مشاهدا بالنظر كان النزاع باطلا الخامس
الثالث قال تعم انه تعالى اخرج هذه الثمرات بالواسطة وهو الما
المنزل من السما على سبيل العادة وذلك لان هذا النوع اصلح للمكلفين
لانهم اذا علموا ان هذه المنافع العظيمة لا تحصل الا في تحصيلها المشاق
والتاعب والمنافع العظيمة الدائمة في الدار الاخرى اولى ان تحصل
المشاق في طلبها واذا كان الرطلب الراحة واللذات طلبا لهذه
الخيرات المتغيرة فان يترك اللذات الدنيوية لتفوز بثواب الله
ويتخلص من عذابه اولى ابقا الى المكلف في الدار الاخرى اتى الله كل شيء
شتها فامن غير تعب ولا نصب هذا قول المتكلمين وقال قوم اخرون
انه تعالى يخرق الثمار والزرع بواسطة هذا الماء النازل من السما
والمسئلة كلامية محضة وقد ذكرنا ها في سورة البقرة الوجه
الرابع قال ابو مسلم لفظ الثمرات يقع في الاغلب على ما يحصل من الاشجار
ويقع ايضا على الزرع والنبات كقوله كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم
حصاده الوجه الخامس قال تعالى فاخرج به من الثمرات
لاجل ان يكون رزقا للعباد والمقصود انه تعالى وصف بعد هذه الثمرات انها
الخيرات والمنفعة لا للكلفين لان الاحسان لا يكون احسانا الا اذا
قصد المحسن بفعله ايصال النفع الى المحسن اليه الوجه السادس
قال صاحب الكشاف قوله من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا
هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج رزقا حال من المفعول

اونصبا

انتصابا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزقا للعقدين ورزقا من
العراب رزقا لكم فاما الحجة الرابعة وهي قوله وسخر لكم الفلك
تجري في البحر بامره فتطيين قوله ومن امانة الخوارج في النحو كالاعلام
وفيه مباحث البحث الاول ان الانتفاع بما تحت الارض
انما يكمل بوجود الفلك الجاري في البحر وذلك انه تعالى خص كل طرف
من اطراف الارض بنوع اخر من النعمة حتى ان نفعه هذا الطرف اذا نقلت
الى الجانب الاخر من الارض وبالعكس كثرت الارباح في التجارات ثم
ان هذا النقل لا يمكن الا بسفن البر وهي الجمال او بسفن البحر وهي الفلك
المذكورة في هذه الاية فان قيل ما معنى وسخر لكم الفلك مع ان تركيب
السفينة من افعال العباد قلنا اما على قولنا ان فعل العبد خلق الله
تعالى فلا سؤال واما على مذهب المعتزلة فقد اضاف الفاعل عينه
تعالى لولا انه تعالى خلق الاسباب العلمية التي منها تركب السفن
ولولا خلقه الحديد وسائر الالات ولولا تعريفه العباد بحر وا ولولا
خلقه الله تعالى الرياح وخلق المركبات القوية فيها ولولا انه وضع الانهار
وجعل فيها من العذب ما يحمل جري السفن فيها لما وقع الانتفاع بالسفن
فصار لا حاصل انه تعالى هو الخالق لجميع هذه الامور وهو المريد لهذه
الامور والمسخر لها حسن اضافة التسخير اليه البحث الثاني
الله تعالى اضاف هذا التسخير الى نفسه لان الملك العظيم لا يوصف بانه
فعل الا ما اذا قال في حقه انه امر بكذا فعلم الشاهد ومنع من حمله على
ظاهره فوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وتحقيق هذا
الوجه راجع الى ما ذكرناه البحث الثالث الفلك من الجمادات
فتسخيرها محال والمعنى انه لما كان يجري على وجه الماء على شبهه الملاح
صار كانه حيوان مسخر له البحث الخامس قوله تعالى وسخر لكم

المعبود في الصلوة واما النفس الامّارة فيجب صرفه في طاعة الله فهذه الثلاثة
هي الطاعات الاصلية وهي الايمان والصلوة والزكوة وتمام ما تعالى في هذه
الامور الثلاثة ذكرناه في قوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون ○ المسئلة الرابعة قالت المعتزلة الآية
تدل على ان الرزق لا يكون حراما لان الآية دلت على ان الانفاق من
الرزق مدح ولا شيء من الانفاق من الحرام بممدوح فنتج ان الرزق ليس بحرام
ولنقدم لتقرير هذا الكلام مرارا ○ المسئلة الخامسة
في اعراب قوله سرا وعلانية وجهان الاول ان يكون على الحال
اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين وتانيهما على الظرف
اي وقت سر وعلانية وتالثهما على المصدر اي انفاق سر وانفاق
علانية والمراد ههنا التطوع واعلان الواجب واعلم انه تعالى
لما امر باقامة الصلوة والزكوة قال من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
ولا خلال قال ابو عبيدة البيع هاهنا الفداء والخلال الخالة
وهو مصدر من خاللت خلالا وخالة وهي المصاحبة قال تعالى
انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مجالة ولا معاونة بكلامه تعالى يقول
اسقوا اموالكم حتى تجودوا واعملوا لذلك اليوم الذي
لا تحصل فيه تجارة ولا مجالة ونظيره قوله تعالى في سورة
الشعراء لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة فان قيل كيف نفى الخلة في
هذا الموضع مع انه تعالى اثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين قلنا الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي
الخلة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس والآية الدالة على حصول
الخلة محمولة على نفي الخلة الحاصلة بسبب عبودية الله تعالى
ومحبته ○ قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض

وانزل

وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك
لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
وسخر لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ○ اعلم ان الله تعالى لما اطال
الكلام في وصف احوال السعداء واحوال الاشقياء وكانت العلوم العظمى
والمقامات الكبرى في حصول السعادة معرفة الله بذاته وصفاته وفي
حصول الشقاوة فقدان هذه المعرفة لا جرم ختم الله تعالى وصف حال
الاشقياء والسعداء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته
وذكرها هاهنا عشر انواع من الدلائل اولها خلق السموات
وتانيها خلق الارض والمراد بالانسان بقوله تعالى الله الذي خلق السموات
والارض وتالثها قوله تعالى وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمرات رزقا لكم ورابعها قوله وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره
وخامسها قوله تعالى وسخر لكم الانهار وسادسها ما بعدها
قوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وثامنها وتاسعها قوله وسخر لكم
الليل والنهار وعاشرها وآتاكم من كل ما سالتموه فهذه الدلائل
العشر قد ذكرها في هذا الكتاب وقررها وكررها مرارا واطوارا
ولا حاجة الى ذكرها هاهنا بعض الفوائد اعلم ان قوله الله مبتدا
وقوله الذي خلق خبر ثم انه تعالى بدا بخلق السموات والارض لانا
بذكرها هاهنا لانها الاصلان اللذان يتفرع عليهما سائر الادلة المذكورة
بعد ذلك وانه قال بعده وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم وفيه مباحث الاول لولا السماء لم يصح اشتمال الماء فيها
ولولا الارض لم يوجد ما يستقر الماء فيه فظهر انه لا بد من وجودهما
حتى يصح هذا المقصود وهذا المطلوب ○ البحث الثاني قوله وانزل

الاول يجوز ان يكون بدلوا شكر نعمه الله كفرا لانه لما وجب
عليهم الشكر بسبب تلك النعمه انواب الكفر فكانهم جعلوا الشكر الى الكفر
وبدلوه تبديلا والثاني انهم بدلوا نفس نعمه الله كفرا لانهم لما
كفروا اسلب الله تلك النعمه عنهم فبقا الكفر معهم بدلا عن تلك النعمه
الثالث انه تعالى انعم عليهم بالرسول والقرآن فاختاروا الكفر
على الايمان والسوع الثاني اما حكى الله عنهم قوله تعالى واحلوا
قومهم دار البوار وهو الهلاك يقال رجل باير وقوم بور ومنه قوله
تعالى وكنتم قوما بورا واد اريد ان البوار جمع بوار لانه فسرها بجهنم يقال
جهنم بئس الشيء ان يقبح العقار اى المقر وهو مصدر سمي به والسوع
الثالث من اما لهم الشنيعه قوله وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله
وفيه مسايل المسئله الاولى انه تعالى لما حكى عنهم
انهم بدلوا نعمه الله كفرا ذكر انهم بعد ان كفروا بالله جعلوا له اندادا والمراد
من هذا الجعل الحكم والاعتقاد والعمل والمراد من الانداد الاشباه والنظرا
وهذا التركيب يحتمل وجوها احدها انهم جعلوا الاصنام حصاما انعم الله
عليهم بنعوته وهو الشركا بنا والثاني انهم شركوا بين الاصنام
وبين خالق العالم في العبود به وبالجملة انهم كانوا يجرون ما بات
الشركا وهو قولهم في الحج لبيك لا شريك الا شريكا هو لك تملكه
وما ملك المسئله الثانيه قرا ابن كثير وابو عمرو
ليضلوا من ضل بضم الياء من اضل عنه بضله
المسئله الثالثه اللام في ليضلوا عن سبيله لام العاقبه
لان عاقبة الامر ان سيؤدي الى الضلال ويحتمل ان يكون لام كي
اي اتخذوا الوثن كي يضلوا عن دين الله هذا اقوى بالضم فانه يحتمل الوجهين
ولو قري بالنصب فلا يحتمل الا لام العاقبه لانهم لم يريدوا الضلال لانفسهم

وعمر

وتحقيق القول في لام العاقبه ان المقصود من الشي لا يحصل الا في اخر
المراتب كما قيل اول الفكر اخر العمل وكما حصل في العاقبه كان مقصودا فالامر
المقصود في هذا المعنى اخر الامور المصحبه لحسن المحيا فلهذا السبب
حسن ذكر اللام في العاقبه ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الانواع القبايحه
من الانواع الفضيحه قال تمتعوا فان مصيركم الى النار والمراد ان حال الكافر
في الدنيا كيف كانت فانها تنتهي الى ما سيصير اليه في الاخر من العقاب
تمتعا وبيانا فلهذا المعنى قال قل تمتعوا فان مصيركم الى النار هذا الخطاب
مع الذين حكى الله عنهم انهم بدلوا نعمه الله كفرا فاولئك كانوا في الدنيا في نعم
كثيرة فلا جرم حسن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار هذا الامر يسمى
امر التهديد ونظير قوله تعالى اعملوا ما شيتم وهوله قل تمتع بكفرك
قليلا انك من اصحاب النار قوله تعالى قل لعبادي
الذين امنوا يقيموا الصلاه وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانيه من قبل ان ياتي يوم
لا بيع فيه ولا خلال اعلم انه تعالى لما امر الكفار على سبيل
الانكار والتهديد بالوعيد بالمنع من الدنيا امر المومنين في هذه الايه
بفعل المنع من الدنيا والمبالغه في المجاهده مع النفس والمال وفيه مسايل
المسئله الاولى قرا عاصم والكسائي لعبادي بسكون
الياء والباقون بفتح الياء للالتقا الساكنين المسئله الثانيه
في قوله يقيموا وجهان الاول ان يكون جوابا للامر محذوف وهو المقول
تقديره قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلاه وانفقوا الثاني ان يكون
هو امرا مقولا محذوفا منه لام الامر اي ليقيموا كما قال قل لهم يغفروا
واما حذف اللام لان قوله قل عوض منه ولو قال ايتوا الزكوة
المسئله الثالثه ان الانسان بعد الفراغ عن الايمان لا قدر
له على التصرف في شي الا في نفسه وماله اما النفس فبخدمه شغلها الخدمه

قوله احسنت من فوق الارض وهذه الصفه في مقابله قوله اصلها ثابت
والمعنى احدثت استوصلت وحصنه الاحسان احد الخمسه كلها
وقوله من فوق الارض ليس لها اصل ولا عرق فكذلك الشرك
بالله ليس له حجه ولا برهان ولا سناد في الصفه الا الله تعالى
بالهامش قرار وهذه الصفه كالمتممه للصفه الاوله والمعنى انها ليس
لها استقرار بخلاف الشيء قرارا كما قال تعالى ما لها من قرار
القول الذي لم يعضد بحجه يقود احمق عنز ثابت واعلم ان هذا
المثال في صفه الكلمه الخبيثه في غايه الكمال وذلك لانه بين
كونها موصوفه بالمضار الكليه والله الاشاره بقوله احسنت وبما
كونها خاليه عن المنافع والله الاستدلال بقوله احسنت من فوق الارض
بالهامش قرار ث قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا
بالحياه الدنيا وفي الاخره ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ٥
اعلم انه تعالى مثل الكلمه الطيبه ان تكون اصلها ثابتا وصفه
الكلمه الخبيثه ما تكون لها اصل ثابت بل تكون مستقطعه ولا تكون
لها قرار ذكر ان ذلك القول الثابت الصادر عنهم في الحياه الدنيا
يوجب بتوفيق الله تعالى لهم وثواب قوله لهم والمقصود منه
ان الثبات للثواب والكرامه من الله فقوله يثبت اي على الثواب
والكرامه وقوله بالقول الثابت في الحياه الدنيا وفي الاخره
اي بالقول الثابت الذي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحياه الدنيا
ثم قال ويضل الله الظالمين يعني وكان الكلمه الخبيثه ما كان
لها اصل ثابت ولا فرع ماسوق فكذلك اصحاب الكلمه الخبيثه
وهم الظالمون يضلهم الله عن كل خير ومنعهم من الفوز بثوابه وفي
الآيه قول اخر هو القول المشهور ان هذه الآيه وردت في سوال الكافر

ر

في القبر فلقن الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السوال وتثبيته على
الحق عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت في الحياه الدنيا وفي الاخره قال نزلت له
في القبر من ربك وما دينك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبي محمد
والمراد من الثابت في قوله بالقول الثابت هو ان الله تعالى
انما يثبتهم في القبر بسبب مواظبتهم في الحياه الدنيا على هذا القول وهذا
الكلام تقرير عقلي وهو انه متى كانت المواظبه على الفعل الخير كان
رسوخ ذلك الفعل اقوى في القلب وكلما كانت المواظبه اكمل كان رسوخ
لا اله الا الله وعلى الدوام في حياتهما وموتهما اكمل واتم كان رسوخ
هذه المعرفه في عقله وقلبه بعد الموت اقوى واكمل قال ابن عباس
من دام على الشهاده في الحياه الدنيا ثبته الله في قلبه ولقنه اياها وانما
ينسى الاخرى هاهنا والعبد لان الميت انقطع تكليفه عن احكام الدنيا
ودخل في احكام الاخره وقوله ويضل الله الظالمين يعني ان
الكافر اذا سئل في القبر قال لا ادري وانما قال ذلك لان الله اظله
وقوله ويفعل الله ما يشاء يعني ان شاء هذا وان شاء المثل ولا اعتراض
عليه في فعله البته ٥ قوله تعالى الم تر الى الذين
بدلوا نعمه الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس
القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى
النار ٥ اعلم انه تعالى عاد الى وصف الكافرين في هذه
الآيه فقال الم تر الى الذين بدلوا نعمه الله كفرا نزلت في اهل مكه حيث
انعم الله عليهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فلم يعرفوا قدر هذه النعمه ثم انه تعالى حكى عنهم انواعا من
الاعمال القبيحه الاول قوله بدلوا نعمه الله كفرا وفيه وجوه ٥

هشد وكر بعضهم في تفسير هذا المثال كلاما لا ماس به فقال انما مثل الله
الاعمال بالنحل لان النحل لا تتخذ الا من شجر الاملته اشجار عروق
راسخه واصول ثابته وكذلك الاعمال لا تكمل الا بملته اشياء
معرفه في القلب وقول في اللسان وعمل بالجوارح **المسئله**
الثانيه قال صاحب الكشاف في نصب كله طيبه وجهان الاول
انه منصوب بمضمر والتقدير جعل كلمة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله
مثلا كلمة جعلها الله مثلا وقوله كشجرة جعل مبتدا محذوف والتقدير
هي كشجرة طيبه الثالث قال صاحب النظم الاوجه
ان يحمل كلمه على عطف بيان والكاف في قوله كشجرة في محل النصب
بمعنى مثل شجرة طيبه **المسئله** الثالثة قال ابن عباس
الكلمة الطيبة قول لا اله الا الله والشجرة الطيبة هي النخلة في قول
الاكثرين قال صاحب الكشاف انما شبهت مثل طيبة التي
كالنخلة وشجرة الخبث والرمان وارادة كشجرة طيبة القول الا انه
لم يذكر ما الدلالة الكلام عليها اصلها اي اصل هذه الشجرة الطيبة
ثابت وفرعها اي اعلاها في السماء والمراد ان كل ما علا وسما
فهو سما نحوي اي هذه الشجرة اكلها اي ثمرها وما يؤكل منها كل حين
واختلفوا في تفسير هذا الحين قال ابن عباس ستة اشهر من حملها الى
حملها ستة اشهر حار جابر الى ابن عباس فقال نزرت الا اكلم اعمى
حينا فقال الحين ستة اشهر وتلا توتي اكلها كل حين وقال مجاهد
وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل الثمر وقال بعض
المسببين شهران لان هذا هو العام النخلة شهرات وقال الزجاج
جميع من سمعنا من اهل اللغة يرضون الحين انه اسم للوقت يصلح
للازمان كلها طالت او قصرت والمراد من قوله توتي اكلها كل حين

اي

اي يشبع بها في كل وقت وفي كل ساعة ليلا ونهارا وشتاء وصيفا
قال والسبب فيه ان النخلة اذا تركت عليها الثمر سنة الى
السنة واقول هذا لا وان اصالتوا في البحث عن مفردات الالفاظ
الا انهم تعدوا لعن ادراك المقصود ولانه تعالى وصف شجرة بصفات ولا
حاجة بنا الى تلك الشجرة هي النخلة ام غيرها فانا نعلم بالضرورة ان
الشجرة الموصوفة بهذه الصفات الاربع المذكورة فان كل عاقل يسعى
في تحليلها تحليلها او ادخارها لنفسه كان لها وجود في الدنيا
او لم يكن لان هذه الصفة امر مطلوب التحصيل واحالهم في تعيين
من هذا الباب ايضا والله عز وجل اعلم قال وضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتذكرون والمعنى ان مخاطب الامثال زاده افهام وتذكر
وتصور للمعاني وذلك لان المعاني العقلية المحضة لا تنفعلها الحس
ولا الخيال والوهم فاذا ذكر ما يساويها في المحسوسات قبل الحس والخيال
تلك المساواة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام
والوصول الى المطلوب واما قوله تعالى مثل شجرة خبيثة كشجرة
خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار فاعلم ان الشجرة الخبيثة
هي الحنظل بالله فانه اول الاعشاب وعنوان المخاوف ثم انه تعالى
شبهها موصوفة بصفات ثلث اولها انها مكوفة خلقة منهم من
قال انها الكوز لانه صلى الله عليه وسلم وصف البيوم بانها شجرة
خبيثة وقيل انها شجرة الحنظل المر ما فيها من طيب وقيل انها شجرة
الثوم واعلم ان هذا التفصيل لا حاجة اليه فان الشجرة قد تكون خبيثة
لحسب الرائحة وقد تكون لحسب الطعم وقد تكون لحسب الصورة والمنظر
وقد تكون لحسب اشتمالها على المضار الكثيرة والشجرة الجامعة لكل
هذه الصفات كان التشبيه بها انما في المطلوب الصفة الثالثة قوله

فانه مستمع الغير والبذل واستعداد جوهر النفس لقبول ذلك التعلق
انما متمع الغير فطهر الفرق العظيم من هذا الوجه واعلم ان
الفرق بين النوعين يجب ان يكون من وجوه غير متناهية فلبكشف
بهذه الوجوه الكلية وهي كون هذا الشخص مالكا لهذا الاصل الاصيل بهذه
الصفة وشخص معرفة الله تعالى اقوى واكمل وذلك لان عروض
هذا الشخص راسخ في جوهر النفس القدسية وهذا الجوهر جوهر مجرد
عن الكون والفساد بعيد عن التغير والتبدد هذا الرسوخ لذاته هو
من تجلي جلال الله تعالى وهذا التجلي من لوازم كونه سبحانه وتعالى الوجود
في جميع صفاته والتغير والفناء والتبدل والزوال والتحلي والمنع
محال في حقه فثبت ان الشخص الموصوف بكونها تابعة لا اصل
ليست لاحد الشخوص الصفة الثالثة لهذا الشخص كونها
بحيث يكون فروعها في السماء واعلم ان شخوص المعرفة لها اغصان
صاعدة في هو العالم الالهي واغصان صاعدة في هو العالم للجسماني
اما النوع الاول فهو اقسام كثيرة يجمعها قوله عليه السلام التفكر
لامر الله وتدخل فيه التامل في دلائل معرفة الله في عالم الارواح وفي
عالم الاجسام وفي احوال عالم الافلاك والكواكب وفي احوال عالم
السفلي وتدخل فيه محبة الله والشوق الى الله تعالى والمواظبة على
ذكر الله والاعتماد بالكلية على الله والانقطاع بالكلية عما سوى
الله والاستغراق في ذكر هذه الاقسام غير مطبوع لانها احوال سماوية
واما النوع الثاني وهو اقسام كثيرة ويجمعها قوله عليه افضل الصلاة
والسلام الشفقة على خلق الله وتدخل فيه الرافة والرحمة والصفح والتجاوز
عن الذنوب والسعي ايصال الخير اليهم ودفع الشر عنهم ومقابلة الاساءة
بالاحسان وهذه اقسام ايضا غير متناهية وهي فروع لما فيه من شخوص معرفة

الله

الله تعالى فان الانسان كلما كان اكثر تفكرا في معرفة الله تعالى كانت
هذه الاحوال عنده اكمل واقوى وافضل والصفة الرابعة
وهو قوله يوتى اكلها كل حين باذن ربها فهذا الشخص اولى بهذه الصفة
من الاشجار الجسمانية فان شجرة المعرفة موجبة لهذه الاحوال وموثرة
في حصولها والسبب فيه لا يفك عن المسبب فانه رسوخ شخوص
المعرفة في الارض ان يكون بطولها بغيب كمال تعالى وانه تعالى واباؤه الى الاعمار
فان يكون شاهقة بالحكمة كما قال تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه ولطفه بالصدق والعرفان كما قال تعالى قولا الحق ولو على انفسكم
وهذا الانسان كلما كان رسوخ شجرة المعرفة في ارض قلبه اقوى واكمل
كان ظهور هذه الاثار عنده اكثر وهو غير في هذا الباب فنصير بحيث
كما لا يحط شيئا لا يحظ الحق فيه وربما عظم بروقه فيه فيصير لا يرى شيئا الا وقد
كان قد رآه الله قبله فهذا هو المراد من قوله سبحانه وتعالى يوتى اكلها
كل حين باذن ربها ذكرناه اشارة الى الالهامات النفسانية والملكات
الروحانية التي تحصل في جواهر الارواح ثم لا تزال تستعد منها في كل حين
وتعطيه ولحه كالم طيب وعمل صالح وخضوع وخشوع وبكاء وذلك
كثير هذه الشجرة واما قوله تعالى يادن ربها ففيه دقيقة عجيبة وذلك
ان حصول هذه الاحوال النفسانية والارواح العالية وان لم تحصل
بها لاجل حب هي واما يبوح بها لاجل حب الولي عند ذلك يكون ربه
في الحقيقة هو المولى بارشاد الاحوال وذلك كما قال بعض المحققين من اراد العرفان
للعرفان فقد قال اللبي من اراد العرفان لا للعرفان لا للعروف فقد حاض
لجة الوصول وقد طهرت بعد التقرير الذي شرحناه والبيان الذي فصلناه
ان هذا المثال الذي ذكر الله في هذا الكتاب مثال هادي الى علم القدس
وحضرة الجلال وسرادقات الكبرياء ونسال الله الاهتداء والرحمة انه سميع

القسم الثاني وهو المثل وفيه مسايل ⁂ المسئله الاولى
اعلم انه تعالى لما شبه موصوفه بصفات اربع نسبه الكلمه
الطيبه بها والصفه الاولى لذلك الشجر كونها طيبه وذلك يحتمل
امورا احدها كونها طيبه المنظر والصور والشكل وثانيها
كونها طيبه الثمر بمعنى ان الفواكه المتولد منها اكثر لذه مستطابه
ورابعها كونها طيبه بحيث المنفعه بمعنى انها كما يستلذ بها كذلك
يقع الانتفاع بها وبحث حمل طيبه على مجموع هذه الوجوه لان باجتماعها
تحصل كمال الطيبه والصفه الثانيه قوله تعالى اصلها ثابت اى راسخ
ثابت آمن من الانقطاع والزوال والفناء وذلك لان الشئ الطيب
اذا كان بحيث معرضا للانقراض والانعدام وهو وان كان يحصل الفرح
بوجدانه الا انه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه اما
اذا علم من حاله انه باق دايم لا يزول ولا يقضى فانه يعظم الفرح
بوجدانه وكمال السرور بسبب الغرور به والصفه الثالثه قوله تعالى
وفرعها في السماء وهذا الوصف ايضا على كمال حال ذلك الشجر من وجهين
الاول ان ارتفاع الاغصان وقوتها وصلابتها يدل على ثبات
الاصل ورسوخ العروق والثاني انها متى كانت متصاعده من منبعه
كانت بعيده عن مخبوثات الارض فكانت متراقيه بعيده طيبه عن
جميع الشوايب الصفه الرابعه قوله تعالى اكلها كل حين باذن ربها
والمراد ان الشجر المذكوره كانت موصوفه بهذه الصفه وهي ان ثمراتها
اما ان يكون حاصرا دائما في كل الاوقات ولا يكون مثل الاشجار
التي يكون ثمارها حاضرا في بعض الاوقات دون بعض وهذا شرح
هذه الشجر التي ذكرها الله تعالى في هذا الكتاب الكريم ومن المعلوم
بالضروره ان الرغبه في تحصيل مثل هذه الشجر لاجل ان يكون عظيمه وان

العاقل متى امكنه تحصيلها ولاكلها فانه لا يحوز ان يتغافل عنها ويتناسل
في العود بها اذا عرفت هذا فنقول معرفه الله تعالى والاستغراق
في محبته وطاعته يشبه هذه الشجر في هذه الصفات الاربع اما
الصفه الاولى وهي كونها طيبه فانه لا طيب ولا لذه في الحقيقه الا
هذه المعرفه وذلك لان اللذه الحاصله بسبب المدركات المعنويه انما
حصلت لادراك تلك المدركات من ملائم لمزاج البدن فالحاصل حصول تلك
الملائمه والمناسبه حصلت تلك اللذه العظيمه وهاهنا الملائم لجوهر النفس
الناطقه والروح القدسيه ليس الا معرفه الله تعالى ومحبته والاستغراق
في الانوار جلاله فينبغي ان يكون هذه المعرفه لذيذه حتى لا يقول اللذه الحاصله
من ادراك الفاكهه لذيذه حتى ان يكون ذلك الامر اللذه الحاصله بسبب اشراق
جوهر النفس بمعرفه الله تعالى وبيان هذا التفاوت من وجوه احدها
ان المدرك الحاس بليد لا يدرك الا ظواهر الاشياء وهي الاجسام
والمدرك العقلي ينفذ في بواطن الاشياء وحقايقها
يسطح المحسوس فقط فاما ان تقال ان جوهر المحسوس بعد في جوهر
الحاس وليس الامر كذلك لان الاجسام لا يتداخل اما هاهنا
يعرفه الله تعالى وذلك النور وذلك الاشراق صار سارا في جوهر
النفس متحدا به وكان النفس عند حصول ذلك الاشراق يصدق ذلك
الاشراق فهذا فرق عظيم بين الحاس والوجه الثاني في الفرق
ان المدرك للفاكهه المذكوره هو القوه الدافعه والمحسوس هو الطعم
المخصوص وهاهنا المدرك جوهر النفس القدسيه والمعلوم والمشعور
به هو ذات الحق سبحانه وصفاته فوجب ان يكون نسبه احدى
الدارين كنسبه احد المذكورين والاكرمين الى الاخر والوجه الثالث
في الفرق ان اللذه الحاصله بتناول الفاكهه الطيبه كلما حصلت زالت
في الحال لانها هيئه شريعه الاستحاله سريعه التغير اما كمال الحق وجلاله

الجلال

الواحدي وهي قراءة الاعمش ويحيى بروايات قال الفراء ولعلها من
وهم القراء فانهم قد رأيتم منهم من الوهم ولعله طن الراء في قوله نصرخي
قاطعة لجملة هذه الكلمة وهذا خطأ لان الراء من التكلم خارجة
من ذاك قال وما ترى انهم وهموا فيه قوله ما انتم بمصرخي
جهم وقد يحذف الفعل قبلها لسقوط اللام منه ومن النحويين من قال
يكفي في كسر وجه لصحته الا ان الاكثرين قالوا انه لحن وقال
تعالى حكاية عنه اني كفرت بما اشركتموني من قبل وفيه مسائل

المسئلة الاولى ما في قوله اني كفرت بما اشركتموني وفيه
قولان الاول انها مصدرية والمعنى كفرت بشرككم لي مع الله في
الطاعة والمعنى انه جحد ما تعبدهم الله بذلك الاتباع من قبول ابليس
في شركهم الله تعالى في تدبير هذا العالم وكفروه او يكون المعنى انهم كانوا
يطيعون الشيطان في اعمال الشر كما كانوا قد يطيعون الله في اعمال الخير
وهذا هو المراد بالاشراك والثاني وهو قول الفراء ان للعرب في
ابليس قالوا اني كفرت بالله الذي اشركتموني به من قبل كفر كم
والمعنى انه كان كفرهم قبل كفر ابليك الاصلي ويكون ما في قوله في هذا
الموضع عن والقول هو الاول لان الكلام انما ينظم بالنفس الاول
ويمكن ان يقال ايضا الكلام منتظم على النفس والتقدير كانه
يقول لا ما تبرأ لوسوستي في كفركم بل انا كفرت قبل ان وقعتم
في الكفر وما كان لغوي بسبب وسوسته اخرى والا لزم
التسلسل فثبت بهذا ان سبب الوقوع في الكفر ليس سوى
الوسوسة وعلى هذا التقدير ينتظم الكلام اما قوله وان الظالمين
لهم عذاب اليم فالاظهر انه كلام الله تعالى وان كلام ابليس من قبل
هذا الكلام ولا يبعد ايضا ان يكون ايضا من تمام كلام ابليس قطعا لاطماع

اولئك

اولئك الكفار عن الاعوان والاعانة ٥ **قوله** تعالى
وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام وفيه مسئلتان **المسئلة**
الاولى لما بالغ في شرح حال الاشقياء من الوجه الكلي شرح احوال السعداء
وذكر من ثمار الثواب ثلاثة احدها ان يكون منفعة حاصلة دائمة مقرونة بالتعظيم
فالمنفعة الحاصلة اليها الاشارة بقوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار وكونها دائمة اشير اليها بقوله خالدين فيها
والتعظيم حاصل من وجهين احدهما ان تلك المنافع انما حصلت باذن الله وامره
والثاني قوله تحيتهم فيها سلام لان بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة والملائكة
يحيونهم بها كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
والاول اظهر ايضا لتتبيع بهذه الكلمة كما قال سلام قولا من رب رحيم
واعلم ان السلام مشتق من السلامة فالمراد انهم سلموا من آفات الدنيا
وخسرانها وامنوا من امراضها واسقامها وانواع همومها وما اصدق ما قالوا
من ان السلامة حسن فكم الاحسام الكاسيه العاسده من اعظم النعم لاسيما
اذا حصل بعد الخلاص منها الفوز بالبهجة الروحانية والسعادة الملكية

المسئلة الثانية قرن الحسنى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
على معنى وادخلهم انا وعلى هذه القراءة بقوله باذن ربهم متعلق بما بعده
اي يحيونهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم

قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء توتي اكلها كل حين باذن ربها
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة
اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ٥ اعلم انه لما شرح
احوال الاشقياء واحوال السعداء ذكر ما لاجله حال الاولين فيحكم هذين

السماويه بعيدها منوع من النفوس البشريه يكون حسنه الاخلاق كريمه
الافعال موصوفه بالفرح والبشر وشموله الامر وهي تكون منتسبه
الى روح معين من الارواح السماويه وطائفه اخرى منها يكون
بالضد والغلظه والقسوه وعدم المبالات بما من الامور حتى
تكون منتسبه الى روح اخرى من الارواح السماويه وهذه الارواح
البشريه كالاولاد لتلك الارواح السماويه وكالمسامح الحاصله كالثمره
المتفرعه عليها وتلك الروح السماويه هي التي تتولى ارشادها الى مصالحها
وهي التي تخيلها بالالهامات الالهيه ولاشك ان لتلك الروح الملكيه
التي هي الاصل والسوخ شعب كثيره وشاخ كثيره صاير بعضها تكون من
جنس روح هذا الانسان ولاجل مشاكلتها في نفسها تعين بعضها بعضا
على الاعمال والافعال المناسبه لطبايعهم انها كانت خيره
طاهره طيبه كانت ملايكه وكانت تسمى الالهامات منها
وان كانت بشريه خسيسه قبيحه الاعمال والافعال المناسبه
شياطين وكانت تلك الالهامات يسمى بالوسوسه وذكر بعض العلما ايضا
فيه اجمالا قال وهو ان النفوس البشريه والارواح الانسانيه
اذا فارقت البدن فمنها ما فوقت في تلك المصدقات التي اكتسبتها في تلك
الافعال وكانت فيها غاده احداث نفس اخرى مشاكله لتلك
النفس المفارقه وبين هذا البدن نوع تعلق بسبب المشاكله الحاصله
بين هذا البدن وبين ما كان بدنا لتلك النفس المفارقه فيصير لتلك
النفس المفارقه تعلق جديد بهذا البدن وتصير تلك النفوس
المفارقه معاونه لهذا النفس المتعلقه بهذا البدن ومعاضده لها
على افعالها واحوالها بسبب هذه المشاكله ثم ان كان هذا المعنى
في ابواب الخير كان ذلك الهاما وان كان في باب الشر كان وسوسه

فهذه

فلا يجوز التمسك به وأجاب الخصم عنه بأن هذا القول لو كان
باطلا لما منعه الله تعالى وأظهر انكاره فلما لم يفعل ذلك دل على
ان ذلك الكلام الى الملك والقول الفاسد الاخر ان الله وعدكم
وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كلام حق وقوله وما كان لي عليكم من
سلطان قول حق والدليل قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين ⊙ المسئلة الثالثة هذه الآية
تدل على ان الشيطان لا يملك هو النفس وذلك لان ذلك الشيطان
بين انه ما اتى الا بالوسوسة ولولا الميل الحاصل بسبب الشهوة والغضب
والوهم والخيال والا لم يكن لوسوسته اثر البتة فدل هذا على
ان الشيطان الاصلي هو النفس فان قال قائل لم لا نقول الشيطان هو
الوسوسة قلنا الفعل لما صدر عن الانسان عند حصول
امور اربعة مرتبة بعضها على البعض ترتيبا لازما وبيانه ان اعني
الانسان فيه السلامة الاصلية والصلاحية الطبيعية صالحة للفعل
والترك والاقدام والاحجام فما لم يحصل في القلب ميل الى ترجيح الفعل
على الترك وبالعكس فانه يمتنع صدور الفعل وذلك الميل هو الارادة
الجازمة والقصد الحاسم ثم ان تلك الارادة الجازمة لا تحصل الا عند
حصول علم واعتقاد او ظن بان ذلك الفعل يسبب النفع او يسبب الضرر
فاذا لم يحصل فيه هذا الاعتقاد لم يحصل الميل الى الفعل ولا الى الترك
فالحاصل ان الانسان اذا احس بشيء ترتب عليه سعود بكونه
ملائما له او بكونه منافرا له او بكونه عن ملائم ولا منافر فان حصل السعود
بكونه ملائما له ترتب عليه الميل الجازم الى الفعل وان حصل السعود
بكونه منافرا له ترتب عليه الميل الجازم الى الترك وان لم يحصل لا هذا
ولا ذاك لم يحصل الميل الى الشيء والى ضده بل يبقى الانسان كالمتوقف

ذلك

ذلك الميل يصير القدرة موجبة للفعل اذا عرفت هذا فنقول صدور الفعل
عند مجموع القدرة والداعي الجازم امر واجب فلا يكون للشيطان مدخل
فيه وصدور الميل عن تصور كونه خيرا او النفور عن تصور كونه شرا وتصور
كونه شرا عن مطلق الشعور بذاته امر لازم فلا مدخل للشيطان فيه
فلم يبق للشيطان مدخل في هذه المقامات الا في ان يذكر شيئا مما يوجب
حدوثه مثل ان الانسان كان غافلا عن صورة امرأة فيلقي الشيطان صورتها
في قلبه فالشيطان لا يزيد على هذا المقام وهو معنى ما حكى الله تعالى عنه
انه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فما كان
مني الا مجرد هذه الدعوة فاما افادته للدواعي فلم تصدر مني وما كان
لي فيها امر البتة بقي في هذه الآية سؤالات السؤال الاول كيف
يمكن الشيطان من التصرف في داخل بدن الانسان والقاء الوسوسة
اليه والجواب للناس في الملائكة والشياطين قولان الاول
ان ما سوى الله بحسب القسمة العقلية اقسام ثلثة الخير والقائم بالمتحيز
والذي لا يكون متحيزا ولا حالا في المتحيز وهذا القسم الثالث لم تقم
الدلائل البتة على فساد القول به بل الدلائل الكثيرة قامت على صحة القول
به وهذا هو المسمى بالارواح فهذه الارواح ان كانت طاهرة مقدسة من
عالم الروحانيات المقدسة فهم الملائكة وان كانت خسيسة داعية الى
الشر وعالم الاجساد ومنازل الظلمات فهم الشياطين اذا عرفت هذا
نقول على هذا التقدير الشيطان لا يكون حاجة الى الولوج في داخل
البدن بل هو جوهر مجرد روحاني خبيث الفعل مجبول على الشر والنفس
الانسانية ايضا كذلك فلا بعد على هذا التقدير ان يلقي شيئا من تلك الارواح
انواعا من الوساوس والاباطيل الى جوهر النفس الناطقة البشرية وهي
مخلقة بالروح في طوايف فكل طائفة منها مدبرة بروح من الارواح

والثاني ان المراد بقوله قضي الامر ما انقضت الحاسبة والقول
الاول اولى لان احوال القيامة استمرار المطيعين في الجنة واستمرار
الكافرين في النار ثم يدوم الامر بعد ذلك والقول الثالث
وهو ان مرجعنا ان العصاة من اهل القبلة يخرجون من النار ويدخلون
الجنة ولا بعد ان يكون المراد من قوله لما قضي الامر ما حصل قبل ذلك
واما الشيطان فالمراد به ابليس لان الشيطان لفظ مفرد فتناول الواحد
وابليس رأس الشياطين فحمل اللفظ عليه اولا لانه اسما وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمع الله الملك وسمى عليهم تقول
الكفار قد وجد المسلمون من يسمع لهم فمن يسمع لنا فما هو الا ابليس
الذي اضلنا فيسارعون اليه فيوجد المسلمون من يسمع لهم ويسلونه فعند
ذلك يقول هذا القول اما قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم فقد مباحث الاول وهو المراد ان الله وعدكم
وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم
ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم كعبة السعادات الاخروية والكمالات
النفسانية والله يدعوا اليها ويرغب فيها كما مال والاخ خير والبغي
الثاني قوله تعالى حتى الحصيد مجد الجامع على قول الكوفيين والمعنى
وعدتكم الوعد الحق وعلى مذهب البصريين يكون التقدير وعد اليوم
الحق او الامر الحق او يكون التقدير ووعدكم الحق فترد كل المصدر ما كيدا
الثالث في الآية اضمار من وجهين الاول ان التقدير
ان الله وعدكم فصدقكم ووعدتكم فاخلفتكم وحذف ذلك لدلالة تلك
الحالة على صدق ذلك الوعد لانهم كانوا يشاهدون العيان بيان
ولانه ذكر في وعد الشيطان الاخلاف فدل ذلك على الصدق في وعد الله

فعال

تعالى الثاني قوله ووعدتكم فاخلفتكم الوعد يقتضي مفعولا ما فما
حذف العلم به ووعدتكم ان لا جنة ولا نار ولا حشر ولا حساب اما
قوله وما كان لي عليكم من سلطان اي قدرت ومكنته وتسلط وقهر فاجبرتكم
على الكفر والمعاصي والحاصل انكم اليها الا ان دعائي اياكم الى الضلال يسمى سلطانا
وبيني قال النحويون ليس الدعاء من جنس السلطان فهو لا الا ان
دعوتكم من جنس قولهم ما جاءني الا الفرس وقال الواحدي انه استثناء
منقطع اي يكون دعوتكم وعندي انه يمكن ان يقال ان كل لا حاصلها
استثناء حقيقي لان قدرته الانسان على فعل الغير على غير من الاعمال نادرة
تكون العمر والقصر وانارة تقويمه الراعبة في قلبه مالقاء الوسواس
الله فهذا نوع من انواع التسليط وظاهر هذه الاية يدل على ان الشيطان
لا قدرة له على تصريع الانسان وعلى تقويح اعضائه وجوارحه وعلى ازاله
العقل على ما تقوله العوام ثم قال فلا تلوموني ولوموا انفسكم يعني ما كان
مني الا الدعاء والوسوسة وكم سمعتم دلائل الله وشاهدتم معجزاتنا الله
فكان من الواجب عليكم ان لا تعتمدوا قولي ولا تلتفتوا الي فلما لم تجتنبوا
قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم لا علي في هذا الباب وفي الآية
مسائل المسئلة الاولى قالت المعتزلة هذه الاية تدل على
اشياء الاول انه لو كان الكفر والمعصية من الله تعالى لوجب ان
يقال فلا تلوموني ولا تلوموا انفسكم لان الله تعالى امرهم بالكفر وجبرهم
عليه والثاني ظاهر الاية يدل على ان الشيطان لا قدرة له على تصريع
الانسان وعلى تقويح اعضائه وعلى ازالة العقل عنه على ما تقوله المشوية
والعوام الثالث هذه الاية تدل على ان الانسان لا يجوز ذمه وعقابه
على فعل الغير وعند هذا يظهر انه لا يجوز عقاب اولاد الكفار بسبب كفر
اباءهم اجاب بعض الاصحاب عن بعض هذه الوجوه بان هذا قول الشيطان

ان يم

مالنا من محيص من عذاب الله ومن المعلوم ان اعراف الرومان والسان
والمستوعبين مثل هذا العجز والخزي الكامل التام فكان المقصود
من ذكر هذه الاية استيلاء عذاب الفضيحة والخزي والخجلة
عليهم مع ما ينضم ذلك من سائر انواع العذاب والعقاب نعوذ بالله

المسئلة الثانية كتب الصعفا على الواو قبل
النون والسبب انه كتب على لفظ من يقع الالف قبل النون فيملها
الى الواو ونظير على ما في اسرائيل **المسئلة الثالثة**
الصعفا العوام والاتباع والذين استكبروا هم الپسان والكبرا قال
بن عباس المراد كابرهم الذين استكبروا عن عبادة الله انا كنا لكم
تبعا في الدنيا قال الفراء كل اهل اللغة التبع جمع تابع مثل حارس
وحرس وناقة وحادس وحرس وواصد وصد قال الزجاج
وجائز ان يكون تصدرا سمي به اي كما دوى يتبع اعلم ان هذه
التبعية يحتمل ان يقال المراد منها السعية في الكفر ويحتمل ان يكون
المراد منها التبعية في احوال الدنيا مثل انهم مغنون عنا من عذاب الله
اي هل انتم دافعون عنا عذاب الله هنا فان قيل لم فرق بين
من في قوله من عذاب الله ومنه في قوله من شيء قلنا كلاهما
للتبعيض يعني هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي
بعض عذاب الله وعند هذا حكى الله عن الذين استكبروا انهم قالوا
لو هدانا الله لهديناكم وفيه وجهان الاول قال ابن عباس معناه
لو ارشدنا الله لرشدناكم قال الواحدي معناه انهم انما دعوهم
الى الضلال لان الله تعالى اضلهم فلم يهتدوا فدعوا غيرهم الى الضلال
ولو هداهم لدعوهم الى الهدى قال صاحب الكشاف لعلهم
قالوا ذلك مع انهم كذبوا فيه ودل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين

ويوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم فاعلم ان المعتزلة
لا يجوزون صدور الكذب على اهل القيامة فكان هذا القول منهم محالفا
لاصول مشايخهم فلا نقبل منه الثاني قال صاحب الكشاف يجوز ان
يكون المعنى لو كان اهل الالطاف لطف بنا وبنا ما هتدينا لهديناكم الى
الايمان وذكر القاضي هذا الوجه وزيفه فان قال لا نحمل هذا
على اللطف لان ذلك قد فعله الله قلنا لم لا يجوز ان يكون المعنى لو
خلصنا الله من العذاب وهدانا الى طريق الجنة لهديناكم والدليل
على ان المراد من الهدى هو الذي ذكرناه ان صدر الاية التسوية
فطابق ذلك ان يكون المراد من العذاب هذا ثم قال سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا اي مستوي علينا الجزع والصبر والعض وعدمه للتسوية ونظير
اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم ثم قال مالكم من محيص اي ملجا وموئل
والمحيص قد يكون مصدرا كالمعيث والمشيب ومكانا كالمبيت
وللصيف تقال حاص عنه وحاص بمعنى واحد ۝

قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي
اني كفرت بما اشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم ۝
اعلم انه تعالى لما ذكر كل المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والاتباع
من كفرة الجن اردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين اتباعه
من الانس فقال وقال الشيطان لما قضي الامر وفي المراد بقوله لما قضي
الامر وجهان الاول قال المحققون اذا استقر اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار واحد اهل النار فخر لعين ابليس وتفرقه معقورة فتجمع
بنفخ خطمه فيقول ما احمق الله عنه بقوله وقال الشيطان لما قضي الامر

بالحق تطيير قوله في سورة يونس ما خلق الله ذلك الا بالحق وكقوله
في سورة ال عمران وما خلقت هذا باطلا وكقوله تعالى في سورة ص
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا اما اهل السنة فيقولون
الا بالحق اي ليدل ذلك على تمام القدرة صحيح ثم قال تعالى ان يشأ يذهبكم
ويأت بخلق جديد والمعنى من كان قادرا على خلق السموات والارض بالحق
فبان يقدر على اعدامهم وعلى ايجاد اخرين واحيائهم كان اولى
لان القادر على الاصعب الاعظم كان اقدر على الاسهل الاضعف
اولى قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد امتكم بالعصيان
الكفار واخلق قوما خيرا منكم واطوع منكم ثم قال تعالى وما ذلك
على الله بعزيز اي بممتنع لما دلت ان القادر على انشاء كل العالم والجلائل
فبان يكون قادرا على انشاء اشخاص مخصوصين واعدامهم اولى بحسب
واحرى والله اعلم قوله تعالى ويبرزوا لله جميعا قال
الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب
الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص اعلم انه تعالى لما ذكر اصناف عذاب الكفار ذكر بعد ان اعمالهم تصير محبطة باطلة ذكر في هذه الآية كيف
خجلتهم عند تمسك اتباعهم وكيفية افتضاحهم عند هم وهذه اشارة الى
الحوار الوجداني الحاصل بسبب الفضيحة والخجلة وفيه مسائل
المسألة الاولى برز معناه في اللغة ظهر بعد الخفاء ومنه يقال
للمكان الواسع البراز الظهور وقيل في قوله وترى الارض بارزة
اي ظاهرة لا يستتر فيها شيء والمراد اذا كانت تظهر للناس ويقال
برز فلان على اقرانه اذا فاقهم وسبقهم واصله في الخيل اذا سبق احدها
فقد بز عليها كانه قد خرج من غمارها فظهر اذا عرفت هذا فنقول

هاهنا

هاهنا ابحاث البحث الاول وبرزوا ورد بلفظ الماضي وان
كان معناه الاستقبال لان كل ما اخبر الله تعالى عنه فهو حق فصار
كانه قد حصل ودخل في الوجود وتطير ونادى اصحاب الجنة ونادى
اصحاب النار الباقي قد ذكرنا ان البروز في اللغة عبارة عن الظهور
بعد الاستتار وهذا في حق الله تعالى محال فلا بد فيه من التاويل وهو
من وجوه الاول انهم كانوا يستترون من الناس عند ارتكاب القبائح
ويظنون ان ذلك يخفى عن الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله
حتى اعمال انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية الثاني انهم حين جوزوا
من قبورهم فبرز الخلائق لحساب الله وحكمه الثالث وهو اولى بالحكمة
ان النفس اذا عارفت الجسد فكانه زال الغطاء والوطاء وبقيت متجردة
تدرك ما تدركه عن كل ما سواها وذلك هو البروز لله تعالى البحث
الثاني قال ابو بكر الاصم قوله تعالى وبرزوا لله جميعا هو المراد من قوله
تعالى في الآية السابقة ومن رآه عذاب غليظ واعلم ان قوله
وبرزوا لله فرتب عليه قوله ثم يقول الذين هم للذين استكبروا
البواطن تظهر في ذلك اليوم والاحوال التي كانوا منه تتكشف فان كانوا
من السعداء برزوا للحاكم الحكم بصفاتهم القدسية واحوالهم العلوية ووجوههم
المشرقة وارواحهم الصافية المستقرة تتجلى لها انوار الجلال ويعلم بها
اشراق عالم القدس فاحل تلك الاحوال وان كانوا من الاشقياء برزوا للموقف
الفظيع وبادين الكبرياء والملك مقهورين خاضعين خاشعين واقعين في
حيرة الجهل وحملة الفضيحة وموقف الاهانة والفزع نعوذ بالله تعالى
منها ثم حكى الله تعالى عن الضعفاء انهم يقولون للرؤساء هل تغنون عنا من
عذاب الله من شيء والمعنى انا اتباعكم لهذا اليوم تحملنا ان الرؤساء
يعرفون بالعجز والحيرة والزلل وقال سواء علينا اجزعنا ام صبرنا

الله تعالى لما ذكر انواع حدايعهم في هذه الايه ان اعمالهم ماسرها فهي ضايعة باطلة لا ينتفعون بشئ منها وعند هذا يقطع قال حسن انهم لانهم لم يحدوا في القيامه الا العقاب الشديد وكل عاقل في الدنيا وجدوه ضايعا باطلا وذلك هو الخسران المبين ٥ وفي الايه مسايل

المسئله الاولى في الانتقام قوله مثل الذين كفروا قال سيبويه العقد بن فما تلى عليكم مثل الذين كفروا يوم ومثل الذين كفروا فيما تلى عليكم كرر اد حمله مشابهته على تعرض سؤال سايل يقول كيف مثل اعمالهم كرماد الثاني قال الفراء التقدير مثل اعمال الذين كفروا فحذف للضاف اعتمادا على ذكر هو بعد للضاف الله وهو قوله اعمالهم ومثله الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى اي خلق كل شي وكذا قوله ويقيمون الصلوة ثم قال الذين كذبوا على البدل منهم مسودة للعنى وجوه الذين كذبوا على البدل من الذين كذبوا السدير صفته الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفته زيد عرض مصون وماله مبتدول الخامس ان يكون لاعمالهم بدلا من قوله مثل الذين كفروا والبعد من مثل اعمالهم وقوله كرماد وهو الخبر السادس ان يكون للمثل صلة وتقدير الذين كفروا اعمالهم ٥ **المسئله** الثانيه اعلم ان وجه للشابهه بين هذا للثل وبين هذه الاعمال وهي ان الريح العاصفه تطير الرماد وتفرقه بحيث لا يبقى لذلك الرماد اثر ولا عين فكذلك هذه الاعمال لما بطلت لم يبق من ذلك الاعمال معها خير ولا اثر فر اختلفوا في للراد بهذه الاعمال على وجوه الاول ان للراد منها ما عملوه من اعمال البر كالصدقه وصله الرحم وبر الوالدين واطعام الجايع وذلك لانها تصير محبطة ضايعة باطلة بسبب كفرهم بالله والوجه في خسرانهم صيرورتها

محبطة

محبطة باطلة بسبب كفرهم بالله ولو لا كفرهم لاستوجبوا بها الثواب الثاني ان للراد من تلك الاعمال عبادتهم الاصنام وما اكتسبوا من كفرهم للذي يخدونه امامًا وطريقهم الى الخلاص والوجه في خسرانهم التعبوا ابدًا ثم في هذا الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالًا عليهم والقول الثالث ان للراد من هذه الاعمال كل القسمين لانهم اذا اردوا الاعمال للوجبة للثواب في انفسها حبوطًا قد تطلب والاعمال التي طنوها حسنة اذا وافوا فيها بالاعمال للوجبة قد بطلت ايضًا صار قد اعظم للوجبات لعذابهم فلا شك ان تعظم حسرتهم وندامتهم فلذلك قال تعالى ذلك هو الضلال البعيد ٥ **المسئله** الرابعه قال الزجاج في يوم عاصف جعل العاصف اليوم وهو لما فيه وهو الريح والريح كقولهم يوم ماطر وليله ساكنه وانما السكون من نعتها قال الفراء ان شئت قلت في يوم ذي عصوف وان شئت قلت في يوم تعصف فيه الريح للوجه الذي ذكرنا قبل ذلك وقرئ في يوم عاصف بالاضافه ٥ **المسئله** الرابعه ٥ قوله تعالى لا يقدرون مما كسبوا على شي في الدنيا ولا في الاخرى لانه ضاع بالكليه وفسد فهذا الايه دالة على ان العبد مكتسبًا لافعاله واعلم ان الله تعالى لما ذكر هذا للثال قال الرتر ان الله خلق السموات والارض بالحق وفيه مسايل ٥ **المسئله** الاولى في وجه النظم انه تعالى لما بين ان اعمالهم تصير باطله ضايعه بين ان ذلك البطلان لا لاحباط ولا لعراضهم عن عبوديته ٥ **المسئله** الثانيه قرأ حمزة والكسائي خالق السموات والارض على اسم الفاعل على انه خبر ان والسموات والارض على الاضافه كقوله فاطر السموات والارض فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا بل قرئ خلق على فعل والسموات والارض بالنصب مفعول ٥ **المسئله** الثالثه قوله تعالى

لفظ الوراء على القدام ومنه قوله تعالى وكان من ورائهم ملك يأخذ
كل سفينة غصبا اى قدامهم قال الاسارى وراء معنى بعد ٥

قال الشاعر

ولبس ورا الله للمرء مذهب

اذا انت قد اسعول الله تعالى حكم ملئه ملخيه ثم قال ثم من وراء
جهنم اى من بعد هذه الخمسه تدخل جميع النوع الثاني ٥
بما ذكر الله تعالى من احوال الكافر قوله تعالى ويسقى من ماء صديد
يتجرعه ولا يكاد يسيغه وفيه سؤالات السؤال
الاول علام عطف وسقى الجواب على محذوف تقديره من
وراءه جهنم يلقى فيها ويسقى من ماء صديد ٥ السؤال الثاني
عذاب اهل النار من وجوه كثيرة فلم خص هذه الحاله بالذكر الجواب
عنه ان يكون هذه الحاله اشد انواع العذاب فخصص بالذكر من قوله
وما هو الموت من كل مكان وما هو بميت السؤال الثالث
ما وجه قوله من ماء صديد الجواب انه عطف بيان والتقدير انه
لما قال ويسقى من ماء فكانه قيل وما ذلك الماء فقال صديد يعنى الصديد
ما يسيل من جلود اهل النار وقيل الغدر ويسقى من ماء كالصديد
وذلك بان يخلق الله تعالى في جهنم بحيث يصير في النتن والغلظه
والحراره وهو ايضا في نفسه بحيث لو وقعت قطرة منه على وجه الارض
لتاذى به وهو كقوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وان يستغيثوا يغاثوا
بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب السؤال الرابع
ما معنى قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الجواب التجرع
تناول المشروب جرعه جرعه على الاستمرار وتقال ساع الشراب
في الحلق يسوغ سوغا واساغه الله اعلم واعلم ان يكاد فيه وجهان

(اجرى)

احدهما ان نفعه اسلاف واتباعه نفى فعله ولا يجاز يبيغه ليس مبعد اثبات
العرب يقول ما اكرف اقوم اى قمت بعد اما قال الله تعالى وما نحو هادوا وما
كادوا يفعلون يعنى فعلوا بعد والدليل على حصول الاساغه
بعد ان نفى المقاربه انه لا يجوز ان يقول يصفر به ما في بطونهم ولا يحصل الصفر الا بعد الاساغه وايضا قال
في موضع اخر تتفجر منه فدل على انه اساغه التي بعد التفجر وكيف يصح ان يقال
بعد انه لا يسيغه البته والقول الثاني ان يكاد للمقاربه يعنى لا يكاد للنفي
المقاربه يعنى ولم يقارب ان يسيغه فكيف يحصل الاساغه كقول يعالى
لم يكد يراها اى لم يقرب من رويتها فكيف يراها فان قيل فقد ذكر
ثم الدليل على حصول الاساغه فكيف يجمع بينه وبين هذه الرحمه قلنا
عنه جوابان احدهما ان النفي لا يقتضي جميع ما نفاه كانه يتجرع الغصص وما
اساغ الجميع والثاني ان الدليل الذي ذكرتم انما دل على وصول بعض
ذلك الشراب في الحلق بسهوله الغصص واستطابه للمشروب ولا يشهد
شيء اما مره واحده وعلى هذين الوجهين يصح حمل يكاد على نفي المقاربه
النوع الثاني مما ذكره الله تعالى في وعيد الكافر قوله
تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت والمعنى ان
موجبات الموت لحاصله فيه من جميع الجهات ومع ذلك فانه لا
يموت وقيل من كل شعره من شعراته النوع الرابع
قوله تعالى ومن ورائه عذاب غليظ وفيه وجهان الاول ان
المراد من العذاب الغليظ كونه دائما غير منقطع التالي الذي
كلما وقفت بعضلة تتلقى عذاب شديد ٥ قوله تعالى الفضيل هو
قطع الاتصال وحبسها في الاجسام ٥ قوله تعالى
مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ٥ اعلم

والتعوذ ثم قال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وفيه
مسائل ○ المسئلة الاولى الاستفتاح هاهنا يحتمل
احدها طلب الفتح بالنصر كقوله واستفتحوا اى يا ايها الله على اعدائهم
وهو كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح والثانى الفتح الحكم والقضاء
كقوله واستفتحوا اى واستحكموا الله وسألوه القضاء منهم وهو مأخوذ
من الفتاحة وهى الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اذا عرفت
هذا فنقول على القول الاول ذكر المفسرون اما الاول فالمستفتحون
هم الرسل وذلك لانهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما يئسوا
من ايمانهم قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا وقال موسى ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وقال لوط
انصرنى على القوم المفسدين واما على القول الثانى وهو
طلب الحكومة والقضاء فعلى وجهين الاول ان يكون المستفتحون هم الامم
وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وكقول الاحمق اما بعذاب الله
ان كنت من الصادقين ○ المسئلة الثانية قال
صاحب الكشاف قوله واستفتحوا ملغط الامر معطوف على قوله
اوحى الهم وقرئ واستفتحوا بلغط الامر او عطف على قوله لنهلكن
اراد وحى الهم ربهم وقال لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب
كل جبار عنيد وفيه مسائل ○ المسئلة الاولى
ان قلنا المستفتحون هم الرسل كان للعقلاء ان الرسل كانوا
استفتحوا افطروا وظفروا والمقصود هم فازوا وخاب كل جبار عنيد
منهم وان قلنا بسبب استفتاحه على الرسل ○ المسئلة

الثانية

الجبار هاهنا المتكبر على طاعة الله وعبادته ومنه قولهم
ولم يكن جبارا عصيا فقال حسريه وحسرون وجبروت وحكى الزجاج
الحسريه والحسرية بكسر الجيم والباء والحسران والحسر قال الواحدى
فهذه تسع لغات لمصدر الجبار وفى الحديث ان امراة حبرت النبى صلى الله
عليه وسلم بامرها فابت فقال دعوها فانها حبارة اى متكبرة
واما العنيد فقال اهل اللغة فى اشتقاقه قال البصريون اصله العنود
الخلاف والمباعدة والترك وقال بعضهم اصله من العند وهو الناحية
تقول هو منى عندا اى ناحية يعنى عادة وصار اخذا فى ناحية معرضا
وعاند فلان فلانا اذا حاد عنه فكان منه اذا عرفت هذا فنقول
كونه جبارا متكبرا اشارة الى الخلق الفعلى فى حق الله وكونه عنيدا اشارة
الى الامر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه معاندا عن الحق معرضا عنه
ولا شك ان الانسان الذى يكون خلقه هو التجبر والتكبر وفعله هو العنود
وهو الاعراض عن الحق والصدق كان بعيدا عن الخير والسعادة عاريا عن اقسام
جميع السعادات واعلم انه تعالى لما حكم عليه بالحسه ووصفه
بكونه جبارا عنيدا وصف كيفية عذابه بامور الاول قوله
من ورائه جهنم وفيه اشكال وهو ان المراد اما منهم فكيف يطلق
لفظ الوراء على القدام والجواب عنه من وجوه الاول ان لفظ
وراء اسم لما يوارى عنه والقدام والخلف سواء عند صحة اطلاق لفظ الورا
على كل واحد منهما ○ قال الشاعر ○
حتى الكرى الذى لمست فيكون وراه فرج فرب
ويقال ايضا للوقود اكل احد الثانى قال ابو عبيدة وانشد
السكيت الوراء من الاضداد يقع على الخلف والقدام والسبب فيه ان
كل ما كان خلفا فانه يحسن ان يسلك قداما وبالعكس فلا جرم جاز فيه

ان اهل الحق في كل زمان يكونون قليلا واهل الباطل يكون كثيرا
والظلمة والفسقة يكونون متعاونين فلهذا السبب قدروا على هذه
السفاهة فان قيل فهذا يوهم انهم كانوا على ملتهم من اول الامر
حتى يعودوا فيها قلنا الجواب من وجوه الاول ان اولئك الانبياء
انما نشاوا في تلك البلاد وكانوا من تلك القبائل وفي اول الامر ما اظهروا
المخالفة مع اولئك الكفار بل كانوا في ظاهر الامر معهم من غير
اظهار مخالفة والتقدير فما لنا لا نعود في ملتكم بهذا السبب انهم كانوا في اول الامر
على دينهم فلهذا السبب قالوا اولتعودن في ملتنا الوجه الثاني
ان هذا حكاية كلام اهل الكفر ولا يجب في كل ما قالوه ان يكونوا صادقين
فيه بل لعلهم توهموا امرهم ذلك مع انه ما كان الامر على ما توهموه الثالث
لعل الخطاب وان كان مع الرسل الا ان المقصود من هذا
الخطاب اتباعهم واصحابهم ولا بأس ان يقال انهم كانوا في ذلك
الوقت على دين اولئك الكفار الرابع قال صاحب
الكشاف العود بمعنى الصيرورة في كلام العرب الخامس
لعل اولئك الانبياء كانوا قبل ادعاء النبوة على ملة من الملل ثم انه ادعى البعض
نسخ تلك الملة بشرعه اخرى ونفى الاقوال على ملل الشرائع التي
صلوات منسوخة مصرين على سبيل الكفر وعلى هذا التقدير لا بعد
ان يطلبوا من الانبياء ان يعودوا الى ملل اولئك السادس لا بعد
ان يكون المعنى اولتعودن في ملتنا اي ما كنتم عليه قبل ادعاء الرسالة
من السكوت عن معايبنا وعدم التعرض لنا بالطعن عليه والقدح
فيه وعلى جميع هذه الوجوه فالسؤال باطل والله اعلم واعلم
ان الكفار لما ذكروا هذا الكلام قال تعالى فاوحى اليهم ربهم
لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم قال صاحب

الكشاف

الكشاف لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي لفظ القول او غير الايحاء
مجرى القول لانه ضرب منه وقيل معناه ليهلكن الظالمين ولنسكننكم
لاجلهم فان الوحي فان هذا اللفظ لفظ الغيبة والمراد بالارض ارض الظالمين
وتطبيق قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من اذى جاره ورثه الله داره واعلم ان هذه الاية تدل على
ان من توكل على الله في دفع عدوه كفاه الله امر عدوه ثم قال تعالى
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد وقوله ذلك اشارة الى ما نصر الله
تعالى عنه عليه من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين وبيان ان ذلك الامر
كان لمن خاف مقامي وفي قوله مقامي وجوه الاول انه موقفي وهو
موقف الحساب لان ذلك الموقف هو موقف الله الذي يقف فيه عباده
يوم القيامة وتطبيق قوله واما من خاف مقام ربه وقوله ولمن خاف
مقام ربه جنتان الثاني ان المقام مصدر كالقيام يقال قام
قياما ومقاما قال الفراء ذلك لمن خاف قيامي اي اياما على العدل
لا اميل عنه ولا اعرف الرابع ذلك لمن خاف مقامي اي مقام
العبد عندي وهو على اضافة المصدر الى المفعول الخامس
ذلك لمن خاف مقامي اي لمن خافني وذكر المقام هاهنا مثل ما يقال
سلام الله على المجلس العالي والمراد سلام الله على فلان فكذا هاهنا
وقال تعالى وخاف وعيد قال الواحدي اسم من اوعد ايعاد
وهو التهديد قال ابن عباس خاف ما اوعدته من العذاب واعلم
انه تعالى ذكر اولا ذلك لمن خاف مقامي ثم عطف عليه قوله وخاف وعيد
وهذا يقتضي ان يكون الخوف من الله مغايرا للخوف من وعيد الله وتطبيق ان
مجيد الله مغاير لحبه ثواب الله وهذا مقام شريف عال في اسرار الحكمة

والفائدة فيه أنهم امروا انفسهم بالتوكل على الله في قولهم وما لنا الا نتوكل
على الله ثم لما فوضوا امر انفسهم امروا اسماعهم بذلك فقالوا وعلى
الله فليتوكل المتوكلون وذلك يدل على ان الامر بالخير لا يوثر
قوله الا اذا اتى بذلك الخير ولا وجه في كلام الشيخ العزالي
فصلا حسنا وحاصله ان الانسان اما ان يكون ناقصا او كاملا او كان
خاليا عن الوصفين اما الناقص فاما ان يكون ناقصا في ذاته ولكنه
لا يسعى في تنقيص كمال الغير واما ان يكون ناقصا ويكون مع ذلك
مسعيا في تنقيص كمال الغير فالاول هو الضال والثاني هو الضال
المضل واما الكامل فاما ان يكون كاملا لا يقدر على كمال الغير
وهو الاولياء او يكون كاملا ويقدر على تكميل الناقصين وهم
الانبياء وكذلك قال صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل
ولما كانت مراتب النقصان والكمال ومراتب الاكمال والاضلال
غير متناهية بحسب الامكنة والاشخاص كانت مراتب الولاية
والنبوة بحسب الكمال والنقصان فالولي هو الانسان الكامل
المكمل وقد تكون قوته الروحانية النفسانية واعضاؤه تتكمل
ما فيه نقص وقد تكون اقوى من ذلك بحيث يسعى في تكميل غيره وما به
وقد تكون تلك القوى قاهرة قوية بحيث يسخر السبع في الطعام ويقلب
ارواح اكثر اهل العالم من مقام الجهل الى مقام المعرفة ومن طلب
الدنيا الى طلب الاخرى وذلك مثل ارواح محمد صلى الله عليه وسلم
فان قيل المهور للعلم وكان فيهم من اليهود والنصارى
كانوا مشبهة ومن النصارى وهم طويلة ومن المجوس وقبح معتقداتهم
ظاهرة ومن عبدة الاوثان وخشف دينهم الظاهر من ان يحتاج
الى بيان فلما ظهرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم سرت قوة روحانيته

في

في الارواح فنقلت اكثر العالم من الشرك الى التوحيد ومن التجسيم الى
التنزيه ومن الاستغراق في طلب الدنيا الى التوجه الى عالم الاخرة
فمن هذا المعلوم مكتسب للانسان مقام النبوة والرسالة اذا عرفت هذا
فنقول قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقد ذكرنا سبعة اقسام
الى ما كان اسلام كل واحد انفسهم وقولهم في اخر وعلى الله فليتوكل
للمتوكلون اشارة الى باقي ارواحهم الكاملة في تكميل الارواح
الناقصة فهذا اشارة اليه مختزنة في الفاظ القرآن فمن يعلم في علم
القرآن وكان عالما منهما كان محرما من اسرار علوم الوحي وفي الآية
رحمة اخرى وهو قوله وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى
الله فليتوكل المؤمنون المراد منه الذين يطلبون من الله المعجزات
وجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على الله فان شاء اظهرها وان شاء
لم يظهرها واما قوله في اخر الآية ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله
المراد منه الامر بالتوكل على الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم
وعلى هذا التقدير فالتكرير غير اصلا لان قوله وعلى الله فليتوكل
ورد في موضعين مختلفين بحسب مقصودين متغايرين وقيل انما الاول
ذكر لاستحلات التوكل والثاني السعي في ازالته وازالته ۝

قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين
ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ۝ اعلم انه تعالى لما حكى
عن الانبياء عليهم السلام انهم اكتفوا في دفع شرور اعدائهم بالتوكل
على الله والاعتماد على حفظه وحياطته حكى عن الكفار انهم بالغوا
في السفاهة وقالوا لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ديننا والسبب فيه

علويته قدسيته فانه لامتسع عقلا حصول صفه البنوه واما
الظاهريه من اهل السنه والجماعه زعموا ان حصول البنوه
عطيه من الله يهبها لمن يشاء من عباده ولا تتوقف حصولها
على امتثال ذلك الانسان عن سائر الناس مزيد اشراف
نفساني وقرب قدسيه وهاولاي مسكوا بقوله الاله فان الله
تعالى من ان حصول الشيء ليس الا مجرد المنه من الله تعالى
والعطيه منه والكلام في هذا الباب على مصنوع عام مشهور
والاولون اجابوا عنه بانهم لم يريدوا فضلا بل مجرد النفضل بنعمه
والحسن بواصفا منهم وامر وا على قولهم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده والبنوه لانه قد علم ان الله تعالى
لاحصهم تلك الكرامه الا من صنعوه من فضايل النبي
لاجلها استوجبوا ذلك التخصيص كما قال تعالى الله
اعلم حيث يجعل رسالاته واما الشبهه الثانيه وهي
قولهم اطلاق السلف على ذلك الدين يدل على قوته حقا لانه
سعد ان يظهر للرجل الواحد ما لم يظهر للخلق الكثير فجوابه
عن الجواب المذكور ان الفرق بين الحق والباطل والصدق
والكذب عطيه من الله وفضل منه ولا سعد ان يحصل
بعض سعد بهذه العطيه وتحروم الجمع العظيم منها واما
الشبهه الثالثه وهي قولهم انا لا نرضى بهذا الجواب
الذي ابديتموه وانما نريد معجزات قاهره موثره فالجواب عنها
قوله تعالى وما كان لنا ان ياتيكم بسلطان الا باذن الله وشرح
هذا الجواب بان المعجزات التي حسبتموها وتمسكتم بها اجنحه فاطعه
وبينه قاهره قويه ودليل قائم فاما الاشياء التي طلبتموها فهي امور

زائده

زائد

والله تعالى فان خلقها واظهرها فله الفضل وان لم يفعلها
فله العدل ولا حكم بعد ظهور قدر الكفايه ثم انه تعالى حكى
عن الانبياء والرسل عليهم السلام انهم قالوا معذلك وعلى الله فليتوكل
المتوكلون والظاهر ان الامم لما اجابوا عن شبهاتهم بذلك الجواب
قالوا لهم لجوا في السفاهه والتعويق والرعيد فعند ذلك قالت
الانبياء عليهم السلام لا خاف من تخويفكم ولا ملتفت الى تهديدكم فان
توكلنا على الله واعتمادنا على فضل الله ولعله سبحانه كان قد اوحى اليهم
ان اولئك الكفار لا يقدرون على ايصال الشر والاذى اليهم الا بقدر
فان لم يكن حصل هذا الوحي الا ان ارواحهم كانت مشرقه بالمعارف
الالهيه مشرقه بانوار جلال الغنيمه والفتح متبرئه عن صفات موصوفه
بهذه الصفات خلاصه في الاحوال الجسمانيه ولا يتم لها وزن في حال
السراء والضراء وقطعوا الطماع عن كل ما سوى الله وآثاري دال على
ان المراد ما ذكرناه قوله حكايه عنهم وما لنا الا نتوكل على الله وقد
هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا يعني انه تعالى لما احسنا بعد
الدرجات الروحانيه والمعارف الربانيه يكيف بنا الا نتوكل على الله
بل اللائق بنا الا نتوكل الا عليه ولا نعول الا عليه فان من فاز بشرف العبوديه
ووصل الى مقام الاخلاص والكاسفه يشبع به ان يعول في امر من الامور
الى غير الحق سواء كان ملكا او ملكا او
اله والله على الله تعالى بفضله واياه المخلصين من كيد شياطين الانس
ومكرهم ثم قال ولنصبرن على ما اذيتمونا فان الصبر مفتاح الفرج
ومطلع الخيرات قد الحق لا بد وان ينصر قاهرا غالبا والباطل لا بد وان
يصير مقهورا مغلوبا ثم اعاد ما قاله وعلى الله فليتوكل المتوكلون

وهو ما عدا الكفر وهو ايضا من الذنوب واذا استثناه تعالى
بعض الكبائر والكفار من عمر يوبه من شرط ان يأتي بالايمان
فان تحصل هذه الحال للمؤمن كان اولى هذا ما خطر بالبال
على مسئل الارتحال والله اعلم بحقيقة الحال ۞ النوع
الثاني ما دعا الله تعالى لعبده قوله تعالى ويؤخركم الى
اجل مسمى وفيه وجهان الاول انكم ان اتيتم اجل الله من تكم
الى الاجل المسمى والاعاد لكم بعذاب الاستيصال الثاني
قال من عاش من المعنى متعكم في الدنيا بالذات والطيبات
الى الموت وان قبل هذا هنا وتؤخركم الى اجل مسمى ثم حكى الله تعالى
ان الرسل لما حكوا هذه الاشياء الى الملك للكفار ما لوا ان انتم
الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان
مبين واعلم ان هذا الكلام مشتمل على بقية انواع من الشبهة
فالشبهة الاولى ان الاغراض الانسانية متشابهة في تمام
الماهية فمتى ان سلم الصادق من ذلك الاشتراك الى هذا
الحد وهو ان يقول الواحد منهم رسول من الله مطلعا على الغيب
مخالطا للناس للملائكة والمنازعة فلون من كل هذه الاحوال
وايضا كانوا يقولون ان كنت قد فارقتنا في هذه الامور العالية
الشريفة الالهية وحصلت ان تفارقنا في الاحوال الخسيسة
وهي الحاجة الى الاكل والشرب والحدث والوقاع وهذه
الشبهة هي التي مراده من قوله ان انتم الا بشر مثلنا والشبهة
الثالثة التمسك بطريقة التقليد وهي انهم وجدوا اباهم وعلماءهم
متفقين مطبقين على عبادة الاوثان فالوا ويعد ان يدل الدليل
العقل على كونهم وقوع خاطرهم لم يعرفوا بطلان هذا الدين وان الدليل

الواحد

الواحد يعرف فساده ووقف على بطلانه والعوام ربما زاد في
هذا الباب كلاما الجود ذلك ان الرجل العالم اذا سئل له صعف
كلام المتقدمين فالواله ان كلامك انما نظن صحته لو كان للمتقدمين
حاصل من قولنا الناظر مع الميت فسهله هذا كله بقوله الحمقا
والرعاع واسلك الكفار ايضا ذكروا هذه الشبهة هي المراد
من قوله تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا والشبهة
الثالثة ان قالوا المعجز لا دل على الصدق لان الذي جاء به اولئك
الرسل طعنوا فيه وزعموا انها امور معتادة وانها ليست من باب
المعجزات الخارجة عن قوى البشر الى هذا النوع من الشبهة الاشارة
بقوله فاتونا بسلطان مبين فهذا يحسب الوسع
والله اعلم ۞ قوله تعالى قالت لهم رسلهم ان
نحن الا بشر مثلكم ولكن الله من على من يشاء من عباده وما كان لنا
ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون ومالنا
الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى
الله فليتوكل المتوكلون ۞ اعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار
شبهاتهم في الطعن في النبوة حكى عن الانبياء عليهم السلام جوابهم
عنها اما الشبهة الاولى وهي قوله ان انتم الا بشر مثلنا
فجوابه ان الانسان لو سلم ان الامر كذلك لكنه يجوز ان الله
خص في البشرية والانسانية لانفع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة
لان هذا المنصب منصب من الله تعالى به على من يشاء من عباده
واذا كان الامر كذلك فقد سقطت هذه الشبهة واعلم ان هذا
المقام مقام فيه بحث شريف وهو ان هذه الشبهة من حكى الاسلام
قالوا الانسان ما يكون في نفسه وبدنه محسوسا الخاص شريفة

صاحب الكشاف لو قال فما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم
ثم اجاب فقال ما حاصله كما الاني خطاب الكفار كقوله
وانفقوا وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم وما هو منا احسنوا داعي الله
واسوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم يغفر لكم ذنوبكم قال ولا يستقيم ذلك على ما ذكرناه
ثم قال وكان ذلك للتعريف بان الخطاب مع قوم لا يستوي فيهم
العرفان في للسعادة وضدها الذي به يفرق بعضهم وبين الله تعالى
ما بينهم وبين الجاحد هذا كلام هذا الرجل وقال الواحدي في
البسيط قال ابو عبيدة من زائدة والمعنى يغفر ذنوبكم
في واذا قلنا انه ليست زائدة فمعناها وجهان احدهما انه ذكر
البعض هاهنا واريد الجميع توسعا والثاني ان من ههنا للبدل
والمعنى ليكون الغفران بعض البدل من البيعة وقال القاضي
ذكر الاصم ان كلمة من ههنا للتبعيض والمعنى انكم اذا اتيتم ببعض
تلك الذنوب التي هي من الكبائر وأما التي تكون من باب الصغائر
فلا حاجة الى عفوها لانها في انفسها مغفورة قال القاضي
وهذا بعيد في هذا الباب لان الكفار صغائرهم ذكبائرهم في
انها لا تعفى الا بالتوبة انما تكون الصغيرة مغفورة من المؤمنين
من حيث يريد تواضعهم على ما بهم فاما من لا ثواب لهم له اصلا فلا
يكون شيء من ذنوبه صغيرة ولا يكون شيئا مغفورا ثم قال
وفيه وجوه اخر وهو ان الكافر يريد شيء بعض ذنوبه في حال
توبته ولعله فلا تكون المغفرة الا لما ذكر وتاب منه فهذا جملة
الاقوال في هذه الكلمة ○ المسئلة الرابعة
هذه الاية تدل على انه تعالى يغفر الذنب من غير توبة في حق الامان

والدليل

والدليل عليه انه قال يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم وقد يغفران
الذنوب مطلقا من غير اشتراط التوبة فوجب ان يغفر بعض الذنوب
مطلقا من غير التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد
الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في
الايمان فوجب ان يكون البعض الذي يغفر من غير التوبة ما عدا
الكفر من الذنوب فلم قلت لا نحمل لفظ الكل من صله على ما قاله
ابو عبيدة او نقول المراد من البعض هاهنا الكل على ما قاله الواحدي
او نقول المراد منه تبعيض المؤمن عن الكافر في الخطاب على ما قاله
صاحب الكشاف او نقول المراد منه تخصيص هذا الغفران
بالكبائر على ما قاله الاصم او نقول المراد منه الذنوب التي يذكرها
الكفار عند الدخول في الايمان على ما قاله القاضي والجواب
هذه الوجوه تاسرها ضعيفة اما قوله انها اصلا بمعناه الحكم على كل
من كلام الله ما فعلت صانع قاسر والعاقل لا يعزله المصير اليه
من غير ضرورة واما قول الواحدي المراد من كلمة من ههنا الكل
فهو عين ما قاله ابو عبيدة لان حاصله ان قوله يغفر لكم من ذنوبكم
هو انه يغفر لكم ذنوبكم وهذا عين ما نقله عن ابي عبيدة وحكى عن
سيبويه انكاره واما قوله للمراد منه ابتداء الغاية فليس في اللغة ان كلمة من بعد الامر لذلك واما قول صاحب الكشاف
المراد تمييز خطاب المؤمن من خطاب الكافر فهو من باب الطامات
لان هذا التبعيض ان حصل فلا حاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم
يحصل كان هذا الكلام فاسدا واما قوله الاصم فقد سبق
بطلانه واما قول القاضي فجوابه ان جميع ما ذكروه في الباب ولئن
ضعيف ساقط بل المراد ما ذكرنا انه تعالى يغفر ذنوبه من غير توبة

كان اولى واما دلالتها على وجود التكليف فان ذلك المعنى يناديك
ويصيح ويقول لمن ضربني ذلك الضارب وهذا دليل على ان فطرته
سهلة بان الافعال الانسانية داخلة تحت الامر والنهي
ومندرجة تحت التكليف وان الانسان ما خلق حتى يفعل اي شئ
اشتهى واما دلالتها على وجود دار الجزا وهو ان ذلك المعنى يطلب
الجزا على تلك الخدمة وما دام يمكنه طلب ذلك الجزا فانه لا
يتركه فلما شهدت الفطر الاصلية بوجوب الجزا على ذلك
الفعل الجليل فبان تشهد على وجوب الجزا على جميع الانعام التي
كان اولى واما دلالتها على وجود البعثة فانهم يحتاجون
الى انسان يبين لهم ان العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية
كم هي ولا معنى للنبي الا الانسان الذي يعرفه هذه الاحكام
هذه الامور وسيرهده الاحكام فبعث بان فطر العقل حاكم
بان الانسان لابد له من هذه الامور الاربعة **الوجه**
الثاني في المسئلة على ان الاقرار بوجود الصانع بديهي هو ان
الفطر شاهدة بان حدوث دار بنفس من النفوس النجيبة
مبني على اركان التكليف الموافقة للحكمة يستحيل الامر بها
عالم ربالي حكيم ومعلوم ان ابدار الحكمة في العالم العلوي والسفلي
اكثر من الحكمة في تلك الدار المختصرة فلما شهدت الفطر الاصلية
بافتقار النقص الى الكمال والبنا الى البناء وان يشهدها بافتقار
كل هذا العالم الى الفاعل المختار الحكيم كان اولى **الوجه**
الثالث ان الانسان اذا وقع في محنة شديدة فوقه ولا يبقى له
في طبعه رجا المعاونة من احد فكانه بالاصل خلقته ومقتضى جبلته

ينقرع الى من تخلصه منها وتخرجه من غمراتها وحيا بالمعاد وما
ذلك الا بشهادة الفطر بالافتقار الى الصانع المدبر ۞
الوجه الرابع ان للوجود اما ان يكون غنيا عن الموثر
اولا يكون فان كان غنيا عن الموثر فهو الموجود الواجب لذاته
لانه لا معنى للواجب لذاته الا الموجود الذي لا يحتاج به الى غيره
فان لم يكن غنيا عن الموثر فهو ممكن محتاج والمحتاج لا بد له من الحاجة اليه
وذلك هو الصانع المختار ۞ **الوجه** الخامس الاعتراف
بوجود المختار المحال للمكلف بوجود المعاد احوط فوجب المصير اليه
فنقول من ابتلي بعبد او امة ان الاقرار بوجود الصانع احوط لانه
لو لم يكن موجود فلا ضرر بالاقرار بوجوده وان كان موجودا فقد انكان
اعظم للمضار وقاسمها الاقرار بكونه قادرا لانه لو كان
موجودا فلا ضرر في الاقرار بكونه محدثا اما لو كان محدثا فقد انكان
كونه محدثا اعظم المضار وقاسمها الاقرار بانه كلف عباده لانه
لو لم يكلف احدا من عبيده شيئا فلا ضرر في اعتقاد انه كلف العباد
اما انه لو كلف فقد انكار التكاليف اعظم المضار ورابعها
الاقرار بوجود المعاد فانه ان كان الحق انه لا معاد فلا ضرر في
الاقرار بوجوده لانه لا فوت الا احد اللذات الحسية وهي ان
كان الحق هو وجود المعاد فقد انكاره اعظم المضار فظهر ان
الاقرار بهذه المعارف احوط فوجب المصير اليه لانه يهدي العقل
الى حكمه بانه يجب دفع الضرر عن النفس بقدر الامكان والله اعلم ۞
المسئلة الثانية لما اقام الدلالة على وجود الاله
بدليل كونه قادرا على الاعراض وصفه بكمال الرحمة والكرم
والجود ومن ذلك من وجهين الاول قوله يدعوكم ليغفر لكم قال

وتقول العرب كلمت فلانا فردد في فيه اذا سكت عنه فلم يجب ثم
انه زمن هذا الوجه وقال انهم وان احابوا بالتكذيب لانهم والوا
اما ما ان يسلم به كما فرون والا كذبوا الانسا فقد عرضوا لذلك النعيم
للازاله فقوله ردوا ايديهم في افواههم اي ردوا نعم الله عن انفسهم
بالكلام الذي صدق عن افواههم ولا في على معنى الكلام وحروف
الجر تقع احداها مقام البعض النوع الثاني من
الاشيا التي حكاها الله تعالى عن الكفار قوله
انا كفرنا بما ارسلتم به وللعني انا كفرنا بما زعتم ان الله ارسلكم به
لانهم ما امروا بانهم ارسلوا واعلم ان للرسله الاولى هو انهم سكتوا
عن سوء قول الاسلافهم السلام وجادلوا امكان الانبيا عليهم
السلام عن ذلك الدعوى وهل للرتبه الثانيه انهم صرحوا
بانهم كافرون بذلك النعمان النوع الثالث قولهم وانا لفي
شك مما تدعونا اليه مريب قال صاحب الكشاف وقوى
ما يدعونا اليه ما دعاهم النون من موقع في الريبه اورى ريبه
من الدابه والريبه قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر فان قيل
لملا قالوا في الرسله الثانيه انهم كافرون بما ارسلتم كيف ذكروا بعد ذلك
انهم متاكون مرتابون في صحه قولهم قلنا كانهم قالوا اما
ان تكونوا كاذبين في رسالتكم وان لم تدع الحرم واليقين كلا قال
من ان تكون ساكنا مرتابا في صحه بنوتكم وعلى هذا التقدير فلا
سبيل الى الاحتراز بيقينكم والله اعلم ه قوله
تعالى ه قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض
يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر
مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين ه

واعلم

واعلم ان اوائل الكفار لما قالوا للرسل وانا لفي شك مما
ارسلتم به قال الرسل افي الله شك وفي كونه فاطر السموات والارض وفاطرنا
لانشك ولن واجبا وارزاقنا وجميع مصالحنا وانما ادعوكم الى عبادة
هذا الاله ولا اطلبكم الا من عبادته غيره وهذه المعاني شواهد صريحة العقل
بصحتها فكيف قلتم وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب وهذا النظم في
غاية الحسن وفي الآية مسايل المسئلة الاولى
قوله افي الله شك استفهام على سبيل الانكار وانما ذكر هذا للعنى اردفه
بالدليل الدال على وجود الصانع المختار وهو قوله فاطر السموات والارض
وقد ذكرنا في هذا الكتاب ان وجود السموات والارض كيف
يدل على احتياجه الى الصانع الحكيم مرارا واطوارا فلا نعيدها هنا
المسئلة الثانيه قال صاحب الكشاف ادخلت هذا
الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في ان وجود
الله لا يحتمل الشك واقوى من الناس من ذهب الى ان قبل
الحروف على الله الدقيقه فالفطره شاهده بوجود الصانع
المختار وذلك على ان الفطره الاوليه شاهده بذلك وهو الاول
قال بعض العقلاء ان من نظر على وجه صحيح لطلب فتلك الفطره تدل
على وجود الصانع المختار وعلى وجود التكليف وعلى وجود دار الجزا
وعلى وجود النبي عليه السلام لانها على وجود الصانع فان العاقل
اذا وقعت الفطره على وجهه صحيح وبقول من الذي ضرني وما ادراك
الان وظرفه شاهد بصريه تدل على ان الفطره لما حدثت بعد
عدمها وجب ان يكون حدوثها لاجل فاعل مختار فعلها وادخلها
في الوجود فلما شهدت الفطره للاصليه ما افتقار ذلك الحادث مع
جلته وحاجته الى الفاعل وبان تشهد جميع حوادث العالم الى الفاعل

الذين تقدم ذكرهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات والمعجزات أتوا
بامور اولها قوله فردوا ايديهم في افواههم وفي معناه قولان
الاول المراد بالرد الرفع والجار حسن للعلوم تان والثاني
ان المراد بها عنوها من الجارحة وانما ذكروها مجازا توسعا اما
من حال القول الاول ففيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون المضمر
في ايديهم وافواههم عائدا الى الكفار وعلى هذا التقدير ففيه
احتمالات الاول ان الكفار ردوا ايديهم في افواههم تعضبا
غيظا والضحر من سد نفوسهم عن رد به الرسول واستماع كلامهم
وقطعن قوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذا القول
يروى عن ابن عباس وابن مسعود وهو اختيار الفراء والثاني
انهم لما سمعوا كلام الانبياء محوا لعنه وضحوا على سبيل التخريه فعند ذلك
ردوا ايديهم في افواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك فوضع يده
على فيه والثالث انهم وضعوا ايديهم في افواههم مشيرين
بذلك الى الانبياء اي كفوا عن هذا القول واسكتوا عن ذكر هذا الحديث
عن الكلبي الرابع اشاروا الى السنتهم والى ما تكلموا به
من قولهم بالكفر وما اسلم به اي هذا هو الجواب عندنا عما
ذكروه وليس عندنا عن اقوالهم عن التصديق الا يرى الى
قوله فردوا ايديهم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به الوجه
الثاني ان نحمل الضمير في ايديهم على الرسل عليهم السلام وفيه وجهان
الاول ان الكفار اخذوا ايدي الرسل ووضعوها على
افواههم لتسكتهم ويقطعوا كلامهم الثاني ان الرسل
لما ايسوا منهم سكتوا ووضعوا ايدي انفسهم على افواه انفسهم
فان من ذكر كلاما عند قوم وانكروه وخافهم فذلك المتكلم ربما يضع

يده

نفسه تعلي في نفسه وعرضه ان يفهم انه لا يعود الى ذكر الكلام اليه
الوجه الثالث ان يكون الضمير في ايديهم يرجع الى الكفار
وفي الافواه الى الرسل وفيه وجهان الاول ان الكفار لما سمعوا
وعظ الانبياء وقصدا حتهم وكلامهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل تكذيبا
لهم وردوا عليهم والثاني ان الكفار وضعوا ايديهم على
افواه الانبياء عليهم السلام منعا لهم من الكلام ومن بالغ في منع غيره من
الكلام قد يفعل به ذلك اما على القول الاول وهو ان ذكر
اليد والفم توسع ومجاز ففيه وجوه الاول قال الاصم الاصفهاني
المراد باليد ما بطشت به الرسل من الكتب وذلك لان سماع الحجة انما يتم
عند الاعلام بشيء دال لان عند ذكر الدلالة معرفا
وقد يذكر اليد والمراد منه صفقة اليد والبيع والعقد كقوله تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فوق ايديهم فالبيعات
التي كانت الانبياء عليهم السلام يذكرونها ويقررونها لهم ايادي واضافة اليد المعهود
التي كانوا مأمورين بها مع القوم ايادي وجمع اليد في العدد القليل
هو الايدي وفي الكثير هو الايادي فقلت لم سمات الايادي
الانبياء عهودهم بفتح تسميتها ما الايدي وان كانت الصالحة في اليهود
انما تظهر من الفعل عند القبول صارت مردودة الى حيث جاءت
وتطير قوله تعالى ان يلقوه ما استكتموهم ويقولون بافواههم ما ليس
لكم به علم فلما كان القبول ملقبا بالافواه عن الافواه كان الدفع ردا
في الافواه فهذا تمام الكلام الى مسلم في تقرير هذا الوجه والوجه
الثاني نقل ابو محمد بن حزم عن بعضهم ان معنى قوله تعالى فردوا
ايديهم في افواههم اي سكتوا عن الجواب يقال للرجل اذا امسك
عن الجواب ترد يده على فيه ويقول العرب كلمته فلانا فرد يده في فيه

لذاته لامتنع رجحان وجوده على عدمه المرجح ولم يكن غنيا وقد فرضناه
غنيا وإذا ثبت انه واجب الوجود لذاته كان ايضا واجب الوجود
بحسب كماله اذ لو لم يكن واجبا لكان في حصول ذلك الكمال
لافتقر الى سبب منفصل في حصول ذلك الكمال فحينئذ لا يكون
غنيا وقد فرضناه غنيا هذا خلف فثبت ان ذاته كافية في حصول جميع كمالاته
واذا كان ذلك كان حمده لذاته لانه لا معنى للحمد الا الذي يستحق الحمد
لاجله بسبب القدر الذي ذكرناه ان كونه عالما يقتضي ان يراد
يشكر الشاكرين وان لا ينقص ملكه الكافرين فلهذا المعنى قال
تعالى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد وهذه
المعاني من لطايف الاسرار واعلم ان قوله ان تكفروا انتم ومن
في الارض جميعا سوى جعل على الكفر الذي يقابل الايمان
او على الكفر الذي يقابل الشكر والمعنى فيهما واحد فانه تعالى غني عن
العالمين حتى كل الالهة وجميع المعبودات بايه وجلاله ثم انه تعالى
قال الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ذكر انواع
مسلم الاصفهاني انه يحتمل ان يكون خطابا من موسى عليه السلام
لقومه والمقصود انه عليه السلام كان يخوفهم بمثل هذا الكلام من تقدم
ويحوز ان يكون مخاطبة من الله تعالى لمحمد ان موسى عليه السلام
لقومه بذكرهم امر القرون الاولى والمقصود انما هو حصول العلم
بما حال المتقدمين وهذا المقصود حاصل على التقديرين الا ان الاقرب
رجوعه الى الله اذ المخاطبة لقوم الرسول عليه السلام واعلم
انه تعالى ذكر اقواما ثلثة وهم قوم نوح وعاد وثمود ثم قال والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله ذكر صاحب الكشاف فيه احتمالين
الاول ان يكون قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من

مبتدا

مبتدا وخبر وقعت اعتراضا والثاني ان يقال قوله تعالى
والذين من بعدهم معطوف على قوم نوح وعاد وقوله لا يعلمهم الا
الله وقعت اعتراضا اذا عرفت هذا فنقول لا يعلمهم الا الله فيه
قولان الاول ان يكون المراد لا يعلمهم كنه مقاديرهم الا الله لان
المذكور في القرآن جملة على ما ذكر العدد والقرن والكمية
تعبر حاصل والقول الثاني ان المراد كذلك اقوام ما بلغنا اخبارهم
كذبوا رسلهم لم نعرفهم اصلا ولا يعلمهم الا الله والقائلون بهذا القول
طعنوا في فضل من نسل الانسان الى آدم عليه السلام كان بن مسعود
اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب
وقد نفى الله علمها عن العباد وعن ابن عباس بين عدنان واسماعيل
ثلاثون ابا لا يعرفون وتظهر هذه الآية قوله تعالى وقرونا بين ذلك
كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا سمينا لك وقوله منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
لا يحاور في نسبه معد بن عدنان وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا من
انسابكم ما تصلون به ارحامكم وتعلموا من النحو ما تستدلون به على الطريق
قال القاضي وهذا المقدار لا يمكن القطع على عدد
السنين من لدن آدم عليه السلام الى هذا الوقت لانه ان امكن ذلك
لا يمكن ايضا تحصيل العلم بالانساب الموصولة فان قيل اي القولين
اولى وليس القول الثاني عندي اقول لان قوله تعالى لا يعلمهم الا الله
نفي العلم بهم وذلك يقتضي نفي العلم بذواتهم اذ لو كانت ذواتهم معلومة
وكان المجهول هو مقدار اعدادهم وكيفية صفاتهم لما صح نفي العلم
بذواتهم ولما كان ظاهر اللفظ دليلا على نفي العلم بذواتهم لا جرم
كان الاقرب هو القول الثاني ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام

اعلم ان قوله واذ قال موسى لقومه كانه
قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا انعم الله عليكم واذكروا حين اذن ربكم
والمعنى واذ اذن ربكم بادن وادن مثل توعدوا وعد وتفضل وافضل
ولا بعد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا
بليغا سمي عندها التشكر وتتلخ العلة والمعنى انه بادن ربكم
فقال لئن شكرتم لازيدنكم اذا حزى بادن محزى قال انه ضرب من
القول وفي فراش ممهدة ولئن شكرتم لازيدنكم واعلم ان المقصود
من الاية ان من استغل بشكر نعم الله تعالى زاد الله من نعمه ولا بد هاهنا
من معرفة حقيقة الشكر ومن البحث عن تلك النعم الزائدة الحاصلة
عن الاشتغال والشكر اما الشكر فهو عبارة عن الاعتراف
بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة واما
الزيادة في النعمة فهي اقسام منها النعم الروحانية ومنها النعم الجسمانية
اما النعم الروحانية وهي ان الشكر يوجب ادراك مطالعة اسرار نعم الله
وانواع فضله وكرمه ومن كثر احسانه الى جبل احبه الرجل لا محالة
فتشتغل النفس لمطالعة انواع فضل الله واحسانه يوجب توكله
محبة العبد لله وتقلع المحبة اعلا مقامات الصديقين ثم قد ترقا
العبد من تلك الحالة الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا له عن الالتفات
الى النعمة فهذا ان الاشتغال بالشكر يوجب مزيد النعم الروحانية
واما مزيد النعم الجسمانية فلان الاستقراء دل على ان كل من
كان اشتغاله بشكر نعم الله اكثر كان وصول نعم الله اليه اكثر
وبالجملة فالشكر انما حسن موقعه لانه اشتغال بمعرفة المعبود فكل
مقام حرك العبد من مقام الحس الى عالم القدس فهو للمقام الشريف
العالي الذي يوجب السعادة في الدين والدنيا واما قوله ولئن كفرتم

ان

ان عذابي لشديد فالمراد منه الكفران لا الكفر لان الكفر
المذكور في مقابلة الشكر ليس الا الكفر والسبب فيه ان كفران النعم
لا يحصل الا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمة من الله والجاهل به جاهل
بالله من اعظم انواع العذاب والعقاب وانما اضافها هنا دقيقة اخرى
وهي ان ما سوى الله الواحد الاحد الحق ممكن لذاته وكل ممكن لذاته
فوجوده انما يحصل بايجاد الواجب لذاته وعدمه انما يحصل بانعدام
الواجب لذاته واذا كان كذلك فكل ما سوى الحق فهو منقاد
للحق مطواع له واذا كانت الممكنات كلها منقادة للحق سبحانه
فكل قلب فتح فيه معرفة الحق ومرر حاله انقاد لصاحب ذلك
القلب كل من سواه بالطبع واذا خلا القلب عن ذلك النور ضعف
وصار خسيسا يستخدمه كل ما سواه بالطبع ويتحقق كل ما يقال فبهذا
الطريق الذي لتحصيل العلم فان الاشتغال بمعرفة الحق يوجب انفتاح
ابواب الخيرات والمحافاة في الدنيا والاخرة ○ قوله
تعالى وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله
غني حميد ○ اعلم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما سمع ان الاشتغال
بالشكر يوجب تزايد الخيرات والاشتغال بالكفران للنعم يوجب
العذاب الشديد وحصول الافات في الدنيا والاخرة بين بعده ان
منافع الشكر ومضار الكفران لا تعود الا لصاحب الشكر او يقتضي
بالكفران فلا حاجة قال موسى انتم ومن في الارض جميعا فان
الله لغني حميد والغرض منه ان الله تعالى انما امر بهذه الطاعات
لمنافع عائدة على العباد لا لمنافع عائدة الى المعبود والذي يدل على
ان الامر كذلك ما ذكر الله تعالى في قوله ان الله لغني حميد وتفسيره
انه واجب الوجود لذاته يحترم صفاته فانه لو لم يكن واجب الوجود

احدهما في الاخرى وغلبت المسألة الثالثة بعض
عن الايام بالوقايع العظيمة التي وقعت فيها فقال فلان عالم بايام العرب
ويريد وقايعها وفي المثل من يرد ما يومه مناه من الذي في يوم سروره
نصرع عينه فانه في نعم اخر حر بنا بمصرع نفسه وقال تعالى وذكرهم
بتذاولها بين الناس اذا عرفت هذا المعنى فالمراد عظم بالترغيب
والترهيب بالوعد والوعيد فالترغيب الوعد والترهيب الوعيد وذكرهم
الله عليهم وعلى من قبلهم ممن امنوا بالله بما سلف من الانام والترهيب
والوعيد ان يذكرهم باس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب الرسل
بما سلف من الايام مثل ما نزل بعاد وثمود وغيرهم من العرب الذين غبروا
في الوعد فصدقوا وانذروا من الوعيد فتيقظوا والعلم ان
ايام الله في حق موسى عليه السلام منها ما كان ايام المحنة والبلاء كالايام
التي كانت بين اسرائيل وفرعون ومنها ما كان ايام الفرج
والراحة والعوامل انتقال المن والسلوى وفلق البحر وتظليل الغمام
ثم قال تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور والمعنى ان في ذلك
التذكير والتنبيه دلائل لكل من كان صبارا شكورا الا ان الحال اما ان
يكون حال محنة او حال منحة وعطية فان كان الاول كان المؤمن صابرا
وان كان الثاني كان شكورا وهذا تنبيه على ان المؤمن يجب
ان لا يخلو من احد هذين الامرين فان جرى الوقت على ما لا تشتهيه طبيعته
ويوافق ارادته كان متسلحا بالشكر وان تخالف بالعكس كان
متسلحا بالصبر فان قيل ان ذلك التذكير لهات لكل فلم
خص الصبار الشكور بما ذكرهم تلطفا فيه وحثا لهم
كانوا هم المنتفعون بتلك الايات صار وكانها ليست ايات
الا لهم كما في قوله تعالى هدى للمتقين وقوله انما انت منذر من يخشاها

والثاني لا يبعد ان يقال الانتفاع بهذا النوع من الذكر لا يحصل
حصوله الا لمن كان صابرا او شاكرا اما الذي لا يكون كذلك لم ينتفع
بهذه الايات والعلم انه تعالى لما ذكر انه امر موسى بان يذكرهم بايام الله
حكى عن موسى انه ذكرهم بها فقال واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
اذ انجاكم من آل فرعون قوله اذ الحاكم ظرف النعمة بمعنى الانعام اي اذكروا
انعام الله عليكم في ذلك الوقت بقي في الآية سؤالات **السؤال**
الاول ذكر في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وها هنا
يذبحون بالواو **الجواب** ذكر في سورة البقرة يذبحون بغير واو لانه
يفسر لقوله سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو وتقول اتاني القوم زيد
وعمرو لانك لا تريد ان تفسر القوم بهما ومثله قوله تعالى ومن يفعل ذلك
يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة فالايام لما صار مفسرا بضاعف
العذاب لا جرم حذف عنه الواو واما في هذه السورة فقد دخل الواو فيه
لان المعنى انهم كانوا يعذبونهم بغير الذبح وبالتعذيب ايضا فقوله ويذبحون نوع اخر
من العذاب لا انه تفسير للاول **السؤال** الثاني كيف كان يقتل
ال فرعون بلا امر منهم **الجواب** من وجهين احدهما ان يكون الله امرهم
حتى فعلوا ما فعلوا كان بلاء من الله والثاني وهو ان ذلك اسناد الى
الاعم الاكثر وهو بلاء عظيم والبلاء هو الابتلاء وذلك قد يكون بالنعمة تارة وبالمحنة
اخرى قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه اولى
لانه تعالى صدر الآية وهو قوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
السؤال الثالث هتان يدل على ان الابناء كان بلاء اما استحيا
النساء كيف كان بلاء **الجواب** كانوا يستخدمونهم بالاستخفاف والخلاص
منه نعمة وايضا لما هن مستورات عن الرجال فيه اعظم المضار
قوله تعالى واذ تاذن ربكم لان تشكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد

على جعل عمله جهلاً وادا الراقر على نفسه فكيف يامرني بعد الاعتراف بمثل
ان السوال الذي لاجله رده الخصم عليه علينا وهو ايضا وارد عليه ⊙
اما قوله مالنا ولمن ان يكون الرضا بالكفر واجبا لان الرضا بالقضا
الله واجب قلنا ولمن ايضا على مذهبكم ان يكون السعي في تكذيب
الله وفي جهله واجبا لانه تعالى لما اخبر عن كفره علم كفره فان العلم
عنه وجب عليه جهلا وجهي الصدق عنه وما لا يتم الواجب الا به فهو
واجب فيلزمك على مذهبك ان تجعل تخيب على العبد ان يسعى في تكذيب
الله وتجهيله وهذا اشد استحالة مما الزمه علينا واما قوله رابعا
ان عدم الايمان هو قوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور فدل
على صحة الاعتزال بمعقول ودللنا ان قوله ما ذرا يهم من على صحته
مذهب اهل السنة واما قوله خامسا انه موصوف بنفيه فكونه حكيما
وذلك يدل في حقه تعالى على الكفر من قوله بمعقول وحد وصف نفسه
بكونه عزيزا والعزيز هو الغالب القاهر فلو اراد الايمان من
الكافر مع انه لا يحصل واراد عدم الكفر منهم وقد حصل لما بقي
عزيزا غالبا هذا اقصى ما في الوجوه التي ذكروها ضعيفة واما الالزامات
الثلاث التي ذكروها فقد مر ابطالها في صدر الكتاب مرارا
فلا فائدة في الاعادة والله اعلم ⊙ قوله تعالى ولقد
ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم
بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وقال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ⊙
في الآية مسائل ⊙ المسئلة الاولى ⊙ اعلم انه تعالى
لما بين انه انما ارسل الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم لاخراجهم من الظلمات

الى

الى النور ذكر كمال النعمة عليه وعلى قومه وذكر الارسال الى اقوامهم
وكيفية تفاصيل اقوامهم ليكون ذلك تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
على اذى قومه فارشاده الى كيفية مكالمتهم ومعاملتهم فذكر تعالى
على الجملة المالوفة بتخصيص بعض الانبياء فذكر فيه موسى وما لنا
وسلطانا من قال الاصم انما بعث موسى عليه العصا واليد والجراد والقمل
والضفادع والدم وفلق البحر وانفجار العيون من الحجر والمن
والسلوى وانزال التوراة وقال الحسن ارسل الله موسى الى قومه
من بني اسرائيل بامانته وهي دلالته وكتبه المنزلة عليه فقال لنبينا محمد صلى
الله عليه وسلم كتابا انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور
وقال في حق موسى ان اخرج قومك من الظلمات الى النور والمقصود من
البين واحد في حق جميع الانبياء وهو ان يسعوا في اخراج الخلق من ظلمات
الضلالات الى انوار العلم والايمان ⊙ المسئلة الثانية قال
الزجاج قوله ان اخرج قومك اي بان اخرج قومك ثم قال ان هنا بمعنى
ان يكون مفسرة بمعنى اي ويكون المعنى ولقد ارسلنا موسى بامانتنا ان اخرج
قومك من الظلمات الى النور كان المعنى قلنا له اخرج قومك ومثله
وانطلق الملا منهم ان امشوا والمعنى ان سلناه بان اخرج قومه الا
ان الجار حذف وهو صلتان بلغط الامر ونظير قوله في امرته
ان ادم الزجاج حكى هذين القولين عن الزجاج سيبويه اما قوله تعالى
وذكرهم بايام الله فاعلم انه تعالى امر موسى عليه السلام في هذا المقام
بشيئين احدهما ان يخرجهم من ظلمات الكفر والثاني ان يذكرهم بايام الله
وفيه مسائل ⊙ المسئلة الاولى قال الواحدي ايام
جمع يوم واليوم هو مقدار الله من طلوع الشمس الى غروبها وكان
في الاصل ايوام فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فادغمت

ووقوعهم على العرض والمقصود اكمل وهذا الكلام انما يصح لو كان
مقصود الله تعالى من ارسال الرسل حصول الايمان للمكلفين
واما لو كان مقصوده الاضلال وخلق الكفر فيهم لم يكن ذلك الكلام
ملائما لهذا المقصود والثاني انه عليه السلام اذا كان لا يعلم
ان الله يخلق الغي والضلال فكيف يليق ان يقولوا له فما معنى تبوئك
وما المقصود من ارسالك وهل يمكنك ان تمنع كفر احد قد خلقه الله تعالى
فينبغي ان نفسر وحينئذ يسقط هذا السؤال

والجواب انه اذا كان الكفر حاصلا بخلق الله تعالى ومشيته
وجب ان يكون الرضا بذلك واجبا لان الرضا بقضاء الله واجب
وذلك لا يقوله عاقل

الرابع انا قد دللنا على ان معنى قوله
الا يه هي قوله ليخرج الناس من الظلمات الى النور بدل على مذهب القوم
وايضا موحى الا يه يدل عليه وهو قوله وهو العزيز الحكيم وكيف
يكون حكيما من كان خالقا للكفر والفساد فثبت بهذه الوجوه انه لا
يمكن حمل قوله تضل الله من يشاء ويهدي من يشاء على انه تعالى
خلق الكفر في العبد فوجب المصير الى الدلائل وقد استقصينا
في ذكر هذه الدلائل في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وللناس فيما يعلن بعضها فما لاول
ان المراد بالاضلال هو الحكم بكونه ضالا كما تقال كفره فلان وبضلله
اي حكم بكونه كافرا ضالا والثاني ان يكون الاضلال عبارة
عن الاهلاك يقال ضل عن طريق الجنة الى النار والهداية عبارة عن
ارشادهم الى طريق الجنة والثالث انه تعالى لما ترك الضال
على ضلاله ولم يتعرض له فكانه اضله والمهدي لما اعانه بالالطاف
صار كانه هو هداه قال صاحب الكشاف المراد بالاضلال

التخلية

ومنع الالطاف صار كانه هو هداه قال صاحب الكشاف
المراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف
والجواب قوله تعالى ليبين لهم لانه ان يظلم الله قلنا قال
الفراء اذا وجد فعل بعد فعل احق فان كان الفعل الثاني مشاكلا لما قبله
ودفعه نظير قوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم
ويابى الله الا ان يتم نوره فقوله ويابى الله في موضع رفع لا يجوز الا ذلك
لانه لا يحسن ان يقال يريدون ان يابى الله فلما لم يكن موضع الثاني
موضع الاول بطل العطف ونظيره انصا ليبين لهم ويقضي الا خر ما نبيا ومنه قولهم اردت ان اذهب فمنعني المطر بالرفع غير منسوق
على ما قبله كما ذكرناه ومنه قول الشاعر

يريد ان يعربه فيجمحه

اذا لعرفت هذا فنقول هاهنا قال الله تعالى ليبين لهم ثم قال
فيضل الله من يشاء ويهدي فيفصل بالرفع وذلك يدل على انه مذكور على سبيل الاستيناف
وانه غير معطوف على ما قبله واقول لتقرير هذا الكلام من حيث المعنى
كانه قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون مبينا لهم
لذكر الشرائع بلسانهم الذي الفوه واعتادوه ثم قال ومع ان الامر
كذلك فانه تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء والغرض منه التنبيه
على تقويه البيان انه لا يوجب حصول الهداية وانما كان الامر كذلك
لاجل ان الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله اما قوله ثانيا
لو كان الضلال حاصلا بخلق الله تعالى لكان للكافر ان يقول ما الفائدة
في بيانك ودعوتك فيقول بعارضه ان الخصم سلم ان هذه الايات
اخبار عن كونه ضالا فيقول له الكافر لما اخبرك عن كوني
كافرا فان صارت صادقا لاجله كاذبا فهل اقدر على جعلك كاذبا وهل اقدر

سبيل الله واعلم ان من كان موصوفا بما يشتري الدنيا فهو
ضال عن سبيل الله ودينه فهو مثل في المرتبة الاولى لاشتراه
الى كونهم كالذين وهذه للمرتبة الثانية وهي كونهم ضالين عن سبيل
الله اشارة الى كونهم مضلين ○ **النوع** الثالث من تلك الصفات
قوله تعالى وصعوبتها عوجا واعلم ان الاضلال على من من
المرتبة الاولى ان يبغي وصف العوج ومنع من الوصوف الى التنبيه
الفهم والصراط المستقيم وللمرتبة الثانية ان يبغي في الشيء
الشكوك والشبهات في المذهب الحق ويحاول تشويه صبغها بكل
ما يقدر عليه من الحيل وهذا هو الضلال والاضلال والمرتبة
الثالثة ان يقول ويبغي فيها عوجا كما يقول اصحاب الكلام في
الكلام ان تعالى ان يقال ويبغي لها عوجا بحذف الجار ووصل
الفعل وقد ذكر الله تعالى هذه المراتب الثلاث لاحوال هؤلاء
الكفار قال في صفتهم اولئك في ضلال بعيد وانما وصف
هذا الضلال بالبعد لوجوه الاول انا بينا ان مراتب الضلال
هو الذي وصفه الله في هذه المرتبة مبعد للمرتبة في غايته البعد
عن الطريق الحق فان شرط الوصف الموصوف ان يكون في
مثل السواد والبياض فذكر لها هنا الضلال الذي يكون واقعا في
هذا الوجه ليكون في غاية البعد عن الحق فانه لا يعقل ضلال
اقوى واكمل من هذا الضلال والوجه الثاني ان يكون
المراد منه بعد ردهم عن طريق الضلال الى الهدى لانه لا يمكن
ذلك في نفوسهم والوجه الثالث ان يكون الضلال الهلاك
والبعد يراد لك في ضلال يطول عليهم فلا ينقطع واراد بالبعد
امتداده وزوال انقطاعه ○ **قوله** تعالى وما ارسلنا

من

من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
وهو العزيز الحكيم ○ اعلم ان قوله وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم المراد منه ذلك اللسان لسان العرب وذلك يقتضي
ان يقال ليس لله قوم سوى العرب فقط والجواب لا يجوز ان
يكون المراد من ذلك اللسان من قاله اصلا وليس المراد من قومه اهل
دعوته والدليل على عموم الدعوة قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا قيل الى الثقلين بل الى العرب كما وقع مع الانس كذلك وقع مع
الجن والدليل قوله قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن على ان بادعاء هذا
القدر لا يكون مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ○ **المسألة**
الرابعة تمسك اصحابنا بقوله تعالى فيضل الله من يشاء على ان الضلالة
والهداية من الله تعالى والآية صريحة في هذا المعنى فلا الاعتناء بما
يذكره هذا المعنى ما روي ان ابا بكر دخل على امرأة من الانصار وقد انقطعت
اصواتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا فقالوا بعضهم برسول
الله تقول لا يكلم الحسناء من الله والصالحات من الشيطان وتقول عمر
كلاهما من الله وتبع بعضهم ابا بكر يتبع بعضهم عمر يعرف الرسول ما قاله
ابو بكر واعرض عنه حتى عرف في وجهه ثم اقبل على عمر فعرف ما قاله
وعرف السرور في وجهه فقال افض بيننا كما افتى اسرافيل بين جبريل
وميكائيل فقال جبريل سل يا عمر فقال ميكائيل سل يا عمر فقال
انا ابا بكر فقضى اسرافيل ان الفقر كله خير وشر من الله وهذا تقضي
بيننا كما قالت المعتزلة هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها
وبيانه من وجوه الاول انه قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا
بلسان قومه ليبين لهم والمعنى انا انما ارسلنا كل رسول الى قومه
ليبين لهم تلك الاحكام التي بلسانهم ويكون ادراكهم لتلك البيان اسهل

عن مختص بجهة العلو الله وذلك لان كل ما سماك وعلا فهو سما
فلو جعل الله تعالى في جهة فوق لكان حاصلا في السما وهذه
الآية دالة على ان كل ما في السموات فهو ملكه فيلزم ان يكون مالكا
لما في السموات ان يكون مالكا لنفسه وهذا محال فدلت الآية على
انه منزه عن الكون في جهة فوق ۞ المسألة الثالثة
اجمع اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى خالق الاعمال لانه تعالى له
ما في السموات وما في الارض وافعال العباد حاصلة في السموات والارض
فوجب القول بان افعال العباد له بمعنى كونها مقدورة لله تعالى
فاذا ثبت انها مقدورة له وجب وقوعها بقدرة الله والا لكان
العبد قد منع الله تعالى من ايقاع مقدوره وذلك محال واعلم
ان قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض يفيد الحصر والمعنى
ما في السموات وما في الارض له لا لغيره وذلك يدل على انه لا ملك
الا الله ولا حاكم الا الله ثم انه تعالى لما ذكر ذلك عطف عليه الكفار
ما لوعيد فقال وويل للكافرين من عذاب شديد والمعنى انهم
لما تركوا عبادة الله الذي هو المالك للسموات والارض وكل ما فيهما
لعبادة ما لا يملك نفعا ولا ضرا ولا خلقا ولا رزقا ولا ادراكا
له ولا فعلا فالويل ثم الويل لمن كان كذلك ثم ان للعلماء
من عذاب شديد ويفسرون منه ويقولون ما ولماه فنطوي قوله
تعالى دعواهم ان لك بتوابعه من تعالى صفة هؤلاء الكفار
الذين ترعدهم بالويل الذي يعد اعطاء العذاب ثم ذكر من صفاتهم
تلك انواعا الاول قوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على
الآخرة وفيه مسائل ۞ المسألة الاولى ان مشيئة
جعلت الذين من صفة الكافرين من قبل الآية المتقدمة ولن مشيئة
جعلته مبتدأ وجعلت الخبر قوله اولئك ان يستحبون صيغته على الدوام

المسألة الثانية ۞ الاستحباب طلب حصة الشيء واقول
ان الانسان قد يحب الشيء ولكن لا يحب كونه محبا لذلك الشيء بل من ثقل طبعه
الى الفسق والفجور ولكنه يكره كونه محبا له اما اذا احب الشيء وطلب كونه
محبا له وحب تلك المحبة فهذا هو نهاية المحبة فقوله الذين يستحبون
الحياة الدنيا يدل على انهم في نهاية المحبة للحياة الدنيوية وما يكون
الانسان كذلك الا اذا كان عارفا لا عن الحياة الاخروية والا اذا كان
عالما عن مفاسد هذه الحياة ومن كان كذلك كان في نهاية
الصفات المذمومة وذلك لان هذه موصوفة بانواع كثيرة من العيوب
احدها ان يستحب الحياة الفانية ابواب الآلام والاسقام والغموم
والهموم والمخاوف وبينها ان هذه الآلام في الحصة لا حاصل لها
الا دفع الآلام بخلاف الآلام الروحانية فانها في انفسها آلام وسعادات
وبالجملة ان سعادات هذه الحياة منغصة بسبب الانقطاع والانقراض
وبالجملة انها حقيرة قليلة وبالجملة ما لم يحصل الحياة الدنيا
الا من كان عالما لا عن معاينة كان عالما لا عن قضايا الحياة الروحانية
الاخروية وكذلك قال تعالى في الآخرة خير وابقى فهذه الكلمة
جامعة لكل ما ذكرناه ۞ المسألة الثالثة اما قال
تعالى يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة لان منهم الضال والمضل
الحياة الدنيا دون تراخي على الآخرة مع تعالى بين هذين الوصفين لان
بذلك كان الاستحباب للدنيا وحدها لا يكون مذموما الا بعد ان يضاف
اليه انفاقها على الآخرة وان من اخرها لا يصل اليها الى منافع النفس
الى ثواب الآخرة فان ذلك لا يكون مذموما حتى اذا آثرها على اخرى بان
كان منها ما يصير في آخرته فهذه المحبة هي المحبة المذمومة ۞ النوع
الثاني من تلك الصفات التي وصف الله الكفار بها قوله ويصدون عن

لكان المفهوم منه شيء احصل له ذلك المشتق منه وهذا المفهوم
مفهوم كلي صالح لوقوع الشركة فيه فلو كان قولنا الله لفظا مشتقا
لكان مفهومه صالحا لوقوع الشركة فيه ولو كان الامر كذلك
لما كان قولنا لا اله الا هو اعني التوحيد لان المسمى هو قولنا الله وهو
غير مانع من وقوع الشركة فيه ولما اجتمعت الامة على ان قولنا
لا اله الا الله يوجب التوحيد المحض علمنا ان قولنا الله جار مجرى
الاسم العلم الذي لا يكاد يدل على شيء من الصفات كقولنا
هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس ولا يمكننا
ان نعكس الامر ونقول هو الرحمن الله وهو الرحيم الله فعلمنا ان الله اسم
علم للذات المخصوصة وسائر الالفاظ دالة على الصفات السلبية
كقولنا القدوس السلام او على الصفات الاضافية كقولنا الخالق البارئ
او على الصفات الحقيقية كقولنا العالم القادر او على ما تركب من
هذه الثلاثة فلو لم يكن قولنا الله اسما للذات المخصوصة لكان
جميع اسماء الله الفاظا دالة على صفاته ولم يحصل منها ما يدل
على ذاته المخصوصة وذلك بعيد لانه يبعد ان لا يكون له من حيث
انه اسم مخصوص والرابع قوله تعالى هل تعلم له سميا والمراد
هل تعلم من اسمه الله غير الله وذلك يدل على ان قولنا الله اسم
لذاته المخصوصة واذا ظهرت هذه المقدمة كان الترتيب الحسن
ان نذكر الاسم ثم نذكر عقيبه الصفات كقوله تعالى هو الله الخالق
البارئ المصور واما ان نعكس فنقول هو الخالق البارئ الله
فكذلك عبر جابر واذا ثبت هذا فنقول الذين قرؤا لله الذي
له ما في السموات اردوا ان يجعلوا قوله الله مبتدا ويجعلوا ما بعده
خبرا عنه وهذا هو القول الصحيح فاما الذين قرؤا الله ما في السموات

تقول

لقوله العزيز الحميد هو مشكل عامنا ان الترتيب الحسن ان يقال الله
الخالق واما ان يقال الخالق لله فهذا لا يحسن وعند هذا اختلفوا في
الجواب على وجوه قال ابو عمرو بن العلا القراءة بالخفض على التقديم
والتاخير والتقدير صراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات
والذي يبعد هذا ان يذكر الصفة او لا ثم يذكر الاسم ثم يذكر
الصفة مرة اخرى فانه يقال فالامام الاجل محمد الفقيه وهذا
بخلاف نظير قوله صراط العزيز لعبد الله الذي له ما في السموات
وتحقيق القول فيه اما منا ان الصراط انما يكون محمودا
اذا كان صراط العالم القادر العالم الغني والله تعالى بين هذه الامور الثلاثة
بقوله العزيز الحميد لما ذكر الغني وعقبه بالشهيد في ان ذلك
العزيز الحميد من هو فعطف عليه قوله الله الذي له ما في السموات
وما في الارض ان اله الملك الشهيد الثالث قال صاحب
الكشاف الله عطف بيان العزيز الحميد وتحقيق هذا القول قررناه
فيما تقدم الرابع قد ذكرنا في اول هذا الكتاب ان قوله الله في اصل
الوضع مشتق الا انه صار بالعرف جاريا مجرى الاسم العلم بحيث يذكر
ويعطف عليه سائر الصفات فذلك لا يوجب ان يتم على ما في
هذه الاية حتى جعل وصفا للعزيز الحميد فذلك لاجل انه على كونه
لفظا مشتقا بالاصالة في وصفه الخامس ان الكفار لما وصفوا
الوثن بكونه عزيزا حميدا قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور
بادر وهم الى صراط العزيز الحميد لئلا يقع في خاطر عبدة الاوثان انه
ربما كان ذلك العزيز الحميد هو الوثن فازال الله هذه الشبهة بقوله
الله الذي له ما في السموات وما في الارض اي المراد بذلك العزيز الحميد
هو الله الذي له ما في السموات وما في الارض **المسئلة**
الثانية قوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض تدل على ان الله تعالى

بسببه والاحتمال فسقط الاول وهو ان المراد من الاذن معنى يقتضي
ترجيح جانب الوجود على جانب العدم وقد بينا في الكتب الغليظة
على انه متى حصل الرجحان فيه حصل الوجود ولا معنى لذلك الا
الداعية الموجبة وهو عين قولنا والله اعلم ○ **المسئلة**
الخامسة العاملون بان معرفة الله تعالى لا يمكن تحصيلها الا
بتعريف الرسول والامام واحتجوا بهذه الاية وبالوجه العقلي
فنقول بيان الرسول هو الذي يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان
وذلك يدل على ان معرفة الله تعالى لا تحصل الا من طريق العلم
وجوابنا ان الرسول عليه السلام مكون كالمسبب واما المعرفة
فهي انما تحصل من الدليل والله اعلم ○ **المسئلة السادسة**
الاية دالة على ان طريق الكفر والبدعة كثير وطريق الحق ليس الا
واحدا لانه تعالى وصف الكفر بانه اخراج من الظلمات الى النور
وعبر عن الجهل والكفر بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان
والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الجهل
كثيرة واما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا ○ **المسئلة**
السابعة ○ في قوله الى صراط العزيز الحميد وجهان الاول
انه بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا
لمن امن منهم الثاني يجوز ان يكون على وجه الاستئناف كانه
قيل الى اي شيء فقيل الى صراط العزيز الحميد ○ **المسئلة**
الثامنة قالت المعتزلة الفاعل انما يكون اتيانه بالصواب والصلاح
تاركا للقبيح والعناد اذا كان قادرا على جميع المقدورات عالما
بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات فان لم يكن قادرا على
الكل فربما فعل القبيح بسبب الجهل وان لم يكن غنيا عن كل الحاجات
فربما فعل القبيح بسبب الحاجة اما اذا كان قادرا على الكل عالما
بالكل غنيا عن الكل امتنع منه الاقدام على فعل القبيح فقوله
العزيز اشارة الى كمال القدرة وقوله الحميد اشارة الى كونه مستحقا
للحمد في افعاله وذلك انما يحصل اذا كان عالما بالكل غنيا عن الكل
فثبت بما ذكرناه ان صراط الله انما كان موصوفا بكونه شريفا عاليا
لكونه صراط الاله الموصوف بكونه عزيزا حميدا فهذا هو المعنى ووصف
الله نفسه بهذين الوصفين من اهم المهمات ○ **المسئلة**
التاسعة لما قدم ذكر العزيز على ذكر الحميد لان الصحيح ان اول
العلم بالله العلم بكونه تعالى عالما ثم بعد ذلك يعلم كونه غنيا عن جميع الحاجات
والعزيز هو القادر والحميد هو العالم الغني فلما كان العلم بكونه عالما
بالكل غنيا عن الكل مقدما على ذكر العزيز على ذكر الحميد والله اعلم ○
قوله تعالى الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل
للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة على الاخرة ويصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد ○ في الاية مسائل
المسئلة الاولى قرأ نافع وابن عامر بالرفع على
الابتداء والباقون بالخفض اما على قوله العزيز الحميد وهو الله او على
وهو ان جماعة من المحققين ذهبوا الى ان قولنا الله جار مجرى الاسم
العلم وقد تقدم اخرون الى ان لفظ مستق والحق عندنا هو الاول
ويدل عليه وجوه الاول ان الاسم المستق عبارة عن شيء ما حصل له
المستق منه فالاسود مسمى ما حصل له السواد والناطق مفهومه مسمى
ما حصل له النطق فلو كان قولنا الله اسما مستقا من معنى لكان للمفهوم
منه شيء ما حصل له المستق منه وهو المفهوم مفهوم فلي لامتنع من
حيثيا الوقف عن من وقع الشرك فيه فلو كان قولنا الله اسما مشتقا من معنى

المسئلة الاولى قالت المعتزلة اللام في قوله ليخرج
الناس لام الغرض والحكمة وهو يدل على انه تعالى لما اتى
هذا الكذب لهذا الغرض وذلك يدل على ان افعال الله وافعاله
معللة برعاية المصالح واحال اصحابنا عنه بان من فعل فعلا لاجل
شئ اخر مهما كان الفاعل لو كان عاجزا عن تحصيل ذلك المقصود
الا بهذه الواسطة وذلك في حق الله تعالى محال واذا ثبت بالدليل
منع تعليل افعال الله واحكامه بالعلل ثبت ان كل ظاهر اسند ورد به
فهو مؤول محمول على معنى اخر ثم المسئلة اللائقة لهذا
الشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور لان الايمان محل الظرف
الهداية ٥ المسئلة الثالثة قالت المعتزلة هذه
الاية فيها دلالة على ابطال القول بالجبر من جهات احدها انه
تعالى لو كان يخلق الكفر في الكافر فكيف يصح انتزاعه منه بالكتاب
وثانيها انه تعالى اضاف الاخراج من الظلمات الى النور والى
الرسول فان كان المراد بذلك الكفر هو الله تعالى فكيف يصح من
الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدعوهم منه وكان لكافر ان يقول
انك تقول ان الله خلق الكفر فيا فكيف يصح منك ان تدعوني فان
قال انا اخرجكم من الظلمات التي هو كفر مستقبل فلا واقع فلهم ان
يقولوا ان كان تعالى سيخلقه فينا لم يصح ذلك الاخراج وان لم
يخلقه فنحن خارجون منه بلا اخراج وثالثها انه صلى الله عليه
وسلم انما اخرجهم من الكفر بالكتاب فان تلوه عليهم ليتدبروه وينظروا
فيه فيتعلموا بالنظر والاستدلال كونه تعالى عالما قادرا حكيما
ويعلموا كون القرآن معجزا صدق الرسول محمد فيقبلوا منه كل ما
جاء به من الشرايع وذلك اذا كان الفعل لهم وتبع باختيارهم ويصح

منهم ان يقدموا عليه ويتركوا فيه والجواب عن الكل ان نقول
الفعل الصادر عن العبد لما ان صدر عنه حال استواء الداعي الى الفعل
او الترك وحال رجحان احد الطرفين على الاخر والاول باطل
لان حصول الفعل حينئذ لجانب الوجود على جانب العدم وحصول
الرجحان على حصول الاستواء محال والثاني غير قولنا انه يسبع
صدور الفعل عنه الا بعد حصول الرجحان فان كان ذلك الرجحان
منه عاد السؤال وان لم يكن منه بل من الله فحينئذ يكون المؤثر الاول
هو الله تعالى وذلك هو المطلوب والله اعلم المسئلة
الرابعة احتج اصحابنا على صحة قولهم في ان فعل العبد يخلق الله تعالى
فان فعله [illegible] من الظلمات الى النور لا الايمان الرسول لا يمكنه اخراج الناس
من الظلمات الى النور الا بدعوتهم والمراد بهذا الاذن هنا الامر واما
العلم والمشيئة والخلق وحمل الاذن على الاذن لان الاخراج من الجهل
الى العلم لا يتوقف على الامر فانه سواء حصل الامر او لم يحصل فان الجهل
ممنوع عن العلم والدليل متميز عن الحق وايضا حمل الاذن على العلم محال
لان العلم [illegible] على ما هو عليه والعلم بالخروج من الظلمات الى
النور تابع لذلك الخروج ومتبع ان يقال حصول ذلك الخروج تابع للعلم
بحصول ذلك الخروج وقد بطل هذان القسمان فيتعين الاذن المراد
من الاذن للمشيئة والتعليق وذلك يدل على ان الرسول لا يمكنه
اخراج الناس من الظلمات الى النور الا بمشيئة الله تعالى وتخليقه
فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من الاذن الالطاف قلنا
لفظ اللطف محمل ومن فصل القول فيه يعقل المراد بالاذن اما ان
يكون امرا يقتضي رجحان جانب الوجود على جانب العدم او لا يقتضي ذلك
فان كان الاول لم يكن فيه اثر البتة واسع ان يقال انه انما حصل

الاولى في تفسير الايه وجوه الاول ان المراد منها شهاد اهل
الكتاب من الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وهم عبد الله بن
سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري وروي عن سعيد بن جبير
انه كان يقرا هذا الوجه ويقول السورة مكية فلا يجوز ان يراد به
هاهنا الا انهم امنوا بالمدينة بعد الهجرة واجيب عنها بان قيل
هذه السورة مدنية وان كانت مكية الا ان هذه الاية مدنية وانما
قابلت البينة والامين مع كونها غير معصومين عن الكذب
لا يجوز وهذا السؤال واقع والقول الثاني ان الكذب الذي حتم
به معجز وقوان ظاهر الا انه لا يحصل العلم بكونه معجزا الا من علم
ما في هذا الكتاب من الفصاحة والبلاغة واشتماله على العلوم
وعلى العلوم الكثيرة ممن عرف هذا الكتاب على هذا الحكم علم كونه
معجزا فقوله ومن عنده علم الكتاب اي علم القران وهو قول
الاضم القول الثالث ومن عنده علم الكتاب المراد به
الذي يحصل عنده علم التوراة والانجيل يعني كل من كان عالما بهذين
الكتابين علم اشتمالهما على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم
فاذا انضاف ذلك العالم اولم يكذب كان شاهدا على ان محمدا
رسول حق من عند الله والقول الرابع ومن عنده علم الكتاب
هو الله تعالى وهو قول الحسن وسعيد بن جبير والزجاج قال
الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالله يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم قال
الزجاج الاشبه ان الله تعالى لا شهد على صحة حكمه لغيره وهو قول
متكلمي اهل العدل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا في الجملة
الا انه خلاف الاصل لا يقال شهد زيد بل يقال يشهد بدليل انه

واما

واما قوله ان الله تعالى لا يستشهد بغيره على صدق حكمه فنحن لا نسلمه
لما جاز ان يقسم الله تعالى على صدق قوله بالتين والزيتون فما
امتناع لما ذكره الزجاج ولما القراءة الثانية وهي قوله ومن عنده علم
الكتاب فلان احدا لا يعلم الكتاب الا من فضله واحسانه وتعليمه
ثم على هذه القراءة قولان ومن عنده علم الكتاب المراد العلم
الذي هو ضد الجهل اي هذا العلم انما حصل من عند الله والقراءة الثانية
ومن عنده علم الكتاب بضم العين وكسر اللام وفتح الميم على ما لم يسم فاعله
والمعنى انه تعالى امر نبيه ان يحتج عليهم بشهادة الله على ما ذكرناه
وكان لا معنى لشهادة الله على نبوته الا اظهار القران على وفق دعواه
ولا يعلم كون القران معجزا الا بعد الاحاطة بمعاني القران واسراره
بين تعالى ان هذا العلم لا يحصل الا من عند الله والمعنى ان الوقوف
على كل القران معجز لا يحصل الا اذا اشرف الله ذلك العبد بان
يعلمه علم القران والله عز وجل اعلم ٥

سورة ابراهيم عليه السلام ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ الر كتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط
العزيز الحميد ٥ اعلم ان الكلام في ان السورة مكية
او مدنية طريقة الاخبار ومتى ما ذكر في السورة ما يدل على قولها
من مكة والمدينة هذا وانما يحلف العرض في ذلك اذا حصل فيه ناسخ
ومنسوخ فيكون فيه فائدة عظيمة وقوله الر كتاب معناه ان السورة
المسماة بالر كتاب انزلناه اليك لغرض كذا وكذا فقوله الر مبتدا
وقوله كتاب خبره وقوله انزلناه اليك صفة لذلك الخبر وفيه مسائل

والاطلاق منه قيل لصاحب الحق معتب لانه يعتقب غريمه بالاقتضاء
والطلب فان قيل ما محل قوله لا معقب لحكمه قلنا هو حال من ضمير
النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه حال كونه غير
والمعارض يمر وال وهو سريع الحساب قال ابن عباس وهو
سريع الانتقام يعني ان امهاله ذا لجهاز له على الخير والشر يكون سريعا
فيما لا مدفع له دافع اما قوله تعالى وقد مكر الذين من قبلهم فمعناه
ان كفار الامم الماضية مكروا برسلهم واتبياتهم مثل نمرود مكر
بابراهيم عليه السلام وفرعون مكر بموسى عليه السلام واليهود مكروا
بعيسى عليه السلام ثم قال تعالى ولله المكر جميعا قال الواحدي
معناه ان مكر جميع الماكرين لله ومنه اي هو حاصل بتخليقه وارادته
لانه بين انه تعالى هو الخالق لجميع اعمال العباد واضاف ذلك
للماكر لاجل الامارة له ولا يوثر الا بقدرة وفيه تسكين للنبي
صلى الله عليه وسلم واما ازاله من مكرهم كانه قيل اذا كان حدوث
المكر من الله وناس في الممكور به من الله انصاف حتى لا
يكون الخوف الا من الله وان لا يكون الرجاء الا من الله وذهب
بعض الناس الى ان معناه ولله حزاء الماكرين وذلك انهم لما مكروا
بالمومنين ليصدهم الله تعالى انه يجازيهم على مكرهم قال الواحدي
والاول اظهر القولين واما قوله تعالى ليجزي كل نفس
ما كسبت فيه تنبيه على ان الكسب للعباد وخلاف
المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل
والترك وان الكل من الله قالت المعتزلة الاية الاولى ان
دلت على قولكم فالاية الثانية وهي قوله يعلم ما تكسب كل نفس
وهي قوله يعلم ما تكسب كل نفس دلت على قولنا لان الكسب هو الفعل

المشتمل على دفع مضرة او جلب منفعة ولو كان حدوث الفعل الخلق الله
لم يكن لقدرة العبد فيه اثر فوجب ان لا يكون فيه كسب وجوابه
ان مذهبنا ان جميع الحوادث مع الداعي مستلزم للفعل وعلى قد المقدور
والكسب حاصل للعبد ثم انه تعالى اكد ذلك التهديد فقال وسيعلم
الكافر لمن عقبى الدار وهذه مسائل

المسئلة الاولى

قرا ابن عامر وابن كثير وابو عمرو وسيعلم الكافر على لفظ المفرد والباقون
على الجمع قال صاحب الكشاف قرئ الكفار والكافرين
والذين كفروا والكفرى لهذه

المسئلة الثانية

المراد من الكافر الجنس كقوله ان الانسان لفي خسر والمعنى انهم وان
كانوا راجحا لا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة الحميدة ذلك كالزاجر
والتهديد والقول الثاني وهو قول عطاء يريد للمستهزئين وهم
خمسة وللفئتين وهم عامة وعشرين والقول الاول هو الصواب

قوله

تعالى ويقول الذين كفروا الست مرسلا قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

اعلم انه تعالى
حكى عن القوم انهم انكروا كونه رسولا من عند الله ثم انه تعالى احتج
عليهم بامرين الاول شهادة الله على نبوته والمراد من تلك
الشهادة انه تعالى اظهر المعجزات الدالة على كونه صادقا في الدعاء
الى الرسالة وهذا اعلا مراتب الشهادة لان الشهادة تفيد علم الظن
فان الامر كذلك والقول بعلم مخصوص يوجب القطع فكونه رسولا
من عند الله فكان اظهار المعجز اعظم مراتب الشهادة والثاني قوله
ومن عنده علم الكتاب وفيه قولان احدهما المسمى
عنده الذي عنده علم الكتاب والثاني ومن عنده علم الكتاب ومن
هاهنا لانتهاء الغاية اي ومن عند الله حصل علم الكتاب اما على القراءة

وعلى هذا التقدير فعند الله كتابان احدهما الكتاب الذي يكتبه الملائكة
على الخلق وذلك الكتاب محل المحو والاثبات والكتاب الثاني
وهو اللوح المحفوظ وهو الكتاب المشتمل على نفس جميع الاحوال
الحلوية والسفلية وهو الذي روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله سبحانه في كل ليلة ساعات من الليل ينظر في الكتاب
الذي لا ينظر فيه احد غير فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء والمحو في
تفسير هذين الكتابين كلام تحسنه واسراره عارضته والقول
الثاني ام الكتاب هو علم الله تعالى فانه تعالى عالم بجميع المعلومات
من الموجودات على سبيل التفصيل وعلى هذا التقدير فعند الله
كتابان احدهما الكتاب الذي يكتبه الملائكة على الخلق وذلك
الكتاب محل المحو والاثبات والكتاب الثاني هو اللوح المحفوظ
وهو الكتاب المشتمل على نفس جميع الاحوال العلوية والسفلية
وهو الذي روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله سبحانه في كل ساعات من الليل ينظر في الكتاب
الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء والقول
الثاني ام الكتاب هو علم الله تعالى عالم بجميع المعلومات من
الموجودات والمعدومات وان تغيرت الآن علم الله تعالى بها
باق متنزه عن التغير فالمراد بام الكتاب هو ذلك والله اعلم

قوله تعالى واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب والمعنى سواء ارينك ذلك او توفيناك
قبل ظهورها فالواجب عليك تبليغ احكام الله تعالى واداء الصلاة
برسالته وعلينا الحساب والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ كالسراج

قوله تعالى اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من

اطرافها

اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين
من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر
لمن عقبى الدار ۝ اعلم انه تعالى لما وعد رسوله ما به يريه
بعض ما وعده او يتوفاه قبل ذلك بين في هذه الاية ان ارجحصول
تلك الواعيد وعلامتها قد ظهرت وثبتت فحي قوله او لم يروا انا نأتي
الارض ننقصها من اطرافها وذلك لان المسلمين يتولون على اطراف
مكة وما حولها من الكفر فتارة وحينا بعد حين اخبار احوال الكفر
واردياد قوة المسلمين من اقوى العلامات والامارات على ان الله تعالى
سيحقق وعده وتظير قوله تعالى افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها
من اطرافها انهم الغالبون وقوله تعالى سنريهم اياتنا في الآفاق
والقول الثاني وهو ايضا منقول عن ابن عباس ان المراد بنقصها
من اطرافها ان المراد موت اشرافها وعلمائها وفقهاء الصلحاء والاخيار
قال الواحدي وهو المعقول وان احتمله اللفظ الا ان اللائق
بهذا الموضع هو الوجه الاول ويمكن ان يقال هذا الوجه ايضا
لائق بهذا الموضع ويعرف ان تقال اولم يروا انا نحدث في الدنيا
خرابا بعد عمارة وموتا بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال
واذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة فالذي يرى منهم
ان يقلب الله الامر على هؤلاء الكفرة دليلين بعد ان كانوا اعزة من
ويجعلهم مقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه فانه يجوز
ايضا هذا الوجه بما هو قبله وقيل بنقصها من اطرافها موت اهلها
وخراب بلادهم وديارهم فيها ولاي الكفر كفى كانوا اشد منا
بحدث فيهم امثال هذه الوقائع ثم قال تعالى وهو اسرع الحاسبين والله
يحكم لا معقب لحكمه ومعقب لا راد لحكمه والمعقب هو الذي يعقبه بالرد

الايه فولان الاول انها عامه فى كل شئ يقتضيه ظاهر اللفظ
والوان الله يمحو ما يشاء ويثبت وكذا القول فى الاجل والسعاده
والشقاوه والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود والعالمون
لهذا القول كانوا مدعوين وتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعيدا
لا اشقيا وهذا الدليل رواه حابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقول الثانى ان هذه الايه خاصه فى بعض الاشياء دون بعض
وعلى هذا التقدير ففى الايه وجوه الاول المراد من المحو والاثبات
نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم اخر بدلا من الاول الثانى انه تعالى
يمحو من ديوان الحفظه ما ليس بحسنه ولا سيئه لانهم ماموروون
بكتبه كل قول وفعل وهت عين وطرف ابهكر الاصم فيه فقال
انه تعالى وصف الكتاب بقوله لا يغادر صغيره ولا كبيره الا احصاها
وقال ايضا من يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن يعمل مثقال ذره
شرا يره فاجاب القاضى عنه لا يغادر من الذنوب لصغيره
ولا كبيره والمهم ان يحث عن هذا الجواب فيقول انكم باصطلاحكم
خصصتم الكبير والصغير بالذنوب وهذا مجرد اصطلاح
المتكلمين اما فى اصل اللغه فالصغير والكبير يتناول الكل
فعل وعرض لانه ان كان حجرا فهو صغير وان كان كبيرا فهو
كبير وعلى هذا التقدير وقوله لا يغادر صغيره ولا كبيره الا احصاها
يتناول الباقيات ايضا الثالث انه تعالى اراد بالمحو
ان من اذنب اثبت ذلك فى ديوانه فاذا تاب عنه محى من ديوانه
الرابع يمحو الله ما يشا وهو من حاله ويدع من لم يجئ
اجله وسنه الخامس انه تعالى يثبت فى اول تلك السنه
حكم تلك السنه فاذا انقضت السنه المجت واثبت كتابا اخر

لا تدل على كونه كاذبا الشبهة السادسة قالوا لو كان صادقا
في دعوى الرسالة لنسخ الاحكام التي نص الله على بقائها في الشرايع
المتقدمة نحو التوراة والانجيل لكنه نسخها وهي منها نحو تحريف
القبلة ونسخ التراحكام التوراة والانجيل فوجب ان لا يكون ناسخا
اجاب الله تعالى عنه بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام
الكتاب ويمكن ان يكون قوله لكل اجل كتاب كالمقدمة لتقرير هذا
الجواب وذلك لانا شاهدنا انه تعالى خلق حيوانا عجيبا في الخلقة بديع النظم
من نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم بين اعضاءه وفرق اجزاءه
وتعاضيده فلما امتنع ان يشرع الحكم في بعض الاوقات فكان المراد
من قوله لكل اجل كتاب ما ذكرناه نقول انه تعالى لما قرر ذلك
المقدمة قال يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
وللعني انه يوجد تارة ويعدم اخرى ويحيي تارة ويميت اخرى
ويعني تارة ويفقر اخرى فكذلك لا يمتنع ان يشرع الحكم تارة في وقت
اخرى بحسب ما يقتضيه المشية الالهية عند اهل السنة او
بحسب ما يقتضيه رعاية المصالح عند اهل المعتزلة وهذا تمام التحقيق
في هذه الاية ثم ها هنا مسايل

المسئلة الاولى

قوله تعالى لكل اجل كتاب فيه اقوال الاول ان لكل شيء وقت مقدر
والاوقات التي سماها لها وقت معين حكم الله به وكتبه في اللوح
المحفوظ ولا اشعر عن ذلك الحكم بسبب حكمائهم الفاسد وقولهم ان
الله تعالى اعطاهم ما التمسوا لكان فيه اعظم الفساد والبلاء
ان لكل حادث وقت معين قضى الله حصوله فيه كالحياة والموت
والغنا والفقر والسعادة والشقاوة ولا يتغير المشية عن ذلك الوقت
والدليل ان هذا من المعلوم والمعين لكل كتاب منزل من السماء جل

يتنزل فيه اي لكل كتاب وقت معلوم فوقت العمل بالتوراة قد انقضى
ووقت العمل بالقرآن قد اتى وحصر الشرايع لكل اهل كتاب
عند الملائكة فالانسان في اول احواله نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم يصير شابا ثم شيخا كذلك القول في جميع الاحوال من الايمان والكفر
والسعادة والشقاوة والحسن والقبح والخامس كل وقت مشتمل
على مصلحة خفية ومنفعة لا يعلمها الا الله فاذا جاء ذلك الوقت حدث
ذلك الحادث ولا يجوز حدوثه في غيره واعلم ان هذا الباب صريح
في ان الكل بقضاء الله وقدره وان الامور من مومه بارقا ان
قوله تعالى لكل اجل كتاب معناه ان بحسب كل اجل حادث
معين ويستحيل ان يكون ذلك المعين لاجل خاصة ذلك الوقت قال
ذلك محال لان الاجل المعروضة في الافعال المتعاقبة متساوية
فوجب ان يكون اختصاص كل وقت بالحادث الذي يحدث فيه هو بفعل
الله واختياره وذلك يدل على ان الكل من الله وهو مطابق قوله
عليه السلام حق العلم بما هو كائن الى يوم القيامة

المسئلة الثانية

قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويثبت
ساكنة الحاء خفيفة الباء من اثبت والباقون بفتح الثاء وتشديد الباء من
الست وحجة من خفف ان ضد المحو الاثبات لا التثبيت ولان
التشديد لتكثير وليس القصد بالمحو الكثير فكذلك ما يكون
في مقابلته ومن شدد احتج بقوله تعالى واشدد بيننا وبقوله فتبتوا

المسئلة الثالثة

المحو ذهاب اثر الكتابة يقال
محاه يمحوه محوا اذا ذهب اثر قوله ويثبت قال النحويون ويثبته الاثبات
استغنى بتعديه الفعل الاول عن تعديه الثاني وهو كقوله تعالى
والحافظين فروجهم والحافظات

المسئلة الرابعة في هذه

قالت المعتزله الايه دالة على حدوث القرآن من وجوه الاول
انه تعالى وصفه بكونه منزلا وذلك لا يليق الا بالمحدث الثاني
انه وصفه بكونه عربيا والعربي هو الذي جعل بوضع العرب
واصطلاحهم وما كان كذلك كان محدثا الثالث الايه دالة على
انه انما كان حكما عربيا لان الله تعالى جعله كذلك ووصفه بهذه
الصفه وكل ما كان كذلك فهو محدث والجواب ان كل هذه
الوجوه دالة على المركب من الحروف والاصوات وهي محدثه ولا
نزاع فيه والله اعلم ○ المسئله الرابعه ان كل هذه
الوجوه دالة على ان المشركين كانوا يدعون انتسابهم الى ملة ابراهيم فيوعدهم
الله على موافقتهم على تلك المذاهب بان يصلي الى قبلتهم يحدثنا
حوله الله عنهما قال لي عباس لعطاء بن ابي رباح النبي صلى الله عليه
وسلم والمراد منه امته والغرض منه بعث الرسول صلى الله عليه وسلم
على القيام بحق الرساله وتحذير من تخلف عنها ويتضمن ذلك ايضا تحذير
جميع المكلفين لان من سمع ان هذا حاله بعد التحذير منهم بذلك
احق واولى والله اعلم ○ قوله تعالى ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي
بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام
الكتاب اعلم ان القوم كانوا يذكرون انواعا من الشبهات
في ابطال النبوة فالشبهة الاولى قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق وهذه الشبهة انما ذكرها الله تعالى في سورة اخرى
والشبهة الاخرى قولهم الرسول الذي يرسله الله تعالى الى الخلق لا بد
وان يكون من جنس الملائكة كما حكى الله تعالى عنهم في قوله لو ما ما تاتينا
بالملائكة وقوله لولا انزل عليه ملك فاجاب الله عنه هاهنا
بقوله

قوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية يعني ان
الانبياء الذين كانوا قبله كانوا من جنس البشر لا من جنس الملائكة فالجواز
ذلك في حقهم فلم لا يجوز مثله ايضا في حقه الشبهة الثالثة
عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الاشتغال بالنساء وقالوا
لو كان رسولا من عند الله لكان مشتغلا بالسلوك بل كان معرضا
عنهم مشتغلا بالتنسك والزهد فاجاب الله عنه بقوله ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما الحامله وهذا الكلام يصلح ان
يكون جوابا عن الشبهة المتقدمة ويصلح ايضا ان يكون جوابا عن هذه
الشبهة وهذا كان لسليمان عليه السلام تسع مائة امراة منهن سبع مائة
سرية وثلاثمائة امراة والشبهة الرابعة قالوا لو كان
رسولا من عند الله لكان اي شيء سألناه من الاعراض به ولم يوقف
وما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس برسول فاجاب الله عنه وما
كان لرسول ان ياتي بآية الا باذن الله وهو يدل على ان المعجز الواحد كاف
في ان الله تعالى اقدر والعلة في اكثر اظهار المعجز والسبب فلما لم يقترح عليها
فهو مفوض الى مشيئة الله تعالى ان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها
ولا اعتراض لاحد عليه في ذلك ○ المسئلة الخامسة
الله عليه السلام كان قد وعدهم بنزول العذاب وظهور النصرة ولقومه
ان ذلك للوعد كان متاخرا فلما لم يشاهدوا تلك الامور اجتمعوا على الطعن
في نبوته وقالوا لو كان صادقا لما ظهر كذبه فاجاب الله تعالى بقوله
لكل اجل كتاب يعني نزول العذاب على الكفار وظهور الفتح والنصرة
للاولياء قضى الله حصولها في اوقات معينة مخصوصة ولكل حادث
وقت معين نزول العذاب على الكفار وظهور الفتح والنصرة للاولياء
فقبل حصول ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث فاخر تلك المواعيد

الاول قال ابن عباس الذين اتاهم الكتاب هم الذين اسلموا الا ترى
من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن
امن من النصارى وهم اثنان وستون رجلا اربعون بنجران واثنان بارض
الحبشه ومن سواهما القرآن لانهم لشوابه وصدقوه والاحزاب بقيه
اهل الكتاب والمشركين وهذا الوجه اولى من الاول لانه لا يشهد
ان من اوتي القرآن فانهم يفرحون بالقرآن اذا حملناه على هذا
الوجه ظهرت الفائدة ويمكن ان يقال لا سعادة يوازي ان الذين
اوتوا القرآن يرداد فرحهم به والثاني الذين اسلموا الكتاب
اليهود اعطوا التوراة والنصارى الانجيل يفرحون بما انزل
الى النصارى لانه مصدق لما معهم ومن الاحزاب من ينكر بعضه
وهو قول مجاهد قال القاضي وهذا لا يصح لقوله تفرحون
بما انزل اليك اي جميع ما انزل الله ومعلوم انهم لا يفرحون بكل
ما انزل الله لاعتقاد العموم بدليل جواز ادخال اللفظ الكل
والبعض عليه ولو كانت كلمة ما للعموم لكان ادخال لفظ الكل
عليه تكريرا وادخال لفظ البعض عليه نقصانا ثم انه تعالى لما بين
هذا جمع كل ما يحتاج اليه في معرفة المبدا والمعاد في الفاظ قليلة
فقال قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعوا واليه
مآب وهذا الكلام جامع لكل ما ورد التكليف به وفيه فوائد
اولها كلمة انما للحصر ومعناه اني ما امرت الا بعبادة الله وذلك
يدل على انه لا تكليف ولا امر ولا نهي الا بذلك وثانيها ان عبادة
الله لا يمكن الا بعد تحصيل معرفته ولا سبيل الى معرفته الا بالدليل
فهذا يدل على ان للمكلف النظر والاستدلال في معرفة ذات
الصانع وصفاته وما يجب ويجوز ويستحيل عليه والعجب ان

عباده

عباده واجبه وهي تبطل قول نفاة التكليف وتبطل القول بالجبر
المحض وخامسها قوله ولا اشرك به وهذا يدل على نفي الاضداد والانداد
بالكلية ونهايتها ابطال قول من اتخذ معبودا سوى الله تعالى
قال ان ذلك المعبود هو الشمس والقمر والكواكب والاصنام والاوثان
والارواح او شيطان وهو من قال في قوله المجوس اثنين اثنين النور والظلمة
على ما تقوله السوبه وسادسها اليه ادعوا والمراد منه انه كان واجبا
عليه الاشتغال بعد البعثة فكذلك يجب عليه الدعوة الى عبادة الله
وهو الاشارة الى بعثته وسابعها قوله تعالى واليه مآب وهو
اشارة الى الحشر والنشر والبعث والقيامة فاذا تامل الانسان في هذه
الالفاظ القليلة ووقف على ما فيها من انها محتوية على جميع المطالب
المعتبرة في الدين قوله تعالى وكذلك انزلناه حكما عربيا
ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا
واق فيه مسائل المسئلة الاولى
انه تعالى شبه انزاله حكما عربيا بما انزل على من تقدم من الانبياء كتبا
انزلنا الكتب على الاعجمين فكذلك انزلنا اليك القرآن والكناية
في قوله انزلناه تعود الى قوله حكما عربيا انزل الله يعني القرآن
المسئلة الثانية قوله انزلناه حكما عربيا فيه وجوه
الاول حكمه عربية مرجعه لسان العرب الثاني ان القرآن
مشتمل على جميع انواع التكاليف والحكم لا يفوق القرآن فلما كان
القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة الرابع انه حكم
على جميع المكلفين بقبول القرآن والعمل به فلما حكم على الخلق بوجوب
قبوله جعله حكما واعلم ان قوله حكما عربيا نصب على
الحال والمعنى انزلناه حال كونه حكما عربيا المسئلة الثالثة

الباء لسكونها والتقائها مع التنوين في الوقف في الرفع والجر والنصب
كانت الحذفت في الوصل فصادف الوقف الحركة التي هي كسرة من
عمر فلعل يحذفها كالحذف سائر الحركات التي يقف عليها بعض
عاد ووال ورواق كان يركه يقف بالهاء هاذي ووالي
ورواقي ووجهه ما حكى سيبويه ان بعض من يوثق به من العرب يقول
هذا راعي بتنوين الالف قوله تعالى مثل الجنة التي
وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها تلك
عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار فيه مسئلتان ○
المسئلة الاولى اعلم انه تعالى لما ذكر عذاب
الكفار في الدنيا وفي الاخرة اتبعه بذكر ثواب المتقين وفي قوله
مثل الجنة اقوال الاول قال سيبويه مثل الجنة مبتدأ وخبره محذوف
والتقدير وقصصنا عليكم وقال الزجاج مثل الجنة من صفتها
كذا وكذا والثالث مثل الجنة مبتدأ وخبره تجري من تحتها الانهار
كما تقول صفة زيد اسمر والرابع الخبر قوله اكلها دائم لانه الحابر
عن العادة فكانه قال مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها
الانهار كما تعلمون من حال الجنة ان اكلها دائم ○
المسئلة الثانية اعلم انه تعالى وصف الجنة بصفات
ثلاث اولها تجري من تحتها الانهار وبانبها اكلها دائم وادراتها
وبمن انها ومنافعها اما دوام الاخر فهي غير منقطعة وبانبها
ان ظلها دائم ايضا فالمراد انه ليس هناك حر ولا برد ولا شمس ولا
قمر ولا ظل وظلمس قوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
ثم انه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة بين ان ذلك
عقبى الذين اتقوا ومعنى عاقبة اهل التقوى هي الجنة وعاقبة الكافرين

النار وتحاصيل الكلام من هذه الاية ان ثواب المتقين منافع خالصة عن
الشوب موصوفة بصفات الدوام واعلم ان قوله اكلها دائم فيه مسائل
المسئلة الاولى انه تدل على نعيم الجنة لانفي كمال وعذاب
جهنم المسئلة الثانية قالت الفاضي هذه الاية تدل
على ان الخلق لم يخلق بعد لانها لو كانت مخلوقة لوجب ان تفنى وتنقطع
اكلها لقوله تعالى في اكلها دائم بوجب ان لا يكون الجنة مخلوقة
ثم قال ولا يمكن ان يحمل الان في السموات جنات كثيرة سمع بها الملائكة
ومن بعدهم من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روي في ذلك الاثر
الذي يرجع اليه ان جنة الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة الثواب
ان دليلهم مركب من امرين احدهما قوله كل شيء هالك الا وجهه والاخر
قوله اكلها دائم وظلها فاذا ادخل التخصيص في احد هذين العمومين
سقط دليلهم فنحن نخصص احد هذين العمومين ما الدليل الدال على ان
الجنة مخلوقة وهو قوله وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل
اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك
به اليه ادعو والله مابي اي المراد بالكتاب قولان والمراد ان اهل
القرآن يفرحون بما انزل على محمد من انواع التوحيد والعدل والنبوة
والبعث والاحكام والفصص ومن الاحزاب الجماعات من اليهود والنصارى
وسائر الكفار ينكر بعضه وهو قول الحسن وقتادة فان قيل
الاحزاب ينكرون كل القرآن قلنا الاحزاب لا ينكرون كل القرآن
لانه ورد فيه اثبات الله تعالى واثبات قدرته وعلمه وحكمته وانما صيب
الاساور الاحزاب ما كانوا ينكرون كل هذه الاشياء والاقرب
ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل وعلى هذا التقدير ففي الاية وجهان

فما المزين لذلك الشيطان ان كان شيطان آخر لزم التسلسل وان
كان هو الله فعند ذلك السؤال والمعالي ان افعال العباد
لا يقدر عليها الا الله والدلالة انا قد دللنا على ان جميع الوقائع
لا بد وان تحصل بقضاء الله وعند حصوله يحرم العقل والله اعلم اما
قوله تعالى وصدوا عن السبيل فاعلم ان قوله عليهم وحمزة والكسائي
وصدوا بضم الصاد في الحج وللروس وصدوا عن السبيل على ما لم يسم فاعله
بمعنى صدهم غيرهم وعند اهل السنة ان الله صدهم والمعتزلة يقولون
وجهان قيل الشيطان وقيل انفسهم وبعضهم لبعض كما يقال فلان
معجب وان لم يكن ثم عين وهو قول ابي مسلم والباقون بفتح الصاد
من صد وفي الصورين بمعنى الكفار وصدوا عن سبيل الله اي
اعرضوا وقيل صدوا غيرهم وهو لازم ومتعد وحجة القراءة الاولى
بينا كلها فيما قبلها من ان الفعل للمفعول وحجة القراءة الثانية
قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عنه قال تعالى ومن يضلل الله
فما له من هاد واعلم ان الضلال امسكوا بهذه الآية من وجوه
الاول قوله بل زين للذين كفروا مكرهم وقد بينا بالدليل ان
ذلك للمزين هو الله تعالى وثانيها قوله وصدوا عن السبيل
بضم الصاد وقد بينا ان ذلك الصاد هو الله تعالى وثالثها
قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد وهو صريح في المقصود ورابعها
ان ذلك المزين هو الله تعالى فذلك الصارف ليس الا الله تعالى
وخامسها قوله تعالى لهم عذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة اشق
اخبر منهم انهم سيقعون في عذاب الآخرة واخبار الله تعالى يمتنع
تطرق النسخ اليها وسادسها وقوع التعذيب في هذا الكتاب كما قال القاضي
في

ومن يضلل الله اي عن ثواب الجنة اكفى فما له من هاد سببا بذلك ان
الثواب لا ينال الا بالطاعة خاصة فمن ذلك عنها لم يجد اليها سبيلا
وقيل المراد بذلك من حكم بانه ضال وسماه ضالا وقيل المراد من
يضلله الله عن الايمان اي عند كلمة الكفر والوجه الاول
اولى وقد دللنا على ان الوجه الاول ضعيف جدا لان الكلام انما وقع في
شرح احوالهم وكفرهم لا في ايمانهم وعلمهم الى الجنة البتة فيبعد
الكلام عن المذكور بعد وانضاف الى ذلك انا بينا ان الاخبار كذبوه
الا انه تعالى لما اخبر انهم لا يدخلون الجنة فقد حصل المقصود لان
خلاف معلوم الله تعالى ومخبره محال ممتنع الوقوع واعلم
انه تعالى لما اخبر عنهم بتلك الامور المذكورة من انه جمع لهم بين
عذاب الدنيا وبين عذاب الآخرة اردفه بما يدل على ان لا دافع له عنه
لا في الدنيا ولا في الآخرة اما عذاب الدنيا بالقتل والاسر
والمراد باللعن اللعن والابعاد وهل من محل للصابين بالامراض في ذلك
ام لا اختلفوا فيه فقال بعضهم انها لا تكون عقابا لان كل احد تناله
مصيبة فهو مأمور بالصبر عليها ولو كان عقابا لم يكن كذلك والمراد
على هذا القول من الآية القتل والسبي واغتنام الاموال واللعن انما
قال ولعذاب الآخرة اشق لانه اريد ان يشتد التعذيب
فان بيت بنى الانواع فان سمعت انه لا اختلاط به شيء
من مشتهيات الراحة وان سمعت ليست لاحد ولم يوجد الانقطاع
عن قوله ومالهم من الله من واق ان احدا لا يقيهم ما نزل بهم من عذاب
الآخرة وقال الواحدي اثر الفعل قد يقع على الخوف من غير اعمال
مثل قوله ومن يضلل الله فما له من هاد وكذلك في قوله واق
وهو الوجه لانك تقول في الرجل هاهنا زوال وواق فيجد

اقوالهم سابقا الا انها استهزاء وايهام كان قومك استهزءوا بك فاملیت
للذين كفروا اي امهلتهم للتدبر ساخنى العقوبة ثم اخذتهم فكيف كان
عقابي لهم واعلم انى ساستهم من مواضع كما اسمعت من اولئك
المتقدمين والاحلال الامهال وان تكون امدت من الزمان من حفظ
وامر كما سهلا للقاني للدعي وجوابهم من اصر اجهم الاباب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء ثم الله تعالى اورد على
المشركين ما جرى مجرى التحكم وما يكون في معالجهم وتحسينا من قولهم
فقال افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى انه تعالى
واد على المخلوقات عالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكليات
واذا كان كذلك كان عالما بجميع احوال النفوس وقادرا على تحصيل
المنافع ودفع المضار ومن اتصاف الواجب لعالم على كل المعلومات
واتصافه بالقدرة على كل المقدورات وهذا هو المراد من قوله
افمن قائم على كل نفس بما كسبت وملاك الامر الحق سبحانه قائما
بالقسط واعلم انه لابد لهذا الكلام من جواب ولعلوا فيه على
وجوه الاول افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
كمن ليس بهذه الصفة وهي الاصنام التي لا تسمع ولا تضر وهذا الجواب
مبني على قوله تعالى وجعلوا لله شركاء والتقدير افمن هو قائم على
كل نفس بما كسبت كشركائهم التي لا تضر ولا تنفع ونظيره قوله
تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وما جاز قوا
به لاجل انه مبني على قوله تعالى من قبل للعابسة قلوبهم من
ذكر الله فكذا هاهنا قال صاحب الكشاف ويجوز ان يكون
ما بعده خبرا للمبتدا او تعطف عليه قوله وجعلوا والتقدير افمن هو
بهذه الصفة لو وجد وجعلوا له شركاء الوجه الثاني وهو الذي

ذكره المتدي صاحب حل العقد فقال الجعل الواو في قوله
وجعلوا واو الحال ودخل للمبتدا اضمار والتقدير افمن هو قائم على
كل نفس بما كسبت موجود والحال انهم جعلوا لله شركاء فمعنى
الظاهر هو قوله الله مقام المضمر تهويلا لما لعنته وتقريحا وهذا
كما يقال لعلى الناس وجميع من هو موجود وكوم قتلى واعلم انه
تعالى لما قرر هذا المعنى وجه الحجة وادفى الحجاج وقال للرسول هم وانما قال
ذلك رعيا للفواصل فحسن الذي بلغ في الحقارة الى ان لا وجود ولا وضع له
اسم فعند ذلك قال لنبيه ان شئت يعني انه احسن من ان يسمى بشيء
ولكنك ان شئت ان تضع له اسما فضع فكانه تعالى قال سموهم
بما لائقه على سبيل التهديد والتعجيز حتى استقبح بعد الاسم
اذ لم تسموهم به فانه في الحقارة بحيث لا يستحق ان يكون له
البهائم وادنى الحجاج فقال له سموهم يعني ما لا يعلم في الارض والمراد
تقرير قوله على ان الجمادات وعلى ما من معلوم به وهو لا يعلم به والمناخص
الارض بعد التشبث عنها بان لم يكن شريك الله لانه ادعوا ان
له شركاء في الارض لا في غيرها ام بظاهر من القول يعني بموجود
ظاهر من القول لا حقيقة له وهو كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم
ثم انه تعالى بعد هذا الحجاج بين طريق فهم فقال على وجه التحقيق للامر
عليه بل زين للذين كفروا مكرهم ذلك الوجه عن سبيل بل هاهنا
كانه تقول دع ذلك دين لهم مكرهم وذلك لان تعالى لما ذكر الدلائل
قال لاشبهة في انه تعالى انما ذكر هذه الدلائل لاجل ان يؤمنوا به
واذا كان كذلك امتنع ان يكون ذلك صوا استقلالا بل لابد ان
يكون شياطين الانس او شيطان الجن واعلم ان صدر الوجه الاول
ضعيف من وجوه الاول انه ان كان المراد من قوله شيطان الجن او الانس

اي الرسل اوحى الكتاب ما وحدت للعرب بسبب نعني
علت النبه والوجه الثاني ما روي ان عليا وابن عباس
كانا يقرأن افلم يأس الذين امنوا فعيل لان عباسا من اهل اليمن يقال الطف
الكاتب بسينه والحذف يقوي سين وهذا القول بعيد جدا لانه يقتضي كون القرآن
محل التصحيف والتحريف وذلك يوجب طعن في نبوته صلى الله عليه
الكشاف ما هذا القول والله اعلم الا فرية ما فيها مرية والقول
الثاني قال الزجاج المعنى افلم يعلم الذين امنوا ان الهداية
لان الله لو شاء لهدى الناس وقد روي ان العالمين التي لا تكون توجب
حسن المجاز وهذا السبب حسن لاطلاق اللفظ عليه لاراد العلم والله اعلم

المسئلة الثانية

اختلفوا في قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة
او تحل قريبا من دارهم فقيه مسئلتان

الاولى قوله الذين كفروا فيه قولان احدهما انه عائد الى جميع الكفار
لان الوقايع المذكورة التي وقعت لبعض الكفار من القتل والسبي
اوجب حصول الغم في قلوب الكل وقيل اراد بعض الكفار
وهم جماعة معينون والالف واللام في لفظ الكفار للعهد السابق

وهو

وهو ذلك الجمع المعين

المسئلة الثانية

في الآية وجهان
الاول ولا يزال الذين كفروا تصيبهم قارعة بما صنعوا من كفرهم
وسوء اعمالهم قارعة داهية تفزعهم بما حل الله بهم في كل وقت
من صنوف البلاء والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم وحل
القارعة قريبا منهم يفزعون ويضطربون وسط ديارهم التي هي شوكتهم
حتى يأتي وعد الله وهو موتهم او القيامة والقول الثاني ولا يزال
الذين كفروا بربهم كفار قريش تصيبهم بما صنعوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يزال يسمع اليوم بما نزل بمكة بعطف منهم وتصيبهم هي واشياعهم
او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل يوم الحديبية حتى تأتي وعد
الله وهو فتح مكة وكان الله وعد ذلك ثم قال تعالى ان الله لا
يخلف الميعاد والغرض منه تقوية قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وازالة الحزن عنه قال القاضي وهذا يدل على ان القول
من يجوز الخلف على الله في وعده وهذه الآية وان كانت واردة
في حق الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بعمومه
هذا قول كل وعيدي وردي في حق الفساق وجوابنا ان الخلف في العموم
غير وحي لا يقول بخلف ولكنا نجيب عنه خصوصا بما ذكرنا في الوعيد
بالآيات الدالة على العفو بسوى الله اعلم

قوله تعالى

ولقد استهزئ برسل من قبلك فاملیت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان
عقاب اعلم ان هو قائم على كل نفس بما كسبت اعلم ان القوم
لما طلبوا سائر المعجزات من الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء
والتعنت وكان ذلك شاقا عليه وشاديا من ذلك الكلام فالله تعالى
انزل هذه الآية تسلية له وتصبيرا له على سفاهة قومه فقال له ان

الامينا قوله سبحانه لسليمان العظيم الذي اوحينا اليك وقال مراد اسقرا
عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن اي حال
حاله انهم يكفرون باتباع الرحمن الذي وسعه وسعهم كما سبق
وما يعلم من نعمه فيه وكفروا بنعمه في ان مالك ملك اليمن
وانزل هذا القرآن المعجز عليهم قل هو لي لا اله الا هو عليه
عن الشركاء الا هو عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب
يتوب على من اطاعه منكم ويحاسب من عصاه وهم يكفرون بالرحمن
فيعرفون ان الله هو الرحمن اما الله فيعرفه واما الرحمن
فلا يعرفه الاصاحب اليمامة يعني مسيلمة الكذاب فقال تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وكونه
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وقيل انه على الله
حين صالح قومه من الحديبية كتب هذا ما صالح عليه رسول الله
فقال المشركون ان كنت رسول الله ما قاتلناك فقد ظلمناك ولكن
اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فكتب كما لك ولما كتب
الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا
ما الرحمن فما نعرفه وكانوا يكتبون باسمك اللهم فقال عليه
كما يقولون واعلم ان قوله وهم يكفرون بالرحمن اذا حملناه على هاتين
الروايتين كان معناه انهم كفروا اما طلاق هذا الاسم على الله لانهم
كفروا بالله تعالى وقال اخرون بل كفروا بالله اما بجحد الاله
واما لانهم اشركوا معه غيره والقول الاول هو الظاهر
لان قوله وهم يكفرون بالرحمن يقتضي انهم كفروا بالله وهو المفهوم من
الرحمن وليس للمفهوم منه الاسم كما لو قال بل كفروا بمحمد وكذبوا
به فكان المفهوم هو لا ي اسمه والله اعلم قوله تعالى

ولو

ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله
الامر جميعا افلم ياس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى
يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد اعلم
اهل مكة فعلوا اين فنا الكعبة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعرض عليهم الاسلام فقال عبد الله من امية لا نؤمن لك يا محمد
حال مكة حتى تفجر لنا الكان علينا واجعل لنا فيها انهارا نزرع فيها
او احي لنا بعض اجدادنا قصي بن كلاب حتى نسالهم احق ما تقول ام باطل فان كانوا احياء
الموتى او سخر لنا الرياح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح
تسخر لسليمان ملك اليمن على بساط من خشب فنزل قوله
تعالى ولو ان انا سيرت به الجبال او قطعت به الارض اي شققت
وجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى حتى نعلم ان ما تدعيه حق فانزل الله
عليك ثم حذف جواب لو لكونه معلوما وهو لكان هذا القرآن
هو انه لو كان حقا ما سيرت به الجبال وكذا ما ذكر بعده كقوله تعالى
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى ثم قال تعالى بل لله الامر
جميعا ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وليس لاحد ان يحكم عليه بما يفعله
ويحكم به ثم قال تعالى افلم ياس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا وفيه مسئلتان المسئلة الاولى في قوله
افلم ياس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا في قوله تعالى
قولان احدهما افلم يعلموا وعلى هذا القول اليئس معناه وهو من
الاول بياس يعلم في لغة النخع وهذا قول اكثر المفسرين من مثل مجاهد
والحسن وقتادة واحتجوا عليه بقول الشاعر

الم ياس الاقوام اني انا ابنه وان كنت من ارض العدى نائيا

و

حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد الى الاستيلاء عليها
والتصرف فيها امتلأ اذا توجه القلب الى هذا المعنى الخسيس حصل
فيه الحرص الاتوان الخسيس فيه والاتوان الالهية فهناك يكون ساكنا
فلهذا السبب قال الا بذكر الله تطمئن القلوب الثاني ان
القلب كلما وصل الى شيء فانه يطلب الانتقال منه الى حالة اخرى
اشرف منها فان السعادة في عالم الجسم الاوفر منها فرتبة اخرى
في اللذة والغبطة اضعاف اضعاف ما بين الكلب والعقل الى الاستعداد
للعلوم الالهية والاحوال القدسية بقي هناك واستولى عليه ذلك
على الانتقال منه البتة لانه ليس هناك درجة اخرى يكمل في
السعادة منها اصلا فلهذا المعنى قال الا بذكر الله تطمئن القلوب
والوجه الثالث في تفسير هذه الكلمة ان الانكسار اذا وقع
منه دين على النفس الخبيث دعاها ذلك على كل الوجوه وصار ذلك
الدواعي الحاصلة بالنفاق حسن ذلك الانكسار فيقع ذلك في
مان يصلح جوهرا نفاضا نورانيا لا يقبل التغير والتبديل في
ذلك هذا قال الا بذكر الله تطمئن القلوب ثم قال الذين امنوا
وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب وفيه مسائل

المسئلة الاولى في تفسير كلمة طوبى لله اقوال
الاول انها اسم شجرة في الجنة روي عن رسول الله صلى الله عليه
انه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه وان
اغصانها من وراء سور الجنة وحكى الحسن ان اصل هذه الشجرة في دار
النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن وقيل
الاتي وصوفوا اهل اللغة ان طوبى مصدر من طاب يطيب وقيل
ومعنى طوبى اصبت طيبا وقيل فرح وقرة عين لهم عن ابن عباس

وقيل

وقيل تقرة اعين عن مكروه وقيل خير لهم مما كانوا يعلمون عن الاصم وقيل
العيش الطيب لهم عن الرجاج واعلم ان هذه المعاني متقاربة
في اللغة والحاصل انها مبالغة في وصف الطيبات ويدخل فيه جميع
اللذات ويشبه ان طيب الاشياء في كل الامور حاصل لهم والقول
الثالث ان هذه اللفظة ليست عربية لكنها فارسية ثم قال بعضهم الحبشة
بالحبشية وقيل اسم الجنة بالهندية وقيل هي البيتان بالسريانية
وهذا القول ضعيف لانه ليس في القرآن الا العربي فلا يجوز ادخال
هذا اللفظ من اللغة الغريبة ملخص

المسئلة الثانية
قال صاحب الكشاف الذين امنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ومعنى
طوبى اي اصابوا خيرا ومحلها النصب او الرفع كقولك طاب لك وطاب
لك وسلام لك وسلاما لك والقراء في قوله وحسن مآب كذلك بالرفع
والنصب على ما مر والله اعلم واما قوله وحسن مآب فالمآب
المرجع والمقر وقد ذكرنا ذلك وعند من الله تعالى يا عظم النعم ثم قال في
طلعته تحذيرا من معصيته

قوله تعالى كذلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون
بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب

اعلم ان الكاف في كذلك للتشبيه فقيل وجه التشبيه ارسلناك
كما ارسلنا الانبياء قبلك في امة من قبلها امم وهو قول ابن عباس والحسن
وقيل كما ارسلنا الى امم واعطيناهم كتبا سلى عليهم كذلك ارسلناك
هذا الكتاب وانت تتلو عليهم وقال صاحب الكشاف
كذلك ارسلناك اي مثل ذلك الارسال ارسلناك ارسالا مثل شأن
وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت
من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمها امم وهي آخر الامم وانت خاتم

صلى الله عليه وسلم كانت اكثر من ان تحصر فتشتبه على العامل فلذلك
طلبوا ابوابها الاماكن التي كان وضعها للتعقب والا يستبعد ان يقال
ان كان قبل لهم ما اعظم عناد كم ان الله تقبل من تاب من كان على صفتكم
من الذنوب وبسط السكينة على الكل فلا سبيل الى العتاب بكم
وان اوجبت كل ايه وعيدا من هذه الايات على حدة فكانه قيل لهم لا فائدة في ظهور
اسم هذا الطلب لسائر الايات والمعجزات فكانه قيل لهم لا فائدة في ظهور
الايات والمعجزات فان الحصول الهداية من الله فلكن حصل تلك
الايات الكثيرة فلم يحصل الهدى لهم بسبب ان الله لا يخلق الهدى فيهم
مطلب الا لمن يريد ولكن ترجع الى السبب الذي لطلب الايات وابعاضها
قلت الوجه الثاني الحق ان الله تفضل من يشاء الى من يشاء
وثوابه عقوبة له على تعنته فليس معنى عتب الله تعالى الى ما لا سبيل
الله لاحد الى ان يقول لم لا هدى الله الكل بل معناه اي شيء لك
من ثواب واي شيء لك من عقاب اي لست تدري لعله
علقه بقوله من اراد اي عقاب والهدى جعله المؤمن هو الثواب
لانه استحقه على الله وذلك يدل على انه تعالى انما يفصل عن
الثواب والعقاب لا عن الدين على من دهب اليه من اصحابنا
هذا تمام كلام ابي علي قوله اما من الجبائي فجوابه
قوله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر
الله تطمئن القلوب الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن
مآب اعلم ان قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات
بدل من قوله من اناب قال ابن عباس يريد اذا سمعوا القرآن
خشعت قلوبهم واطمأنت فان قيل السبب انه قال في قبول
الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد

الاطمئنان

الاطمئنان فكيف وصفهم هاهنا بالاطمئنان والجواب من وجوه
الاول انهم اذا ذكروا العقوبات ولربما شوا من ان يعفو الله عن
المعاصي فعند ذلك يوجل واذا ذكروا ما وعد به من الثواب والرحمة
سكنت قلوبهم الى ذلك فاحد الامرين لا ينافي الاخر لان الوجل
هو ذكر العقاب والطمأنينة ذكر الثواب وترجيح الرجل في حال
ذكرهم في المعاصي وترجيح الطمأنينة عند استماع الطاعات الثاني
ان المراد ان جميع ما يكون القرآن معنى يوجب حصول الطمأنينة لهم في دين
محمد صلى الله عليه وسلم سألوا من عند الله اما شكهم في كونهم
ملزمين الطاعات على سبيل الدوام والكمال يوجب الوجل في قلوبهم
والا لما تم حصلت في قلوبهم الطمأنينة في ان الله تعالى صادق
في وعده ووعيده وبان محمدا صادق في كل ما اخبر عنه الا انه حصل
الوجل والخوف في قلوبهم لتحمل اعباء الطاعات الموجبة للثواب
ايحاد حمل احترازا عن المعصية الموجبة للعقاب ام لا واعلم
ان قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب لطائف دقيقة بعضها في
الاول الموجودات على قسمين قسم مؤثر لا تاثر ومتاثر لا تاثر
وموجود ليس بمؤثر في شيء ومتاثر عن شيء هو الحق الذي لا يتاثر هو الله سبحانه
وتعالى والمتاثر الذي لا يؤثر هو الجسم فانه واقع بايجاد الله تعالى
والاجسام المتناهية وليس لها خاصية الا القبول فقط واما الموجودات
التي توجد بايجاده وتاثر اخرى فهي الموجودات الروحانية وذلك انها اذا
توجهت الى الجسم الاعلى صارت قابلة للافاضة القابلة عن
مشيئة الله تعالى وقدرته وكونه كذلك واذا توجهت الى عالم
الاجسام استانست الى التعلقات فنها لان عالم الارواح مؤثر لعالم
الاجسام اذا عرفت هذا فالقلب كلما توجه الى عالم الاجسام

في

والمراد من نقض هذه العهود ان لا ينظر المرء في الدلالة اصلا
فيعتقد لامكنه العلم بحقيقتها ولمن ينظر ويعلم صحتها ان يعاند
فلا يعمل بعلمه او بان ينظر حتى اشبهه فيعتقد خلاف الحق والمراد
من قوله تعالى من بعد ميثاقه ان يوالي تلك الادلة واحكامها
لانه لا شيء اقوى مما دل الله على وجوبه في انه يسمع يعلمون يصير
تركه فان قيل ما اذا كان العهد لا يكون لامع للميثاق فما
فايدة اشتراطه تعالى بقوله من بعد ميثاقه قلنا لا يسمع ان
يكون المراد الادلة الواقعة للوكد لانه تعالى قد يوكد العهد
بدلايل اخرى سوى كانت تلك للوكدات دلايل عقلية او
سمعية ثم قال تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل فيه مسائل
في قوله تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل فجعل من
صفات هؤلاء القطع والصد عن ذلك الوصل والمراد به قطع
كل ما اوجبه الله وصله ويدخل فيه وصل الرسول بالموالاة
والمعاونة ووصل المؤمنين ووصل الارحام ووصل ما يؤمر به
من حق ثم قال ويفسدون في الارض وذلك الفساد هو
بالدعاء الى غير دين الله وقد يكون بالظلم في النفوس والاموال
وتخريب البلاد ثم انه تعالى بعد ذكر هذه الصفات قال
اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار واللعنة من الله الابعاد
من خير الدنيا والاخرة الى ضده من عذاب ولعنة ولهم سوء
الدار والمراد جهنم وليس فيها الا ما يسوء الصابر اليها ثم
قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع الغرور
اعلم انه تعالى لما حكى عن من ينقض عهد الله من بعد توكيده

والذين

والذين هم ملعونون في الدنيا ومعذبون في الاخرة فكانه قيل لو كانوا
كذلك لما اتى عليهم انواع النعم واللذات في الدنيا فاجاب الله تعالى
عنه بهذه الاية وهو انه تعالى يبسط الرزق على البعض ويضيقه
على البعض ولا علم له بالكسب والايمان فقد يوجد الكافر موسعا
عليه دون المؤمن ويوجد المؤمن مضيقا عليه دون الكافر والدنيا
دار امتحان لـ الواحدي ومعنى العهد في اللغة
قطع الشيء على ما وصفناه من غير تناول ولا نقصان وكل المعهود
شيء مضى بعد ما كان حاضرا بخير وشر وقول الله تعالى ومن قدر عليه رزقه
ومعناه انه يوسعه قد كنا انه لا يفعل عنه شيء اما فعله فوصفوا
بالحياة الدنيا فهو راجع الى من يبسط له الرزق ومن تعالى ان ذلك
لا يوجب الفرح لان العباد انما يفرحون بالشيء لاضافته الى الاحسن كالشيء
الفاعل بالنسبة الى ما لا ينافيه له ۞ قوله تعالى
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء
ويهدي اليه من اناب ۞ اعلم ان الكفار قالوا يا محمد
ان كنت رسولا فاما بالمعجز فاهون ظاهر مثل معجزات موسى وعيسى
عليهما السلام فاجاب عن هذا القول بقوله قل ان الله يضل من
من يشاء ويهدي اليه من اناب وبان كيفية هذا الجواب من وجوه
احدها كانه يقول ان الله انزل عليه ايات ظاهرة ومعجزات
قاهرة لكن الاضلال والهداية من الله فاضلع عن ذلك الايات
الظاهرة القاهرة وهذا اقوى مما احوس الهاحتى عرفوا بها صدق
محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة فاذا كان كذلك فلا فايدة في
تكثير الايات والمعجزات وثانيها انه كلام يجري مجرى التعجب
من قولهم وذلك لان الايات الباهرة المتكاثرة التي ظهرت على رسول الله

المسئلة الاولى قال ابن عباس لقم خيم من درة مجوفة
طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها ابواب مصاريعها من ذهب
تطوف عليهم من كل باب تقول لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار وقال الوبكر الاصم من كل باب من الابواب البر كالصلاة
والزكاة والصبر تقول وتعم ما العقبى الله
بهذه الدار الاولى واعلم ان دخول الملائكة ان حملنا على الوجه
الاول وهو مسرّ عظيم لانه اخبر تعالى عن هاولاء المطيعين
انهم يدخلون جنة الخلد ويجتمع معهم ازواجهم وذرياتهم على احسن
الوجوه ثم ان الملائكة مع جلالة مراتبهم يدخلون عليهم لاجل
التحية والاكرام عند الدخول عليهم تكرمونهم بالتحية
والسلام وشرفهم لشرف هذه الدار ولاشك ان هذا اعظم ما يتمدح
المتكلمون من ان الثواب منفعة حاصلة دائما مقرونة بالاجلال
والتعظيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور
الشهداء اذا مر كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار والخلفاء الاربعة هكذا كانوا يفعلون واما انا
جعلناه على الوجه الثاني فتفسير الآية ان الملائكة طوافون عليهم
روحانيون وهم كروبيون في العباد اراض نفسه بانواع الرياضات
كالصبر والشكر والمراقبة والمحاسبة ولكل مرتبة من هذه
المراتب جوهر قدسي روحي علوي يخص بتلك الصفة مزيد
اختصاص بعد الموت اذا سرت تلك الجواهر القدسية
حلت فيها في كل من الارواح السماوية ما سبق من
الصفة المخصوصة فيقف عليها من ملائكة الصبر فيقولون لاجل
خصوصية نفسانية لا تظهر الا في مقام الصبر ومن ملائكة الشكر

كما لان

كمالات روحانية لا تحصل الا في مقام الشكر وهكذا القول
في جميع المراتب ٥ المسئلة الثانية تمسك بعضهم
بهذه الآية على ان الملك افضل من البشر بحمل اللام على
على سبيل التحية والاكرام والتعظيم والسلام فكانوا الحمل مرتبة
من البشر لما كان دخولهم عليهم لاجل السلام والتحية موجبا لعلو
درجاتهم وشرف مراتبهم الا ترى ان من خادم سفر الى ابيه
اقبل في معرض كمال مرتبته انه مرور الامير والوزير وهذا ادل
على ان درجة الوزارة في درجات الزائر فكذا هاهنا ٥
المسئلة الثالثة قال الزجاج هاهنا محذوف تقديره
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يقولون سلام عليكم فاصبرتم
القول هاهنا لان في الكلام دليلا عليه واما اللام في قوله بما صبرتم
ففيه وجهان احدهما انه متعلق بالسلام والمعنى انه انما حصلت
لكم هذه السلامة بواسطة صبركم على الطاعات وترك المحرمات
والثاني انه متعلق بمحذوف والتقدير ان هذه الكرامات التي يرونها
وهذه الحسرات التي يشاهدونها انما حصلت بواسطة ذلك الصبر
قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم
سوء اللعنة ولهم سوء الدار ٥ اعلم انه تعالى لما ذكر صفة
السعداء وكل ما ترتب عليها من الاحوال الشريفة العالية اتبعه
بذكر احوال الاشقياء وكل ما ترتب عليها من الاحوال المحزنة المكروهة
واتبع الوعد بالوعيد والثواب بالعقاب ليكون الترغيب والترهيب
والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وقد سبق الكلام في عهد الله ما الذي
به عباده بواسطة الدلائل العقلية على انها اجب الوفاء بمقتضاها

ذلك جاز اذا كان منه قطع ثم واصل وعطف على من لم يصله وليس
الخليع من ظلم ثم حلم حتى اذا هجه قوم اصاح للئن الحليم من قد ثم
عفى وعن الحسن هم الذين اذا حزبوا اعطوا واذا ظلموا انتصروا
وروى ان سفيان بن عيينة اعطى الفضيل على عبد الله بن المبارك
شكرا فقال له من اين انت فقال من بلخ قال وهل تعرف
سفيقا قال نعم قال كيف طريقه اصحابه قال اذا منعوا صبروا
واذا اعطوا شكروا فقال عبد الله طريقه فلانا هكذا
قال وكيف يسعى ان يكون الامر فقال الاملوك الذين ان منعوا
شكروا وان اعطوا شكروا اثروا واعلم ان له هذا
العهود للمذكور في الخبر في قوله اولئك لهم عقبى الدار وهي
الجنة لانها هي الدار التي اراد الله ان يكون عاقبة الرسل ومن جمع
اهلها قال الواحدي العقبى العاقبة ويجوز ان يكون كالشورى
والفتيا والرجعى وقد جاء مثل هذا ايضا فعلا كالحوى والدعوى
وعلى فعلا كالذكرى والصبرى ويجوز ان يكون اسما وهي هاهنا
مصدر اضاف الى الفاعل وللمعنى اولئك لهم ان يعقبوا حالهم
الدار التي هي الجنة ○ القيد الثاني قوله جنات عدن
بدل من عقبى والكلام في جنات عدن قد مر مستقصى عند قوله
تعالى وساكن طيبة في جنات عدن وقد مر انا هناك مذهب
المعتزلة ومذهب اصل اللغة ○ المسئلة الثانية ○
قرأ ابن كثير وابو عمرو يدخلونها بضم الياء وفتح الخاء على ما لم يسم
فاعله والباقون بفتح الياء وضم الخاء على اسناد الدخول اليهم ○
القيد الثالث قوله ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم
وفيه مسائل ○ المسئلة الاولى قولهم ومن صلح قال الزجاج

موضع

موضع من رفع لاجل العطف على الواو في قوله يدخلونها ويجوز ان
يكون نصبا كما تقول يدخلونها ويدا اي مع زيد ○ المسئلة
الثانية في قوله ومن صلح قولان الاول قال ابن عباس من صدق
ما صدقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم وقال الزجاج من قال ان
الاعمال لا تنفع اذا لم يحصل معها اعمال صالحة بل الاباء والازواج والذريات
لا يدخلون الجنة الا باعمال صالحة قال الواحدي والصحيح
ما قال ابن عباس لان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سرور المخصوص
اهله في الجنة وذلك يدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع لا
للاعمال الصالحة ولو دخلوها باعمالهم الصالحة لم يكن ذلك
كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به ان كل من كان صالحا في عمله
فهو يدخل الجنة واعلم ان هذا الحكم ضعيف لان المقصود
من الثواب ان يكون للمطيع بكل ما يدركه سرور او بهجة فاذا شاء الله تعالى
للمكلف انه اذا دخل معه الجنة فانه يحضر معه اباه واولاده
فلا شك سرور المكلف بذلك ويقوى بهجته وقال ان من
اعظم موجبات سرورهم ان يجتمعوا استاكروا الحور العين في الدنيا يتنازعون
الله تعالى على الخلاص منها والعون بالجنة فلذلك قال تعالى في وصف
اهل الجنة انهم يقولون بالتقوى فعلموا اعفر لي ربي وخلق
من الكسر ○ القيد الثالث قوله والذين امنوا الآية
فيه ما يدل على ان الميت من زوجه وولده ولعل الاولى ان يقال عنها
او ما اتت عنه وما روي عن سودة انها لما هم الرسول بطلاقها
فقالت دعني يا رسول الله احشر في زمن نسائك كالدليل على
ما ذكرناه ○ القيد الرابع قوله تعالى والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ○ وفيه مسائل

اشار الي الحسنه من الله وهذا القسم الخامس اشاره الي الخوف
والخشيه من سوء الحساب وهذا يدل علي ان الخواطر الخشيه
من الله ما ذكرناه من خوف الهلاك والمهابه والعظمه والالزام
الثكراره القسم السادس قوله تعالي والذين
صبروا ابتغاء وجه ربهم فدخل فيه الصبر علي تلك
العادات والصبر علي ثقل الامراض والمضار والغموم والاحزان
والصبر علي ترك الشهوات والجهاد والصبر علي ترك المعاصي
وعلي اداء الطاعه ثم ان الانسان قد يقدم علي الصبر لوجوه احدها
ان الصبر يقال ما اصبره وما اشد قوته علي حمل النوازل وثانيها
ان الصبر للانسان علي الجزع وثالثها ان الصبر حتي لا يحصل
شماته الاعداء ورابعها ان الصبر لعلمه بان الجزع لا فائده فيه
فالانسان اذا اتي بالصبر لاحد هذه الوجوه لم يكن ذلك داخلا
في كمال النفس وسعاده القلب انما اذا صبر علي المذلات لعلمه بان
ذلك البلاء انما حصل بقضاء العليم العلام المنزه عن العبث والباطل
والسفه ولا بد وان يكون ذلك الشيء مشتملا علي حكمه بالغه
ومصلحه راجحه ورضي بذلك لانه تصرف المالك في ملكه
والاعتراض علي المالك في ان يتصرف في ملكه او يصير لانه
صار مستغرقا في شهود المولي فكان استغراقه في تجلي نور
المولي اذهله عن الالم بالبلا وهذا اعلا مقام الصديقين
فهذه الوجوه البلانه هي التي يصدق عليها انه صبر ابتغاء
وجه ربه ومعناه انه صبر لمجرد طلب رضوانه واعلم ان
قوله تعالي ابتغاء وجه ربهم فيه دقيقه وهو ان العاشق اذا رأي
معشوقه ثم اكان تنعم العاشق بذلك القرب وفرحه به فقوله

تعالي

تعالي ابتغاء وجه ربهم محمول علي هذا المعني كما ان الفاسق يرضي بذلك
القرب لاجل الاراده والنظر الي وجه معشوقه فكذلك العبد
يصبر علي البلاء والمحنه ويرضي بها لاستغراقه بمعرفه نور الحق سبحانه
وهذه دقيقه لطيفه القسم السابع قوله تعالي واقاموا
الصلاه واعلم ان الصلاه والزكاه وان كانا من اعظم اركان الخلق في الحمله
الادلي الا انه تعالي انما ذكرهما بالذكر مفصلا علي كونهما اشرف العبادات
وقد سبق في هذا الكتاب بعض اقامه الصلاه ولا بأس بذكر دخول النوافل
فيه ايضا القسم الثامن قوله تعالي وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانيه وفيه مسئلتان المسئله الاولي الحسن المراد بالزكاه المفروضه لانهم بتركها
اذا وصفوا بالسر والعلانيه فعلم ان المراد بالزكاه المفروضه
بقيه والعلانيه ملحقه بها الي الامام وقال اخرون المراد
الزكاه الواجبه والصدقه التي يؤتي بها علي صفه التطوع وقوله
سرا يرجع الي التطوع وقوله تعالي وعلانيه يرجع الي الزكاه الواجبه
المسئله الثانيه قالت المعتزله انه تعالي رغب في
الانفاق من كل ما كان رزقا وذلك يدل علي انه لا رزق الا الحلال
اذ لو كان الحرام رزقا كان قد رغب الله تعالي في الانفاق الحرام وانه
لا يجوز المسئله الثالثه قوله تعالي ويدرءون بالحسنه
السيئه وفيه وجوه الاول انهم اذا قوبلوا بالمعصيه ردوها
ودفعوها بالتوبه كما روي ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لمعاذ
ابن جبل اذا عملت سيئه فاعمل بجنبها حسنه تمحها والثاني
المراد انهم يجازون الشر بالشر مثل ما يعاملون الشر بالخير كما قال
تعالي واذا مروا باللغو مروا كراما وعن ابن عمر ليس الواصل من وصل

بالخيرات والطاعات والقول الثالث ان المراد بالوفا
بالعهد عهد الربوبيه والعبوديه والمراد بالميثاق المواثيق
المذكوره في التوريه والانجيل وسائر الكتب الالهيه وكتب الاديان
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم عند ظهوره واعلم ان الوفا
بالعهد امر مستحسن في العقول الرابع قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من عاهد الله فعرضت فيه خصله من النفاق
وعنه صلى الله عليه وسلم ثلاثه انا خصمهم يوم القيامه ومن كنت
خصمه خصمته رجل اعطى عهدا ثم غدر ورجل استوفى اجيرا فاستوفا
عمله ولم يعطه اجره ورجل باع حرا فاستوفى ثمنه وقيل كان
بين معاويه وبين ملك الروم عهد فاراد ان يدهم اليهم وينقض
عهدهم فاذا دخل على قوم بيقول وفا لا غدر سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدن
عهدا ولا يحلها حتى ينقضي الامر وسد اليهم على سواء قال فرجع
قال عمرو بن عنبسه فرجع معاويه ٥ القيد الثالث
قوله تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل هذا سوى
وهو ان الوفا بالعهد وترك نقض الميثاق استمل على وجوب الاتيان
بجميع المامورات والاحتراز عن كل المنهيات ثم الله تعالى في
كل هذه العهود المذكوره بعدها والجواب من وجهين الاول
انه ذكر ذلك لان يتيقن ان ذلك مما امنه وبه فلا جرم
افرد ما امنه وبين العباد بالذكر والثاني انه تاكيد اذا عرفت
هذا فنقول ذكروا في تفسير وجوها الاول ان المراد منه
صله الرحم قال صلى الله عليه وسلم بلاث ما من يوم القيامه
باب الرحم فيقول اي رب قطعت والامانه تقول اي رب تركت

والنعمه

والنعمه تقول اي رب كفرت والقول الثاني ان المراد صلة
محمد صلى الله عليه وسلم ومواريته ونصرته في الجهاد والقول
الثالث وعابه جميع الحقوق للعباد بيدخل فيه صله الرحم وصلة
العرايد الرابعه سبب اخوة الايمان كما قال تعالى انما المومنون
اخوة ويدخل في هذه الصله امر ادم بالتوال المراث ودفع الاعات
بقدر الامكان من ذلك عياده المرضى وشهود الجنايز وافشا
السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الاذى عنهم ويدخل
فيه كل حيوان حتى الهره والدجاجه وعن الفضيل ابن عياض
ان جماعه دخلوا عليه بمكه فقال من اين انتم قالوا من خراسان
قال اتقوا الله وكونوا من خيار بيتم واعلموا ان العبد اذا احسن
كل الاحسان وكافئه صاحبه فانما انتم المكافئون فاما المحسنين
واقول حاصل هذا الكلام ان قوله الذين يوفون بعهد الله ولا
ينقضون الميثاق اشاره الى التعظيم لامر الله وقوله تعالى والذين
يصلون ما امر الله به ان يوصل اشاره الى الشفقه على خلق الله تعالى
القيد الرابع قوله ويخشون ربهم والمعنى انه وان اتى
بكل ما يقدر عليه من تعظيم امر الله والشفقه على خلق الله الا انه
لابد ان يكون للمتقي من الله والخوف منه مستولية على قلبه
وهذه الخشيه توجب احد امرين اما ان يكون خائفا من ان يقع زياده او نقصان
او خلل في عباداته وطاعته حسب توجب فساد العباده او نقصان
ثوابها والثاني وهو خوف الخلل وذلك لان العبد اذا حصل
عند السلطان المهيب القاهر فانه وان كان في غير طاعته الا انه
لا يزول عن قلبه بهابه الجلاله والوقعه العظيمه القيد
الخامس قوله ويخافون سوء الحساب واعلم ان القيد السابع

على طريقه من الاشعه النافعه اما البصر فانه يكون كفا
من للهلاك والاهلاك ثم قال تعالى انما يتذكر اولوا الالباب
والمراد انه لا ينتفع بهذه الامثله الا ارباب الالباب الذين
يطلبون من كل شيء معناها ومن كل اسم لبابها ويعرفون
بطلبهم من كل حدثت الى سره ولبابه ٥ قوله تعالى
الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر
الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين
صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاه وانفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانيه ويدرؤن بالحسنه السيئه اولئك لهم عقبى الدار جنات
عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكه
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ٥
اعلم ان هذه الايه متعلقه بما قبلها وفيه قولان الاول
انه يجوز ان يكون قوله الذين يوفون صفه لاولي الالباب
والثاني ان يكون الذين يوفون بعهد الله مبتدا واولئك لهم
عقبى الدار خبره وقوله والذين يصلون ما امر الله به من بعد
ميثاقه فاولئك لهم اللعنه ٥ واعلم ان هذه الايه من اولها
الى اخرها محمله الوجود شرطيه وشرطها مشتمل على قيود وجزاؤها
ايضا مشتمل على قيود اما القيود المعتبره في الشرط فهي
تسعه القيد الاول قوله الذين يوفون بعهد الله وفيه
وجوه الاول قال ابن عباس يريد الذين عاهدهم عليه حين
كانوا في صلب آدم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
والثاني ان المراد بعهد الله كل امر قام الدليل على صحته
فهو من جمله احكامه التي امر الله عليها دلايل قاطعه لا تقبل

النسخ والتغيير والاخر التي اقام عليها الدلايل السمعيه وهي الاحكام
والحاصل انه يدخل تحت قوله يوفون بعهد الله كل ما قام الدليل
عليه ويصح اطلاق لفظ العهد على الحجه بل الحق انه لا عهد اوكد
من الحجه والدلاله سئل ذلك ان من حلف انه يلزمه الوفاء اذا
ثبت بالدليل وجوبه لا لمجرد اليمين وكذلك ههنا يلزمه ان يحكم
نفسه اذا كان ذلك حق الله فلا عهد ألزم من الزام الله اياه ذلك
تدليل العقل وتدليل السمع ولا شك ان العهد موفى للعهد تدليل السمع
ولا يكون العهد موفى للعهد الا ان يأتي بكل تلك الاشياء كما ان
المحالف على اساكين لا يكون بارا في يمينه الا اذا فعل الكل
فيدخل فيه الاتيان بجميع المأمورات والانتهاء عن كل المنهيات
ويدخل فيه الوفاء بالعهد في المعاملات والاماءات وسيجيء
هو المختار الصحيح في تاويل الايه ٥ القيد الثاني في قوله تعالى
ولا ينقضون الميثاق وفيه اقوال الاول وهو قول الاكثرين
ان هذا الكلام قريب من الوفاء بالعهد لان الوفاء بالعهد قريب من
عدم نقض الميثاق والعهد وهذا مثل ان يقول الله لما اوجب وجوده
واوجب ان يتبع علمه بهذا المعلوم ان يتعاطى ان لا يفعل ما يناقض ذلك
فكذلك الوفاء بالعهد يلزمه ان لا ينقض الميثاق واعلم
ان الوفاء بالعهد من اجل مراتب السعاده قال صلى الله عليه وسلم
لا ايمان لمن لا امانه له ولا دين لمن لا عهد له والايات الوارده في
هذا الباب كثيره في القرآن والقول الثاني ان الميثاق ما وثقه
المكلف على نفسه والحاصل ان قوله الذين يوفون بعهد الله اشاره
الى ما كلف الله العبد به ابتداء وقوله ولا ينقضون الميثاق اشاره
الى ما التزمه العبد من انواع الطاعات بحسب اختيار نفسه كالنذر

استحقوا الربح الحسنى والعنوان الذى اجابوه الى مادعاهم
اليه من التوحيد والعدل والنبوة وبعث الرسل وقرائر
الشرايع الواردة على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فلهم الحسنى
وقال ابن عباس رضى الله عنه الحسنى الجنة وقال اهل
المعانى الحسنى المنفعة العظمى والحسنى هى المنفعة الخالية
من شوائب المضرة الدائمة الخالية عن الانقطاع المقرونة بالتعظيم
والاجلال ولم يذكر الزيادة هاهنا لانه تعالى ذكرها فى سورة
اخرى وهى قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة واما احوال
الاسقياء وهى قوله والذين لم يستجيبوا له فلهم انواع اربعة
من العذاب والعقوبة فالنوع الاول قوله تعالى لو ان لهم
ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به فمفعول افتدوا محذوف
يعنى لو قدروا به انفسهم او حاولوا فداء انفسهم من العذاب
والهاء فى به عائدة الى ما فى قوله ما فى الارض واعلم ان
هذا حق لان المحبوب الذات لكل انسان وكل ما سواه
فصولحه لكونه وسيلة الى مصالح وانه فداء اذا كانت النفس
فى المصور والعقد الاكبر وكان مالكا لما يتبارى عالم
الاجسام والارواح فانه يرضى ان يجعله فداء النفسه ولان
المحبوب بالعرض لابد وان يكون فداء المحبوب بالذات
والنوع الثانى من انواع العذاب الذى اعد الله تعالى
لهم قوله اولئك لهم سوء الحساب قال الزجاج
ذلك بان كفرهم احبط اعمالهم وانول هاهنا حالتان وكلما
شغلك بالله وعبوديته ومحبته فهى الحالة السعيدة الشريفة
العلوية القدسية وكلما شغلك بغير الله فهى الحالة الصارة

المودية

المودية الخسيسة ولاشك ان فاعل الحالين يقبلان الاسود والاضعف
والاقل والازيد ولاشك ان المواظبة على الاعمال المناسبة لهذه
الاحوال موجبة لتمادى رسوخها الملائمة فى المعقولات
ان اكثر الافعال توجب حصول الملكات الراسخة وكل واحد
من تلك الافعال هى اللحظة واللمحة والحصول بالبال والالتفات
فانه يوجب انما فى حصول تلك الحالة فى النفس فهذا هو
الحساب وعند التامل فى هذه الفصول يعلم ان الانسان صدق
قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره اذا ثبت هذا فنقول سعداء الدنيا هم الذين اعرضوا
عن كل ما سوى الله تعالى وفى الاقبال بالكلية على عبادة
الله فلاجرم حصل لهم الحسنى واما الاشقياء فهم الذين لم
يستجيبوا لربهم فلهذا السبب وجب ان يحصل له سوء الحساب
والمراد سوء الحساب انهم اثروا الدنيا واعرضوا عن المولى فلما ماتوا
تحولوا من عن محبوبهم الذى هو الدنيا وبقوا محجوبين عن النور
بسعادة خاصة المولى والنوع الثالث قوله ومأواهم جهنم
وذلك لانهم غافلون عن الاستعداد لخدمة المولى عاكفون على
لذات الدنيا فاذا ماتوا فارقوا محشوقهم فيحترقون على مفارقتها وليس
عندهم شئ اخر يحسن به التصبر فذلك كان ما داهم جهنم ثم انه تعالى
وصف هذا الوعيد بقوله وبئس المهاد ولاشك ان الامر كذلك
ثم قال تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو
اعمى نبه بهذا على ان العالم بالشئ كالبصير
والجاهل به كالاعمى وليس احدهما كالاخر لان الاعمى اذا اخذ
يمشى من غير قايد فالظاهر انه يقع فى المهالك وربما افسد ما كان

يقال قدرهذه الدراهم وقدرها ومقدارها اي كم مبلغ في القدر
وما يكون مساويا لها في القدر وقوله وقدرها البحث الثاني
سال الوادي بقدرها اي بقدر ما من الماء فان صغر الوادي
قل الماء وان اتسع الوادي كثر الماء واحتمل السيل زبدا رابيا
وفيه بحثان البحث الاول قال الفراء تقال ازبد الوادي
ازبادا والزبد الاسم وقوله رابيا قال الزجاج طافيا فوق
الماء وقال غير زاد السيل اذا جاء تقال ربا يربو
اذا ازداد اما قوله تعالى وما توقدون عليه في النار ابتغاء
حلية او متاع فزبد مثله فاعلم انه تعالى لما ضرب المثل بالحاصل
من الماء الذي ينبع الزبد الحاصل من الماء وفيه مباحث
البحث الاول قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم توقدون
بالياء واختاره ابو عبيد لقوله يسقى الماء واصغا ليس هذا
مخاطب والباقون بالتاء على الخطاب وعلى هذا التقدير ففيه
وجهان الاول انه خطاب لذكر لقوله قل افاتخذتم من دونه
والثاني انه يجوز ان يكون خطابا لمن يراد به الكافة لانهم
وما توقدون عليه في النار انها الموقودون البحث الثاني
ان الاتعاد على التي على قسمين احدهما ان يكون ذلك الشيء في النار
وهو كقوله تعالى فتكوى بها جباههم وظهورهم على النار وقوله
ان يوقد ذلك التي في النار ويكون ذلك الشيء في النار فان من اراد
بزبد الاجساد السبعة حليها في النار ولهذا السبب قال هاهنا
وما توقدون عليه في النار البحث قوله ابتغاء حلية قال
اهل المعاني الذي يوقد عليه لابتغاء الحلية الذهب والفضة

والذي

والذي يوقد عليه لابتغاء المتاع الحديد والنحاس والرصاص
لانها يحدث منها الاواني والاسباب التي ينتفع بها والماء علها
ينتفع به وقوله زبد مثله اي زبد مثل زبد الماء حمله السيل ثم قال
كذلك يضرب الله الحق والباطل ثم قال فاما الزبد فيذهب
جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض قال الفراء الجفاء الرمي
والاطراح يقال جفا الوادي بغثاءه جفاء اذا رماه والجفالة اسم للجمع
منه المستعلم بعضه الى بعض وموضع جفاء نصب على الحال
والمعنى ان الماء الذي فيه يعلو اعلى وجه الماء ويزول ويضمحل
بالاخرة يضمحل ويبقى الجوهر الصافي من الماء ومن الاجساد السبعة
فكذلك الشبهات والخيالات قد تقوى وتعظم الا انها بالاخرة
تبطل وتضمحل فيزول ويبقى الحق ظاهرا لا شوب به شيء من الشبهات
والخيالات وفي قراءة ابي جفالا ومن الى حالم لا يقرأ
بقراءة ابي لانه كان يأكل الملح اما قوله تعالى للذين استجابوا
لربهم الحسنى ففيه قولان الاول انه تم الكلام عند قوله
كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف الكلام بقوله للذين استجابوا
لربهم ومحله رفع بالابتداء والحسنى خبره وتقدير لهم الخصلة الحسنى
والثاني انه متصل بما قبله كأنه قال الذي يبقى وهو مثل
المستجيب والذي لا يبقى مثل من لا يستجيب ثم بين الوجه
في كونه مثلا ان لمن يستجب الحسنى وهي الجنة ولمن لا يستجب الجنة
والعقوبة وفيه وجه اخر وهو ان بدون التقدير كذلك يضرب الله
الامثال للذين استجابوا لربهم الاستجابة الحسنى فيكون الحسنى صفة
لمصدر محذوف واعلم انه تعالى ذكر هاهنا القول في احوال
السعداء واحوال الاشقياء اما احوال السعداء ففي قوله للذين

حق لها ان يستقر في الاوديه المنخفضه عن الجبال والتلال
بمقدار سعه تلك الاوديه وصغرها ومن حق الماء اذا اراد علي
هذا الاوديه ان يسقط علي الارض ومن حق الزبد الذي يحمله
ان يطفو ويربو عليه ان يسيل في الاطراف ويطل وسواء
كان ذلك الزبد الذي لا يظهر الا عند اسعداد جري الماء
دكره الذي لا يظهر الا بالنار وذلك لان كل واحد من الاجساد
السبعه اذا اديب في النار لا سفي خلبه او متلوا خر من الاسبعه
الذي يصلح البهما في مصالح البيت فانه يسفصل عنهما نوع من
الزبد والخبث ولا سفع به بل يضيع ويطل والحاصل ان
الوادي اذا اجري طبنا عليه زبد وذلك الزبد يطل ويبقى
الماء والاجساد السبعه اذا اديبت لاجل الجاد الحلي ولاجل
الجاد سائر الاسبعه انفصل عنها خبث وزبد يطل ويبقى
ذلك الجوهر المنتفع به فكذا ها هنا انزل من السماء الكتب
والحلال والاحسان باسان القران والاوديه قلوب العباد
وشبه القلوب بالاوديه لان القلوب يسقر عنها الوارد علوم
القران كما ان الاوديه يسقر عنها الماء النازله من السماء وكما
ان كل واحد انما يحصل منه فيه من مياه الامطار ما يليق بسعته
او صيغته وكذلك ها هنا كل قلب انما يحصل فيه من انوار
علم القران ما يليق بذلك القلب فمن طهارته وحسنه وفقوه
فهمه وقص فحمه وكما ان الماء يعلوه زبد والاجساد السبعه
يحالطها خبث ثم ان ذلك الزبد والخبث يرهب ويضيع ويبقى
جوهر الماء وجوهر الاجساد السبعه كذا ها هنا فايات القران
يخلط بها شكوك وشبهات ثم انها بالاخره تزول وتضيع ويبقى

العلم

العلم والدين والحكمه والمكاشفه في العاجله فهذا هو تقرير هذا
المثل ووجه انطباق المثل علي الممثل به والله اعلم بمراده وسكتوا
عن بيان كيفيه المثل والتشبيه

المسئله الثانيه

في الملاحات اللغطيه التي يختص هذه الايه في لفظ الاوديه الخاتم
البحث الاول الاوديه جمع واد وفي الوادي قولان الاول انه عبارة
عن الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال الذي يجري فيه السيل هذا
قول عامه اهل اللغه والقول الثاني سمي واديا اذا سال
ومنه الوري فيما ادا الجرح وجهه وسلابه ومنه الوادي وعلي هذا القول
فالوادي اسم للماء السايل والاول هو القول المشهور الا ان
علي هذا التقدير تكون قوله سالت اوديه وكان التقدير سالت مياه
الاوديه الا انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه

البحث الثاني قال ابو علي الفارسي الاوديه جمع واد ولا يخلو
فاعلا يجمع علي افعله وقد يشبه ان يكون ذلك لتعاقب فاعل
وفعيل علي الشئ الواحد كعالم وعليم وشاهد وشهيد وناصر ونصير
ثم قرن فاعل يجمع افعال كصاحب واصحاب وطائر واطيار
وقرن فعيل يجمع علي افعله كجريب واجربه ثم لما حصلت المقابسه
المذكوره بين فاعل وفعيل لاجرم جمع الفاعل علي جمع الفعيل فيقال
وادوادويه ويجمع الفعيل علي جمع الفاعل فيقال نبيع وانبع وشريف
واشراف هذا ما قاله ابو علي الفارسي وقد عن يطيب وادواديه
ما دوا ديه

البحث الثالث انما ذكر لفظ اوديه علي
سبيل التنكير لان النظر لاباني الاعلي طريق الماء ويه من النفاع
فبسيل بعض الاوديه دون بعض اما قوله تعالي بقدرها ففيه
بحثان

البحث الاول قال الواحدي القدر والقدر مبلغ الشئ

الاشعار لما سواه وعليه يكون دليلا ايضا على صحة قولنا والله اعلم

المسئلة الثالثة زعم جهم ان الله تعالى لا يقع عليه اسم الشيء واعلم ان هذا الاسم ليس الا في اللفظ وهو ان هذا الاسم هل يقع عليه ام لا فنزع انه لا يقع عليه هذا الكلام محال واحتج عليه بانه لو كان شيئا لوجب كونه خالقا لنفسه لقوله تعالى الله خالق كل شيء ولما كان ذلك محالا لا قضينا انه لا يقع عليه اسم الشيء ولا يقال هذا انما دخله التخصيص لان العام المخصوص انما يحصل اذا كان الخاص اقل من الباقي واحسن منه كما يقال اكلت الرغيف مع انه سفطت حبات ما اكلها وصاحبنا داود الله اعلا الموجودات واشرفها فكيف يمكن دخول اللفظ العام الذي يتناوله مع دون العام مخصوصا في حقه والوجه الباقي تمسك بقوله تعالى ليس كمثله شيء والمعنى ليس مثل مثله شيء ومعلوم ان كل حقيقة فانها مثل نفسها فالباري تعالى مثل مثل نفسه مع انه تعالى نص على ان مثل مثله ليس بشيء فهذا يقتضي على انه تعالى غير مسمى للشيء واحتجه الله ۞ قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها دلت هذه الآية على انه لا يجوز ان يدعى الله تعالى الا بالاسماء الحسنى ولفظ الشيء ما دل احد للوجود فلا يكون هذا اللفظ مشعرا بالمعنى حسن فوجب ان لا يكون هذا اللفظ من الاسماء الحسنى فوجب ان لا يجوز دعاء الله تعالى بهذا اللفظ والاصحاب تمسكوا في اطلاق هذا التسمية عليه تعالى بقوله قل اي شيء اعظم شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واجاب الخصم عنه بان قوله قل اي شيء اعظم شهادة سؤال متروك الجواب وقوله قل الله شهيد بيني وبينكم

كلام

كلام مستقل بنفسه لا علق له بما قبله ۞ **المسئلة** الثالثة تمسك المعتزلة بهذا الآية في انه تعالى عالم لذاته لا بالعلم وقادر لذاته لا بالقدرة قالوا لانه لو حصل لله تعالى علم وقدرة وحياة لكانت هذه الصفات اما ان تحصل بخلق الله او لا بخلق الله والاول باطل والا لزم التسلسل والثاني باطل لان قوله الله خالق كل شيء يتناول الذات والصفات فحكمنا بدخول التخصيص في الذات فوجب ان يبقى فيما سوى الذات على الاصل وهو ان يكون تعالى خالقا لكل شيء سوى ذاته تعالى ولو كان لله تعالى علم وقدرة لوجب كونه تعالى خالقا لهما وهو محال واما تمسكوا بهذه الآية في خلق القرآن قالوا الآية دالة على انه تعالى خالق لكل شيء الا ما دخله التخصيص في حق ذاته فوجب ان يبقى على عمومه في حق سائر الاشياء والقرآن ليس صفة الله تعالى فوجب ان يكون مخلوقا وان يكون داخلا تحت هذا العموم والجواب ان نقول اقصى ما في الباب ان الصفة عامة الا انا نخصصها في حق صفات الله تعالى بسبب الدلائل العقلية

قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد يذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد واعلم انه تعالى لما بين حال المؤمن والكافر والايمان والكفر مثلا اخر فقال انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها

بها قال الجبائي والكعبي وابو بكر الاصم سوى الطعام والنوم
والماء لانها مقدمة على اسم الجمع والباقون سالبا واختار ابو عبيدة
ثم اكد هذا السؤال فقال ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه
الخلق عليهم يعني هذه الاشياء التي زعموا انها شركاء لله ليس لها خلق
شبه خلق الله حتى يقولوا انها شاركت الله في الخالقية فوجب ان
تشاركه في الالهية فلما اولى المشركون بجعلون بالعزى ان هذه
الاصنام لما صدر عنها فعل لا خلق ولا ايجاد كان الامر كذلك
كان حكمهم بكونها شركاء لله في الالهية محض السفه ۞ والجهل وفي
الآية مسائل ۞ المسئلة الاولى اعلم
ان اصحابنا استدلوا بهذه الآية في مسئلة خلق الاعمال من وجوه ۞
الاول ان المعتزلة زعموا ان الحيوانات تخلق حركاتها وسكناتها
مثل الحركات والسكنات التي خلقها الله تعالى وعلى هذا التقدير
جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ومعلوم ان الله تعالى انما ذكر هذه الآية
في معرض الذم والانكار فدلت الآية على ان العبد لا يخلق فعل
نفسه ۞ الثاني لما قلنا ان العبد يحدث الا انا لا
نطلق القول بانه خالق ولا اطلقنا انه يخلق كما يخلق الله لان احدا انما
يفعل بقدرة الله وانما يفعل لجلب منفعة او دفع مضرة والله تعالى
منزه عن كل ذلك فلست ان نقدر ان العبد خالق الا الله لا يكون
خلقه كخلق الله وايضا فهذا الالزام لازم للمعتزلي ايضا لانهم يقولون
غير ما هو خلق الله بعد كسب للعبد وفعل للعبد وهذا هو الذي نريد
لان الاله والعبد في حق ملك الاله كالشريكين الذين لا مال لاحدهما
الا وللاخر فيه حق ايضا فهو تعالى انما ذكر هذا الكلام عيبا للكفار ودما لطريقتهم فلو كان فعل العبد خلقا لله

لما بقي

لما بقي لهذا الذم فائدة لان الكفار على هذا التقدير انما يقولون ان الله سبحانه
لما خلق الكفر فينا فلم يبق لنا عليه ولم ينسب الى الجهل والنقص مع
انه خصل فينا لا بفعلنا ولا باختيارنا ۞ والجواب عن
السؤال الاول ان لفظ الخلق لما ان يكون عبارة عن الاخراج من العدم
الى الوجود او يكون عبارة عن التقدير وعلى الوجهين نقدر ان يكون
خالقا واما قوله العبد وان كان خالقا الا انه ليس خلقه كخلق الله تعالى
قلنا الخلق عبارة عن الاحداث والتكوين والاختراع من العدم الى
الوجود ومعلوم ان الحركة الواقعة من العبد لما كانت عند الحركة
الواقعة بقدرة الله كان احد المخلوقين مثلا للمخلوق الثاني وحينئذ يصح
ان يقال ان هذا الذي هو مخلوق للعبد مثل ما هو مخلوق لله تعالى
ولا شك في حصول المماثلة في سائر الوجوه لا يقدح في المماثلة من
هذه الوجوه وهذا القدر يكفي في الاستدلال وايضا قوله هذا الازم
على المحسن ايضا حيث قالوا ان فعل العبد مخلوق لله تعالى
فنقول هذا غير لازم لان هذه الآية دالة على انه لا يجوز ان يكون
خلق العبد مثلا لخلق الله تعالى وبحث لا يثبت للعبد خلقا البتة فكيف
يلزمنا ذلك واما قوله لو كان فعل العبد خلقا لله تعالى لما حسن
ذم الكفار على هذا المذهب قلنا حاصله يرجع انه لما حصل
الوجود وجب ان يكون العبد مستقلا بالفعل وهذا ممنوع لانه تعالى
ذم ابا لهب على كفره مع انه علم انه يموت على الكفر وقد ذكرنا ان خلاف
المعلوم محال الوجود فعلم ان هذا يعدل عن هذا الوجه من هذه الآية واما
الوجه الثاني في التمسك بهذه الآية قوله تعالى وهو القاهر فوق
عباده وليس يقال فيه انه تعالى واحد في اي المعاني ولما كان المذكور
السابق هو الخالقية وجب ان يكون المراد فهو الواحد في الخالقية

والثاني ان الانقطاع وعلى هذا فلا في محل الايه اشكال لانه ليس
كل من في السموات والارض يسجد لله اما الكفار فانهم لا يسجدون
وعند هذا لم يحتج عنه من وجهين الاول ان المراد من قوله ولله
يسجد من في السموات والارض اي يخضع على كل من في السموات والارض
ان يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول والثاني
وهو ان المراد من السجود التعظيم والاعتراف بالعبودية وكل من في
السموات والارض يعترفون بعبودية الله تعالى على ما قال تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الاول
في تفسير الآية هو ان السجود عبارة عن الانقياد والخضوع وكل
الاشياء كذلك من حيث ان وجودها وصفاتها دالة على ان لها صانعا
قادرا في الكل ويحقق القول فيه ان كل ما سواه ممكن لذاته
والممكن هو الذي تكون ماهيته قابلة للعدم والوجود على السوية
وهو في نفسه متأثر كل ما سوى الحق سبحانه وتعالى بالحاد وعدم
كل ما سواه لعدالة فتاتي فاقة في جميع الممكنات في الابقاء
والاعدام وذلك هو السجود وهو التواضع وهو الخضوع وهو
الانقياد ونظيره الآية قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات
والارض طوعا وكرها وقوله وله اسلم من في السموات والارض
واما قوله طوعا وكرها فالمراد ان بعض الحوادث ما يميل الطبع الى
حصوله وما يمتنع الطبع عنه كالموت والفقر والهم والحزن والوجع
وجميع اصناف المكروهات والكل حاصل بقضاء الله وقدره
وبحكمه ولا مرد لاحد على الاطلاق وللدافعه ثم قال تعالى
وظلالهم بالغدو والاصال وفيه سؤالان قال المفسرون كل شخص سوا

كان

كان مؤمنا او كافرا فان ظله يسجد لله قال مجاهد ظل المؤمن
يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره قال
الضحاك حاني المفسرين ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله وعند
هذا قال انس الاشاري لا سجدن لخالق الله جهرا وانهما ما حتى
استعلمت بتسبيح الله وحتى طهر ان التجلي منها كما قال فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا والقول الثاني وهو ان المراد من سجود
الظلال تميلها من جانب الى جانب وطولها بسبب انبساط الشمس
وقصرها بسبب ارتفاع الشمس فهي متقلبة متسلسلة في طولها وقصرها
وميلها من جانب الى جانب وانما خص العدو والاصال لان الظلال
انما تعظم وتكثر في هذين الوقتين ثم قال تعالى قل من رب
السموات والارض قل الله وفيه سؤالان السؤال الاول ان
قوله قل الله يقتضي ان يكون المسؤول عنه معلوما للسائل
والمجيب وكان الامر كذلك لان المشركين كانوا يقولون
ان الله تعالى خالق السموات والارض وكانوا يقولون ان الله
هو الذي يحيي ويميت ويرزق ويدبر الامور كلها فكيف يليق
بهذا الموضع قوله قل الله السؤال الثاني ان قوله قل من رب
السموات والارض قل الله يقتضي ان يكون هذا الجواب
مطابقا للسؤال ولا مطابقة ههنا لان السؤال وقع عن الرب
والجواب وقع عن الاله والجواب الاول ان قوله قل من رب
السموات والارض قل الله ليس جوابا عن السؤال بل هو
امر للرسول صلى الله عليه وسلم ان يجيب بهذا الجواب
ثم بين ان هذا الجواب حق لا يمكن انكاره ولا يمكن
الاعراض عنه ثم بين ان الذي يدل على ان الجواب حق
ان الله سبحانه هو الرب لكل الاشياء قال ابن عباس
يريد ان الله هو الذي خلق الاشياء كلها ثم قال تعالى
قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات
والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق
كل شيء وهو الواحد القهار اعلم ان الله تعالى لما بين ان كل
من في السموات والارض ساجد لله بمعنى كونه خاشعا له منقادا لحكمه
الرد على عبدة الاصنام فقال قل من رب السموات والارض قل الله
ولما كان هذا الجواب مقبولا عند الرسول ومعترفا به ولا ينكره امره صلى
الله عليه وسلم ان يذكر هذا الجواب تنبيها على انهم لا ينكرونه
ولما بين انه سبحانه هو الرب لكل الاشياء قال لهم افاتخذتم من دون
الله اولياء جمادات وهي لا تملك لانفسها نفعا ولا ضرا ولما كانت
عاجزة عن تحصيل المنفعة لنفسها ودفع المضرة عن غيرها كان ذلك
اولى بان لا يكون الملك قادرا على ذلك كانت عبادتها محض السفه
ولما ذكر هذه الحجة القاهرة بين ان الحاصل بمثل هذه الحجة لا يساوي العالم

سنى السنه الصعبه سنه المحل وماحلت لانها محالا اى ذاهبه
اما اسد فعال الوسلم ومحال فعال من المحل وهو الشدة ولفظ محال
يدل على الحاراه والمعامله وكان المعنى انه تعالى شديد المعالبه والقهر
عباده قال مجاهد وقتاده شديد القوة وقال ابن عباس شديد
شديد العقوبه وقال سعيد بن جبير الحول الرابع
روى عن بعضهم شديد الحال اى شديد الحقد والواو هذا لا يصح لان
الحقد لا يصح من حق الله تعالى الا ان قد لو نافى هذا الكتاب
ان الحال هذه الافعال اذا وردت فى حق الله تعالى فانها تحمل على
نهايات الاعراض لا على مبادى الاعراض والمراد بالحق ها هنا هو
انه تعالى يوصل النفع اليه مع انه يتعالى عنه بذلك الارادة

قوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون
لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين
الا فى ضلال اعلم ان قوله له دعوة الحق فيه احتمالان البحث
الاول فى اقوال المفسرين وهى امور الحدها وروى عكرمه عن ابن
عباس انه قال دعوة الحق لا اله الا الله وما سواها قول الحسن
ان الله هو الحق ودعاه هو الحق كانه يومى الى ان الانقطاع الى الشئ
الدعاء هو الحق وبالجمله ان عبادته هو الحق والصدق والعلم
ان الحق هو الموجود والموجود قسمان قسم يقبل العدم وهو حق يمكن
ان يصير باطلا وحق لا يقبل العدم فلا يمكن ان يصير باطلا فهذا هو
الحق الحقيقى واذا كان واجب الوجود لذاته لا يقبل العدم
كان اجق الموجودات بان يكون حقا فثبت بهذا ان حقا هو الحق
فى الموجودات واعمادا حق هو الحق هو الاعتقادات ودكر
الساعى الا لهيه وكماله هو الحق والادكان ملحدا قال له دعوة الحق

البحث الثانى قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيه وجهان
احدهما ان يضاف الدعوة الى الحق الذى هو بعض الباطل كما تضاف
الكلمة الله وقوله كلمة الحق والمقصود منه الدلالة على ان هذه
الدعوة مختصة بكونها حقا وكونها خالية عن البطلان كما يقال
ما له وهذا من باب اضافة الشئ الى صفته والثانى ان يضاف
الى الحق الذى هو الله سبحانه على معنى دعوة للدعى الحق الذى
يسمع ويجيب وعن المبرد الحق هو الله سبحانه وكل دعا الله وهو دعوة
الحق قال تعالى والذين يدعون من دونه يعنى الالهة الذى
يدعونهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشئ الا استجابة كاسباط
باسط كفيه الى الماء الماجد لا يشعر بسطه كفيه ولا يعطشه وحاجته
اليه ولا يقدر ان يحسد عاه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس
بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل تتولوا فى قوله فاذا
دعاهم لا يلبثهم مثله من اراد ان يعرف للاسد ليبتزه فيبسطها
نائيا اصابعه ولم تصل كفاه الى ذلك ولم يبلغ مطلوبه من بعد وقرى
تدعون بالتاء كباسط بالتنوين قال وما دعاء الكافرين الا فى ضلال
اى فى ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة
لم يستطع اجابتهم قوله تعالى ولله يسجد من فى السموات
والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال اعلم ان فى
المراد بهذا السجود قولين الاول ان المراد منه السجود بمعنى وضع
الجبهة على الارض وعلى هذا الوجه ففيه وجهان احدهما ان
اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص وهم المؤمنون وبعض
المؤمنين يسجدون لله طوعا بسهوله ونشاط ومن المسلمين من يسجد لله كرها
بصعوبة ذلك عليه مع انه يحمل نفسه على ادائه لطاعة شائم اتى

من ان اقدامهم والمطر بكاؤهم فان فعل وما خلقه الرعد لما استقصينا
القول فيه في سورة البقرة في قوله تعالى فيه ظلمات ورعد وبرق
اما قوله والملائكة من خيفته عليها والملائكة اعوان الرعد
فانه سبحانه جعل له اعوانا ومعنى قوله والملائكة من خيفته يسبح
الملائكة من خيفة الله وخشيته قال ابن عباس انهم خائفون
من الله لا كخوف بني آدم ما ان احدا ما لم يعرف من على متنه ولا من على
يساره لا يشغله عن عباد الله طعام ولا شراب ولا شيء واعلم
ان المحققين من الحكماء يذكرون هذه الآثار العلوية انها تارة تقوى
روحانية فلكية واخرى روح معين من الارواح الفلكية
بدين وكر القول في الرياح وفي سائر الآثار العلوية وهذا
عين ما قلناه ان الرعد اسم ملك من الملائكة يسبح الله تعالى وهو الذي
قاله المفسرون بهذه الآثار هو عين ما ذكره المحققون عن الحكماء
فكيف يقابل الانكار بالقبول ثم النوع الرابع من الدلائل
المذكورة في هذه الآية قوله سبحانه فيرسل الصواعق فيصيب بها
من يشاء واعلم انا قد ذكرنا معنى الصواعق في سورة البقرة
قال المفسرون نزلت هذه الآية في عامر بن طفيل وبدين
سعد اخي اسد بن سعد اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فخاصمه وحاكاه فقال
وبربدين الفغث به فقال ربد احرز ناعن ربنا امر لحاس هو امر من
حديد ثم انه لما رجع ربد ارسل الله عليه صاعقة فاحرقته وفي
عامر بعد كهذه الغدة وموت في بيت سلولية واعلم ان
امر الصاعقة عجيب جدا وذلك لانها نار تتولد في السحاب من لطافة
بخار واحتراق الحمار بحر الحكماء العوالي وصفوتها
وروحه الاسفل لان الحمار والبيسه وطبعها ضد طبعه السحاب

نوجب

وجب ان يكون طبعها في الحمار والبيوسة اضعف من طبيعة
البرد ان الحمار يبقى منها على العادة ولكنه يبقى الامر كذلك فانها قوية
بيان هذا العالم فثبت ان اختصاصها من هذا الوجه لا بد وان يكون
بسبب يخصص الفاعل المختار واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل
الاربعة قال وهم يجادلون في الله والمراد انه تعالى بين دلائل
العلم في قوله تعلم ما تحمل كل انثى وبين دلائل القدرة في هذه الآيات
ثم قال وهم يحادلون في الله والمراد انه تعالى اي هم ولاي الكفار
ثم ظهر هذه الدلائل يجادلون في الله وهو يحتمل وجهين الاول
ان يكون المراد الرد على الكافر الذي قال اخبرنا عن ربنا اهو من نحاس
ام من حديد وثانيهما ان يكون المراد الرد على جدالهم في انكار البعث
وابطال الحشر والنشر وثالثها ان يكون المراد الرد على جدالهم في تكذيب
سائر المخبرات ورابعها ان يكون المراد الرد عليهم في استحقار عذاب
الاستئصال وفي هذه الواو وقولان الاول انها للحال والمعنى يصيب
بالصاعقة من يشاء في حال جدالهم في الله وذلك ان زيدا الملحد دخل في امر
احرقته الصاعقة والثاني انها واو الاستيناف كأنه تعالى لما ذكر
ذكر هذه الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله ثم قال تعالى
وهو شديد المحال وفي لفظ المحال اقوال قال ابن قتيبة المحال
هو من الحول وهو مع مكان قال الفراء هو من الحيلة فان الكلمة
اذا كانت على مثال فعال اوله ميم مكسور وهي اصلية مثل مهاد ومراس
ثم لما لفقوا قالوا قد احد على وزن الاول مثل مزق وليس في كلامهم محل فلان يحال
اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك واحل وكذا اذا تكلف
استعمال الحيلة واجتهد فيه فكان المعنى انه سبحانه شديد المكر لاعدائه
يهلكهم بطريق يتعذر عليهم الوقوف على كنهه والمعنى ان المحال عبارة عن الشدة ومنه

في هذه الآية قوله تعالى ويشئ السحاب الثقال قال صاحب الكشاف
في هذه الآية قوله ويشئ السحاب اسم الجنس والواحد سحابة
والثقال جمع ثقيلة وسحاب يقال كما تقول ابرة كريمة ونساء
كرائم وعني الثقال بالماء واعلم ان هذا ايضا من دلائل القدرة والحكمة
وذلك لان هذه الاجزاء المائية اما ان تقال اصاعدة في جو الهواء
او يقال انها صاعدة من وجه الارض فان كان الاول
وجب ان يكون بخارا محدثا حكيما وان كان الثاني وهو ان يقال
ان ذلك الابخرة صاعدة من الارض فلا بد لصعودها الى الطبقة الباردة
من الهواء من سبب وجعلها في الارض تنقل هذا الحمل وذلك
لان الابخرة بمجلدة فاما ان تكون الابخرة لها وبان تكون بمعونة
وبان تكون بمقارنة واجزاء يكون مساعدة وبان يدوم هذا النزول
المطر زمانا طويلا وبان قليلا واختلاف الامطار في هذه الصفات
مع ان طبيعة الارض واحدة لا بد وان تكون بحسب الفاعل
المختار وايضا بالتجربة دلت على ان للدعاء والتضرع في نزول
الغيث اثرا عظيما ولذلك فان صلاة الاستسقاء مشروعة فعلمنا ان
المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة النوع الثالث من الدلائل
المذكورة في هذه الآية الرعد وهو كقوله ويسبح الرعد بحمده وفيه اقوال
الاول ان الرعد اسم ملك من الملائكة وهو الصوت المسموع
وهو صوت ذلك الملك بالتسبيح والتهليل عن ابن عباس ان اليهود
سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد وما هو فقال ملك من الملائكة
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء
الله فقالوا فما الصوت الذي يسمع قال زجر السحاب وعن الحسن
انه خلق من خلق الله ليس بملك وعلى هذا القول الرعد للرعل بالسحاب

وقوته تسبيح لله تعالى وذلك الصوت ايضا يسمى بالرعد وذكر هذا ايضا
لما روي ان بعض من كان اذا سمع الرعد قال سبحان من تسبحت له
وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيطلق احسن الضحك فيطلق الرعد وضحكه
البرق واعلم ان هذا القول غير مستبعد وذلك لان عند السنة
السنية ليست شرطا لحصول الحياة ولا سعد من الله تعالى ان يخلق الحياة
والعقل والنطق في اجزاء السحاب فيكون هذا الصوت المسموع فعلا له
وكيف يستبعد ذلك ونحن نرى ان الله تعالى يخلق في النار والضفادع
يولد في السحاب البرد العظيم ورما ولد في الثلوج القطعة
وايضا فاذا لم يبعد تسبيح الحصى في يد داود عليه السلام ولا تسبيح الحصا
في يد محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يبعد تسبيح السحاب وعلى هذا
القول فصل الثقيل المسمى ملكا وانه ليس ذلك قبيحا فلان احدها
انه ليس بملك لانه عطف عليه الملائكة والمعطوف غير المعطوف
والثاني وهو انه لا يمتنع ان يكون من جنس الملائكة لقائل ان
يقول انه لما ذكر على وجه التشريف كما في قوله تعالى وملائكته وجبريل
وميكال وكقوله تعالى ولما اخذ الله من النبيين ميثاقهم وملك من نوع
القول الثالث ان الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص ومع ذلك
فان الرعد تسبح لله تعالى لان التسبيح والتقديس والتحريك محمودا فيها
ليس الا وجود لفظ يدل على حصول التنزيه والتقديس لله سبحانه
فلما كان صدور هذا الصوت دليلا على وجود موجود منزه عن النقص
والالم كان ذلك في الحقيقة تسبيحا وهو معنى قوله ما من شيء الا يسبح بحمده والقول الثالث ان المراد من ذكر الرعد تسبيحا
ان من سمع الرعد فانه يسبح الله تعالى فلهذا المعنى اضيف هذا التسبيح
اليه القول الرابع من كلام الصوفية الرعد صفات الملائكة والبرق

اي ليس لهم من دون الله من يتولاهم ومنع قضاء الله عنهم والمعنى انهم من
والٍ على امرهم ومنع العذاب عنهم والله اعلم ۞ المسئلة
تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ومنشئ السحاب الثقال ويسبح
الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء
وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ۞ اعلم انه تعالى
لما خوف العباد بما ينال المرء له اتبعه بذكر هذه الآيات وهي
مشتملة على امور ثلاثة وذلك لان هذا من الدلائل على قدرة الله وحكمته
وانها نسبة النعم والاحسان من بعض الوجوه ونسبة العذاب والقهر
من بعض الوجوه واعلم انه ذكر هاهنا امورا اربعة الاول
البرق وهو قوله تعالى وهو الذي يريكم البرق وفيه مسائل ۞
المسئلة الاولى في الخوف قوله خوفا وطمعا وجوه
قال صاحب الكشاف لا يصح ان يكونا مفعولا لهما
لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف
اي ارادة خوف وطمع او على معنى الاخافة او اطماعا التالي لجواز
ان يكون منصوبا على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وللمسافر
خائف وطامع ۞ المسئلة الثانية في كون البرق
خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف نزول
الصواعق ويطمع في نزول الغيث ۞ قال للبيث
فتاكل السحاب الجون حتى ويرتجي فيرجى الحيا منها ويخشى
الصواعق
الثاني ان يخاف المطر من لم يتهيأ له مركب او مسكن في حينه
التمر والرسد ويطمع فيه من تهيأ له ذلك الثالث ان كل ما يحصل
في

عندها ولا والله اعلم لخصائص الامور هذا كله اذا فسرنا قوله تعالى
لا معقبات من بين يديه ومن خلفه بالملائكة القول الثاني
وهو ايضا منقول عن ابن عباس واختاره ابو مسلم الاصفهاني ان للانسان
تستوي فيه علم الله السر والجهر والمستخفي وظلمة الليل والشارب
بالنهار سطوة بالمعاصي والاصرار وهم الملوك والاشراف فمن
يعصب الله امن ومن يسيء بالمعصية نهارا وهو الاحراس والاعوان
الذين يحفظونه ليلا يحبه احراسه من الله وللمعصب العون لانه اذا نصر هذا
ذاك فلا بد وان ينصره ذاك هذا فنصر كل واحد منهم معاونه لئلا يقهر الاخر
وهذه المعصية لا يخلص من قضاء الله وقدره وهم وان اطاعوا الا يخلصون
محدوهم من امر الله ومن قضائه فانهم لا يقدرون على ذلك البتة والمقصود
من ذكر هذا الكلام لعب السلاطين والكبراء والامراء على ان يطيعوا
الاكراص من الملوك على حفظ الله وعصمته ولا يعدلوا في دفعها الى
الاعوان والانصار ولذلك قال الله تعالى واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ولما قوله تعالى
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فكلام للسر من ذلك على ان
المراد انه لا يغير ما فيه من النعماء ما دام الانعام الاتمان يكون
منهم المعاصي والفساد قال القاضي والظاهر لا يحمل الا هذا
لانه لا شيء مما يفعله تعالى سوى العقاب الا وقد يسوي به في الدنيا
من دون ضرر يصدر من العبد فانه تعالى اعد لما لا نفع دنيا ودينا
وفضل في ذلك امن يشاء على من يشاء فالمراد مما دل الله تعالى العبد
بالهلاك والعقاب ثم احتجوا بنفيهم قال هذا الكلام راجع الى
قوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة حتى تعالى انه لا يريد بهم عذاب
الاستيصال الا للعلوم منهم الاصرار على الكفر والمعاصي حتى قالوا اذا

كان

كان المعلوم ان فيهم من يؤمن او في عقبه من يؤمن فان الله تعالى لا ينزل
بهم عذاب الاستيصال وقال بعضهم بل الكلام يجري على العلاقة والمراد
منه ان كل قوم يتعاونون على الفساد وعلى قطع طريقهم في المعاصي وصدوده الله
تعالى بان الله تعالى يرسل عليهم النقم ويزيل عليهم انواعا من العذاب وقال
بعضهم ان اللون الذي يكون مختلطا بلون تلك الاقوام ربما دخل في ذلك العذاب
روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك ان يعمهم الله
بعذاب واختار ابو علي الجبائي والقاضي بعده الآية في معتزلين

المسألة الاولى انه تعالى لا يطبع الطفال المشركين بذنوب اباءهم
لانهم لم يغيروا ما بانفسهم من نعم الله حتى يغير الله ما بهم من النعمة الى العذاب

المسألة الثانية قالوا الآية تدل على ان قول المجبر انه
تعالى ابتدأ العبد بالضلال واضلاله لان اول الضلال لا ضلال العذاب
العذاب مع انه ما كان ضد يستحق والعذاب فثبت ان المراد من هذه الآية
تدل على ان فعل الله تعالى في العبد مترتب على فعل العبد لان قوله
تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله مدل على ان فعل العبد متوقف على فعل الله
تعالى موقع التعارض والله اعلم واما قوله تعالى واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له واصح اصحابنا على ان العبد غير مستقل بالفعل لان الارادة
لانه اذا كفر العبد فلا شك انه تعالى يحكم بانه مستحق للذم في الدنيا
والعقاب في الآخرة فلو كان العبد مستقلا بتحصيل الايمان لكان قادرا
على رد ما امر الله تعالى وحينئذ يبطل قوله واذا اراد الله بقوم سوءا
فلا مرد له ثبت ان الآية الثانية وان اشعرت لمذهبهم الا ان هذه الآية
من اقوى الدلائل على مذهبنا قال الضحاك عن ابن عباس لم يعن المعقبات
شيئا وقال عطاء عنه لم يرد لعذابي ولا ناقض لحكمي وما لهم من دونه من ولي

وبعضها بارده وبعضها فوقه الغضب والسلطان وبعضها ضعيفة محضه
وكما ان الامر في الارواح البشريه كذلك فكذا القول في الارواح
الملكيه في كل باب وصفه اقوي من الارواح البشريه وكل
طائفه من الارواح البشريه تكون مشاركه في طبيعته خاصيه
وصفه مخصوصه والملون في من تنبه روح من الارواح الملكيه
مشاكله لها في الطبيعه والخاصيه وكون ذلك للارواح البشريه
كانها اولا دلذلك الارواح للملكيه ومتى كان كذلك فان
الروح الملكي يكون معينا لها على مصالحها ومن شر الها الى مصالحها
او عاصما لها من صنوف الافات فهذا كلام كل محققوا الفلاسفه
واذا كان الامر كذلك علمنا ان الذي ورد به الشريعه ابن مقبول
عند الكل ولم يكن استكباره من الشريعه فان قيل
وما الفائده في اطلاعنا على الملائكه مع ما في ادمه تسلطهم
يدل فيه وجوه الاول ان الشيطان لما سمع الملائكه
الملائكه يدعوا الى الخيرات والطاعات اليه فانه قال مجاهد
ما من عبد الا ومعه ملك موكل بحفظه من الجن والانس والهوام
في يومه وبحفظه الا اذا جاء امر الله انا نرى الانسان يدفع في قليبه
داع قوي الى شيء ثم يظهر له الاخر ان دفوع ذلك الداعيه
في قلبه كان من الملك الموكل بحفظه وحراسته وقد يتكشف ايضا
بالاخر ان كان من الوسواس فوقوعه في الفه او معصيه ومفسده يظهر
ان الداعي الاول كان من الملك والداعي الثاني
كان من الشيطان والاول هو الملك الهادي والثاني
هو الشيطان الغوي الرابع ان الانسان اذا علم ان الملائكه
تحصي عليه عمله كان ذلك الحذر عن المعاصي اقرب لان من امن نسي حلاله

الملك

الملك وعلموا سهم فاذا اخاف الاقدام على معصيته واعتقدانهم مشاهدونها
رحن رحن الحياء منهم عن الاقدام عليهم كما يرحن اذا حضر من يعظمه من
البشر فاذا علم ان الملائكه يحصي عليه ملك الاعمال ذان ذلك ايضا
يزيد عنها وان علم ان الملائكه يكتبونها كان الردع اكمل السؤال
الخامس قال العالم في كتبه اعمال العباد قلنا ما معنا مقاما ان المراد من
ان نفس الكتبه بالمعنى المشهور من الكتبه باب المتكلمين والفائده في ذلك
الصحف وزنها فان رحمتكفه الطاعات ظهر انه من الجنه وما الصد
قال القاضي هذا بعيد لان الدلاله قد دلت على ان كل واحد من قبل
مماته عند المعاينه يعلم انه من السعداء ومن الاشقياء فلا يحوز وصف ذلك
المعرفه على الميت ثم اجاب القاضي عن الكلام وقال لا عتنع انها
ما ذكرتموه لان يرجع الى حصول السرور عند الخلق العظيم انه من اولياء الله في
الجنه وهذا الصد من ذلك في اعداء الله والمفتاح للملائكه وهو قول حكما
الاسلام ان الكتبه عبارة عن نقوش مخصوصه فلو قدرنا كون ملك النقوش
دالة على ذلك المعاني لاعتبارها ودوامها اذا ثبت ذلك الكتبه اقوى
واكمل اذا ثبت هذا نقول ان الانسان لا ياتي بعمل من الاعمال ترا وكرات
كثيره متواليه حصلت في نفسه بسبب كونها ملكه قويه راسخه فان
كانت تلك الملكه ملكه في اعمال نافعه في السعادات الروحانيه
عظم ابتهاجها بها بعد الموت اذا ثبت هذا نقول ان الكتبه لما
كان سببا لحصول ملك الملكه الراسخه كان كل واحد من ملك الاعمال
المكتوبه اثرا في حصول تلك الملكه الراسخه وذلك الاثر وان كان
غير محسوس الا انه حاصل في الجمله فاذا عرفت هذا ظهر انه لا محصل
للانسان عنه ولا حركه ولا لفوظ الا وتحصل منه في جوهر نفسه اثر من
اثار ملك السعاده او الشقاوه قل او اكثر فهذا هو المراد من كتبه الاعمال

مبينه للحساب هو اليمين الذي على يسار فاذا عملت حسنة كتبها العشر
واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال لصاحب اليمين اكتب قال
قال لا لعله يتوب فاذا قال ثلاثا قال نعم اكتب اراحنا الله
منه بئس القرين ما اقل مراقبته لله واستحيائه منا مهموز توله
تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه وملك قابض على ناصيته
ان تواضعت لربك رفعك وان تجبرت قصمك وملكان
على سمعك يحفظان عليك الصلاة وملك على فيك لا تدع ان
تدخل فيه فيك وملك على عينك فما ولاي حفظ لملائكة
على كل آدمي بدل ملائكة الليل ملائكة النهار وهم عشرون
ملكا على كل آدمي رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم
ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة
العصر وهو للزاد من قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا
قيل يصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار قال
ابن حجر هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد صاحب اليمين
كتب الحسنات والذي عن شمال كتب السيئات وعن محاصد ما
من عبد الا وله ملك يحفظه من الجن والانس والهوام ويومه وبطيبة
وفي الآية سؤالات السؤال الاول للملائكة ذكور فلم جمعها مع الاناث
الجواب فيه قولان الاول قال الفراء المعقبات انما وقع
جمع معقبة تجمع معقبة معقبات انما وقع بذكور وحالات
تكثر وحال والذي يدل على التذكير قوله تعالى لحفظون
والثاني وهو قول الاخفش انما انثه لكثرة ذلك منها كما انه
وعلامة وهو ذكر السؤال الثاني ما المراد من قوله وله
للمعقبات من بين يديه ومن خلفه الجواب ان للمتحفي بالليل والنهار

ق

قد احاط هاولاي المعقبون به فيعدون عليه اعماله وافواله ولا يشذ
من تلك الاقوال والاعمال عن حفظهم شيء لصلاة ولا لبعضهم بل المراد
بحفظونه من جميع المهالك من بين يديه ومن خلفه لان السارق بالنهار
اذا سعى في سبيله فالمحذور من بين يديه ومن خلفه السؤال
الثالث ما المراد من قوله من امر الله الجواب ذكر الفراء
فيه وجهين الاول انه على التقديم والتاخير والتقدير له
معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ان فيه
اخبار اي ذلك الحفظ من امر الله اي مما امر الله به فحذف الاسم
واوصل الخبر كما كتب على الكيس الفلان والمراد الذي فيه الفلان الثاني
الدليل على ان الانسان كله من معاها البارئ والمصور لحفظونه
بامر الله واعانته والدليل عليه انه لا بد من المصير اليه انه لا قدرة
للملائكة ولا لاحد من الخلق ان يحفظوا احدا من امر الله وما قضاه
عليه السؤال الرابع ما الفائدة في جعل هاولاي الملائكة
موكلين علينا الجواب اعلم ان هذا الكلام غير مستبعد وذلك
لان المحسن اقوى على ان التمس لكوكب في كل يوم على حده وكل القول
في ليله ولا شك ان ذلك الكوكب انما اراح غنيمة فتلك
السيارات المختلفة هي الحقيقة لملك الارواح وكر القول في تدبير
الفلك على ما نقوله المنجمون واما اصحاب الطلسمات فقد الكلام مشهور
في الستهم وذلك لانهم يقولون لعرق طباع الدم ومرادهم بالطباع
الدم ان لكل انسان روحا ملكية سوى اصلاح مهماته ودفع بلياته
وافاته واذا كان هذا مقفا عليه من قدماء الفلاسفة واصحاب
الاحكام تكيف يستبعد محبه من طريق الشرع وعلم التحقيق فيه
ان الارواح البشرية مختلفة في جواهرها وطبائعها بعضها خيرة

والعلم الكامل والقدرة التامة ومنع ما عن كل ما لا ينبغي وكذلك
يدل على كونه تعالى قادرا على البعث الذي انكروه على الاسباب
التي اوجبوها وعلى العذاب الذي استعجلوه وانه انما يوخر ذلك
بحسب المشية والالهية عند قوم وبحسب المصلحة عند آخرين
وقوله سبحانه للعالمين بالياء في الوقف والوصل على الاصل والباقون
بحذف الياء في الحالين للتخفيف ثم انه تعالى اكد كونه عالما بكل المعلومات
فقال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وساربٌ
بالنهار وفيه مسائل المسئلة الاولى لفظ سواء طلب
اسم يستوي فيه زيد وعمرو يريد وهذا ان الاول انه مصدر والمعنى ذو
سواء كما تقول لعظم ذي دثر هذا الثاني ان يكون سواء بمعنى مستوٍ
وعلى هذا التقدير فالاحسن الى الاستئناف الا ان مستوٍ يستوي فيه زيد وعمرو
لان اسم الفاعل اذا كان صلة لا يعمل اعماله الا بشرط ان يقول
بل هذا الوجه اولى لان حمل الكلام عليه يغني عن التزام الاضمار الذي
هو خلاف الاصل المسئلة الثانية من المستخفي
والسارب وهذان الاولان يقال احتبست الشيء احتباسا فهو محتبس
واستخفى فلان اي توارى واستتر وقوله وسارب بالنهار
وقال الفراء الرجاج اي ظاهر بالنهار في سربه اي طريقه
يقال خل له سربه اي طريقه وقال الازهري يقول العرب
سربت الابل تسرب اي مضت في الارض ظاهرة حيث سارت
فاذا عرفت ذلك فمعنى الآية سواء كان الانسان مستخفيا في الظلام
او كان ظاهرا في الطرقات فعلم الله تعالى محيط بالكل وقال
ابن عباس سواء السريرة العلوية والطهارة الالسنة وقال
مجاهد سواء من اقام على الصلاح في ظلام الليل ومن ناجى بها في

النهار

النهار الظاهر على سبيل التوالي والقول الثاني نقله الواحدي
عن الاخفش وقطرب قال للمستخفي الظاهر والسارب للتواري
ومنه يقال خفيت الشيء واخفيته اي اظهرته واخفيت الشيء اي
استخرجته وسمي الليل المستخفي والسارب لمواراتهما الرائي سرا
واسرار الحس اذا دخل في حد اسه قال الواحدي وهذا الوجه صحيح
في اللغة الا ان الاول هو الاختيار لاطباق اكثر المفسرين عليه وايضا
بالليل يدل على الاستتار والنهار على الظهور والله عز وجل اعلم

قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال اعلم ان الضمير في قوله له
عائد الى قوله تعالى من في قوله سواء منكم من اسر القول وقبل علي اسم
الله تعالى في علم الغيب والشهادة والمعنى لله معقبات واما
المعقبات فيحتمل ان يكون اصل هذه الكلمة معقبات فادغمت التاء في
القاف فجعلوا يعقبان فيها المعذورون من الاعراب والمراد المعتدون
ويحتمل ان يكون من عقبه اذا جاء على عقبه قال سمي للعقب من كل
شيء لانه يجيء عقب ما قبله والمعنى من عقب كل الوجهين واحد اذا عرفت
هذا فنقول في المراد بالمعقبات قولان الاول وهو المشهور الذي
عليه الجمهور ان المراد منه الملائكة والحفظة واما صح وصفهم بالمعقبات
اما لاجل ان الملائكة الليل يعقبون ملائكة النهار والعكس
واما لاجل انهم يعقبون اعمال العباد وسعوبها بالحفظ والكتبة
وكل من عمل عملا ثم عاد اليه فقد عقبه فعلى هذا المراد من المعقبات
ملائكة الليل والنهار روي عن عثمان رضي الله عنه انه قال يا رسول
الله اخبرني عن العبد كم معه من ملك فقال صلى الله عليه وسلم ملك عن

عند الولادة فان الرحم قد يشتمل على واحد وعلى اثنين وبلغنا
وارتفع وقد روي ان شوكا كان رابع اربعة في بطن امه
الدائي عند الولادة قد يكون معرضا وقد يكون قائما
الثالث من ولادته قد يكون تسعة اشهر واربعة عليها الى
سنتين عند ابي حنيفة والى اربع سنين عند الشافعي والى خمس سنين
عند مالك وقيل ان الحمل لا يبقى اكثر من سنتين وهم من خال
بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي مريما والرابع
الدم فان نقل وبقي فكتوم والخامس ما سقط من
عنوان ثم وغادر اد الايام السادس ما سقط بطهور دم
الحمض وذلك اذا سال الدم في وقت الحيض ضعف الولد ونقص
وتقرر ذلك التفصيل بزياد ايام الحمل لتصير هذه الزيادة
ان لم الحيض فصله يجتمع في بدن المراة اذا سلات تلك العروق
من ذلك الغلاف وخرجت وسالت وعند ذا واحد ذلك
العروق اذا سالت تلك المراة املاف تلك العروق من اوى
هذا عند اذا قلنا ان كل ما وصل له مصدية والمعنى انه تعالى
يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه
شيء من ذلك ولا من اوقاته واحواله وكل شيء عنده بمقدار
وقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا اعلم ان قوله
تعالى وكل شيء عنده بمقدار يحتمل ان يكون المراد من العندية العلم
معناه انه تعالى عالم بكميته كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل
المبين ومتى كان الامر كذلك امتنع وقوع اللبس في تلك المعلومات
ويحتمل ان يكون المراد بالعندية انه تعالى خصص كل حادث بوقت معين

وخال

وخال معتقد مشيته الازلية وارادته الشرعية وعند حكمه الاصلام
انه تعالى وضع اشياء كلية واودع فيها قوى وخواص وحركها بحسب
تلك من حركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة لاحوال حوادثه متعينة
ومناسبات مخصوصة مقدرة وتدخل في هذه الايه افعال العباد
واحوالهم وخواطرهم وهو من ادل الادلة على بطلان قول المعتزلة
ثم قال عالم الغيب والشهادة قال ابن عباس هو ما غاب عن خلقه
وما شاهدوه قال الواحدي تعالى عن الضيف معناه ذو الغيب
والشهادة اراد بها الشاهد فحلفوا في المراد بالغائب والشاهد هو
الموجود وقيل الغائب ما غاب عن الحس والشاهد ما حصر
الحس وقيل الغائب ما لا يعرفه الخلق وقيل المعلومات
قسمان المعدومات والموجودات والمعدومات فيها محدودات يمتنع
وجودها وموجودات لا يمتنع عدمها وكل واحد من هذه الاقسام الاربعة
لها احكام وخواص والكل معلوم لله تعالى وعلى الشيخ الوالد عمر
رحمه الله عن ابي القاسم الانصاري عن العالم الحوضي رحمه الله كان يقول
لله تعالى معلومات لا نهايات لها وله في كل واحد من تلك المعلومات
معلومات اخرى لا نهاية لها لان الجوهري الفرد يعلم من حاله
انه تارة يكون متوجها في احياز لا نهاية لها على البدل وموصوفا بصفات
لا نهاية لها على البدل وهو تعالى عالم بكل الاحوال على التفصيل
وكل واحد من هذه الاقسام داخل تحت قوله عالم الغيب والشهادة
ثم انه تعالى وكد عظمته قوله الكبير المتعال وهو تعالى يمتنع ان
يكون كبيرا بحسب العدد الالهية والجم وللمقدار هو جسم بل كبيرا
بحسب العدد الالهية ثم وصف نفسه بانه المتعال وهو المنزه عن كل
ما لا يجوز عليه في ذاته وصفاته وفعله والاية دالة على كونه تعالى موصوفا

الخشه ج

حادث

ولما كان الغالب في زمان محمد صلى الله عليه وسلم الفصاحة والبلاغة
جعل معجزته ما كان لا تقاب ذلك الزمان وهو فصاحة القرآن
فلما لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع انها اليق بطباعهم فان لا يؤمنوا
عند سائر المعجزات أولى هذا هو الذي قرره القاضي والوجه
الصحيح الذي يبقى الكلام معه منتظما والوجه الثاني وهو ان
المخوف انهم يجحدون كون القرآن معجزا ولا يصدق قلبك بسببه
انما انت منذر وما عليك الا ان تنذر الى ان يحصل الايمان في صدورهم
وليست تقادر عليهم ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالتخليق
وهو الله تعالى فتكون للعني ليس لك الا الانذار واما الهداية
فمن الله واعلم ان اهل الظاهر من المفسرين ذكروا هاهنا
اقوالا الاول ان المنذر والهادي شيء واحد والمعنى انما
انت منذر ولكل قوم منذر على حدة ومعجز كل واحد منهم غير معجز
الاخر الثاني المنذر محمد صلى الله عليه وسلم والهادي هو
الله سبحانه عن ابن عباس وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على صدره وقال انا المنذر وأومى الى منكب علي وقال
انت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي

قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام
وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير
المتعال في الآية مسائل في وجه النظم وجوه الاول
انه تعالى لما ذكر انهم طلبوا اما قاحرى عن ما اتى بها الرسول
صلى الله عليه وسلم من انه تعالى عالم بجميع المعلومات فيعلم من حالهم
انهم ما طلبوا الا بعد الاحرى للاسترشاد وطلب البيان او لاجل
العناد وهل يستحق بظهور تلك الاقتراحات او يزداد اصرارهم

واستكبارهم ولو علم الله تعالى انهم طلبوا لاجل الاسترشاد
وطلب البيان ومزيد الفائدة لاظهر الله تعالى لهم ما سألوه
منه لكنه تعالى لما علم انهم لم يقصدوا ذلك الا لاجل محض العناد
لاجرم انه تعالى منعهم ذلك وهو قوله تعالى ولو انا نزلنا عليهم
ملائكة وكلمهم الموتى الآية الثاني ان المخوف انهم يجحدون
ان وجه النظم انه تعالى لما قال وان تعجب فعجب قولهم في انكار البعث
وذلك انهم انكروا البعث بسبب ان جمع الاجزاء الحيوانات
عند تفرقها واختلاط بعضها ببعض ولانتهاء الاجساد بسببها في الارض
الله تعالى انه لما لم يشهد الاجساد حتى لا يكون عالما بجميع
المعلومات وانما من هو عالم بجميع المعلومات فانه يعلم اجمال
كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد الى قوله هذا اشكل
بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة والمعنى انه تعالى عالم
بجميع المعلومات وهو تعالى انما نزل العذاب بحسب ما يعلم كونه
مصلحة وقسمة والله اعلم الثالث في المسبب عنه الله لفظة
تعالى في قوله ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد اما ان
يكون من صوله واما ان يكون مصدره فان كان من صوله فالمعنى
انه يعلم ما تعلقه من الولد من اي الاقسام هو ذكر ام انثى وتام ام ناقص
وحسن ام قبيح وطويل او قصير وغير ذلك من الاحوال الخاصة
وللمتكلمين في هذا الباب كلام مشهور وهو ان العلم بالشيء
سواء كان قبل الايجاد ام معه ام بعده يستحيل تغاير المعلوم
ومنه قول الله تعالى وغيض الماء والمراد من الايجاد ما تغيضه الارحام
الا انه حذف الرافع وما يزداد اي ما يأخذ منه ويأكله يقال اخذ
منه حقي وازدى منه كما ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا
ثم احلقوا فما يغيضه الرحم وما يزداد على وجوه الاول

الكفار كلهم مغصوبون لهم لاجل انه تعالى اخر عقابهم الى الاخرة
وعن الثاني ان الله تعالى مدح بها والمدح انما يحصل بالتفضل
اما اداء الواجب فلا مدح فيه وعندكم يحسن عقران الصغار بغير
وعن الثالث انا سنبين ان ظاهر هذه الاية يقتضي حصول النبوة
فسقطت هذه الاسئلة والله اعلم ○ قوله
تعالى وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه قلنا انت منذر ولكل قوم
هاد ○ اعلم انه تعالى حكى عن الكفار انهم طعنوا في
نبوته بسبب طعنهم في الحشر والنشر ولهم طعنوا في نبوته
صلى الله عليه وسلم لما ان طلبوا منه المعجز والبينة فانها تصلح للدلالة
في هذه الاية واعلم ان السبب في ذلك انهم انكروا كون القرآن
معجزا فقالوا هذا كتاب مثل سائر الكتب واما سائر
الانسان يصنف مثله وكل ما كان مثل الشيء لا يكون معجزا البتة ولما لم يكن
ما يكون مثل معجزات موسى عليه السلام واعلم ان من الناس
من زعم انه لم يظهر معجز على صدق محمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن
والدليل على هذا الكلام انهم لما طعنوا في كون القرآن معجزا مع انه
ما ظهر منه نوع آخر من المعجزات لان يمكن ان يكون قد ظهر
على يديه نوع آخر من المعجزات لا سيما ان يقول لهم انزل
عليه اية من ربه فهذا يدل على انه عليه السلام ما كان يعجز
سوى القرآن واعلم ان الجواب عنه من وجهين الاول
لعل المراد منه طلب المعجزات التي يشاهدونها منه كجنس الجذع
ونبع الماء من بين الاصابع واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل
فطلبوا منه معجزات قاهرة من غير هذه الامور مثل قلب العصا حية
وقلب الحصا حيوانا فان قيل فما السبب في ان الله تعالى منعهم

وما

وما اعطاهم قلنا الله تعالى ما اظهر المعجز الواحد فقد الغرض
فيكون طلب الثاني تحكما وظهور القرآن معجزا مع ذلك
حاجة الى سائر المعجزات وايضا فلعله تعالى علم ان الله تعالى
انهم مصرون على العناد بعد ظهور تلك المعجزات الملتمسة وكونهم مصرون
حينئذ سوف يحوجهم لعذاب الاستئصال ما اعطاهم مطلوبهم وقد بين
الله تعالى ذلك بقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا
وهم معرضون فمن ان انا لم نعطهم مطلوبهم لعلهم انهم لا ينتفعون به
وايضا فتحقيق هذا الجواب يقتضي ما لا نهاية له وهو انه كلما اتى
بمعجز جاء واحد اخر وطلب منه معجزا اخر وذلك يوجب سقوط
دعوى الانبياء عليهم السلام وانه باطل والوجه الثاني
في الجواب لعل الكفار ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات
ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار ذلك قال انما انت منذر ولكل
قوم هاد وفيه مسائل المسئلة الاولى اتفق النحاة على
ان من في قوله هاد دخلت الباء في الوصل واختلفوا في الوقف
فقرأ ابن كثير بالوقف على الياء والباقون بغير الياء وهو رواية
قليح عن ابن كثير الضعف ○ المسئلة الثانية في تفسير
هذه الاية وجوه الاول المراد ان الرسول صلى الله عليه وسلم
منذر لقومه ولكل قوم من قبل هاد منذر وداع وانه تعالى
سوى بين الكل في اظهار المعجز الا انه تعالى لم يعط قوما معجزا
لاجله اقتضى التخصيص تلك المعجز المخصوصة فلما كان الغالب
في زمان موسى عليه السلام السحر جعل معجزته هو اقرب الى افهامهم
ولما كان الغالب في زمان عيسى عليه السلام الطب جعل معجزته
ما كان من جنس تلك الطريقة وهو احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص

قالوا فعسا بعد العذاب وطلبوا منه الطعام فانزل له
على سبيل الطعن فيه والمعنى ان الذي يقوله كلام لا اصل له
فاهذا السبب على الله عنهم انهم يستعجلون الرسول بالسيئة
قبل الحسنة والمراد بالسيئة ههنا نزول العذاب عليهم كما
حكى الله تعالى عنهم في قوله فامطر علينا حجارة من السماء
وفي قوله لن نؤمن لك حتى نفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله
او تسقط السماء علينا كسفا وانما قالوا ذلك طعنا منهم مما قال
الرسول وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعدهم على الايمان
بالعواقب في الاخرة وحصول النصر والظفر فقد اهو المراد
من قوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ومنهم من فسر
الحسنة ههنا بالاهبال والتراخي وانما سمي العذاب
سيئة لانه يسوءهم ويوتهم واما قوله وقد خلت من قبلهم
المثلات فاعلم ان العرب يقولون ان العقوبة مثله ومثله
مثل صدقه وصدقة فالاولى لغة اهل الحجاز والثانية لغة تميم
ومن قال مثلة مجمعها مثلات ومثلات باسكان الثاء كما
حكاه الواحدي عن الفراء والزجاج وقال ابن الانباري
المثلة العقوبة للشبهة في المعاقب سببا وهو مشتق من المثول
منعه صحيح وهو من قولهم مثل فلان بفلان اذا صح مهورته
اما قطع اذنه او انفه او سمل عينه او بقر بطنه فقد امثل
الاصل ثم يقال للعذاب الماثل والعربي اللازم مثله قال
الواحدي واصل هذا الحرف من المثل الذي هو الشبه والمكافاة
الاصل ان يكون العقاب مساويا للمعاقب عليه ومما يدل له
لاجرم سمي بهذا الاسم قال صاحب الكشاف قرئ المثلات
بضمتين كالسماع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء

تحقيقا

تحقيقا المثلات جمع مثلة كركبة وركبات اذا عرفت هذا
فنقول معنى الاية ويستعجلونك بالعذاب الذي يعدك اطلع به وقد علموا
ما نزل من عفو ومانتا بالامم الخالية فلا يعتبروا بها كان سعي ان
يردعهم حرف ذلك عن الكفر اعتبارا بما نزل من مثلف لما
فعلوا سوء ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم فاعلم ان اصحابنا
تمسكوا بهذه الاية على انه تعالى قد يعفو عن صاحب الكبيرة
قبل التوبة ووجه الاستدلال به ان قوله لذو مغفرة للناس
على ظلمهم اي حال استصحابهم الظلم كما تقول جاءت الامير على
اكله اي حال استصحابه الاكل فهذا يقتضي كونه تعالى
غافرا للناس حال استصحابهم الظلم ومعلوم ان حال استصحاب
الانسان الظلم لا يكون ثابتا الا ذلك حال على انه تعالى قد يعفو الذنب
قبل الاستغال بالتوبة ثم يقول قول اهل الحق بعد الدليل يجب
الكفر فوجب ان يبقى معمولا في حال الشلوذ نصا للمطلوب او نقول
انه تعالى لم يستمر على قوله ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
بل عطف عليه قوله وان ربك لشديد العقاب فوجب ان يحمل
الاول على اصحاب الكبائر والثاني على اخوان الكفار
فان قيل لا يجوز ان يكون المراد من هذه المغفرة تاخير العقاب
الى الاخرة بل يجب حمل اللفظ عليه لان القوم لما طلبوا العجل
العذاب فالجواب المذكور فيه يجب ان يكون محمولا على تاخير العقاب
ثم ينطبق الجواب على السوال ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد
انه تعالى لا يعجل بالعقوبة امهالا لهم في الاسان بالتوبة فان
ماتوا فهو ذو مغفرة لهم وان عظم ذنبهم ولم يتوبوا فهو شديد العقاب
والجواب عن الاول ان تاخير العقاب لا يسمى مغفرة والا لوجب ان يقال

فلا يمكنه أن يعاد الحروف إلا بواسطة الأبوين وبانقراض الطبايع
والأفلاك وأما إنكار العلم فكما إذا قيل إنه تعالى عرف العالم
بالخرساء فلا يمكنه معرفة المطيع عن عمرو العاصي وأيضا
إنكار الصدق فكما لو قيل إنه وإن أخبر عنه لا يكنه لا يفعل
لأن الكذب عرف به عليه ولما كان كل هذه الإشياء كفرا
بنت أن إنكار المتعلق بالله تعالى في وإلصفة
الثانية قوله تعالى أولئك الأغلال في أعناقهم وفيه قولان
الأول قال الحسن المراد بالأغلال كفرهم وذنوبهم
والأصنام وتقريره قوله تعالى إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ٥

وقال الشاعر

لهم عز الرشد أغلال وأقياد ونقال

والذي هذا العمل في معقل للعمل الردي هذا وانه لا يلزم كل واحد
لجواز أنه بالعذاب قال القاضي هذا وإن كان محتملا إلا أن
حمل الكلام على الحقيقة أولى وأقول على تقدير قبول الأصم
بأن ظاهر الآية يقتضي حصول الأغلال في أعناقهم في الحال وذلك
غير حاصل فإنهم محمولون اللفظ على أنه ستحصل هذه المعنى الآن المراد
بالأغلال ما ذكرناه فكل واحد منا قادر للجمعة في بعض الوجوه
فلم كان قولهم أولى والقول الثاني المراد بأنه تعالى يجعل الأغلال
في أعناقهم إلى قوله ثم في النار يسجرون والصفة الثالثة
قوله تعالى وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والمراد منه
التهديد بالعذاب وذلك ليس إلا للكفار واستدل أصحابنا بهذه
الآية فقالوا قوله هم فيها خالدون يفيد الحصر فهم الموصوفون بالخلود
لا غيرهم وذلك يدل على أن أصحاب الكبائر لا يخلدون
في النار المسألة الثانية قال المتكلمون

النحو هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حق الله تعالى محال
فكان المراد وان تعجب معجب عندك لعادل ان يعول تراب بعضهم
في الآية الأولى يجب إضافة العجب إلى نفسه تعالى وحسدت
بما وله وقد سنا ان امثال هذه الالفاظ تجب تنزيهها عن مبادئ
الاعراض وتحملها على نهاياتها الاعراض فان الانسان إذا تعجب
من شيء انكره فكان هذا مجمل على الانكار ٥ المسألة
الثالثة اختلفوا في قوله تعالى إذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون
وامثاله اذا كان على صورة الاستفهام في الاول والثاني فنقل
من جمع بين الاستفهامين في الحرفين وهو نافع وابو عمرو وعاصم
ثم اختلف هؤلاء فابن كثير يستفهم بهمزة مطولة بمد فيها وعاصم
وحمزة يهمزتين في كل القرآن ومنهم من لا يجمع بين الاستفهامين ثم
اختلفوا فنافع وابن عامر والكسائي يستفهم في الاول وينقرا
على الخبر في الثاني وابن عامر على الخبر في الاول والاستفهام في الثاني
ثم اختلف هؤلاء فابن كثير يستفهم بهمزة مطولة وابن عامر
والكسائي بهمزة نافع فكذلك الا في الطاقات
وكذا ابن عامر الا في الواقعة وكذلك الكسائي الا في العنكبوت
والصافات ٥ المسألة الرابعة قال الزجاج
العامل في اذا كما تراه محذوف يقدر اذكروا يا سعيد وذلك
ما يدل على المحذوف ٥ قوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة
قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ٥ واعلم انه صلى الله
عليه وسلم كان يهددهم بأن يعذبهم يوم القيامة وبأن يعذبهم في الدنيا
والقوم كانوا يهددهم بعذاب القيامة بأنكروا القيامة والبعث والحشر
وهو الذي يقوم ذكر في الآية الأولى وكانوا يهددهم بعذاب الدنيا

المصاحف متحاورات والتقدير وجعل منها رواسي وجعل
الارض قطعا متحاورات واما قوله وخالف من اعنابه ونزرع
ونخيل معقول الجنة الصنف الذي يحمل نفعة الكروم والنخل وحدها
ذلك الامتنان والدليل عليه قوله تعالى جعلنا لاحدهما
جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا قرأ
ابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم في رواية صنوان بضم الصاد
والباقون بكسر الصاد وهما لغتان والصنوان جمع صنو
مثل حوان وجمع ان سمي واحدا فاذا كسرت فعلى الصنو والصنيا
بكسر الصاد وفتحها والصنو الاصل وقد تعلب عن ابن
الاعرابي الصنو المثل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الاعمام
الرجل صنو ابيه اي مثله اذا عرفت هذا فنقول اذا اشترينا
الصنوين التشبيه الاول كان المعنى ان اسماء النخيل قد تكون متماثلة
متشابهة وقد لا تكون كذلك ثم قال تعالى تسقى باء واحد
قرأ عاصم وابن عامر يسقى بالياء على تذكير لفظ واو لتعلب
المذكر على المؤنث والباقون بالتاء لقوله جنات تعالى ابو
عمرو واما قوله ونفضل بعضها على بعض في الاكل قرأ
حمزة والكسائي يفضل بالياء قطعا على قوله يسقى والباقون بالنون
على تقدير ونحن نفضل وفي الاكل متعلق بقوله نفضل حكى
حكى عن الزجاج ان الاكل الثمر الذي يوكل وحكى عن غيره ان الاكل
للنخيل والاكل والاقوات هذا اولى لقوله تعالى في صفة
الجنة اكلها دائم وهو طعام في جميع المطعومات وانكر وتابع

نزل

نزول الاكل ساكنة الكاف في جميع القرآن والباقون بضمها وهما لغتان قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم
ايتانا في حروب اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في
اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون هذه
جميع مسائل المسئلة الاولى اعلم انه تعالى لما ذكر
الدليل الدال على صحة الحشر الذي هو معلوم للعباد ذكر بعده مسئلة للعباد
تعالى وان تعجب فعجب قولهم وفيه اقوال الاول قال ابن عباس
ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ما تحكم اعليك بما لك من الصدق
فلهذا اعجب والثاني ان تعجب مما يعدون من عبادتهم ما لا يملك
لهم نفعا ولا ضرا بعد ما عرفوا الدلائل الدالة على التوحيد فهذا اعجب
الثالث بعد من الكلام وان تعجب فاعجب قولهم بعد فعجب في موضع العجب
لانهم لما اعترفوا بانه تعالى خالق السموات والارض وخالق الخلق
اجمعين وانه هو الذي منع السموات عن الزوال وانه هو
الذي سخر الشمس والقمر على وفق مصالح العباد وهو الذي اظهر في العالم
انواع الخيرات والعجائب التي لا يقدر عليها احد الا الله تعالى
العظيم كيف لا يكون وانه يعيد الانسان بعد موته لان القادر
على الاقوى والاكمل فان يكون قادرا على الاقل والاضعف اولى
وهذا هو تقرير موضع التعجب ثم انه تعالى لما حكى عنهم الكلام
حكم عليهم بالقبائح فقال اولئك الذين كفروا بربهم
وهذا يدل على ان كل من انكر البعث والقيامة كافر والدليل
من انكار البعث والقيامة الكفر قالوا لله من حسنات انكار البعث
لا يتم الا بانكار القدرة او العلم او الصدق واما انكار القدرة فكما
اذا قيل ان اله العالم موجب بالذات فانه يمتنع عليه الفاعلية والاختيار فلا يقدر
على الاعادة وقيل انه وان كان قادرا لكنه ليس تام القدرة

هذا السؤال وهو الجواب فوفقوه الله تعالى في هذا المقام لايه تعالى
انذا ابدى الدلايل السماويه وبدسنا انها كيف تدل على وجود
الصانع ثم انه تعالى اتبعه بالدلايل الارضيه فانه قال قايلا
لهم لعلكم ان يكون هذه الحوادث الارضيه لاجل الاحوال الفلكيه
كان جوابنا ان نقول هذا امر كذلك الا انا قد دللنا فيما تقدم على
السؤال فلا حاجة في عرضناه **والوجه** الباقي في الجواب
ان نقيم الدلاله على انه لايجوز ان يكون حدوث الحوادث السفليه لاجل
الاتصالات الفلكيه وذلك هو المذكور في الايه التي نحن في تفسيرها
بعد هذه الايه ومن تامل في هذه اللطايف وقف عليها اعلم ان
هذا العالم يشتمل على عالم الاولين والاخرين **قوله**
تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان تسقى باء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وفي الايه مسايل
المسئله الاولى اعلم ان المقصود من هذه
الايه اقامة الدلاله على انه لايجوز ان يكون حدوث الحادث في هذا
العالم لاجل الاتصالات الفلكيه والحركات الكوكبيه من
وجهين الاول انه جعل في الارض قطعا مختلفه بالطبع والماهيه
وهي مع ذلك متجاورة فبعضها يكون سبخه وبعضها يكون
عذبه وبعضها رمليه وتاثير الكواكب في تلك القطع
على السويه فدل هذا على ان اختلافها في صفاتها لمقدر العليم القدير
والثاني ان القطعه الواحده من الارض تسقى بماء واحد
ويكون تاثير الشمس فيها متشابها ثم ان تلك الثمار تجيء مختلفه
في اللون والطعم والطعم والخاصيه حتى انك قد تاخذ عنقودا واحدا

فيكون جميع حباته بصفة حلوة الا الحبه الواحده منه فانها تبقى
حامضه مالسبيه ونحن نعلم بالضروره ان نسبة الطبايع والافلاك
الى الكل على السويه بل يقول هاضا ما هو اعجب منه وهو انه يوجد
في بعض انواع الورد ما يكون لونه ورقته في غايه الحمرة والوجه
الباقي في غايه السواد مع ان ذلك الورد يكون في غايه الرقة
والنعومه وتتعجب ان تقابل وصل بالتمر الى الحد الذي وصفه دون
الباقي وهذا مما لا يمكنه قاطعه على ان الكل بتقدير الفاعل المختار
لاسبب الاتصالات الفلكيه وهو المراد بقوله تعالى يسقى باء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل بعقل الحكيم في تغيير
هذه الحكمه فان هذه الحوادث السفليه لا تتاثر من تاثير الكواكب
وذلك لان الكواكب والافلاك والطبايع نسبتها الى جميع القطع
بانه لابد من فاعل مختار يخصص بعض الاشياء وبعض هاتيك الدلايل ولايتاتى للمتفلسفه
قطع البته فلهذا السبب قال في هذه الايه ان في ذلك لايات لقوم
يعقلون لانه رافع لهذه الحكمه الان تقول ان هذه الحوادث السفليه
حادثه لاجل تاثير البته وذلك يقدح في كمال العقل لان العلم بما فيها من الحكم
الى الحد الذي كان عليه الامر وبتاثير البته حصول هذا العلم قادحا
وكمال العقل فلهذا قال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وهذه اللطايف
تنبيه من اسرار علم القرآن ومثال العليم ان لجعل الوصوف عليها
سببا للعفو والرحمه والغفران **المسئله الثانيه**
وفي الارض قطع متجاورات قال الاصم ارض فرسه من ارض اخرى
واحد طيبه واخرى سبخه واخرى رخوه واخرى صلبه وخصبا
واخرى يكون حمرا واخرى سودا وبالجمله فاختلاف بقاع الارض
في الارتفاع والانخفاض والطبع والخاصيه امر معلوم وفي بعض

لان طبيعة تلك الجهة واحدة وبانية الطبايع والكواكب والافلاك
فيها واحدة ثم انه خرج من الجانب الاعلى من تلك الجهة جرم
صاعد الى الهوى ومن الجانب الاسفل جرم غايص في الارض
ومن المحال ان يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان
فعلمنا ان ذلك انما كان بسبب تدبير الحليم العليم القدير
والمدبر القديم لا بسبب الطبع والخاصية ثم ان السجن الثامنة
في تلك الجهة بعضها يكون حشبا وبعضها يكون نورا وبعضها يكون
ثمر ثم ان تلك الثمر اما ان تحصل منها اجسام مختلفة الطبايع
مثل الجوز ففيه اربعة انواع من القشور والقشر الاعلى وهو
القشر الجسيم وتحته القشر المحيط بالقلب وتحت ذلك القشر
قشر اخرى في غاية الرقة ثم بعد ما فوقها حاصل لذلك اللوز
والجوز طبعا واضعا بعد تحصل في الثمر الواحدة الطبايع الاربعة
المختلفة والافرح فشتى حار يابس وتحته حار يطيب وخاصته
بارد يابس وورده حار يابس وكذلك العنب فيس وعجمه
بارد ان يابسان وتحته وماء حار رطب فثبت ان هذه الطبايع
مختلفة في الجهة الواحدة تنادي بآيات الطبايع وبآيات
الطبايع والافلاك لا بد وان يكون لاجل الحكيم القدير ○

المسئلة الثانية المراد من زوجين اثنين في الاختلاف
اما من حيث الطعم كالحلو والحامض او الطعمة كالحار والبارد
واللون كالاسود والابيض فان قيل الروحان لا بد وان
يكونا اثنين فما الفائدة في قوله وزوجين اثنين قلنا انه تعالى لما خلق
العالم وخلق فيه الاسحار وخلق في كل نوع من الانواع اثنين
فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم ان المراد النوع والشخص اما لما قال

اثنين

اثنين علمنا ان الله سبحانه اول ما خلق من كل زوجين اثنين لا ثلثة ولا
اربعة والحاصل ان الناس سيما الاذكياء الانعم انما ابتدأوا من زوجين
اثنين بالنحل وهما ادم وحوا وكذلك القول في جميع الاسحار والزروع
والله اعلم ○ النوع الرابع من الدلائل المذكورة في الآية
الاستدلال بطلوع الليل والنهار وهو الاشارة بقوله يغشى
الليل النهار والمقصود منه ان الانعام لا تحصل الا بالليل والنهار
وبعاقبهما كما قال تعالى فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة
ومنه قوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا وقد سبق الاستقصاء في بيان
فيما سلف من هذا الكتاب ○ قرأ حمزة والكسائي عن عاصم
يغشى بالتشديد وفتح العين والباقون بتخفيف العين وتخفيف الشين
ثم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل النيرة والقواطع الباهرة قال
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون واعلم انه تعالى في آخر
الامر حث على ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم ليتفكروا ان
في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وما ذكر عقيبه لقوم يعقلون
فنبه ان الفلاسفة ينسبون حوادث العالم السفلي الى الاختلافات
الواقعة في الاشكال الكوكبية فما لم ينفع الدلالة على دفع هذا السؤال
لا يتم المقصود فلهذا المعنى قال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
كانه يقول محال ان الفكر بما يعود ولا نه هذا المقام من التفكر والتامل
لتتم الاستدلال واعلم ان الجواب عن هذا الكلام من وجهين
الاول ان يقول لم لا يجوز ان يكون حوادث العالم السفلي الى الاحوال
الفلكية والاتصالات الكوكبية الا انا اقمنا الدليل القاطع
على اختصاص كل واحد من الاجرام الفلكية بطبيعته وصفته
وخاصيته لا بد وان يكون بتقدير المقدر القديم والمدبر الحكيم وقد سقط

ماست فيه من احجارها غير مستقله عن اماكنها تقال وشاهد هذا
الوجد وارسيته والمراد ما ذكرناه واعلم ان الاستدلال
بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه الاول
ان طبيعة الارض واحدة فحصول الجبال في بعض جوانبها دون
البعض لابد وان يكون بتخليق القادر الحكيم قالت الفلاسفة
في هذه الجبال لعلها تولدت لان الابخرة كانت في هذه الجانب من
العالم وكان تتولد في الصواعق شبيهة بقوى قاذفة الشمس فيه متقلب
حرا كما شاهدتم ان تمر ان الهواء كان يهب ويعلو ولهذا السبب تولدت
هذه الجبال وانما كانت هذه الجبال حاصلة في هذه الجانب من
العالم لان في الدهر الاقدم كان حصيصه الشمس في جانب الشمال
والشمس متى كانت في حضيضها كانت اقرب الى الارض وكان التسخين
اقوى بسبب التخوين يوجب ابخرة الرطوبات فحينئذ كان
الحصيص في جانب الشمال كانت الابخرة في جانب الشمال
ولما انتقل الاوج الى جانب الشمال والحصيص الى جانب الجنوب
انتقلت الابخرة الى جانب الجنوب فنشاهد الجبال في جانب
الشمال هذا حاصل كلام القوم في هذا الباب وهو ضعيف من
وجوه الاول ان حصول الطين في البحار امر عام ووقوع الشمس
عليها امر عام فلم حصل هذا الجبل في بعض المواضع دون بعض
الثاني وهو انا نشاهد في بعض الجبال كان تلك الاجزاء
موضوعة افقيا ما كان البناء من ابتداء كيف موضوع
بعضها فوق بعض وبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الذي
ذكروه للاول ان اوج الشمس الان قريب من اول السرطان
فعلى هذا من اول الوقت الذي ينتقل اوج الشمس الى الجانب الشمالي

مضى قريب من تسعة الاف سنة وبعد المقدر ان الجبال في هذه
المدة الطويلة كانت في التعب فوجب ان لا يبقى من الاجبار
شيء لكن ليس الامر كذلك فعلمنا ان السبب الذي ذكروه ضعيف
والوجه الثاني من الاستدلال باحوال الجبال على وجود الصانع
هي الكلأ والاكرام ما يحصل فيها من المعادن ومواضع الجواهر
النفيسة وقد يحصل فيها معادن النفط والكبريت فكون الارض واحدة
في الطبيعة وكون الجبل واحدا في الطبع وكون تأثير الشمس واحدا في
الكل فالكل يدل دليلا ظاهرا على ان الكل بتقدير قادر وقاهر
متعال عن مشابهة المحدثات والممكنات والوجه الثالث
في الاستدلال باحوال الجبال ان بسببها تولد الانهار على وجه الارض
وذلك لان الجبر جميع صلب فاذا انعقدت الابخرة من سطح الارض
وصلت الى الجبال احتبست فلا تقال فتكاثر فتسيل بسبب الجبال
مياها عظيمة ثم انها لكثرتها وقوتها تشق وتخرج وتسيل على
وجه الارض فتنفعه الجبال في تولد الانهار وهو هذا الوجه وبهذا
السبب قال في آخر الامر انما نزل الله تعالى الجبال وبعدها ذكر
الانهار مثل ما في هذه الاية ومثل قوله تعالى وجعلنا سبلا وانهارا
سبحانه واسقيناكم ماء فراتا النوع الثالث من الدلائل
المذكورة في هذه الاية الاستدلال باحوال خلقة النبات
وابله الانسان بقوله تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين
وفيه مسائل المسئلة الاولى ان الحبة اذا وضعت
في الارض واحرقت بها نار الارض ربت وكثرت وبسبب ذلك
تتشقق اعلاها واسفلها فيخرج من الشق الاعلى الشجر الصاعد ويخرج
من الشق الى اسفل العروق الغائصة في اسفل الارض وهذا من العجائب

في احوال هذا النوع من الموجودات والاحوال دلايلها
على الصانع الحليم طاهر وباهر بقوله تفصل الادلة اشارة
الى انه يحذف بعضها عقيب بعض على سبيل الحث والفضل يرقال
لعلكم بلقاء ربكم توقنون واعلم ان الدلايل المذكورة كما تدل
على وجود الصانع الحكيم فذلك ايضا تدل على صحة القول
بالحشر والنشر لان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها على
عظمتها وكثرتها فانه يقدر على الحشر والنشر كان اهون
يقروي ان واحدا قال لعلي بن ابي طالب الله تعالى يعيد
الخلق دفعة واحدة قال كما يرزقهم الان دفعة
واحدة وحاصل الكلام انه تعالى كما قدر على ايجاد الاجرام
العلوية والنيرات الكوكبية على الحو العالي وان كان الخلق
عاجزون عنه وكما يمكنه تدبير ما فوق العرش الى تحت الثرى
بحيث لا يشغله شان عن شان كذلك فانه يسهل الخلق لا يشغله
شان عن شان ومن الاصحاب من تمسك بلفظ الفاعل في وجوه
الله تعالى وقد مر تحقيقه في هذا الكتاب مرارا واطوارا

قوله تعالى وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي
وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل
النهار ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ۞
واعلم انه تعالى لما قرر الدلايل السماوية اردفها بتقرير من
الدلايل الارضية فقال وهو الذي مد الارض واعلم ان
الاستدلال بخلقه الارض واحوالها من وجوه الاول ان
الى اداراة حجمه ومقداره صار كان ذلك الحجم وذلك للفداد
بمد قوله وهو الذي مد الارض اشارة الى انه سبحانه هو الذي

جعل

جعل الارض محققة بذلك المقدار المعين الحاصل له لا ازيد ولا انقص
والدليل عليه ان كون الارض اذ بمقدار ما هو الان او اقص
منه امر جايز ممكن في نفسه فاختصاصه بذلك المقدار المعين
لابد وان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر الثاني قال
ابو بكر الاصم المراد هو البسط الى حالة لا يدرك منتهاه فقوله وهو الذي
مد الارض سعرفانه تعالى جعل سطح الارض بحيث لا يبلغ البصر على منتهاه
فان الارض لو كانت اصغر حجما مما هي عليه لما كمل الانتفاع به المالك
ولو قوم كانت الارض ملكا لهم وحدها فانه يمكن من بحث البيت
فتصيب كذا وكذا ولو كانت الارض مجتمعة عند بيت
المقدس فقال لها ادهبي كذا وكذا اعلم ان هذا القول انما تم اذا
قلنا الارض سطح لا كرة واصحاب هذا القول احتجوا بقوله والارض
بعد ذلك دحاها وهذا مشكل من وجهين الاول انه ثبت بالدليل
ان الارض كرة فكيف يمكن الجمع بين هذا القول وبين قوله تعالى مد الارض
تنافي كونها كرة قلنا لا نسلم ان الارض جسم مقطع والكرة
اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها يشاهد كالسطح والتفاوت
بينه وبين السطح لا يحصل الا في علم الله تعالى الا ترى ان الناس
في الحال او في اول امرهم ان العالم من الناس مستعرون عليه وكذلك فيما مضى
والثاني ان هذه الاية انما ذكرت ليستدل بها على وجود الصانع
والشرط فيه ان يكون ذلك امرا مشاهدا معلوما حتى يصح الاستدلال
به على وجود الصانع وكونها مجتمعة عند البيت امر غير مشاهد
ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع فثبت
ان الدليل الذي ذكرناه ۞ **النوع** الثاني من الدلايل الاستدلال
باحوال الجبال واليه الاشارة بقوله تعالى وجعل فيها رواسي اي

بوجود الصانع القادر القاهر لحركات هذه الاجرام ودلك
لان الاجسام متماثلة متشابهة الاجرام فاما لحركة والسكون
فاختصاصها للحركة الدالة دون السكون لابد له من مخصص
وايضا ان كل واحد من الحركات مخصصة بكمية
معينة من البطو والسرعة فلابد ايضا من مخصص لاسيما عند
من يقول الحركة البطيئة معناها حركات مخلوطة بسكنات
فهذا يوجب الاعتراف بانها تتحرك في بعض الاحيان وتسكن
في البعض فحصول الحركة في ذلك الحيز للبعض والسكون في
الحيز الاخر لابد فيه ايضا من مرجح ٥ الوجه الثالث
وهو ان تقدير تلك الحركات والسكنات بمقادير مخصوصة
على وجه تحصل عودها بانها متساوية فلابد لها من مقدر ٥
الوجه الرابع ان بعض تلك الحركات مسرفة وبعضها
مغربة وبعضها مائلة الى الشمال وبعضها مائلة الى الجنوب
وهذا ايضا لابد له من مرجح كامل ومحكم بالغة ٥
النوع الثاني من الدلائل المذكورة في هذه الاية
قوله تعالى كل يجري لاجل مسمى فيه قولان الاول
قال ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلا تنزل كل يوم لها
منزل وذلك ستة اشهر ثم تعود من آخر
في واحد واحد منها في سنة اشهر اخرى وكذلك للقمر
ثمانية وعشرون منزلا فالمراد بقوله كل يجري لاجل
مسمى هذا وتحقيقه لانه تعالى قدر لكل واحد من
هذه الكواكب سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص
من السرعة والبطو ومتى كان الامر كذلك لزم ان يكون لها

محدث

تحت كل لحظة ولحظة حالة اخرى مباينة لحالته قبل ذلك والعقل
المراد كونها متحركة الى يوم القيامة وعند مجيء ذلك اليوم تنقطع هذه
الحركات وتبطل تلك التسييرات كما وصف الله تعالى في قوله
اذا السماء انفطرت واذا الشمس كورت واذا السماء انشقت وجمع الشمس
والقمر وهو قوله سبحانه ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انه تعالى
لما ذكر هذه الدلايل قال يدبر الامر وكل واحد من العشرين يحمل هذا
على تدبير نوع اخر من الاحوال يعالم والاولى حمله على الكل فيدخل
فيه ايصال الوحي وبعث الرسل وتكليف العباد وفيه دليل عجيب
على كمال القدرة والحكمة وذلك لان ضد العالم المعلوم من اعلا العرش
الى ماتحته يحتوي على انواع واجناس لا يحيط بها الا الله والدليل
الدال دل على كل واحد بوصفه ووضعه وصفته وطبيعته
ومن المعلوم ان كل من استقل بتدبير شيء فانه لا يمكنه تدبير شيء اخر
فانه يشغله شان عن شان اما العاقل فانه اذا تامل في هذه الاية
علم انه تعالى مدبر عالم الاجسام وعالم الارواح ومدبر الكبير كما يدبر
الصغير فلا يشغله شان عن شان ولا صفة تدبير عن تدبير وذلك
يدل على انه تعالى حي في ذاته وصفاته وعلمه غير مشابه للمخلوقات والمحدثات
ثم قال تعالى بعد الاية التي فيها قولان الاول انه تعالى
بين الاية الدالة على الالهية وعلى ٥ الثاني ان الدلايل الدالة
على وجود الصانع بتمامها لاجل هذه الموجودات الثلاثة فيه الدلالة على الافلاك
والشمس والقمر والكواكب وهذا النوع من الدليل هو الذي تقدم ذكره
والثاني الموجودات الحادثة المتغيرة وهم الموت بعد الحياة والفقر
بعد الغنا والهرم بعد الصحة وكون الانسان في اول امره عاجزا جاهلا

وهو ان العالم تعالى وتقدس اوقفها هناك فهذا برهان
قاطع على وجود الاله القادر القاهر ودليل اصلي على ان الاله
ليس بجسم ولا بمتحيز بجسم بمعنى لانه لو كان حاصلا في حيز معين
لامتنع ان يكون حصوله في ذلك الحيز لذاته او لعلة لما مضى
ان الاحياز بأسرها متساوية ممتنع الان يكون الفاعل
المختار فهو محدث لاختصاصه بالحيز المعين مع تحدث فكانه لا ينفك
عن ذلك الاختصاص وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث فثبت
انه لو كان حاصلا في الحيز المعين لكان حادثا وذلك محال
فثبت ان الله تعالى متعال عن الحيز والجهة وايضا فكل ما يماثل
فهو بمثله فلو كان تعالى موجودا في جهة فوق لكان من حقه
السموات ودخل تحت قوله الله الذي رفع السموات بغير
عمد يرونها ثم كل ما كان مختصا بجهة فوق فهو محتاج
الى حافظ الاله فلهذه الآية فوجب ان يكون الاله منزها
عن جهة فوق لما قول تعالى نرونها مقتضاه اقوال الاول
انه كلام مستانف والمعنى انه رفع السموات بغير عمد ثم قال
ترونها اي انتم ترونها من فوقه كما يقال اني
في الآية تقديم وتاخير تقديره رفع السموات ترونها بغير عمد
واعلم انه اذا امكن حمل الكلام على ظاهره كان المصير الى
التقديم والتاخير عدوانا والثالث ان قوله ترونها صفة
والمعنى بغير عمد مرئية اي السموات على عمد ولكنا لا نراها
قالوا اولها اعتمد على جبل من زمرد محيط بالدنيا ولا تكم
لا نراه وهذا التاويل في غاية السقوط لانه تعالى لما ذكر
هذا الكلام ليكون حجة على وجود الاله القادر ولو كان
المراد ما ذكرتم لما استدل به لانه تعالى لما كانت

مستقر

مستقرة على جبل قاف دلالة تنبو تها على وجود الاله وهذي به
وجه اخر احسن من الكل وهو ان العماد ما تعتمد عليه وقد دللنا على
ان هذه الاجسام انما استمرت واقفة في الحيز العالي بتقدير الله تعالى
وحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله فصح ان يقال رفع السموات بغير
عمد ترونها اي لها عماد في الجملة الا ان ذلك العمد هو امساك
الله وحفظه وتدبيره وابقاؤه اما في الحيز العالي وانتم لا ترون
ذلك التدبير ولا يعرفون كيفيته ذلك الامساك واما قوله
تعالى ثم استوى على العرش فاعلم انه ليس المراد منه كونه
مستقرا على العرش فلعلم انه ليس المراد منه كونه مستقرا على
العرش لان المقصود من هذه الآية دلائل على وجود الصانع وتحب
ان تكون تلك التي مشاهدا معلوما لكل احد لما راى انه تعالى
استقر على العرش فكيف يمكن الاستدلال به عليه وايضا يصح
ان نشاهد كونه مستقرا على العرش الا ان ذلك لا يستوجب كمال
حاله وعلاه حال الله بل يدل على احساحه الى المكان والحيز
وايضا فانه قال ثم وهذا يدل على انه ما كان مستولا على العالم
ثم صار بعد هذه الحالة وهذا يوجب النقص وايضا الاستواء غير
الاستيلاء فظاهر الآية يدل على انه كان مغلوبا مقهورا
ثم صار مستوليا وكل ذلك على الله تعالى محال فثبت ان
المراد استواه على عالم الاجسام بالقهر والقدرة والتدبير
والحفظ يعني ان ما فوق العرش الى ما تحت الثرى في حفظه
وتدبيره بالاصلاح اليه واما الاستدلال باحوال الشمس
والقمر فهو قوله سبحانه وتعالى وسخر الشمس والقمر كل يجري
لاجل مسمى واعلم ان هذا الكلام اشتمل على نوعين من الدلالة
الاول قوله وسخر الشمس والقمر وحاصله يرجع الى الاستدلال

المسئلة

انا قد تكلمنا في هذه الالفاظ فقال ابن عباس منها
ايا الله اعلم وقال في روايه عطا انا الله الواحد الرحمن
وقد اما القفال ابو عمرو والكلبي وعبد الرحمن
بن عاصم وقوله تلك اشارة الى اما في السورة المتقدمة
بالمكي قال انها ايات الكتاب وهو الكتاب الذي اعطاه
محمد انا انزل عليه وصفه بانها على وجه الاخبار وقوله
والذي انزل اليك من ربك الحق الذي مبتدا وقوله الحق
خبره ومن الناس من تمسك بهذه الايه في نفي القياس فقال
الحكم المستنبط بالقياس غير مانزل من عند الله تعالى
والاكثرون من لم يحكم به كفر لقوله ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون ولان الاجماع لا ينعقد بدليل
ان الحكم مستنبط بالقياس غير مانزل من عند الله واذا كان
كذلك وجب ان لا يكون حقا لان قوله والذي انزل
اليك من ربك الحق يقتضي انه لا حق الا ما انزله الله فكان
ما لم ينزله الله وجب ان لا يكون حقا واذا لم يكن حقا وجب
ان يكون باطلا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وبمثله
القياس يجيبون عنه فان الحكم المبني بالقياس مانزل
ايضا من عند الله لانه لما امر بالعمل بالقياس كان الحكم
الذي دل عليه القياس نازلا من عند الله وايضا قد ثبت
ان الله انزل على محمد صلى الله عليه وسلم ان اكثر الناس
لا يتمكنون به على سبيل الذخر والتهذيب فقوله
تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى
على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر

نفصل

يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون اعلم انه تعالى
لما ذكر ان اكثر الناس لا يتمكنون بذكر عقيبه ما يدل على صحته
على صحة التوحيد والمعاد وهو هذه الايه وفيه مسائل

المسئلة الاولى قال صاحب الكشاف الله مبتدا والذي
خبره بدليل قوله تعالى وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون
الذي رفع السموات صفته وقوله بغير عمد صفة الاثافي
والواحد العمد الاسطوانة وهو جمع عماد وعمد مثل اهاب واهب
وقال الفراء العمد جمع العمود مثل ادم وادم مثل والعماد
والعمد ما يعمد به اي يسند والاثافي حجارة القدر
سميت بذلك لانها تثفي اي تعزل

المسئلة الثانية اعلم انه تعالى استدل
باحوال السموات واحوال الشمس والقمر وباحوال الارض
وباحوال النبات اما الاستدلال باحوال السموات فهو قوله
الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وتقرير الكلام
العظيم بيناه وافقه في الجو العالي بحيث لا تنالها ابصارنا
الا ترى الاجسام متساوية في تمام الماهية فلو وجب حصول
جسم في حيز لوجب حصول جسم في ذلك الحيز والكل في
ان الكل لا نهاية له والاحياز للمفروضة في ذلك الخلا الفرجة
غير متناهية ثابتة هاهنا ثبت انها متساوية فلو وجب حصول
جسم في حيز معين لوجب حصوله في جميع الاحوال ثابتة هاهنا متساوية
فثبت ان حصول الاجرام الفلكية واختيارها للحيز امرا واجبا
فلا بد لها من محصص ومرجح ولا يجوز ان يقال انها تحتاج هناك
بسلسلة فوقها ولا نعلم كنهها والالجاء الكلام الى ذلك الخالق
ولزم التسلسل الى ما لا نهاية وهو محال فثبت ان بقاء الاجرام
الفلكية في اختيارها الحيز امرا واجبا فلا بد لها من مخصص ومرجح

ان الاخبار عنه جار مجرى الاخبار عن الغير فكانت معجزة
داله على صدق محمد صلى الله عليه وسلم الثالث انه ذكر
في اول السوره فحن نقص عليك احسن القصص ثم ذكر في الاخره
في الاخر لقد كان في قصصهم عبر لاولي الالباب تنبيها على ان
حسن هذه القصه سبب انه تحصل فيها العبر ومعرفه الحكمه
والقدره والمراد من قصصهم قصه يوسف واخوته وابيه ومن
الناس من قال المراد قصص الرسل لانه تقدم في القران ذكر
قصص سايرالرسل الا انه الاولي ان تكون المراد قصه يوسف
فان قيل لم قال عبره لاولي الالباب مع ان قصص محمد صلى
الله عليه وسلم كانوا ذوي عقول واحلام وقد كان الكبير
منهم لم يغتر بذلك فلنا ان جميعهم كانوا متعبدين من الاحبار
والمراد من وصف هذه القصه بكونها عبره كونها بحيث
يعتبر بها العاقل او يقال المراد من اولي الالباب الذين يعتبرون
ويتفكرون ويتاملوا ويعتبروا معرفتها لان اولوا الالباب لفظ
يدل على المدح والعاقل لايليق الا بهذا كما ذكرناه والله اعلم قال
وصف هذه القصه بصفات الصفه الاولي قوله
تعالى ما كان حديثا يفترى وفيه قولان الاول ان
المراد الذي جاء به وهو محمد صلى الله عليه وسلم لم يصح منه
ان يفترى لانه لم يقرا الكتب ولم يتلمذ لاحد فكيف يمكن
العلم من المحال ان يفترى هذه القصه بحيث تكون مطابقه
لما هو في التوراه من غير تفاوت والثاني انه لم
يكن في نفسه الا انه لا يصح من الله تعالى لكونه غير مفتري
بقوله ولكن تصديق الذي بين يديه وهو اشاره الى هذه القصه

ورد على الوجه الموافق لما في التوراه وسايرالكتب الا انه
ونصب تصديق على تقدير ولكن كان تصديق الذي بين
يديه بقوله تعالى ما كان هذا القرءان ان يفترى من دون الله ولكن
قال الفراء والزجاج شر والاجود رفعه في قاءين البحتري
على معنى ولكن هو تصديق الذي بين يديه والصفه
الثالثه قوله وتفصيل كل شئ وفيه قولان الاول المراد
وتفصيل كل شئ احتاجه يوسف مع ابيه واخوته والثاني انه
عايد الى كل القران كقوله ما فرطنا في الكتاب من شئ
وان جعل هذا الوصف وصفا لكل القران الذي من جمله وصفا
لقصه يوسف وصدقها ويكون المراد ما تضمنه من الحلال والحرام
وسايرما يحتاج اليه من امر الدين قال الواحدي على التفسيرين
جميعا تنتهي من العام الذي اريد به الخاص لقوله وجئتك
كل شئ يجوز ان يدخل فيها وقوله واوتيت من كل شئ
الصفه الرابعه والخامسه قوله هدى ورحمه وسنتكلم
في حصول الرحمه في انفعاله لقوم يومنون جعلنا الله منهم الذين
هم الذين انتفعوا به كما قررناه في قوله هدى للمتقين

سورة الرعد

هذه السوره مكيه سوى قوله تعالى ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعه وقوله ومن عنده علم الكتاب
وقال الاكثرون هي مدنيه سوى قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت
به الجبال

قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك ايات الكتاب والذي
انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يومنون اعلم

دلايلة مرارا ○ **قوله** تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين
اعلم انه قرئ وا جاءهم نصرنا مخففا ومشددا والكسائي كذبوا بالتخفيف من وهمين
احدهما ان الظن واقع بالقوم اي حتى اذا استياس الرسل من ايمان
القوم وظن القوم ان الرسل كذبوا فيما وعدوا به من النصر والظفر
فان قيل لم يجر فيما سبق ذكر الرسل البتة فكيف يحسن عود هذا
الضمير اليهم قلنا ذكر الرسل يدل على الرسل اليهم وان لم يجر
قلت ان ذكرهم جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فنظروا وكون
الضمير عائدا الى الذين من قبلهم من ذكر الرسل والظن هاهنا هو
التوهم والحسبان والوجه الثاني ان يكون المعنى ان الرسل
ظنوا انهم قد كذبوا فيما وعدوا به وهذا الوجه منقول عن ابن عباس
وعائشة رضي الله عنهم قالوا وانما كان الامر كذلك لان صحيفة
التنزيل الا انه بعيد لان المؤمن لا يجوز ان يظن بالله الكذب
بل يحمله ذلك على الايمان فكيف يجوز مثله على الرسل واما
قراءة التشديد فظاهر وجهان الظن بمعنى اليقين اي تيقنوا
الامم كذبوهم بكسر الا يصدر منهم الايمان بعد ذلك فحينئذ
دعوا لهم فهناك انزل الله سبحانه عليهم عذاب الاستئصال
وورود الظن بمعنى العلم كثير في القرآن قال الله تعالى
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يستيقنون والثاني ان يكون
الظن بمعنى الحساب حتى اذا استياس الرسل وظنوا ان الذين
اتبعوهم كذبوهم وهذا الوجه منقول عن عائشة رضي الله عنها
وهو احسن الوجوه المذكورة في الآية روى عن ابن ابي مليكة
انه نقل عن ابن عباس انه قال قلت لظن الرسل انهم كذبوا انفسهم كانوا

بشر

بشر الا ترى الى قوله حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى
نصر الله قال فذكر ذلك لعائشة رضي الله عنها فانكرته
وقالت ما وعد الله عز وجل محمدا ولا احدا من اصحابه ان لا يموت
البلاء حتى يتبين لهم ان من معهم من الرسل لن يكذبهم الذين كانوا قد اتبعوا
بهم وهذا الرد والدليل على غاية الحسن من عائشة واما قوله ابا هريرة
نصرنا اي لما بلغ الحال الى الحد المذكور جاءهم نصرنا فنجي من نشاء
قرأ عاصم وابن عامر فنجي من نشاء بنون واحدة وتشديد الجيم
وفتح الياء على ما لم يسم فاعله واختار ابو عبيد لانه في المصحف بنون
واحدة وروي لهم عن الكسائي ادغام احد النونين في الاخرى
يقرأ بنون وتشديد الجيم وسكون الياء قال بعضهم هذا خطأ
لان النون متحركة فلا ادغام في الساكن ولا يجوز ادغام النون في الجيم
والباقون بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء على الاستقبال بمعنى نفعل
بهم ذلك واعلم ان هذا احد ما حال الاسرى ان العصمة فيما
مضى ولما حكى فعل الحال كان قوله هذا من تتمة تلك الحكاية وهذا من علوم
اشار الى الحاضر والعصمة غايبة ○ **قوله** تعالى
لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
اعلم ان الاعتبار عبارة عن العبور من الطرف المعلوم الى
الطرف المجهول والمراد منه التامل والتفكر ووجه الاعتبار
بقصصهم امور الاول الى الرابع يدل على اعزاز يوسف بعد اهانته
في الحب واعلاء كلمته بعد حبسه في السجن وملكه بعد ان
كانوا يظنون انه عبدهم وجمعه مع اولاد ولغوته على ما احب
بعد المدة الطويلة لما ذكر على اعزاز محمد واعلاء كلمته الثاني

مشركون والمعنى انهم كانوا مقرين بوجود الاله ولين سالتهم من خلق
السموات والارض لقالوا الله ولين سالتهم من خلق
السموات والارض لقالوا الله الا انهم كانوا يسوون له شريكا
في العبودية وعن ابن عباس الذين يسوون الله بخلقه وعنه انضا
انه قال ما قلت هذه الاية في تلبيته مشركي العرب لانهم كانوا
يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك
ومنه انضا ان اهل مكة قالوا الله وبنا لا شريك له وللاكلم نمانة
فلم يوحدوا بل اشركوا وقال النضاري ربنا الله وحده والمسيح
ابنه وقال عبدة الشمس والقمر ربنا الله وحده لا شريك له
واحتج الكرابسية بهذه الاية على ان الايمان عبارة عن الاقرار
باللسان فقط لانه تعالى حكم بكونهم مومنين مع انهم مشركون وذلك
يدل على ان الايمان عبارة عن مجرد الاقوال وجوابه معلوم اما
قوله تعالى افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تعشاهم
وتبسط عليهم وتعمهم او بالمتهم الساعة بغتة وبغته نصب على
الحال تقال بغتهم الامر بغتا وبغته اذا ما جاهم من حيث
لم يتوقعوا وقوله وهم لا يشعرون الخاص لقوله بغته ۝
قوله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة
انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين ۝ قال المفسرون
قل يا محمد هذه الدعوة التي ادعو الخلق والطريقة التي انا عليها
سبيلي يسلكها ومنهاجي وسمى الدين سبيلا لانه الطريق الذي يودي
الى الثواب ومثله قوله ادع الى سبيل ربك واعلم ان السبيل
في اصل اللغة الطريق شبهوا المعجزات لان الانسان يمر عليها
الى الجنة ادعو الى الله على بصيرة اي حجة وبرهان انا ومن اتبعني

اي

اي يسير في طريقتي ويبين اتباع الدعوة الى الله لان كل من ذكر الحجة
ولحاف عن الشبهة فقد دعا مقدار وسعه الى الله وهذا يدل
على ان الداعي انما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو ان يكون على بصيرة
بما يقول ويبين وان لم يكن كذلك وهو محض الغرور وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل على عباد الله حتى يخلطوا
ما يدعون اليه وقيل انما يجوز ان يقطع الكلام عند قوله ادعوا
الى الله ثم ابتدا وقال على بصيرة انا ومن اتبعني وقوله سبحان
الله عطف على قوله هذه سبيلي وقال سبحان الله تنزيها
لله مما اشركوا به وما انا من المشركين الذين الحدوا مع الله ضدا وندا وكفروا
وفيه دليل على ان حرفة الكلام وعلم الاصول حرفة الانبياء
عليهم السلام قال الله تعالى ما ابعثنا الى الخلق الا جلقا ۝
قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من
اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون ۝ نافع وابن عامر
وابو بكر عن عاصم تعقلون بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة
واعلم ان من جملة درجته منكري نبوته عليه السلام ان الله تعالى
قال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فلما كان الكل
كذلك فكيف يعجبون في حقك يا محمد ويدل على انه ما بعث رسولا
الى الخلق من النساء وايضا لم يبعث رسولا من اهل البادية قال
صلى الله عليه وسلم من بدا جفا قال تعالى افلم يسيروا في الارض
فينظروا الى مصارع الامم المكذبة وقوله ولدار الاخرة والمعنى
دار الحال الاخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال الاخرة ومثله قوله
صلاة الفريضة الاولى واما بيان الاخرة خير من الاولى فقد ذكرنا ان

وكيف لا يكون معجزا وقد سبق تقديره في هذه المقدمة في هذا الكتاب
وقوله وما كنت هذا لك على وجه الذم به لان كل واحد تعلم
ان محمدا ما كان معهم ٥ قوله تعالى وكاين وما اكثر
الناس ولو حرصت بمومنين وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين
وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون اعلم ان الغرض
هذا الكلام ما قبله ان كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا منه المعجزة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التعنت فاعتقد رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه لا ذكرها فقد اسمعهم اقلما ذكرها امرها
على كثرتهم ونزلت هذه الاية كانه اتاهم الى ما ذكر الله تعالى
من قوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
قال ابو بكر الانباري جواب لو محذوف لان جواب لو لا يكون
مقدما عليها والجواز ان تقول لمت لو مت وقال الفراء
المصادر يقال حرص يحرص حرصا ولغة اهل نجد حرص يحرص حرصا
ومعنى الحرص طلب الشيء ناقصا ما امكن من الاجتهاد وقوله
وما تسالهم عليه من اجر معناه ظاهر وقوله ان هو الا ذكر للعالمين
اي ذكر لهم في دلايل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والقصص
والتكاليف والعبادات ومعناه ان هذا القران ستدل على هذه
المطالب العظيمة ثم لا يطلب منهم مالا ولا جاها فلو كانوا عقلا لقبلوا
لقبلوا ولم يتمردوا وقوله وكاين من اية في السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون يعني انه لا يحتاج الرسول الى اقامة
الدلايل الدالة على نبوتك فان العالم مملو من دلايل التوحيد
والعدل والحكمة ثم انهم يمرون عليها ملتفتون اليها واعلم ان

دلايل

دلايل التوحيد والعلم والحكمة والرحمة لابد وان يكون امورا محسوسة
وهي اما الاجرام الفلكية فهي قسمان اما الافلاك واما الكواكب
اما الافلاك فقد استدل بمقاديرها المعينة على وجود الصانع
وقد استدل بكون بعضها فوق البعض او تحته وقد استدل بحركاتها
اما استدلال بحركاتها المشوقة بالعلم فلابد من محرك قادر واما
استدلال بكيفية حركاتها في سرعتها وبطوئها واما استدلال باختلاف احوالها
تلك الحركات فظاهر واما الاجرام الكوكبية فانها تدل على وجود الصانع
بمقاديرها واجرامها وحركاتها وزمانها والوانها واصواتها وانارتها
تاثيراتها في حصول الاضواء والاظلال واما الدلايل الماخوذة من الاجرام
العنصرية واما ان تكون ماخوذة من العوارض فاقسام احدها
العلوية كالرعد والبرق والسحاب والمطر والثلج والهاله وقوس
قزح وباسباب العادة على اختلافها وصفاتها وكمياتها
والتها النبات وخاصة الخشب والورق والثمر واختلاف
كل واحد منها بطبع خاص وطعام خاص وخاصية مخصوصة
ورابعها احداث الحيوانات في اشكالها وطبايعها وصورها
وخلقها وخامسها تشريح ابدان الناس وتشريح القوى الانسانية
وبيان المنفعة الحاصلة منها فهذا مجامع الدلايل من هذا الباب
واما قصص الانبياء وحكايات الاقدمين وان الملوك الذين استولوا على
الارض وافنوا العباد وخربوا البلاد ماتوا ولم يبق لهم في الدنيا
خبر ولا اثر بقي الوزر والعقاب عليهم فهذا ضبط انواع هذه الدلايل
والكتاب المحتوي على شرح هذه الدلايل هو كتاب العالم الاعلى والعالم
الاسفل والعقل البشري لا يفي بالاحاطة به فلهذا السبب ذكرها
الله على سبيل الابهام قال صاحب الكتاب قرى والارض مشرى

الاخر وهي انواع كثيرة غير متناهية ثم قال صاحب هذا التفسير
اما والله برهانه وانا صاحب الحالة والمتوغل فيها ومحب الباب
وبالعشق مفتوح هذه الحياة الجسمانية وعرفا كنته المجلدات وما
وصلت الى المعشار منها فلهذا السبب صرت مواظبا في اكثر الاوقات
وقلت على ذكر هذا الدعاء كن يوسف عليه السلام وهو قوله
رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات
والارض انت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين
المسئلة الثالثة تمسك اصحابنا في بيان ان الايمان
من الله بفعله هو في مسلما وبقدرته ان تحصيل الاسلام وابقاءه اذا كان
من العبد كان طلبه من الله فاسدا وبقدرته كان يقول الفعل بما لا يقدر
والمعتزلة اما ان يقولوا اذا كان الفعل من الله كيف يحسن
ان يقال للعبد افعل مع انك لست فاعلا فنحن نقول هاهنا
ايضا اذا كان تحصيل الايمان وابقاءه من العبد لا من الله فكيف
يطلب ذلك من الله قال الخازي والكعبي جميعا طلب اللطف فالاقرب
على الاسلام الى ان يموت عليه وهذا الجواب ضعيف لان السؤال
وقع عن الاسلام فحمله على اللطف عدول عن الظاهر وايضا فكل
ما في مقدور الله من الالطاف فهو فعله فكان طلبه من الله محالا ۝
والله اعلم ۝ المسئلة الرابعة لما قال ان يقول الانبياء
عليهم السلام يعلمون انهم يموتون لامحالة على الاسلام لكان هذا الدعاء
حاصله تحصيل الحاصل وانه لا يحسن والجواب احسن ما
قيل فيه ان كمال حال المسلم المستسلم لحكم الله تعالى على وجه يبعث
قلبه على ذلك الاستسلام ويرضى بقضاء الله ويطمئن النفس وينشرح الصدر
ويفسح القلب في هذا الباب وهذه حالة زائدة على الاسلام الذي هو

ضد

ضد الكفر والمطلوب هاهنا هو الاسلام بهذا المعنى والله اعلم
المسئلة الخامسة ان يوسف عليه السلام كان من اكابر
الانبياء والصلاح اول درجة الموصلين فالموصل الى الغاية كيف يلتزم به
طلب البداية قال ابن عباس وقتادة والحسن ليس في القرآن نبي يدعى بابوته ابن غير
واسمعيل واسحاق ويعقوب والمعنى الخفي يجمع في تواريخهم ومن انتسب
وبدياتهم وهاهنا مقام اخر في تفسير هذه الآية على لسان اصحاب
المكاشفات وهو ان النفوس اذا اشرقت بالانوار الالهية والمعارف
القدسية واذا كانت متناسبة متشاكلة انعكست النور الذي
في كل واحد منها في الاخرى بسبب تلك المجانسة والمقارنة
فعظم ذلك الانوار وقوي تلك الاضواء ومثال تلك الاحوال
المرايا الصقيلة الصافية اذا وضعت بعضها بين ايدي والشمس عليها
انعكس صورة كل واحد منها الى الاخر فهناك تقوى الضوء ويكمل
النور وينتهي في الاشراق واللمعان الى حد لا يطيقه الابصار الضعيفة
فتذكر لك هاهنا ۝ قوله تعالى ذلك من انبا الغيب
نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون اعلم ان
قوله ذلك رفع بالابتداء وخبره من انبا الغيب نوحيه اليك خبر بعد خبر وما
كنت لديهم اي ما كنت عند اخوة يوسف اذ اجمعوا امرهم اي عزموا
على امرهم وذكرنا الكلام على هذا اللفظ عند قوله اجمعوا ان يجعلوه
وهم يمكرون بيوسف واعلم ان المقصود من هذا اخبار عن
الغيب فيكون معجزا لان الله كان اخبارا عن الغيب ان محمدا صلى الله
عليه وسلم ما طالع الكتب ولم يتلمذ لاحد وما اكتسب البلدة بكلمة
علما فاذا اتى بهذه القصة الطويلة على وجه لم يقع فيها تحريف
ولا غلط من غير مطالعة ولا تعلم ومن غير ان قال انه كان حاضرا معهم

الجسمانيات لاجعفه لها والباحاصلها دفع الالام ولذ الاكل
عبارة عن دفع الجوع ولذ الوقاع عبارة عن دفع الالم الرعد للمولد
من حصول المني في اوعيته المني ولذ الامارة هي الرياسة وهو
عبارة عن دفع الالم الحاصل بسبب شهوة الانتقام وطلب الرياسة
واذا كان حاصل اللذات ليس الا دفع الالام لاجرم صارت عند العقلا
حقيرة خسيسة نازلة فاهة وحينئذ تعني الانسان الموت ليخلص
عن الاحتياج الى هذه الاحوال الخسيسة والسبب الرابع ان مداخل
اللذات الدنيوية قليلة وهي ثلثة انواع وهي لذة الاكل ولذة الوقاع
ولذة الرياسة ولكل واحد منها عيوب فكثيرة اما لذة الاكل
فمنها عيوب احدها ان هذه اللذة ليست لذة قوية فان السعور
بالم الجوع الشديد والعادة بانه منه اسهل من السعور من اللذة الحاصلة
عند اكل الطعام ومنها ان هذه اللذة لا تكمل بعادها فان
الانسان اذا اكل شبع واذا شبع لم يبق الاشتياد بالاكل فقد
اللذة صعيفة ومع ضعفها عيب بانيه ومنها انها في نفسها
خسيسة فان الاكل عبارة عن تمزيق الطعام بالاسنان المجمع في
الفم ولا شك ان شيئا مستقذرا تركيبا اصل الى العين تظهر قبيحة
الاسنخالات الفساد والنتن والعفونة وذلك ايضا مستقذر
ورابعها ان جميع الحيوانات الخسيسة شاركته فيها فان
الدود في مداق الجعل كالدود في مداق الانسان وكما ان الانسان
يكره الجعل كذلك الجعل يكره ما ياكل غير الانسان واما
اللذة المشتركة فيما بينهما وخامسها ان الاكل انما يطلب عند
استداد الجوع وذلك حاجة شديدة والحاجة نقص وافة وسادسها
ان الاكل مستخرج عند العقلا قبل من كانت همته ليدخل في بطنه فقيمته

ما

ما يخرج منه فهذا هو الاشياء التي يجتهد في مهاربة الاكل واما
لذة النكاح ففي سبب لحصول الولد وحينئذ يكثر الاشخاص
فتكثر الحاجة الى المال فيحتاج الانسان بسببها الى الاحتيال بطلب
المال فتطرق لا محالة له او ربما كان هلاكه بسبب طلب المال
واما لذة الرياسة فعيوبها كثيرة والذي نذكر هاهنا سببا واحدا
وهو ان كل احد بالطبع يحب ان يكون خادما مأمورا ويحب ان
يكون امرا فاذا التهق الانسان الى حال يصير بسببها امرا كان ذلك على مخالفة
كل من سواه فكانه يصارع كل الخلق في ذلك فكانه يحاول تحصيل
تلك الرياسة وجميع اهل الشرق والغرب يحاولون ابطاله ودفعه
ولا شك ان كون الانسان بحيث فوته حصول الامر واذا كان
كذلك كان حصول هذه الرياسة كالمعدوم ولو حصل فانه يكون
على شرف الزوال في كل حين وآن وبكل سبب من الاسباب
فكان صاحبها عند حصولها في الخوف الشديد من الزوال وعند
زوالها في الاسف العظيم والحزن الشديد بسبب ذلك الزوال واعلم
ان العاقل اذا تامل في هذه المعاني علم قطعا انه لا صلاح له في طلب هذه
اللذات والسعي في هذه الخيرات البتة ثم ان النفس خلقت مجبولة على
طلبها والعشق الشديد لها والرغبة التامة في الوصول اليها وحينئذ
يقعد ها هنا سؤال وهو ان الانسان ما دام يكون في هذه الحياة
الجسمانية فانه يكون طالبا لهذه اللذات وما دام يطلبها فانه
يكون في بحر الافات وفي لجة الخسران وهذا لازم مكروه
وللمستلزم ايضا مكروه فحينئذ يمتنع زوال هذه الحياة الجسمانية وهو
في الامور المرغبة في الموت ان مرجانب هذه اللذات الجسمانية مشكوره
ولا يمكن الزمان عليها والتكرير وجب الملالة اما سعادات

الاخر اكثر منها تركيب السموات والارض وانما صار كونه تعالى موجودا
له احسب الدلايل العقلية لاحسب لفظ القران واعلم ان
قوله فاطر السموات يوهم ان خلق السموات مقدم على خلق الارض عند
من يقول الواو تفيد الترتيب ثم العقل دل عليه ايضا وذلك ان
بعير المحيط يوجب تعدد المركز اما حصول محيط كرى للمركز
الواحد فمحال ولا يمكن ان يحل المحيط الواحد الامركز واحد والصبا
اللفظ تقتضان السماء كرية والارض واحدة ووجه الحكمة فيه قد ذكرناها
في قوله الحمد لله فاطر السموات والارض المسئلة الثالثة
قال الزجاج نصبه من وجوه احدها على الصفة لقوله رب وهو ندا
مضاف في موضع نصب والثاني يجوز ان ينصب على مدا بان تنز
قال انت ولي في الدنيا والاخرة انت الذي يتولى اصلاح جميع مهماتي
في الدنيا والاخرة فتوصل الملك الغاني بالملك الباقي وهو ادل على
ان الايمان والطاعة كلها من الله اذ لو كان ذلك من العبد لكان المتولي
يصلحه هو هو وهذا باطل مجموع قوله انت ولي في الدنيا والاخرة
ثم قال توفني مسلما والحقني بالصالحين وفيه مسائل ثلاث المسئلة
الاولى اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم حكى عن جبريل عن رب العزة
تعالى انه قال من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
فلهذا من اراد الدعا لابد ان يقدم عليه الثناء على الله تعالى وهذا
يوجب صلوات الله عليه لما اراد ان يذكر الدعا قدم عليه الثنا وهو
قوله رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات
والارض انت ولي في الدنيا والاخرة ذكر عقيبه الدعا وهو قوله
توفني مسلما والحقني بالصالحين ونظير ما فعله الخليل صلوات الله
عليه في قوله الذي خلقني فهو يهدين فرع هذا الى قوله هب لي حكما

تعالى الله وقوله رب هب لي الى اخر الكلام دعا فكذا هاهنا ۞
المسئلة الثانية اختلفوا في قوله توفني مسلما هل هو
طلب منه الوفاة او لا فقال قوم سال ربه اللحوق به ولم يتمن
احد قبله الموت وكيف من للفسرين على هذا القول فعال ابن عباس
في رواية عطاء يريد اذا توفيتني فتوفني على الاسلام فهو طلب لان يجعل
الله وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه طلب الوفاة ۞
واعلم ان اللفظ صالح للامرين ولا بعد في الرجل العاقل ان
كمل عقله ان يتمنى الموت ويعظم رغبته فيه لوجوه كثيرة منها ان كمال
النفس الانسانية على ما بيناه في ان يكون عالما بالاشياء وفي ان
يكون مالكا وملكا ومتصرفا في الجسمانيات وذكرنا ان مراتب
السعادات في هذين غير متناهية والكمال المطلق فيهما ليس الا لله
سبحانه وكل ما دون ذلك فهو ناقص والناقص اذا حصل له شعور
بنقصانه وذاق لذة الكمال والكمال المطلق لله تعالى وحصوله
للانسان ممتنع ولزم ان يبقى الانسان ابدا في قلق الطلب فاذا عرف
الانسان هذه الحالة عرف انه لا سبيل له الى دفع هذا القلق عن
النفس الا بالموت فحينئذ يتمنى الموت لان الحكماء والسلف وان اطبقوا
في مذمة الدنيا الا ان حاصل كلامهم يرجع الى امور يلازمه احدها ان
هذه السعادات سريعة الزوال مسبوقة على الفنا والالم الحاصل
عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند وجودها وانها انما تحصل
حاصلة بل هي ممزوجة بالمنغصات واللذات والمهان الاوزال
من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما كانت حصة الارذال اعظم بكثير
من حصة الافاضل فهذه الحمامات اللذات المقذرة لا جرم يتمنى الموت
ليتخلص عن هذه الافات والسبب الثالث وهو عند المحققين ان هذه اللذات

ثم اني جبريل قال سله عن السبب قال لست ابسط اليد فسأله
فقال جبريل امرني الله بذلك لقولك واخافان ياكله الذيب
فقال لا رجوني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين
سنة ولما قرب وفاته وصى ابنه ان يدفنه بالشام الى جنب
ابيه اسحاق فمضى بنفسه ثم دفنه وعاد الى مصر وعاش
بعد ابيه بلاثا وعشرين سنة فعند ذلك تمنى ملك الاخرة
فمنى الموت وقبل ما تمناه بنى قتله ولا بعده فتوفاه الله
طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه كل احب ان يدفن
في محلته حتى هموا بالقتال فراوا الاصلح ان يجعلوه الصندوق
من مرمر او يجعلوه فيه ويدفنوه في النيل لعله ان يمر الماء عليه
ثم يصل الى مصر ففي يوسف فعل الى ان بعث الله موسى
فاخرج عظامه من مصر ودفنه عند ابيه ○
المسئلة الثانية من في قوله من الملك ومن
تاويل الاحاديث للتبعيض لانه لو لم يمت الا بعض ذلك الدواب
او ملك مصر وبعض التاويل قال الاصم انما قال لانه كان
دا ملك قومه واعلم ان عالم الاجسام قابل للاشكال
والصور والصفات المختلفة والاعراض المتضادة ولا يكون
لها اساس في شئ اصلا فهذا ان الجسمان متباعدان حدا ويتوسطهما
فيم مالت وهو الذي يرتسم وهو عالم الارواح فخاصيه
جوهر الارواح انما يقبل الامر والتفرق من عالم نور جلال
الله ثم انها اذا مالت على عالم الاجسام تفرقت فيه فتعلقت
الروح بعالم الاجسام بالتفرق والتدبير وتعلقه بعالم الاهيات
بالعلم والمعرفة وقوله انتفى من الملك اشارة الى تعلق النفس

بعالم الاجسام وقوله وعلمتني من تاويل الاحاديث اشارة الى تعلقها
بحضرة جلال الله ولما كان لا نهاية لدرجات هذين النوعين في الكمال
والنقصان والقوة والضعف والجلاء والخفاء استحال ان يحصل الاستقلال
متناهي فكان الكامل في الحقيقة بعض من ابعاض الملك وبعض من اعراض
العالم فلهذا السبب ذكر فيه كلمة من لانها دالة على التبعيض من قال فاطر
السموات والارض وفيه ابحاث ○ البحث الاول تفسير لفظ
الفاطر بحسب اللغة قال ابن عباس ما كنت اعلم معنى الفاطر حتى اختصم
الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وانا استقيت حتى
وظرياب البئر ابتدا وفطرت الشئ فانفطر اذا شققته فانشق وانفطر
الارض والنبات والشجر بالروز اذا انصدعت هذا اصله في طاله وحفا
فالفطر في الوجود كانه انشق العدم وخرج ذلك الشئ عنه ○
البحث الثاني ان لفظ الفاطر قد يطلق ان خروج الشئ عن العدم
المحض يدل على الاستقبال الذي ذكرناه الا ان الحق انه لا يدل عليه ويدل
عليه وجوه احدها انه قال الحمد لله فاطر السموات والارض ثم اخبر
بعد ذلك انه خلقها من الدخان حيث قال ثم استوى الى السماء وهي دخان
فدل على ان لفظ الفاطر بعيد انه احدث ذلك الشئ من العدم المحض ○
وثانيها انه تعالى قال فطرة الله التي فطر الناس عليها مع انه تعالى
لما خلق الناس من التراب قال تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم
وبالجملة ان الشئ انما يكون حاصلا عند حصول ما به يكون
الكون فانه انما يكون موجودا اذا صار قابلا للاثار المخصوصة موصوفا
بالصور فعند عدم الصور لما كان ذلك المجموع موجودا فانما لحدوث
تلك الصور صار موجودا لذلك الكون فعلمنا ان كونه موجودا للكون
لا يقتضي كونه موجودا للاثار فثبت ان لفظ الفاطر لا يفيد كونه تعالى موجودا

وسكنها ومنها قدم على يوسف ومنها مجد بحضرتها

قال الاصمعي بدا اسم موضع معروف يقال هو من شعيب
عليه السلام وبدا هما موضعان ذكرهما بشر فقال

وانت الذي حببت شعيبا الي بدا وهالي سواهما

فالبدو على هذا القول معناه قصد هذا الموضع الذي يقال له بدا
تقال بدا القوم يبدو بدوا اذا توجه كما يقال هار القوم
غورا اذا اتوا الغور وكان معنى الاية وجاء بكم من مصر بدا وعلى
هذا القول كان يعقوب وولده قصدوا بدا وليس بدو البادية
لكن عنابه وقصد بدا الى هاهنا اسعى الكلام للواحد
المسئلة الثانية مسئلة اصحابنا تدل هذه الاية على ان
فعل العبد خلق الله تعالى لان خروج العبد من السجن اضافه الى
نفسه بقوله اذا خرجني من السجن وجيء به من البدو اضافه الى نفسه
بقوله وجاء بكم من البدو وهذا صريح في ان فعل العبد بفعله
الله تعالى وجعل هذا على ان المراد ان ذلك انما حصل باقدار
الله تعالى وبتسهيله عدول عن الظاهر قال من بعد ان
نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي قال صاحب الكشاف نزغ
افسد بيننا واغوى واصله من نزغ الراكض الدابة وحثها
على الجري اذا نخسها واعلم ان الهدى والكفى والقاضي
احتجوا بهذه الاية على بطلان الجبر قالوا ان يوسف عليه السلام
الى الشيطان ولو كان ذلك ايضا من الرحمن لوجب ان لا ينسب
الا اليه كما في النعمة والجواب ان اضافة هذا النزغ
الى الشيطان مجاز لان الشيطان عندكم لا مدخل له في شيء من الكائنات
الحقيقي وقد اخبر الله عنه فقال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان

دعوتكم فاستجبتم لي فثبت ان ظاهر القرآن يقتضي اضافة هذا الفعل
الى الشيطان مع انه ليس كذلك وانما كان اقدام المرء على
المعصية بسبب الشيطان واقدام الشيطان على المعصية ان
كان بسبب شيطان اخر فلنفعل مثله في حق الانسان فثبت
ان اقدام المرء على الجهل والفسق ليس بسبب الشيطان وليس
ايضا بسبب نفسه لان احدا لا يميل طبعه الى اختيار الجهل والفسق
الذي يوجب وقوعه في ذم الدنيا وعذاب الاخرة فلما كان
وقوعه في الكفر والفسق لا بد له من موقع وقد بطل السببان لم
يبق الا ان يقال ذلك من الله تعالى ثم ان الذي يدل على ان
ان الاية المتقدمة من الله تعالى قوله ان ربي لطيف لما شاء المعنى
ان حصول الاجتماع ليوسف من الله واخوته مع الالفة والمحبة
وطيب العيش وتوابع البال كان مع غاية البعد عن العقول
الا انه تعالى لطيف اذا اراد حصول شيء سهل اسبابه محصل
وان كان في غاية البعد ثم قال انه هو العليم الحكيم يعني ان كونه
لطيفا في افعاله انما كان لاجل انه عليم بجميع المعلومات حكيم
التي لا تنساب لها فتكون عالما بالوجه الذي يسهل تحصيل ذلك
الصعب والله اعلم ٥ قوله تعالى رب قد اتيتني
من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض
انت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ٥ في الاية مسائل ٥
المسئلة الاولى روي ان يوسف احد بعد يعقوب
وطاف به في خزائنه وادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن
الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح فلما ادخله خزائن القراطيس
قال يا بني ما اعقك عند هذه القراطيس وما كتبت اليّ قال

محتسبا فاذا اراد توهمه مكنه من اقامه الحسبه عليه
فيصير ذلك سببا في ان لا يبقى في قلب احد منازعه في ذلك المحتسب
في اقامه الحسبه عليه فيصير ذلك سببا في ان لا يبقى في قلب
احد منازعه في ذلك المحتسب في اقامه الحسبه فكر اهل هنا
هذا الوجه السابع في الجواب لعل الله تعالى امر يعقوب بتلك
السجده لحكمه خفيه لا يعرفها الا هو ويوسف ما كان يصبا
ذلك في قلبه الا انه لما علم ان الله امر بذلك سكت حتى
الله تعالى ان يوسف لما راي هذه الحاله قال بانه هذا
التاويل لرويای من قبل وقد حصلها ربی حقا وقد احسن
الجواب الاول قال بن عباس ان ما راي يعقوب ابويه واخوته
له هاله ذلك واستعر جلده منه وقال ليعقوب هذا
تاويل رويای من قبل واقول هذا يقوي الجواب السابع
كانه تقول بانه لا يليق بمثلك يعلى حالك في العلم والدين
والبيوه ان يستحل لولدك الا ان هذا امر اذن به وتكليف
كلفنيه فان رويا الانبياء حقه وكما ان ابراهيم ذبح ولده
كان سببا لوجوب ذلك الذبح عليه في الفطه لذلك صارت
هذه الرويا التي راها يوسف وحكاها ليعقوب سببا لوجوب
ذلك السجود فلهذا السبب حكى بن عباس ان يوسف عليه السلام
لما راي ذلك هاله واستعر جلده ولكنه لم يقل شيا والجواب
لا يبعد ان يكون من تمام بشريه الله تعالى على يعقوب كانه
قيل له ان دوام الرغبه في وصاله والحزن على فراقه قد اذا
وحرته فاستحق له وكان الامر بتلك السجده من تمام التشديد
والله اعلم بحقايق الامور المسئله الخامسه اختلفوا
في مقدار المده من هذا الوقت ومن الرويا فقيل اثنتا وثمانون سنه

وصل

وقيل سبعون سنه وقيل اربعون سنه وهو قول الاكثرين
ولذلك تقولون ان ما بين الرويا وانتباهه يعقوب اربعون سنه وقيل
ثمانيه عشر سنه وهو الحسن انه التي في الحب وهو ان سبع
عشر سنه وبقي في العبوديه والسجن والملك ثمانيه سنه
ثم وصل اليه ابواه وعاش بعد ذلك ثلاثه وعشرين سنه فكان
عمره والله اعلم بحقايق الامور وقد احسن بي بعد ان اخرجني من السجن وجاء بكم
من البدو قال كعبي انما اوحش لا ملومه اذا خرجني من السجن ولم يذكر
اخراجه من الجب لوجوه الاول انه قال لاخوته لا تثريب
عليكم اليوم ولو ذكر قصه الجب كان يوبخهم فكان ذكر الجب قادحا
في حسن الكرم والثاني انه لما خرج من السجن صار ملكا
ولم يصر عبدا اما لما خرج من الجب صار مملوكا فكان هذا
الاخراج اقوى ان يكون انعاما كاملا الثالث انه لما خرج
من السجن وقع في المصائب الحاصله بسبب فقد المراه ولما خرج من
السجن وصل الى ابيه واخوته وزالت التهم فكان هذا اقوى في
المنفعه الرابع قال الواحدي النعمه في اخراجه من السجن
اعظم لان تحوله في السجن كان بسبب ينتفع به وهذا سبب ان يحمل
على مثل الطبع وتعبد النفس وهذا وان كان في محل العفو في
حق عين الا انه كان سببا للواخذه في حقه لان حسنات الابرار
سيئات المقربين ثم قال وجاء بكم من البدو وفيه مسائل
المسئله الاولى في الايه قولان الاول
من البادیه قال الواحدي البدو بسيط من الارض يظهر فيه الشخص
من بعيد واصله من بدا يبدو اذا ظهر وسمي المكان بهم المصدر وسمي
بدو وحضر وكان يعقوب وولده بارض كنعان اهل مواشي وبريه
والقول الثاني قال بن عباس كان يعقوب قد تحول الى بدا

ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين

اعلم ان هذه الآية من اصعب الآيات في هذا الباب وذلك لان ظاهرها يدل على ان يعقوب وامه وابويه واحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدوا ليوسف عليه السلام وهذا مشكل من وجوه الاول ان هذه الرؤيا انما حصلت ليوسف عليه السلام وهو صبي ولم يكن يعقوب عليه السلام يعلم ان هذه الرؤيا حق وصدق فكيف يليق به ان يقول ان ربي لطيف لما يشاء وان رؤياي حق وصدق والثاني ان على هذا التقدير يكون يوسف عليه السلام قد سجد ليعقوب عليه السلام وذلك يوجب كون يوسف عليه السلام اعظم حالا من يعقوب عليه السلام وذلك باطل بالاتفاق والثالث ان على هذا التقدير يكون يوسف عليه السلام قد سجد لامه وذلك يوجب كون يوسف عليه السلام اعظم حالا من امه وذلك باطل بالاتفاق والرابع ان على هذا التقدير يكون يوسف عليه السلام قد سجد لاخوته وذلك يوجب كون يوسف عليه السلام اعظم حالا من اخوته وذلك باطل بالاتفاق

واما الجواب عن الوجه الاول فهو ان يقال ان يعقوب عليه السلام لما سمع من يوسف عليه السلام هذه الرؤيا علم بالقرائن ان الامر كما رآه يوسف عليه السلام في المنام وان الله تعالى سيفعل به وباهله ما رآه يوسف عليه السلام في المنام الا انه لم يعلم ان ذلك متى يقع وكيف يقع فلهذا السبب قال ان ربي لطيف لما يشاء

واما الجواب عن الوجه الثاني فهو ان يقال ان يعقوب عليه السلام لما علم بالقرائن ان الامر كما رآه يوسف عليه السلام في المنام فقد علم ان يوسف عليه السلام سيصير بحيث يسجد له ابوه مع سائر اخوته على سبيل التواضع والاكرام وذلك لا يدل على حصول الولاية والنبوة له فلعل يعقوب عليه السلام كان يعلم ذلك

واما الجواب عن الوجه الثالث فهو ان يقال انهم جعلوا يوسف قبلة وسجدوا لله شكرا لنعمته وهذا ايضا تاويل حسن فانه يقال صليت للكعبة كما يقال صليت الى الكعبة ٥

قال حلن ٥

ما كنت اعرف ان الدهر منصرف عن هاشم ثم عنها عن الى حسن

البيت ادل من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالاديان والسنن

وهذا يدل على انه يجوز ان يقال صلى للقبلة وكذلك يجوز ان يقال سجد للقبلة فقوله وخروا له سجدا اي جعلوا يوسف قبلة ثم سجدوا لله تعالى شكرا لنعمه وهذا هو الوجه الثالث في الجواب التواضع قد يسمى سجودا ٥ قوله

ترى الاكم فيها سجدا للحوافر فكان المراد هاهنا التواضع الا ان هذا مشكل لانه تعالى قال وخروا له سجدا والخرور في السجود مشعر بالاسقاط فالسجود على اكمل الوجوه واجيب عنه بان الخرور يعني بها السرور

فقط

فقط قال الله تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا يعني لم يكونوا كذلك

والوجه الرابع في الجواب ان يقول الضمير في قوله وخروا له سجدا عائد الى اخوته وعلى هذا يزول السؤال من وجوه الاول ان على هذا التقدير لا يحتاج ان يقال ان لام التعليل في قوله لابيه ما ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا لانه يمكن ان يقال انه انما قال ذلك لان يعقوب عليه السلام علم بالقرائن ان الامر كما رآه يوسف عليه السلام في المنام الا انه لم يعلم ان ذلك متى يقع وكيف يقع فلهذا السبب قال ان ربي لطيف لما يشاء

الثاني ان على هذا التقدير لا يلزم ان يكون يوسف عليه السلام قد سجد لابيه وامه واخوته

الثالث ان على هذا التقدير لا يلزم ان يكون يوسف عليه السلام اعظم حالا من ابيه وامه واخوته

واما الجواب عن الوجه الخامس فهو ان يقال لعل الفعل الذي صدر عن اخوته ليوسف عليه السلام كان من الافعال التي كانت جارية مجرى العبادات في ذلك الوقت وهو السجود وكان يفعلونه على الوجه الذي لا يليق الا بالله تعالى فلهذا السبب انكر يعقوب عليه السلام ذلك عليهم

والوجه السادس في الجواب ان يقال لعل اخوته كانوا يسجدون له على سبيل التواضع وكان يعقوب عليه السلام انما انكر عليهم ذلك لانه لا يجوز له ان يسجد لغير الله على سبيل التواضع فلعل يعقوب عليه السلام انما انكر عليهم ذلك لهذا السبب

والوجه السابع في الجواب ان يقال ان يعقوب عليه السلام انما انكر عليهم ذلك لانه خاف ان يصير ذلك سببا لزوال النعم عن يوسف عليه السلام بسبب الحسد والله اعلم

واما الجواب عن الوجه الخامس فهو ان يقال لعل الفعل الذي صدر عن اخوته ليوسف عليه السلام كان من الافعال التي كانت جارية مجرى التحية والاكرام في ذلك الوقت وهو السجود وكان يفعلونه على الوجه الذي لا يليق الا بالله تعالى فلهذا السبب انكر يعقوب عليه السلام ذلك عليهم

والوجه الثامن في الجواب ان يقال ان السجود كان جائزا في شرعهم على سبيل التحية والاكرام كما كان جائزا في شرعنا تقبيل الارض بين يدي السلطان الا انه نسخ في شرعنا وهذا ايضا ضعيف لان السجود لغير الله تعالى لم يكن جائزا في شرع من الشرائع البتة

والوجه التاسع في الجواب ان يقال ان يعقوب عليه السلام انما انكر عليهم ذلك لانه خاف ان يصير ذلك سببا لزوال تلك الالهة والنفرة عن قلوبهم لانه يؤدي الى السلطان الكبير اذا نصب

الشيطان نافي وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم
الحكيم اعلم انه روي ان يوسف عليه السلام خرج والملك
في اربعة الاف فوج الحند والعساكر واهل مصر ما جمعهم يلقوا
يعقوب وهو ملتقي يهوذا اسطوا الى الخيل والناس
فقال يا يهوذا امن هذا فقال هذا دليل يوسف فبدا
بالسلام منع من ذلك وكان يعقوب احق بذلك فقال يعقوب
السلام عليك وقيل ان يعقوب عزوله دخلوا مصر وهم اثنان
وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى وللعماليق
ستمائة الف وخمس مائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الصبيان
والشيوخ اما قوله اوى اليه ابويه فقد تقدم ان الحق الاول
في المراد بقوله ابويه مورد الاول المراد ابوه وامه وعلى
هذا التقدير كانت امه باقية حية الى ذلك الوقت وقيل انها كانت
قد ماتت الا ان الله احياها وبشها من قبرها حتى سجدت له
لحصها لرؤيا يوسف والقول الاول المراد ابوه وخالته
لان امه ماتت في النفاس باخيه بنيامين وقيل بنيامين
بالعبرانية ابن الوجع ولما ماتت امه تزوج ابوه بخالته
فسماها الله تعالى باحد الابوين لان الربيبة قد تسمى باسم امها لمقامها
مقام الام اولان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله اباءك
ابرهيم واسمعيل واسحق الحق الثاني اوى اليه
ابويه ضمها اليه واعتنقهما ان قيل ما معنى دخولهم عليه قبل
دخولهم مصر قلنا كان حين استقبلهم نزلهم في خيمه او بيت
هناك فدخلوا عليه ثم الله ابويه وقال ادخلوا مصر اما
قوله تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله امنين يعتبد الحاف الحق
الاول قال السدي انه قال هذا القول قبل دخولهم مصر لانه كان

قد

قد استقبلهم وهذا هو الذي قدرناه عن ابن عباس ادخلوا مصر اي
اسكنوها امنين سميا الاقامة دخولا لامران احدهما ما لاجل
الحق الثاني الاستثنا وهو قوله ان شاء الله امنين وهو راجع
الاول انه عايد الى الامر لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر امنين
ان يشا الله وتطبيق قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين
وقيل انه عايد الى الدخول على القول الذي ذكرناه وانه قال
لهم هذا الكلام قبل ان دخلوا مصر الحق الثالث معنى قوله
امنين اي على انفسكم واموالكم واهليكم لا تخافون احدا من الملوك
فما سلف لخافوا من دخول مصر وقيل امنون من القحط والشدة والمجاعة
وقيل امنين من ان يضرهم يوسف لما حرم السالف وقوله ورفع ابويه
على العرش قال اهل اللغة العرش السرير الرفيع قال الله تعالى
ولها عرش عظيم والمراد بالعرش السرير الذي كان يوسف يجلس
عليه واما قوله وخروا له سجدا فعادة اشكال وذلك ان يعقوب
وبنيه كانوا انبياء الله تعالى وكيف يجوز منهم السجود لغير الله
نفسه وايضا انه كان شيخا كبيرا والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ
والثالث انه كان من اكابر الانبياء ويوسف وان كان نبيا الا انه
اعلاه الا منه والسر الرابع ان حد يعقوب واخوانه في تكثير الطاعات
اكثر من حد يوسف فلما اجتمعت هذه الجهات الكثيرة وجب ان
يبالغ في خدمة يعقوب فكيف استجاز ان يسجد له يعقوب هذا تقرير
السؤال والجواب عنه من وجوه الاول وهو قول ابن عباس
في رواية عطا ان المراد بهذه الآية انهم خروا له لاجل وجه الله
الله وحاصله ان ذلك سجود الشكر والسجود هو لله لان ذلك
السجود انما كان لاجله والدليل على صحة هذا الوجه قوله

عنه وهو كقولهم انا لفي ضلال مبين ثم قال قاده لقد قالوا كلمة
غليظة لم يكن يجوز ان يقولوها لنبي الله وقال الحسن لم اخاطبوه
بذلك لاعتقادهم ان يوسف قد مات ☜ قوله تعالى
فلما ان جاء البشير فيه قولان الاول انه لا موضع له من الاعراب
وقد ذكرنا قاعدته كما هاهنا وقد تحرف كقوله ما ذهب عن ابراهيم
الروع والدهشان جميعا موجودان في اشعار العرب والثاني
قال البصريون محمل ما في موضع رفع الفعل مضمر تقديره فلما
طهر ان جاء البشير اي ظهر عن البشير فاضمر الرافع قال
جمهور المفسرين البشير هو يهوذا قال انا ذهبت بالقميص
ملطخا بالدم وقلت ان يوسف اكله الذئب فاذهب اليوم بالقميص
واحزن انه حي وافرحه كما احزنته وتولى العناء على وحشته
اي طرح البشير القميص على وجه يعقوب او تحمل العناء بعقوب
على وحده نفسه فارتد بصيرا اي صير الله مبصرا كما تقال
قال النحاة والله اعلم ولحلفوا فقال بعضهم انه كان
قد عمي بالكلية فالله تعالى جعله بصيرا في ذلك الوقت
وقال اخرون بل كان ضعف بصره من كثرة البكاء من كثرة
الاحزان فلما القوا القميص على وجهه وبشروه بحياة يوسف
عظم فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوي
بصره وزال العمى عنه فعند هذا قال للهم اقل لكم اني
اعلم من الله ما لا تعلمون والمراد علمه بحياة يوسف من وجهة
الرؤيا لان هذا المعنى هو الذي يتعلق بيعقوب وهو اشارة الى
ما تقدم من قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله
ما لا تعلمون وروي انه سأل البشير وقال كيف يوسف قال

هو

هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال
على دين الاسلام قال الان تمت النعمة ثم ان اولاد يعقوب اختلفوا
فيما بينهم وقالوا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال
سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم وانما اخر ذلك
الى وقت السحر لانه وقت الاجابة وقيل اراد ان يستغفر لهم في ليلة
الجمعة وقيل اراد ان يستغفر لهم بعد ان يعلم انه قد تاب عليهم
ام لا وهل حصلت توبتهم مقرونة بالاخلاص للامام ام لا والاول
اظهر والثالث ارادان يعرفوا هل بانوا في الحقيقة
استغفر لهم في الحال وقوله سأستغفر لكم اي ادوم على هذا
الاستغفار في الزمان المستقبل فقد روي انه كان يستغفر
لهم كل ليلة جمعة في كل سبع وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة في
وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي خطيئتي
يوسف وقيله صبري عند مصيبتي وانعم لولدي ما فعلوا في حق يوسف
فاوحى الله تعالى اليه قد غفرت لكم اجمعين وروي انهم لما ان ابنا
يعقوب قالوا ليعقوب وقد علمهم الخوف والبكاء ما بقي عنا
عهود ان سيقبل السحر القبلة فاذا دعوا وقام يوسف خلفه ويؤمن
وقاموا خلفه اذ له حاشية ثمانين رجلا كلهم انبياء حتى عيل صبرهم وطنوا
انها الهالكة فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله قد اجاب
دعوتك وعفا عنهم بشرط ان يحللوك على البيوع وقد احلك الناس في
بيوعهم وهو مشهور ☜ قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف
اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ورفع ابويه على
العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها
ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ

وقال الكلبي كان نحو من سبعين انسانا فقال مسروق دخل قوم
يوسف مصر وهم ثلاثة وسبعون من رجل وامراة وروى ابن سعود انا
حمل الكتاب وقال انا الحوتية حمل القميص المتلطخ بالدم الى فاقرحه
ك الحوتية وقيل حمله ماض من مصر الى كنعان وسنذكر ان يوسف
قوله تعالى ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد
ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان
جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله
ما لا تعلمون قال فصل وقال عن فلان مصورة اذا خرج من عنده مثل
كوا اذا نفد وفصل يحوز لازما ومتعديا فاذا كان لازما وصلاه
فعلا واذا كان متعديا فمصدره فصلا قال للضرورة لما توجه
العير من مصر يتوجهه الى كنعان قال يعقوب عليه السلام
لمن حضره عنده من اهله وقرابته وولده وولد ولده اني لاجد ريح
يوسف ولم يكن هذا القول مع اولاده لانهم كانوا عالمين بذلك
الله عليه السلام قال لهم اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه
واختلفوا في قدر المسافة فقيل مسيرة ثمانية وقيل عشر ايام
وقيل ثمانون فرسخا واختلفوا في كيفية وصول ذلك الرائحة
فقال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص فحملت رائحة الجنة في
الدنيا فاوصلت بعقوب عليه السلام انه ليس
في الدنيا من ريح الجنة الا مات من ذلك القميص فمن ثم قال
اني لاجد ريح يوسف وروى الواحدي باسناده عن انس بن مالك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اما قوله اذهبوا بقميصي
هذا فالقوه على وجه ابي فان يعقوب لما القي ابراهيم في النار نزل
اليه جبريل بقميص من الجنة واحلسه على الطنفسة وقد معه بجبة

فكسى ابراهيم ذلك القميص اسحق وكساه اسحاق يعقوب وكساه
يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها في عنقه فالقي
في الجب والقميص في عنقه قال قوله اذهبوا بقميصي هذا فالقوه
والتحقيق ان يقال ان الله تعالى اوصل بذلك الرائحة اليه من بعد
المسافة البعيدة امرا ناقضا للعادة فكان ذلك معجزا ولكن لم يعرف
والاولى انه ليعقوب عليه السلام حتى لصح عنه ونسبوه في هذا
الكلام الى ما لا ينبغي وظهر ان الامر كما ذكرنا فكانت معجزة له قال اهل
المعاني ان الله تعالى اوصل ريح يوسف عند انفصاله من المحبة ومحي
وقت الروح والفرح من لدن كان الجب ومنع من وصول حزنه اليه مع
قرب احدى المدتين من الاخرى بثمانين سنة وذلك يدل على ان
كل سهل فهو في زمن المحنة صعب وكل صعب في زمان الامال
سهل ومعنى لاجد ريح يوسف اسم وعبر عنه بالوجود لانه وجدان
له بحاسة الشم وقوله لولا ان تفندون وقال الاعمش لولا ان
الرجل اذا اكثر الحرف تغير عقله وفند اذا اخطأ وفند اذا هرم
وعن الاصمعي قال اذا اكثر كلام الرجل في خرف وهو الفند والتفنيد
وقال صاحب الكشاف شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها
لم تلق في شيبتها ما قد اي حتى يعد في عبرها بقوله لولا ان
تفندون اي لولا ان تسفهوني الى الخرف لما ذكرتموني يعقوب ذلك
قال الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم وفي الضلال
هاهنا وجوه الاول قال ابو مسلم معنى الضلال هاهنا الشقاء
يعني بسقاء الدنيا يعني انك لفي شقائك القديم بمحبتك ابدا من الاحزان
على يوسف واحتج ابو مسلم بقوله اما الفي ضلال وسعر يعني لفي
شقاء من دنيانا وقال قتادة انك لفي ضلالك القديم لا تغسا ولا تدخل

ان ينصب جمعا من الصبيان غير بالغين من غير ان ينصب معهم رجلا
عاقلا يسمعهم عما لا يسمعهم ويحلفهم على ما يسمعهم والسابع هب ان الامر
على ما ذكرتموه الا انا نقول عامتنا في الباب انه لا يجب عليهم الاقدار
عن ذلك اما لا يمكن ان يقال انه لا يجب الاعتذار عنه والدليل
عليه ان الذنب اذا تاب عنه بالعقاب ثم عاد الى التوبة والاعتذار
مرة اخرى فعلنا ان الانسان ايضا ما دام يتوب عنه ما لا يكون التوبة
واجبة عليه والعلم انهم لما اعترفوا بفضله ومكرمهم فهو من
خاطبن قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
التعب الاول التثريب التوبيخ ومنه قوله عليه الصلاة
والسلام اذا زنت امة احدكم فليثربها الحد ولا يثربها اي ولا يعيرها
بالزنا فقوله لا تثريب اي لا توبيخ ولا تعيير قال عطاء الخراساني
طلب الجوائح الى الناس اسهل منها الى الشيوخ الادرى الى قول
يوسف لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي
التعب الثالث قوله اليوم متعلق بما دونه فلو ان الاول
انه متعلق بقوله لا تثريب اي لا تثريب اليوم وهو اليوم الذي هو
بطنه التثريب فما طنكم بسائر الايام وفيه احتمال اخر وهو اني حكمت
في هذا اليوم ان لا تثريب مطلقا لان قوله لا تثريب نفي للماهية
يعم لبعضا جميع افراد الماهية فكان ذلك معناه النفي الشامل
لكل الاوقات والاحوال فيتعذر الكلام اليوم حكمت بهذا الحكم
الشامل لكل الاوقات والاحوال ثم انه لما بين لهم انه ازال
عنهم ملامة الرسالة طلب من الله ان يزيل عنهم عقاب الاخرة
فقال يغفر الله لكم والمراد منه الدعاء والقول الثاني ان
قوله اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم كما قوله ما نفى الذنب مطلقا بشرهم
بان الله غفر ذنبهم في هذا اليوم وذلك لانه لما انكسروا واعترفوا وتابوا

فالله تعالى قبل توبتهم وغفر لهم ذنبهم فلذلك قال اليوم يغفر الله لكم
روي ان الرسول صلى الله عليه وسلم اصاب غلاما في اللعب يوم فتح مكة
وقال لقريش ما ترون قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت
فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان
ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا استأذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال عليه قال لا تثريب عليكم اليوم فعجل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عفى الله عنك ولمن علمك وروي ان اخوة يوسف لما عرفوه
ارسلوا اليه انا نستحي منك لما صدر منا من الاساءة اليك فقال
يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرونني بالعين الاولى
ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد سرقت
ماتنا بكم وعظمتي في العيون لا حتى علم الناس انكم اخوتي وابني من
ابراهيم عليه السلام ثم قال يوسف اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على
وجه ابي يأتي بصيرا لما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن ابيه فقالوا
ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه قال المحققون انما عرف ان الما القميص
على وجهه يوحى فوق البصر يوحى من الله ولولا الوحي لما عرف ذلك
لان الفعل لا يدل عليه ويمكن ان يقال لعل يوسف علم بابن اماه
ما صار اعمى الا من كثرة البكاء وصئ القلب ضعف بصره واذا القي عليه
قميصه فلابد وان ينشرح صدره وان يحل في قلبه الفرح الشديد
وذلك يقوي الروح ويزيل الضعف عن القوى فحينئذ تقوى بصره
وحينئذ يزول عنه ذلك الضعف فهذا القدر يمكن معرفته بالقلب
فان القوانين الطبية تدل على صحة هذا المعنى وقوله ان يصر اي
تصير بصيرا وينشهد فاذن بصيرا ونقال للمرادف الى وهو بصير
واما اقرله بالكل تعظيما له وقال ائتوني باهلكم اجمعين

الاستفهام انه قال انا يوسف واما جاءهم عما استفهموا عنه واما
من قرأ على الخبر فحجته ما روي عن عاصم انه قال ان اخوة يوسف
لم يعرفوه حتى وضع التاج عن راسه وكان في قرنه علامة وكان ليعقوب
ويعقوب مثلها مشبه الشامة فلما وضع التاج عرفوه بتلك العلامة
فقالوا أئنك لانت يوسف ويجوز ايضا ان يكون ان كرر ارادة الاستفهام
ثم حذف حرف الاستفهام وقوله قال انا يوسف فيه بحثان النحث
الاول ان اللام لام الابتداء وانت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر ان
النحث الثاني انا ضمير نعظم لما فعل به من ظلم اخوته
ولما عوضه من الطفر والنصر فكانه قال انا الذي ظلموني على
اعظم الوجوه والله اوصلني الى اعظم المناصب انا ذلك الصابر الذي
تصدق صبره والتاء في الين مرفقكما ترون ولهذا قال وهذا
اخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا الصابر كان
مظلوما كما كنت ثم انه صار منعما عليه من قبل الله كما ترون وقوله
قد من الله علينا قال ابن عباس يكل عز في الدنيا والاخرة وقال
اخرون بالجمع بيننا بعد الفرقة وقوله انه من يتق ويصبر معناه من
يتقي معاصي الله ويصبر على اذى الناس فان الله لا يضيع اجر من وضع
المحسن موضع الصبر لاشتماله على المتقين وبنيه سبحانه

المسئلة الاولى اعلم ان يوسف عليه السلام
وصف نفسه في هذا المقام الشريف بكونه متقيا ولو انه اقدم على ما
تقوله الحشوية في حق نفسه لكان هذا اكبر مما شنه وذكر الكذب
في مثل هذا المقام الذي يعترف فيه الكافر والفاسق العاصي لا يليق
بالعقلاء

المسئلة الثانية قال الواحدي روي
عن ابن كثير طرفة قل انه من يتق ويصبر ووجهان يحمل من على الذي

نتلوه

بتكون ويصير في موضع الرفع الا انه حذف الرفع طلبا للتخفيف كما يحذف
في عضيد وسمع والله اعلم قوله تعالى قالوا تالله لقد
اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لاسرت علم التعبير لغفر الله لكم
وهو اراحم الراحمين اعلم ان يوسف لما لقي اخوته ان الله تعالى
من عليه قال من يتقي المعاصي ويصبر على اذى الناس فان الله تعالى لا
يضيع اجرهم صدقوه في ذلك واعترفوا له بالفضل والمروة قالوا تالله لقد
اثرك الله علينا اي فضلك الله علينا والاثرة بالضم الفضل يقال لفلان اثرة عند فلان اذا كان له عنده فضل ومنزلة والمعنى
لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل والفعل والحسن والمثل واصلح
بعضهم بهذا الآية على ان اخوته ما كانوا اسلاما جميع المناصب التي
تكون بعد يوسف لمنصب النبوة كالحكم بالعصمة انهم لو شاركوه في منصب
النبوة لما قالوا تالله لقد اثرك الله علينا وبعد التقدير يرهب سوان من
يقول لعل المراد كونه اشرف عليهم بملكه واحوال الدنيا وان شاركوه في النبوة
لانها ان احوال الدنيا لا تعارضها في جنب منصب الاخرة واما قوله
وان كنا لخاطئين قبل الخاطئ هو الذي اتى بالخطيئة عمدا او عرف بها
الخاطئ والمخطئ وهذا الفرق يقال لمن تعمد في الاحكام والاصح
انه مخطئ ولا يقال انه خاطئ واكثر المفسرين على ان الذي اعتذروا
عنه هو فذاهم على الغاية في الحب وتبعه وبعيد عن الذنب والاثم
وقال ابو علي الجبائي لم يعتذروا من ذلك منهم قبل التوبة فما يكون دينا
فلا يعتذر منه وانما اعتذروا من حيث احطاوا بعد ذلك بان لعت
بطهروا لابيهم ما فعلوه ليعلم انه حي وان الامر لم كله وهذا
الكلام ضعيف من وجوه الاول انا بينا انه يجوز ان يقال
انهم اقدموا على تلك الافعال في زمن الصبا لانه من البعيد في مثل يعقوب

او يقيم الرد يقام الجيد ثم والوا وصدق علينا والمراد المسامحة بما يف
الممكن وان يشعولهم بالرد به كما يشعولهم بالجيد ولحلف الناس تحب
انه هل كان ذلك طلبتهم للصدقة فقال سفيان بن عيينة ان
الصدقة كانت حلالا لهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم بعد الايه
وعلى هذا التقدير فكانهم طلبوا لعدم الزام على سبيل الصدقة وانكر
الناس ذلك والواجب الاسعاد حال ولاذا الاسعاد طلب الصدقة
لانهم ما لوف من الخضوع الى المخلوق وبعث عليهم الانقطاع الى الله
والاستغناء عن سواه وروى عن الحسن ومجاهد انهما كرها ان
تقول في دعايه اللهم تصدق علينا لان الصدقة من شعي الثواب
وانصا والوا الصدقة لغطا الصدقة وللمصدق للمعطى واجاز الليث
ان تقال للسايل متصدق واباه الاكرون وروى انهم لما قالوا
منا واهلنا الضر وتضرعوا اليه اوحيت عبناه وبعد ذلك قال لهم
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وقيل دفعوا اليه كتاب يعقوب
وفيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله
الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلا اما جدي
فشد قداه ورمي به في النار فنجاه الله وجعلها بردا وسلاما
واما ابي فوقع السكين على قفاه ليقتل فقداه الله واما انا فكان
لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته
الى البريه ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذيب فذهبت
عيناي من البكاء عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت
استلابه فذهبوا به اليك ورجعوا وقالوا انه قد سرق وانك
قد حبسته اليك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته
علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرا يوسف

الكتاب

الكتاب لم تعرفهم وعلى صبرهم وعرفهم انه يوسف ثم حلى الله تعالى
من يوسف في هذا المقام انه قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
قيل انه لما قرا الكتاب ابيه يعقوب اربعون فراسخ فعاوله واشتد
حزنه ولان قلبه وكثر بكاوه فصرح بانه يوسف وعلم انه لما راى
اخوته تضرعوا اليه ووصفوا ما هم عليه من شدة الزمان وقلة الحيلة
ادركته الرقة فصرح بانه يوسف وقوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه استفهام تعظيم الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم
من يوسف واخيه ما اقبح ما اقدمتم عليه وهو كما يقال للمذنب هل تدري
من عصيت هل تعرف من خالفت واعلم ان هذه الايه تصديقا
لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون واما قوله
واخيه فالمراد ما فعلتم به من تعريضه للغم بسبب افراده عن اخيه لابيه
وامه وايضا كانوا تودونه ومن جمله اسلام ذلك من الايذاء قالوا ان
يسرق فقد سرق اخ له من قبل واما قوله اذ انتم جاهلون فهو يجري
مجرى العذر كانه قال انكم انما قدمتم على الفعل القبيح لكونكم جاهلين
جاهله الصبا او في حكم الجاهل لقلة العقل وسخافة الرأي وتطير من قوله
تعالى ما غرك بربك الكريم ثم قيل انما ذكر الله تعالى ذلك الوصف
المعين ليكون جاريا مجرى الجواب وصوان يقول لابيه عرفني كرمك
فكذا ما صنعا انما ذكر ذلك ازاله للتخيله عنهم وتحقيقا للامر عليهم
ثم ان اخوته قالوا انك لانت يوسف فراين كبرا نكم على لفظ
الخبر وقرا نافع والكافون انك بغير تين وكذلك على الاستفهام
ومنهم من قرا الخبر واما الاولون فقالوا ان يوسف لما قال لهم علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه علم بذلك ما فعلوا لانهم لم يكونوا يعلمون
بيوسف فقالوا له استفهاما انك لانت يوسف وتيقن على صحة

الاول فلا اشكال وان كان الثاني بمعنى كان الزمان فمعناه
الايتاء وخرق العادة في هذا الزمان عن متبعه ولم يسع ان
يقال بلد يعقوب مع انها كانت قريبة ولكن لم يصل خبر
احدهما الى الاخر على سبيل يقتضي العلم ○ **قوله**
تعالى فلما دخلوا عليه قالوا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر
وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان
الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون قالوا انك لانت يوسف قال انا يوسف
وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين اعلم ان للمفسرين ههنا قولين احدهما انه
مجرور والعذر ان يعقوب لما قال لبنيه اذهبوا فتحسسوا
فبلوا من ابتهج هذه الوصية فعادوا الى مصر ودخلوا على يوسف قالوا
يا ايها العزيز فان قيل اذا كان يعقوب امرهم ان يتحسسوا من
يوسف واخيه فلم عادوا الى الكرى قلنا المتحسس يتوصل
الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وهو اليها دقيقة
الحال وقلة المال وشدة الحاجة وذلك مما يرقق القلب
فقالوا لعلها بهذه الامور فان رق قلبه لنا ذكرنا له المقصود
والا سكتنا فلهذا السبب قدموا ذكر هذه الواقعة فقالوا ايها
العزيز والعزيز هو الملك القادر الممتنع مسنا واهلنا الضر وهو
الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام وعنوا باهلهم من خلفهم
وجئنا ببضاعة مزجاة وفيه احتمالات الاول
الازجاء في اللغة الدفع ومثله الزجية قال الله تعالى المزجي
الله يزجي سحابا وزجيت فلانا ما يقول ودافعته البحث الثاني

انما

انما وصفوا ملك البضاعة بانها مزجاة اما لنقصانها او لرداءتها او لهما
جميعا والمفسرون ذكروا كل هذه الاقسام فقال بعضهم البضاعة المزجاة
القليلة وقال آخرون انها كانت رديئة واختلفوا في ملك الرداءة
فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة لا تنفق في ثمن الطعام وقيل خلق الغرائر
والحبل وامتعة رديئة وقيل متاع الاعراب الصوف والسمن وقيل
الحبة الخضراء قيل الاقط وقيل العفاص والادم وقيل سويق المعز وقيل
ان دراهم مصر كانت منقوشا عليها صور يوسف والدراهم التي جاءوا بها
خلافا فلم تكن فيها صور يوسف وما كانت مقبولة عند الناس البحث
الثالث في بيان انه لم سميت البضاعة القليلة الرديئة مزجاة نبه وجوه
الاول قال الزجاج هي قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان
بالقليل والمعنى انا جئنا ببضاعة مزجاة يدافع بها الزمان ولا تنفق
مما ينتفع به وعلى هذا الوجه فالتعذير ببضاعة مزجاة بها الايام الماضي
قال ابو عبيدة انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة ملتوية
غير مقبولة ممن ينفقها قال وقصص الازجاء الادخال عند العرب
الدفع الثالث بضاعة مزجاة اي موخى بها عن الاعين
لاقل ثمنها الامر اضطرهم واحتاجوا اليها لفقد غيرها مما هو اجود منها
الرابع قال الكلبي مزجاة كاسدة العين وقيل هو من لغة القبط
قال ابو بكر الانباري لا ينبغي ان يجعل لفظ عربي الاشتقاق
والتصرف منسوبا الى العجمة البحث الرابع في مواضع الحكاية
من قوله تعالى ان لم يسمها البضاعة القليلة الرديئة مزجاة نبه وجوه
ان حاصل الكلام في كون البضاعة مزجاة لما قلنا انها او بعضها او
مجموعهما انهم لما وصفوا شدة حالهم وصفوا بضاعتهم بانها مزجاة
والوافي لنا الكيل وللمرادا نقشا اما ان يعم النقص متاع الزاد

فتحسسوا من يوسف واخيه واعلم انه عليه السلام لما طمع في
وجدان يوسف بنى على الامارات المذكوره قال لبنيه تحسسوا
من يوسف والتحسس طلب الشئ بالحاسه وهو بسه السمع والبصر
قال ابو بكر الانباري يقال تحسست على فلان ولا يقال من
فلان ومما جاء من يوسف فلانه اتم معانى عن وبحوز ان يقال
من للتبعيض والمعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف واستعملوا بعض
اجتهاده وقد ذكرنا كلامه من الدلاله من التبعيض وقرئ
تحسسوا بالجيم كما جرى بعاني الجواس ثم قال ولا تيسوا من روح
الله قال الليث الروح هو الحد الانسان من نسيم الهواء تركيب
الراء والحاء يفيد الحركه والاهتزاز فكل ما يتعلق بالانسان له
نسيم وبلل يوجد فيه روح قال ابن عباس لا تيسوا من روح
الله لا يزيل من رحمه الله وهذه الالفاظ
متقاربه قرأ الحسن ولا تيسوا من روح الله بالضم اى من رحمته
ثم ملك به لا يأس من روح الله الكافرون وقال
ابن عباس ان الله تعالى جعل في الدنيا الهم والحزن في الرضا
واليقين ان الله تعالى يحب عبده اذا اعطاه الايمان
ان الله تعالى يحب عبده اذا اعطاه الصبر عند البلاء
من احب شيئا لم يسأم من حبه وقيل البلاء
ليتبين ان الله كان يعلمه
عن احتمال هذه البلوى الا الانبياء
ان يعقوب في محنه يوسف الى من الحزن الغم الذي
الامر فلا عن الله تعالى ان من احبه وحبب
الله لم يشغل قلبه بشئ سوى الله وابضا الغالب الواحد لا يمنع

الحب المستغرق لشئ فلما كان قلبه مستغرقا في حب الله امتنع
ان يقال انه كان مستغرقا في حب الله ده السؤال الثاني
ان عند انسا الحزن الشديد عليه كان من الواجب عليه كان من الواجب
عليه ان يستغل بذكر الله تعالى والتفويض اليه والتسليم لقضائه
واما قوله ياأسفا على يوسف فذلك لا يليق بأهل الدين والعلم فضلا
عن اكابر الانبياء السؤال الثالث لا شك ان يعقوب عليه
السلام كان من اكابر الانبياء وكان ابن رحمه وعند كلهم من اكابر الانبيا
والمشهور من جميع الانبياء من كان كذلك ثم وقعت لهذه الواقعه هائله
في اهل اولاد ليرسين تلك الواقعه خفيفه بل لابد وان يبلغ في التحزن
الى حيث يعرفها كل احد لا سيما وقد انتقت للمدة الطويلة بعدها وهي
يعقوب على حزنه الشديد واسفه العظيم وكان يوسف في مصر
وكان يعقوب في بعض وادي الشام قريبا من مصر مع قرب المسافه
ممنع من هذه الواقعه خفيفه ده السؤال الرابع لو سعت
الى يعقوب عليه السلام وعلمه انه بالحياه وفي السلامه وكل ما انه
كان يخاف اخوته لانه بعد ان صار ملكا قاهرا كان يمكنه ان يسأل
الرسول الله واخوته ما كانوا يقدرون على دفع رسوله السؤال
الخامس كيف جاز ليوسف عليه السلام ان يمنع الصاع في وعاء اخيه
ثم يسحرهما ويلصق به تهمه السرقه مع انه كان يراعيها السؤال
السادس كيف رغب في الصاع هذه التهمه له وحبسه عند نفسه
مع علمه بانه كان يزداد حزن ابيه وشوقه والجواب
عن الاول ان مثل هذه المحنه الشديده سيما لكمال الاستعداد
وعن الثاني ان الواقعه الانسانيه لا تزول في الحياه العاجله فجاز
كان يقول واسفا على يوسف وجاز ان يقول فصبر جميل واما قصه
الاسوله فالعاصي اجاب عنها فقال هذه الوقايع التي يطلب اليه
اما ان يكون فرحها على الاحوال المعتاده او لا يكون فان كان

هذا القول للمفسرين وفيه عبارات احدها الحرص والحارض
وهو الفساد من جسمه وعقله وبانهما قال مانع بن الازرق
سئل ابن عباس عن الحرض فقال الفاسد الوابي وبالبها انه الذي
يكون لا كالاحياء ولا كالاموات وذكر ابو زيد حتى يكون حرضا
بضم الحاء وسكون الراء وقوله او تكون من الهالكين من الاموات
ومعنى الاية انهم قالوا لا تزال تذكر يوسف بالحزن والبكاء
حتى تصير بتلك الحرض لا سمع بنفسك بعده او عوت بالغم كانهم قالوا
انك في بلا شديد ولحاف ان تبتلى بما هو اشد منه فان قيل
انهم ارادوا بهذا القول منعه من كثرة البكاء والاسف فان قيل
لم حلفوا على ذلك مع انهم لم يعلموا ذلك قطعا قلنا انهم بنو الامر على
الظاهر فان قيل العاملون يهمل الكلام وهو قوله تعالى ليتوا بدكر
يوسف من هم قلنا الاظهر ان هاولاء ليسوا الاخوة بل الذين
ذلكهم الحاضرة الذين كانوا في الدار وهم اولاده وحدمه ثم حكى
الله عن يعقوب عليه السلام انما اشكوا بثي وحزني الى الله يعني
ان هذا الذي اذكركم لا اذكركم معكم انما اذكره في جنب الله تعالى
والانسان اذا ذكر شكواه الى الله في زمرة المحققين كما قال صلى الله
عليه وسلم اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعفوك من عقابك
واعوذ بك منك والبث افرط قال الله تعالى وبث فيها من كل
دابة فالحزن اذا كتمه الانسان كان هما واذا ذكره لغيره كان
بثا تعالى الحزن اشد في الهم والبث اشد في الحزن وذلك
لانه متى امكنه ان يسكت لسانه عن ذكره لمن ذلك الحزن
مستوليا عليه واما اذا عظم وعجز الانسان عن ضبطه وانطق اللسان
بذكره سالما اباكان ذلك بثا وذلك يدل على ان الانسان صار عاجزا

فيه وهو قد استولى على الانسان فقوله بثي وحزني الى الله اي لا اذكر
الحزن العظيم ولا الحزن القليل الا مع الله وقرا الحسن بثي وحزني
بضمتين قيل دخل على يعقوب رجل فقال ضعف جسمك فحدثني بدائك
وما بلغت شكواك فقال الذي بلغ بي لكثرة عمومي فاوحى الله اليه
ما يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئتي اعظمها فاغفرها
لي فغفرله فكان من ذلك اذا سئل يقول انما اشكو بثي وحزني
الى الله وروي انه اوحى الله اليه انما وجدت عليك لانك ذبحت شاة
فقام ببابك مسكين فلم تطعمه وان احب خلقي الى الانبياء والمساكين
فاصنع طعاما وادع اليه المساكين وقيل استرى جارية مع ولدها
فباع ولدها فبكت حتى عميت فقال يعقوب عليه السلام واعلم
من الله ما لا تعلمون وهو ان الله تعالى يأتيني من حيث لا احتسب
وهو اشارة الى انه كان يتوقع رجوع يوسف اليه وذلك لرؤيا سبق
هذا التوقع امور احدها ان ملك الموت اتاه فقال له ما املك للموت
هل قبضت روح ابني يوسف قال لا ياني الله ثم اشار الى الجانب
مصر وقال اطلبه هاهنا وبانبها انه علم من رؤيا يوسف انها
صادقة لان امارات الرشد والكمال كانت ظاهرة في حق يوسف
رؤيا بتلك لا تخطئ وبالهنا لعله تعالى اوحى اليه انه سيوصله
اليه ولكنه تعالى ما عين الوقت فلهذا بقي في القلق ورابعها
قال البقاعي لما احس بنو يوسف للملك وكان ذلك في اقوال الله تعالى
طمع ان يكون هو يوسف وقال سعد ان ذلك في الكفار
من هو مثله وخامسها علم قطعا ان سارقين لا يسرق وسمع ان
الملك ما اراده ولا ضربه فغلب على ظنه ان ذلك الملك هو يوسف
وهذا جملة الكلام في المقام الاول والمقام الثاني انه
رجع الى اولاده فتكلم معهم على سبيل اللطف وهو قوله يا بني اذهبوا

ـ في عليه البكاء حصول العمى ولو حملنا الابيضاض على غلبة البكا
كان هذا التعليل حسنا ولو حملناه على العمى لم يحصل هذا التعليل فكان
ما ذكروه اولى وهذا التفسير مع الدليل رواه الواحدي عن ابن عباس
في البسيط والقول الثاني ان المراد هو الحاء فاعل فعائل لم يبصر بهما
سنة سنين حتى كشفه الله تعالى ليوسف عليه السلام وهو
قوله والقوه على وجه ابي يرتد بصيرا فعال ان حرمل عليه السلام دخل
على يوسف في السجن فعال ان يعقوب قد ذهب من الحزن عليك
فوضع يده على راسه فعال لعلك انت الذي رفعت البلاء عنك فعال الحزن الدائم يوجب البكاء الدائم وهو يوجب العمى لانه
يوجب كدورة في سواد العين ومنهم من قال العمى لكنه صار بحيث
يدرك ادراكا ضعيفا قيل ما اجفت عينا يعقوب من وقت
فراق يوسف الى حين لقايه وملك الملك ما بين عاما وما كان
على وجه الارض عند الله اكرم من يعقوب اما قوله تعالى
من الحزن فاعلم انه قرئ من الحزن برفع الحاء وسكون الراء وقرئ
الحسن بفتح الحاء والراء قال ابو الواحدي واهل اللغة يقولون الحزن
والحزن كما قالوا فقر الحزن البكاء والحزن ضد الفرح وقال قوم هما
لغتان يقال اصابه حزن شديد وحزن شديد واذا كان في موضع
النصب يفتح الحاء والراء لقوله تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا
فاذا كان في موضع الرفع او الخفض ضم الحاء لقوله من الحزن وقوله
انما اشكو بثي وحزني الى الله قال هما في موضع رفع بالابتداء
واما قوله تعالى فهو كظيم فيحتمل ان يكون بمعنى الكاظم وهو
الممسك على حزنه فلا يظهره قال ابن قتيبة ويحتمل ان يكون
بمعنى المكظوم ومعناه المملوء من الحزن مع تعذر نعته المصدوق

من

من كظم السقاء اذا سده ويحتمل ان يكون مملوءا من الغيظ على اولاده
واعلم ان اشرف المناصب بعد الالهية بعد تعالى انبياؤه وعرفته في
العلم واللسان كان منعوتا بقوله يا اسفا العزيز ما البكاء والباعث والغلب
ما العلم الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي يسد فاه لئلا يخرج ما
في جوفه وهذا مبالغة في وصف ذلك العلم اما قوله تعالى
ويعقوب كرر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين ففيه مسايل
المسئلة الاولى قال ابن السكيت ما انت افعله وما
ليت افعله وما ارجب افعله ولا يتكلم بهذا الا في الجحد قال ابن
بري ما برحت وما فتئت وما انفككت وما انقطعت وما
زال النحويون وحرف النفي هاهنا مضمر على معنى ما فتئا ولا انفكا
وحان حذفه لانه لو اريد الاثبات لكان باللام والنون لحوف والله لافعلن
فلما كان بغير اللام والنون علم ان كله لا مهم وانشدوا
قول امرئ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا
والمعنى لا ابرح قاعدا وسله لدرا ما للعشرون فقال ابن عباس
والحسن ومجاهد وعاد لا تزال تذكر وعن مجاهد لا تعتر من حبه
كانه حمل الفتور والعواجون في المسئلة الثانية
حكى الواحدي في البسيط عن اهل المعاني ان اصل الحرض شدة
الجسم والعقل للحزن والحب وقولهم حرضت فلانا على فلان
ما اردت الا شدته واحمسته عليه قال الله تعالى وحرض المؤمنين
على القتال اذا عرفت هذا تقول وصفا لرجل بانه حرض
اما ان يكون المراد منه انه ذو حرض محذوف للصاف او المراد انه لما
تناهى في الفساد والضعف فكان عين الحرض ونفس الفساد واما
الحرض بكسر الراء فهو الصفه وحكى الفراء ما بقي الا اذا عرفت

بنى وحزنى الى الله قال اى رب اما ترحم الشيخ الكبير قوست ظهرى
وادهبت بصرى فما رددت على ولحانى يوسف وبنيامين فاباه حبريل بالسرى
وقال لو كانا ميتين لنشرتهما لك فاصنع طعاما للمساكين فان احب
عبادى الى الانبيا والمساكين فكان يعقوب عليه السلام اذا اراد
الغدا نادى منادى من اراد الغدا فليتغد مع يعقوب واذا كان
صايما نادى منادى من اراد الغدا فليتغد مع يعقوب واذا كان
من الكبر فقال له رجل ما هذا الذى ارى بك قال طول الزمان
وكثرة الاحزان فاوحى الله اتشكونى الى العبوف فقال يارب
انما دللتنا على انه
حطمه احطمها فاعفو لها فى
لم مات الا ما الصبر والسلام وبكا السماء ودرى ان ملك الموت
دخل على يعقوب عليه السلام فقال له حتى انقضى فقال ان ادنى
حبيبى قال لا حتى لا احزن لحزنك واسجو السحول واما البكا
فليس من المعاصى روى ان النبى صلى الله عليه وسلم بكا على ولده ابراهيم
فقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك
يا ابراهيم لمحزونون وانما سئلا الحزن على الانسان ليس
باختيار فلا يكون ذلك داخلا تحت التكليف واما السلوة
وارسال البكا فقد نصر بحيث لا يقدر على دفعه واما ما ورد
فى الروايات التى ذكرتم فالمعاتبة انما كانت لاجل ان حسنات
الابرار سيات المقربين وانما فعله دسعه اخرى وهو ان
الانسان اذا كان فى حوف التحير والتردد لابد ان يرجع الى
الله فيعقوب عليه السلام ما كان يعلم ان يوسف بقى حيا ام صار
ميتا فكان موقنا بانه وسيرد توقفه كان يعتبر رجوعه
الى الله وتقطع قلبه عن الالتفات عن كل ما سوى الله وكانت

احواله فى هذه الواقعه مختلفه فتارة اصار فى بعض الاوقات مستغرق
اليهم بذكر الله وان ذكر هذه الواقعه ما انسيه الله حاربه فجرى
الالتفا فى الكلام للخليل عليه السلام ومجرى الذبح لاسه الذبح قال
قيل السر ان الاذى عند تذول للمصيبه التشديد ان يقول انا لله
وانا اليه راجعون حتى يستوجب الثواب العظيم الموعود فى قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه واولئك هم المهتدون قيل
قال بعض المفسرين انه لم يعط الاسترجاع امه الا هذه الامه اكرمهم
الله اذا اصابهم مصيبه وهذا عندى ضعيف لان قوله انا لله وانا
اليه راجعون انما يكون لله وهو الذى خلقنا وايجدنا وقوله
وانا الله راجعون انما يكون الى الله وهو الذى يميتنا ويحشرنا
ان يقال ان امه من الامم لا يعرفون ذلك فمن عرف ذلك عند نزول
المصايب به انه حلو من حلو الله وانه لا بد من الخشر والقيامه ومن
الى الله فهناك يحصل السلوة التامه عن تلك المصيبه ومن المحال
ان يكون المومن بالله عز وجل غير عارف بهذا
الكلمه
الا الله قوله يا اسفا على يوسف يدل الاسف وهو كقوله
يا عجبا والتحسر كانه نادى الاسف وقول هذا وقت حضورك
واوان مجيئك وقوله اصل المعنى فى مواضع كثيره من معانى تغير قوله
حاش لله والاسف الحزن على ما فات قال الليث اذا حاك امر
فحزنك له ولم تطقه فانت اسف اى حزين ومتاسف ايضا قال
الزجاج الاصل يا اسفى الالف بدل من الياء والاضافه تجوز ابدال الياء الالف
لخفه الالف والفتحه قال تعالى وابيضت عيناه من الحزن
وفيه وجوه الاول انه لما قال يا اسفا على يوسف غلبه البكا
وعمى عليه البكا بكثرة البكا على الغير وقوله وابيضت عيناه من الحزن
كناية عن غلبه البكا والدليل على صحه هذا القول تاثير الحزن

يا اسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا
تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا وتكون من الهالكين
قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون ۝
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ۝ اعلم ان يعقوب
عليه السلام لما سمع دلائل سدد صاف قلبه جدا واعرض عنهم وفارقهم
ثم مالاحزن كظمهم وعاد اليهم اما المقام الاول وهو اعراضه
عنهم وفراره منهم فهو قوله تعالى وتولى عنهم وقال يا اسفا على
يوسف واعلم انه لما صار قلبه بسبب الكلام الذي سمعه من
ابنائه في حق يوسف من عظم اسفه على يوسف فقال يا اسفا على
يوسف واما عظم حزنه على مفارقة يوسف عند هذه الواقعة
فلوجوه الاول ان الحزن القديم اذا وقع عليه حزن
اخر كان اوجع وقال ميمم بن نويرة
فقال ابكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقيل له ان الاسى تبعث الاسى فدعي فهذا كله قبر مالك
وذلك لانه رأى قبرا فحزن عليه حزنا جديدا على مالك فلا موجب عليه
فاجاب بان الاسى تبعث الاسى والوجه الثاني ان بين يوسف
ويوسف كانا من ام واحد وكانت المشابهة بينهما في الصفة
والصيغة اكمل وكان يعقوب عليه السلام يبتلى بروئته ليوسف
فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السكون فعظم الالم والوجه الثالث
ان المصيبة بيوسف كانت اصل مصائبه وعليها ترتب
سائر المصائب والرزايا فبكى يوسف اسفا على الكل الوجه
الرابع ان المصائب الحادثة كانت اسبابها جارية مجرى الامور التي علم

فلم يتعرفها ولم يبحث عنها فلما وافقه يوسف عرفه عليه السلام
كان يعلم كذبهم في السبب الذي ذكروه واما السبب الحقيقي
فما كان معلوما له وايضا انه عليه السلام كان يعلم ان هارون اخي
الحي واما يوسف فما كان يعلم انه حي او ميت فلهذه الاسباب
عظم وجد على مفارقته وفوت مصيبته على الجهل الحاصل ۝
المسألة الثانية من الجهال من عاب يعقوب عليه السلام
على قوله يا اسفا على يوسف قال لان هذا اظهار للجزع وحاله
مجرى الشكاية من الله وانه لا يجوز والعلماء قالوا ان الامر
ليس كما ظنه هذا الجاهل ويقرب انه عليه السلام اظهر هذه
الكلمة ثم عظم بكاؤه وهو المراد من قوله وابيضت عيناه من
الحزن من اسبل لسانه عن النياحة وذكر ما الاسبق وقوله فهو
كظيم ثم انه ما اظهر الشكاية مع احد من الخلق بدليل قوله انما اشكو
بثي وحزني الى الله وكل ذلك لما عظمت مصيبته وفوت محنته فانه صبر
ولم يشك الا الى الله ولما اطهر النكاية فلا جرم استوجب به المدح العظيم
والثناء الجميل روي ان يوسف عليه السلام قال لجبريل هل لك علم بيعقوب
قال نعم قال وكيف حزنه قال حزن سبعين ثكلا وهي التي لها ولد
واحد ثم فوت قال فهل له فيه اجر قال نعم اجر مائة شهيد قال قيل
روي عن محمد بن علي قال لي يعقوب سبحانك ما افعل بآلائك ابراهيم
فعال لما ابتليته والهموم عمرتني وذهبت بحسني وقوتي فاوحى الله
الله حتى متى تشكوني الى عبادي فوعزتي لو لم تكن لا بدلك يا يعقوب
من بكاء ودماء حمراء من دمك لكان من بعد يقول انما اشكو بثي وحزني
الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب اخ
فقال ما الذي اذهب بصرك وقوس ظهرك فقال الذي اذهب
اليه فقال الله تعالى اما استحيى تشكوني الى عبدي فقال انما اشكو

فيه قولان احدهما ان المراد واسأل اهل القرية الا انه حذف المضاف
الاتحاد وهذا النوع من المجاز مشهور في لغة العرب قال ابو
علي الفارسي وادخل حوان هذا من اللغة كرافع وحاصل المحسوسات
والتالي قال ابو بكر الاصبهاني المعني وسل القرية والعير
والجدران والحيطان فانها لجمادات تدل بصحة ما ذكرناه لانك
من اكابر الانسان فالاسعدان تنطق الله هذه الجمادات بمعجزة لك
حتى تخبر بصحة ما ذكرناه وفيه وجه ثالث وهو ان الشيء اذا
ظهر ظهورا تاما كاملا قيل فيه سل السماء والارض فجميع
الاشياء عنه والمراد به بلغ في الظهور الى الغاية التي لا مزيد للشك
فيها محال اما قوله تعالى والعير التي اقبلنا فيها فقال
المفسرون كان قد صحبهم قوم من الكنعانيين فلما سألوا اصحاب عن
هذه الواقعة تم انهم لما ما تعاونوا على الكذب والتزوير قالوا اذا نا
لصادقون حتى نسوا نسبتها الى انفسهم اولم تتنا صحبتهم صادقون
وليس غرضهم ان ينسبوا صدقا لنفسهم لان هذا الحرف يجري مجرى ان
الشيء بعضه بل الانسان اذا اقدم على الدليل القاطع على صحة الشيء فقد
يقول بعده وانا صادق في ذلك يعني ساعل بما ذكرته من الدلائل
واليقين لتزول عنك الشبهة ۞ قوله تعالى قال
بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو
العليم الحكيم ۞ اعلم ان يعقوب عليه السلام لما سمع من ابنائه ذلك
الكلام لم يصدقهم بما ذكروا كما انه ذكر في واقعة يوسف بل سولت
لكم انفسكم امرا فصبر جميل ذكر هاهنا ذلك الكلام بعينه الا انه قال
في واقعة يوسف والله المستعان على ما تصفون وهاهنا قال
عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وفيه مسايل ۞ المسئلة الاولى

قال

قال بعضهم ان قوله بل سولت لكم انفسكم امرا ليس المراد منه هاهنا
الكذب في الاخبار كما في واقعة يوسف لما قال بل سولت
لكم انفسكم لكنه عنى سولت لكم انفسكم اخراج هذا من عني والمصير
به الى مصر طلبا للمنفعة معتادا ذلك الى شر وخوف والجزم على
في ارساله معكم ولم تعلموا ان قضا الله جار على خلاف تدبيركم وتامل
بل المعنى سولت لكم انفسكم امرا عظيما فصبر جميل والله المستعان على ما
المسئلة الثانية ۞ ان ورود الامر على الاطلاق يدل على الاقدام
الملك ان يذهب مع اخوته فقال ارجوني والا لا يمكن صحة لا تبقي
مصر امراته حاملا الا وضعت حملها فقال يوسف دعوني والمدافع
القوم الى يعقوب عليه السلام لاخبروه بالواقعة فلعله فعل وقال ماني لا اخرجوا
من عندي من الاوبعض بعضكم دهشتم من نقض يوسف وفي الثانية
نقص شعور وفي هذه الثالثة نقص سلامتي وورود هذه الاشياء
عسى الله ان ياتيني بهم جميعا والعالم بهذا الحكم لوجوه الاول انه لما
طال حزنه وبلاؤه ومحنته علم انه تعالى ستجعل له فرجا ومخرجا
عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن برحمة الله والثاني انه
كان اخبر من بعد محبسه يوسف انه حي او ظهرت له علامات ذلك
واما قال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا لانهم خبروه بان يوسف كانوا
اثني عشر فضاع يوسف وبقي احد عشر ولما ارسلهم الى مصر عادوا
تسعة لان بنيامين حبسه يوسف وذلك الحبس الذي قال فلن
ابرح الارض حتى ياذن لي ابي فلما كان العاجز بالله لا يحوم قال
عسى الله ان ياتيني بهم جميعا ثم قال انه هو العليم الحكيم يعني هو العالم
بحقائق الامور الحليم فيمهل على الوجه للطائع بالفضل والاحسان
والرحمة والمصلحة ۞ قوله تعالى وتولى عنهم وقال

شاهدوا ان الصواع كان موضوعا في موضع ما كان يدخله احد
الا هم فلما شاهدوا انهم اخرجوا الصواع من رحله غلب على ظنونهم
انه هو الذي اخذ الصواع واما قوله وضع الصواع في رحل الذي
وضع البضاعة في رحالكم فالعرف ظاهر لان هذا هنا المراد جعوا
بالوضع اليهم اعترفوا فانهم هم الذين وضعوها في رحالهم
واما اخذ الصواع فان احدا لم يعرف بانه هو الذي وضع الصواع
في رحله فظهر العرف لهذا السبب غلب على ظنونهم انه سرق
فشهدوا بنا على الظن ثم بينوا انهم عن قاطعين بهذا الامر بقولهم
وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين والوجه الثاني
في الجواب ان تقدير الكلام ان انكم سرق في قول الملك واصحابه ومثله
كثير في القران قال الله تعالى انك انت العزيز الكريم اي عند
نفسك ولما عندنا فلا نذكرها هنا الوجه الثالث في
الجواب ان انك طعن عليه ما يشبه السرقة ومثل هذا المعنى قد يسمى
سرقة فان اطلاق اسم المشتبهين على الشبه الاخر جائز ومثله في القران
وحراسه سيئة مثلها الوجه الرابع ان القوم ملكانوا انسانا
في ذلك الوقت فلا بعد ان يقال انهم ذكروا هذا الكلام على سبيل
المجازفة لاسيما وقد ساهدوا سائر هم ذلك الوجه الخامس
ان ابن عباس كان يقول ان ابنك سرق اي نسب الى السرقة فهذه
القراءة لا حاجة لها في التاويل لان القوم نسبوه الى السرقة الا انا قد
ذكرنا في هذا الكتاب ان امثال هذه المسائل لا يدفع السؤال
الا اذا قلنا القراءة الاولى باطلة والقراءة الحقة هي هذه القراءة
اما اذا سلمنا ان القراءة الاولى حقة كان الاشكال على ما سواها
هذه القراءة اذا لم تصح فثبت انه لابد من الرجوع الى احد الوجوه المذكورة

اما

اما قوله وما شهدنا الا بما علمنا يقتضي كون الشهادة مساوية للعلم بدليل
قوله وما شهدنا الا بما علمنا ولانه عليه السلام قال اذا علمت مثل الشمس
فاشهد وذلك ايضا يقتضي ما ذكرناه قلنا لسنا نسلم ان الشهادة ابدا تكون
عن قوله اشهد لان قوله اشهد اخبار عن الشهادة اذا ثبت هذا نقول
الشهادة عبارة عن الكلام اللفظي وهو الذي تسميه المتكلمون بكلام
النفس واما قوله وما كنا للغيب حافظين ففيه وجوه الاول
انا قد رأينا انهم اخرجوا الصواع من رحله فاما حصول هذه الحالة فغير معلوم
لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله والثاني قال عكرمة معناه لعل
الصواع رمى في رحله بالليل فان الغيب هو الليل على بعض اللغات
والثالث قال مجاهد والحسن ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ولو
علمنا ذلك ما ذهبنا به الى الملك وما اعطيناك موثقا من الله في رده
الملك والرابع نقل ان يعقوب عليه السلام قال لهم فصفوا انه
سرق ولكن كيف عرف الملك ان شرع من اسرائيل ان من سرق يسترق
بل ايم ذكر يعقوب لعرض لكم فقالوا عند ذلك انا قد ذكرنا له هذا الحكم
قبل وقوعنا في هذه الواقعة وما كنا نعلم ان هذا يقع فقوله وما كنا
للغيب حافظين اشارة الى هذا المعنى فان قيل فهل يجوز من يعقوب
عليه السلام ان يسعى في اخفاء حكم الله تعالى في هذه الواقعة قلنا لعله
كان ذلك الحكم مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا انكر
ذكر هذا الحكم عند الملك الذي ظنه كافرا ثم على الله تعالى انهم قالوا
واسئل القرية التي كنا فيها واعلم انهم لما كانوا متهمين بسبب
واقعة يوسف ما اقتصروا في ازالة التهمة عن انفسهم فقالوا واسئل القرية
التي كنا فيها واتفقوا على ان المراد من هذه القرية مصر مصر وقال
قوم بل المراد قرية على باب مصر جرى فيها حديث السرقة والتفتيش ثم

خلص الشئ يخلص خلوصا اذا ذهب عنه الشوايب من غير تمزيق
وجهان قال الزجاج خلصوا الى الفرد وا وليس معهم احد وقال
الباقون سر على الاجانب وهو الاظهر واما قوله لخلصا قال صاحب
الكشاف البحي على مصدرين يكون بمعنى الماضي ومنه قوله تعالى
وقد نباه لخبا ومعنى المصدر الذي هو الماضي معلى هذا معنى خلصوا
لخلصا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا
اي مناجيا مناجاة بعضهم واحسن الوجوه فيه انهم محصول تناجيا
لان من عمل حصول امر من الامور فيه وصف بانه عين ذلك الشي
فلما اعتدوا في الماضي وفي عامة الجد صاروا كانهم في انفسهم تناجيا
صاروا نفس الماضي وحقيقته اما قوله قال كبيرهم قيل المراد
كبيرهم في السن وقيل وقيل كبيرهم في العقل وهو يهوذا وهو الذي
نهاهم عن قتل يوسف ثم حكى الله تعالى عن هذا الكبير انه قال
الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في
يوسف وفيه مسئلتان ٥ **المسئلة الاولى**
قال ابن عباس لما قال يوسف عليه السلام معاذ الله ان ناخذ الا من
وجدنا متاعنا عنده غضب بهوذا وكان اذا غضب وصاح لا يسمع
صوته حامل الا وضعت وتقوم شعور على جسده فلا يسكن حتى يسمع
بعض ان يغضب بدعليه فقال لبعض اخوته اكفوني اشراف اهل
مصر وانا اكفيكم الملك فقال يوسف لانزل صغير مسه فمسه
بدهت عيصدوهم ان يصيح فوكز يوسف برجله على الارض فوجدته
فسقط فغشي عليه فلما افاق قال يا ايها العبرين فلما ايسوا من قبول الشفاعة
تذاكروا وقالوا ان ابانا قد اخذ علينا موثقا من الله عظيما وانصاف من
ننقض موثقه يوسف فكيف التخلص من هذه الورطة العظيمة

المسئلة الثانية لقائل ان يقول ما معنى قوله ما فرطتم في يوسف وجوه
الاول ان يكون اصله ومن قبل هذا فرطتم في امر يوسف فلم
تحفظوا عهد اكم الثاني ان يكون مصدرية ومحله الرفع على
الابتدا وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ومن قبله تفريطكم في
يوسف الثالث النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وتقديره الم
تعلموا اخذ اكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف الرابع ان
تكون مصدرية والمعنى ومن قبل الذي قدمتموه في حق يوسف من
الخيانة العظيمة ومحله النصب والرفع على الوجهين المذكورين ثم قال
فلن ابرح الارض اي فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في
الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانصاف من احد اخي
او بخلاصه من يد بعض الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا
يحكم الا بالعدل والحق وبالجملة فالمراد منه طهور عذر ونزول معه حياؤه
وخجله من ابيه وعزمه له ان يطلب الى الله تعالى في انزالها وعذره بوجه
من الوجوه ٥ **قوله** تعالى ٥ ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية
التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون ٥ واعلم انهم لما
تذكروا في الاصوب ما هو طهر لهم ان الاصوب هو الرجوع وان
يذكروا لابيهم كيفية الواقعة على الوجه من غير تفاوت والظاهر ان
هذا القول قاله دليل العسكر الذي قال فلن ابرح الارض حتى
ياذن لي ابي قيل الله رويبل وبقي هو في مصر وبعث سائر الاخوة
الى الاب فان قيل كيف حكموا عليه بانه سرق من غير بينة وقد اجاب
بالجواب الثاني فقال الذي جعل الصواع في رحلي هو الذي جعل
البضاعة في رحالكم والجواب عنه من وجوه الاول انهم

سكانه ويحتمل ان يكون المراد على طريق الاستبعاد ويحتمل ان يكون
المراد على طريقه الوعد حتى يوصل الغد اليك ترووا انا نراك
من المحسنين وفيه وجوه احدها انا نراك من المحسنين لو فعلت
دلالة ما انها انا نراك من المحسنين الناجحت اكرمتنا واعطيتنا
البدل الكثير وحملتنا مطلوبنا على احسن الوجوه وردت
الينا من الطعام وبالجملة نقل انه عليه السلام لما استد القحط
على القوم ولم يجدوا شيئا يبتاعون به الطعام وكانوا يتعودون الفضل
منه فصار ذلك سببا لضررهم اكثر مصر عيد ثم انه لعن الكل
ملطفا لهم وقالوا انك من المحسنين الى جميع الناس بالاعتاق فكن
محسنا لنا ايضا والى هذا الاستعانة من هذه المحنة فقال
يوسف معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا ان ناخذ الا من وجدنا
متاعنا عنده اي اعوذ بالله ان اخذ بريا محمد بن اسحاق الحاجة موضع
ان نصيب والمعنى اعوذ بالله من اخذ احد بعينه بما استفطت كله
من بعد العقل وقوله انا اذا لظالمون اي لقد تعودت وظلمت
ان اذا سبيلنا ان يظلم صدر من عرف فان قيل هذه الواقعة
مزالة الى اخوة ثلاثة وكذب فكيف يجوز ليوسف مع رسالته
الاقدام على هذا الكذب والتزوير واعلم الناس من غير شك
وتعلم انه اذا حبس اخاه عند نفسه بهذه التهمة فانه يعظم حزن
ابيه ويشتد غمه فكيف يليق بالرسول المعصوم المبالغة في التزوير الى
هذا الحد والجواب لعله تعالى امر بذلك تشديدا للمحنة
على يعقوب ونهاه عن العفو والصفح واخذ البدل كما امر تعالى
صاحب موسى بقتل من لو تقى لطغى وكفر وقوله
تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال الكسائي العرب تقول ان اباكم

قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح
الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ٥
فيه مسائل **المسألة** الاولى اعلم انهم لما قالوا اخذ احدنا
مكانه وهو فداء ما امكنهم مثله وقال يوسف معاذ الله ان
ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انقطع طمعهم من يوسف فلما رجعوا
فعند هذا قال تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا وهو ما ذكره في
يأسهم من رده خلصوا نجيا انفردوا عن الناس مناجين والنجي
ان المراد يتشاورون ويحاولون الرأي والمعرف انهم انما اخذوا
بنيامين من اسهم بعد المواثيق المؤكدة وبعد ان كانوا مؤكدين متعصبين
في حق يوسف فلو لم يعدوه الى ابيهم لحصلت معركة واحدة انه
كان يشتكي لفراقه وحده من غير حادث من الاولاد بحسب ما طبعوا وبانهما
ان اهل بيتهم كانوا محاويج الى الطعام اشد الحاجة وبالجملة انه
عليه السلام رجا كان يظن ان اولاد هلكوا مالكلهم وذلك مما يشتد
ولوعا دفي اسهم دون بنيامين لعظم جاههم فان ظاهر الامر يوهم
انهم خانوا في هذا الابن كما خانوا في يوسف فكان يوهم انهما انهم لما فعلوا
مثل المواثيق المؤكدة ولامكن ان هذا الموضع حيث ورد ذكر ذلك
يوجب المعارضة والتناقض طلبا للاصلح الاصوب فهذا هو المراد
من قوله فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا **المسألة** الثانية
قال الواحدي روي عن ابن عباس استيأسوا وحتى اذا استيأس الرسل
وهي بئس لغات بئس وبيس وبيس مثل حسب وحسب ومن قال ايتاس
قلب العين الى موضع الفاء فصار استفعل ولفظه اما من يئس يفعل
بالفتح فقال صاحب الكشاف استيأسوا ايسوا وزيادة السين والياء
للمبالغة كما في قوله استغنى وقوله تعالى خلصوا نجيا قال الواحدي تعالى

التي هي قوله أنتم شر مكانا وفي قراءة بن مسعود فاسر علي التفاسير
بدل القول او الكلام وطعن ابو علي الفارسي في هذا الوجه وقال
استدركه علي الزجاج من وجهين الاول قال الاخفش علي
شريطة التفسير يكون علي ضربين احدهما ان يفسر مفرد كقولنا
نعم رجلا زيد ففي نعم ضمير فاعلها ورجلا تفسير لذلك الفاعل
المضمر والاخر ان يفسر جملة واصل هذا ما يقع به الابتداء
كقوله فاذا هي ساخصة ابصار الذين كفروا والامر فيه الواحد
التقدير فاذا ابصار الذين كفروا والعوامل الداخلة علي المبتدا والخبر تدخل عليه
ايضا كقوله انه من يات ربه مجرما فان له لا يحيا الا يضا
اذا عرفت هذا فنقول تفسير المضمر علي شريطة التفسير
في كلا الجملتين متصل بالجملة التي فيها الاضمار ولا يكون خارجا
عن تلك الجملة ولا مبتدا بها وهاهنا التفسير منفصل
عن الجملة الذي حصل منها الاضمار فوجب ان لا يحسن
والثاني انه تعالى قال انتم شر مكانا وذلك يدل علي انه ذكر
الكلام ولو قلنا انه عليه السلام اضمر هذا الكلام لكان قوله انتم
شر مكانا امرا واعلم ان هذا الطعن ضعيف لوجوه
اما الاول فلانه لا يلزم من حسن القسمين الاولين في
قيم ما لث واما الثاني فلانا نحمل ذلك علي انه عليه السلام
قال ذلك علي سبيل الخفية وبعد التفسير سقط هذا
السؤال والوجه الثاني وهو ان الضمير في قوله
فاسرها عائد الي الاجابة كانهم قالوا ان يسرق فقد سرق
اخ له من قبل اسر يوسف اخاياتهم لم يبد في نفسه في ذلك
الوقت ولم يبدها لهم في تلك الحالة الي وقت قال ويجوز ايضا

ان

ان يكون اضمار المقالة والمعني اسر يوسف مقالتهم والمراد من المقالة
متعلق تلك المقالة كما يراد بالمخلوق المخلوق وبالعلم المعلوم معني اسر
يوسف في نفسه تلك السرقة ولم يسر لهم ايها لانه وقعت والله لبين
فيها يوجب الطعن يروي انه لما ان عباس قال عوقب يوسف بثلاث
مرات لاجل هذه بها عوقب بالحبس وبقوله ارجع الي عند ربك
عوقب بالحبس الطويل وبقوله انكم لسارقون عوقب بقولهم ان ابن له
يسرق اخ لهم من قبل ثم حكي تعالي عن يوسف انه قال انتم
شر مكانا اي انتم شر منهم عند الله بما قدمتم عليه من الظلم لاخيكم
وعقوقكم اباكم باخذكم اخاكم وطرحكم اياي في الجب فلتم ان الذئب قتله
وانتم كاذبون ثم بعموه بعشرين درهما ثم بعد المدة الطويلة والزمن
المديد ما زال الحقد والحسد والبغض من قلوبكم فمن يتهمونه بالسرقة
ثم قال والله اعلم بما تصفون يعني ان سرقته يوسف كانت لله رضا
وبالجملة فمحمله الوجوه المذكورة في سرقته لا يوجب شيئا منها عود الذم
واللوم اليه والمعني والله اعلم بان هذا الذي رميتموه به هل يوجب
عود مذمته اليه ام لا والله اعلم ان قوله تعالي قالوا
يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين
قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون
اعلم انه تعالي بين انهم بعد الذي ذكروه من قولهم ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل احتالوا في ازالة تلك التهمة عن انفسهم
وانهم وان كانوا قد اعترفوا ان حكم الله في السارق ان يسترق الا ان العبد
واحد الفداء فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا
مكانه اي في الرق وجوز ان يكون في القدر والدين وانما ذكروا
ذلك لان كونه ابا لهم كان العذر موجبا للعفو والصفح ثم قالوا فخذ احدنا

وأعلى الدرجات لانه تعالى لما هدى يوسف الى هذه الحيله
مدحه لاجل ذلك فقال نرفع درجات من نشاء والصاد صفه
ابراهيم عليه السلام بقوله نرفع درجات من نشاء عند ابراده
دلائل التوحيد ونسبه عن الله السمين والقوى والكريم البديع
وصف ايضا هاهنا يوسف بقوله نرفع درجات من نشاء هذا راجع
الى اهل الحيله وكم من المرتبه من الفاوت تزول
تعالى فوق كل ذى علم عليم والمعنى ان اخوة يوسف كانوا
علما فضلا الا ان يوسف كان زائدا عليهم فى العلم واعلم
ان المعتزله احتجوا بهذه الايه على ان الله تعالى عالم لذاته لانه لو كان
عالما بالعلم لكان ذلك العلم لو كان كذلك لحصل فوقه عليم
تمسك العموم هذه الايه وهذا باطل واعلم ان اصحابنا
قالوا دل سائر الايات على اثبات العلم لله تعالى وهو قوله
ان الله عند علم الساعه انزله بعلمه ولا يحيطون بشئ من علمه ولا
نضع الا بعلمه واذا وقع التعارض فنحن نحمل الايه التى تمسك الخصم بها
على واقعه يوسف واخوته خاصه وعامه ما فى الباب انه
يوجب تخصيص العموم الا انه لابد من التخصيص لانه لان العالم مشتق
من العلم والمشتق مركب والمشتق مفرد وحصول المركب يتوقف
حصول المفرد محال فى بديهه العقل فكان الراجح من جانبه
قوله قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا
والله اعلم بما تصفون اعلم انه لما اخرج الصواع
من رحل اخيه يوسف فنكس اخوته رؤسهم وقالوا هذه الواقعه
محمسه فان راحيل ولدت لابن لصبر قالوا يا بنى راحيل ما اكتر

ابلا

البلا علينا منكم تقال هنا مين مثل ما اكتر البلا نكم علينا دهتم
نما خى وضيعتمونى فى الفلاه ثم تقولون لى بعد الكلام فما الواله كيف
خرج الصواع من رحلك تقال وضعه فى رحلى من وضع البضاعه
فى رحالكم واعلم ان ظاهر الايه يقتضى انهم قالوا للملك ان هذا
الامر ليس بغريب منه فان اخاه الذى هلك كان ايضا سارقا
وكان غرضهم بهذا الكلام ابانه السنا على طريقته وعلى سيرته وهو واضح
محصلان بهذه الطريقه لانهما من امر اخرى واحلفوا فى السرقه
التى نسبوها الى يوسف على اقوال الاول قال سعيد بن جبير كان
حد الوالد كان فى بعض الاوقات فامرته امه ان يسرق تلك الاوثان
ويكسرها فلعله شرع عباده الاوثان فعل ذلك فهذا هو السرقه
والثانى انه كان يسرق الطعام من مائده ابيه ويدفعه الى الفقرا
وقيل سرق عناقا من امه ودفعه الى مسكين وقيل دجاجه والثالث
عمته كانت تحبه حبا شديدا فاراد ان تمسكه عندها فكان
تدفئ عندها منطقه لاسحاق وكانوا يتوارثون فصدتها على وسط
يوسف فقالت انه سرقها وكان حكمهم ان من سرق يسترق فسلمته
بهذه الحيله الى ابيها كذا عند نفسها والرابع انهم كذبوا عليه
وبهتوه وكانت قلوبهم مملوه من الغضب على يوسف بعد تلك
الواقعه وبعد انقضاء تلك المده الطويله وهذه الواقعه تدل على ان
قلب الحاسد لا يطهر عن الغل الا تم قال تعالى فاسرها يوسف
فى نفسه ولم يبدها لهم واحلفوا فى الصدر فى قوله فاسرها الى آخره
حتى يعود على قولين قال الزجاج فاسرها اضمار على شرط التفسير
تفسيره انتم شر مكانا والله اعلم لان قوله انتم شر مكانا جمله اذا كمله
لا يفهم بعموم الطائفه من الناس جمله كانه قال واسر الجمله والكمله

جزاوه من وجد في رحله فهو جزاوه قال اصحاب يوسف
كذلك نجزي الظالمين **قوله** تعالى فبدا باوعيتهم
قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما
الارض ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك نرفع درجات من نشاء وفوق
كل ذي علم عليم **اعلم** ان اخوة يوسف علموا او ظنوا امروا
بان من وجد المسروق في رحله فجزاؤه ان يسترق قال لهم المؤذن
لابد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدا يوسف
باوعيتهم قبل وعاء اخيه لازاله التهمة والاوعية جمع وعاء وهو كل
ما اداوضع فيه احاط به ثم استخرجها من وعاء اخيه وقرا
الحسن وقتادة بضم الواو وهي لغة وقرا سعيد بن جبير اخاه اخيه
فقلب الواو همزة فان قيل لم ذكر صواع الصواع مرارا
ثم انه هاهنا قلنا جمع صمير المونث الى السقاية وصمير المذكر
الى الصواع او يقال الصواع مونث ويذكر وكان كل واحد منهما
فعدو تبع بما يتصل به من الكلام شقاية وتما تفقدون عنه صواعا
عن قتادة انه كان لا ينظر في وعاء الا استعفر الله ما ينا ما قد فهم
به حتى انه لم يتهم الاخوة قال ما ارى هذا اخذ شيئا قالوا لا يذهب
حتى يفتش عن احبابه اضل فلما نظروا في متاعه واستخرجوا الصواع
من وعاء اخيه والقوم كانوا قد حكموا بان من سرق احد مرتبته وجرده
الى دار يوسف ثم قال تعالى كذلك كدنا ليوسف وقيل كان
يوصل المعنى مثل ذلك كدنا ليوسف وذلك ان الله تعالى الهم
باشتراق السارق الى مثل ذلك الحكم الذي دبر لاخي يوسف
حكمنا به ليوسف التالي ان لفظ الكيد مشعر بالحيلة
والخديعة وذلك في حق الله تعالى محال الا انا ذكرنا اصلا معتبرا

في

في هذا الباب وهو ان اشكال هذه الالفاظ يحمل على نوعين الاعراض
لا على من اوات الاعراض وقررنا هذا الاصل في تفسير قوله
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا فالكيد السعي في الحيلة والخديعة
ونهايته اشتغال الانسان بما لا ينبغي له في امر يكرهه الى دفعه
فالكيد في حق الله تعالى محمول على هذا المعنى واختلفوا في المراد بالكيد
هاهنا فقال بعضهم المراد ان اخذ اخي يوسف سعوا في ابطال امر يوسف
في الله تعالى نصره وقوله وعلا امر وقال اخرون المراد من هذا
الكيد هو انه تعالى القى في قلب اخوته ان حكموا ان جزاء السارق
هو ان يسترق لا جرم لما ظهر الصواع في رحله حكموا عليه بالا
سترقاق وصار ذلك سببا لمكث يوسف عليه السلام من اهله
اخيه عند نفسه وقال تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك
والمعنى انه كان حكم الملك في السارق ان يضرب ويغرم ضعفي ما
سارق فاكان يوسف قادرا على حبس يوسف عند نفسه بما على
دين الملك وحكمه الا انه تعالى اعاد ذلك ما جرى على لسان اخوته ان
جزاء السارق هو الاسترقاق فعند ذلك تمكن يوسف من اخذ اخيه
ان يوسل الى اخذ اخيه وحبسه عند نفسه وهو معنى قوله الا ان
يشاء الله ثم قال نرفع درجات من نشاء في نظائره مسائل

المسئلة الاولى قرا عاصم وعاصم والكسائي درجات
بالتنوين على مضاف والباقون بالاضافة

المسئلة الثانية المراد من قوله نرفع درجات من نشاء هو انه تعالى يوسع
الصواب في يرفع المراد تخصيصه بانواع العلوم واقسام الفضائل
والمراد هاهنا انه تعالى يرفع درجات يوسف على اخوته في كل
شئ واعلم ان هذا يدل على ان العلم اشرف المقامات

السقايه وجدوها وما كان من اكل احد الا ثم غلب على طنونهم انهم
الذين اخذوها ثم ان اخوة يوسف قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
وذكر الوعبد الرحمن السلمي يفقدون من ابعدته فعند ذلك
قالوا نفقد صواع الملك قال صاحب الكشاف ضواع وصوع بفتح
الصاد والعين مجمعة قال بعضهم جمع صواع صعان كعراب وعربان
وجمع صاع اصواع كحساب وانواب وقال احرون لا فرق
بين الصواع والصاع والدليل عليه قول ابي هريرة قالوا فقد
صواع الملك وقال بعضهم الصواع اسم والسقايه وصف ثم
قال ولم خابه حمل بعير اي من الطعام وانا به زعيم قال مجاهد
هذا الزعيم الموذن الذي اذن وتفسير زعيم كفيل قال المطلي
الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن روى ابو عبيد عن الكسائي
زعمت به انعم وزعامه اي تكفلت به وهذا لا يدل على
ان الكفاله كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله الزعيم غارم قال فعلى هذا الكفاله
بشيء مجهول قلنا حمل بعير من الطعام كان معلوما عندهم فصحت
الكفاله به الا ان هذه كفاله برد السرقه وهي كفاله بما لم يجب
لانه لا يجب للسارق ان ياخذ شيئا على رد السرقه ولعل هذه الكفاله
كانت تقع عند هربه **قوله** تعالى قالوا تالله لقد علمتم
ما جينا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم
كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين
قال البصريون الواو في قوله والله بدل من الباء والتاء
تبدل من الواو وضعفت عن التصرف في سائر الاسماء وجعلت فيما هو
احق بالقسم وهو اسم الله عز وجل قال المفسرون حلفوا على

لغز

امرين احدهما انهم ما جاءوا لاجل الفساد في الارض لانه ظهر من احوالهم
امتناعهم من التصرف في اموال الناس بالكليه لا ما كل ولا ما ل
في مراتع الناس بالكليه حتى روي انهم سدوا افواه دوابهم ليلا
يفسدن في زرع وكانوا مواظبين على انواع الطاعات ومن كانت
هذه صفته فالفساد في الارض لا يليق به والثاني انهم
ما كانوا سارقين فقد حصل لهم فيه شاهد قاطع وهو انا لما وجدنا
بضاعتهم في رحالهم حملوها من بلادهم الى مصر ولم يستحلوا اخذها
والسارق لا يفعل ذلك البته ثم لما سوا انهم من ذلك البعد قال
اصحاب ابو حنيفه فاجزاوه من وجد في رحله فهو جزاوه قال بنو
ابن عباس كانوا في ذلك الزمان يستعبدون كل سارق بسرقته وكان
استعباد السارق في شرعهم بمعنى مجرى القطع في شرعنا والمعنى
جزاء السرقه من وجد السرق في رحله ان يؤخذ ذلك السخص جزاء لها
المحرم والمعنى ان استعبادهم هو جزاء ذلك المحرم قال الزجاج
وفيه وجهان احدهما ان تقال جزاوه مبتدا ومن وجد في رحله خبره
والمعنى جزاء السارق هو الانسان السارق هو الانسان الذي وجد
في رحله السرقه ويكون قوله فهو جزاوه والثاني ان تقال
جزاوه زيادة في البيان كما تقول جزاء السارق القطع فهو جزاوه
وقوله من وجد في رحله فهو جزاوه جمله وهي في موضع خبر
المبتدا والتقدير كانه قيل جزاوه من وجد في رحله وهو هو
الا انه اقام المظهر مقام المضمر لتاكيد وللمبالغه وانشد النحويون
لا اري الموت يسبق الموت شيا نغص الموت ذا الغنى والفقيرا
واما قوله كذلك نجزي الظالمين اي مثل هذا الجزاء نجزي الظالمين
يريد اذا سرق استرق ثم قيل هذا من كلام اخوة يوسف وقيل انهم لما قالوا

لاخوته فصار ان يجعل قلب اخيه صافيا معهم ايضا فقال لا يسئن
بما كانوا يعملون اى لا ملتفت الى صنيعهم فيما تقدم ولا ملتفت الى
اعمالهم المنكرة التى اعتادوا عليها الا انتم انما فعلوا
بيوسف ما فعلوا لانهم حسدوا اقبال الاب عليه وتخصيصه بمزيد
الاكرام فامنه عنه وقال لا ملتفت الى ذلك فان الله قد جمع
بينى وبينك الشرائع روى الكلبى عن ابن عباس ان اخوة يوسف
عليه السلام كانوا يعيرون يوسف واخاه بسبب ان نحلتهما
امهما كان تعبد الاصنام فان ام يوسف امرت يوسف بسرقه
خوص فيها اصنام لابيها وكان ان من عادتها اذا فعلها فقال
له ولا تئس بما كانوا يعملون اى من التقبير لنا لما كان عليه جدتنا
والله اعلم ثم قال تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقايه
فى رحل اخيه وقد مضى الكلام فى الجهاز والرحل فاما
السقايه فقال صاحب الكشاف شربه يسقى بها الملك
وهو الصواع وقيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به
وهذا بعيد لان الاناء الذى يشرب فيه الملك الكبير منه لا يصلح
ان يجعل صاعا فقيل كان الدواب يسقى بها ويكال بها الضباء وهذا
اغرب ثم قال بعضهم كانت من فضه مموهه بالذهب وقيل
كانت من ذهب وقيل كانت مرصعه بالجواهر وهذا بعيد لان
الاناء الذى يسقى به الدواب لا يكون كذلك والاولى ان يقال
كان ذلك الاناء شيأ له قيمه اما الى هذا الحد الذى ذكروه لا ثم قال
تعالى ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون اذن الى اعلم وبين
الفرق بين اذن واذن وحكى قال ابن الانبارى اذن معناه اعلم
اعلاما بعد اعلام لان فعل يوجب تكرير الفعل قال ويجوز ان يكون اعلاما

واحدا من قبل ان يعرف فعل معنى افعل فى زادت معناه اعلمت
لا عرف منهما والاذان مخناه البدا والتصويب بالاعلام واما
قوله ايتها العير انكم لسارقون قال ابو الهيثم كما سير عليه من الابل والحمير
والبغال فهو عير وقول من قال العير الابل خاصه يعم والاول
وقيل العير الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجئ وتنزل
هى وقافله الحمير ذكر ذلك حتى قيل نكل قافله عير وجمعها فعل كسقف
وشعف اذا عرفت هذا فقول ايتها العير اصلها اصحاب العير
لقوله ما خبل الله اركبى وقرا ابن مسعود وجعل السقايه على حذف
جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقايه فى رحل
اخيه اصلح حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون
فان قيل هل كان ذلك الاذان بامر يوسف وما كان بامن فان
كان الاول فكيف يليق بالرسول الحق من عند الله ان يبعث
اقواما ويلبسهم الى السرقه كذبا وبهتانا وان كان الثانى وهو انه لما كان
ذلك ناس فهلا اطهرين انهم عن تلك التهمه فلما ذكروا
فى الجواب عنه وجوها الاول انه عليه السلام اطهر لاخيه انه
يوسف فقال له انى احبسك هاهنا ولا سبيل الى ذلك الا بعد الحيله
فان رضيت بها فالامر لك فمضى ان قال ذلك وعلى هذا التقدير لم يتالم
يليه بسبب هذا الكلام محرج عن كونه كذبا والثانى ان المراد
انكم لسارقون ليوسف من ابيه الا انهم ما اطهروا هذا الكلام والمعارض
لا يكون الا ذلك والثالث ان المؤذن انما ذكر ذلك على سبيل الدعا
على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير عن ان يكون كذبا والرابع
ليس فى القرآن انهم قالوا ذلك الذى اعتبر امر يوسف عليه السلام
والاصل فى ظاهر الحال انهم ما فعلوا ذلك بانفسهم لانهم لما طلبوا

متقاربة حاصلها ان الجور لا يدفع القدر المحتم الثاني
قوله من شيء يحتمل النصب بالمفعولية والرفع بالفاعلية امثلة
الاول فهو كقولك ما رايت من احد والتقدير ما رايت احدا كذا
هاهنا وتقدير الآية ان يغني عنهم ما كان يغني من قضاء الله شيا اي ذلك
التفرق ما كان يخرج شيا من تحت قضاء الله واما الثاني فكقوله
ملجا في من احد بتقدير ما لجاني احد فكذا هاهنا التقدير ما كان
يغني عنهم من الله من شيء مع اقتضاء الله اما قوله تعالى الا حاجة
في نفس يعقوب قضاها يعني ان الدخول على صفة التعدد حاجة
في نفس يعقوب قضاها ثم ذكر في نفسه تلك الحاجة وجوها
احدها خوفه عليهم من اصابة العين وما نفاها خوفه عليهم من
حسد اهل مصر وما نفاها خوفه عليهم من ان يقتلهم ملك مصر
بسورا بعها خوفه عليهم من ان لا يردوا عليه وكل هذه
الوجوه مستفادة واما قوله تعالى وانه لذو علم لما علمناه فقال
الواحدي يكون ما مصدرية وانها عائدة الى يعقوب والتقدير
وانه لذو من اجل تعليمنا اياه ويمكن ان يكون بمعنى الذي والهاء
عائدة اليها والتاويل وانه لذو علم للشيء الذي علمناه يعني انا لما علمناه
حصل له العلم بذلك الشيء وفي الآية مسئلتان احداهما ان المراد
بالعلم الحفظ اي وانه لذو حفظ لما علمناه والثانية انه لذو علم بما
علمناه ليقبول ما علمناه وحسن استدلاله وهو اشارة الى كونه عاملا بما
علمناه ثم قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون وفيه وجهان الاول
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة والعلم
والمراد باكثر الناس المشركين فانهم لا يعلمون ان الله تعالى كيف
ارشد وليا الى العلوم التي ينتفعون بها في الدنيا والآخرة والله اعلم ٥

قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال
اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولما جهزهم بجهازهم جعل السقاية
في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا
عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا
به زعيم قال تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين
واجلس كل اثنين على مائدة فبقي يوسف وحده فقال هذا
يوسف حيا الا طلبني معه فقال يوسف بقي لعوكم وحيد واجلسه
معه على مائدته ثم امر ان ينزل كل اثنين منهم في بيت وقال هذا
لاصالة احتبسني واوى اخاه اليه فلما راى تاسفه على اخ له هلك
قال له لعل الله ان يكون اخاك بدل اخيك الهالك فقال من لي بواحد
مثلك ولكنك لم تزل تحسن الي يعقوب ولا اراك فعلت بيوسف عليه السلام
وقام اليه وقال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون واذا عرفت
هذا فنقول اوى اليه اخاه اي انزله في الموضع الذي كان يأوي
اليه وقوله اني انا اخوك فيه قولان الاول قال وهب
انه لم يرد اخ من النسب ولما اراد به اني اقوم مقام اخيك في
الانيابس لما استوحش بالتفرد والصحيح ما عليه سائر المفسرين
من انه اراد بعرفه النسب لان تلك اموى من اراله الوحشة وخضوع
الاسن ولان الاصل في الكلام الحقيقة فلا وجه لصرفه عنها الى المجاز
واما قوله فلا تبتئس بما كانوا يعملون قال اهل اللغة بئس يبتئس من
البؤس وهو الضر والبؤس والابتئاس احلاف الحزن والبؤس
وقوله بما كانوا يعملون فيه وجوه الاول للمراد بما كانوا يعملون
من اذاهم على حسدنا والحرص على انصراف وجه ابينا الثاني
ان يوسف عليه السلام ما بقي في قلبه شيء من العداوة وصار خالصا

ابطال له لان العين وان صح فان الله قادر على دفع والقول
الثالث انه عليه السلام كان علما بان ملك مصر هو ولد يوسف
الا ان الله تعالى لم اذن له في اظهار ذلك فلما وقعت انباه اليه
قال لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقه وكان
غرضه ان يصل سلامتين الى يوسف في وقت الخلوة وهذا قول
ابراهيم النخعي واما قوله وما اغني عنكم من الله من شيء فاعلم
ان الانسان مامور بان يراعي الاسباب المعينة في هذا العالم ومامور
ايضا بان يخبر بانه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى فان الحذر
لا ينجي من القدر فالانسان مامور بالحذر عن الاشياء المهلكة والاعداد
للضمان والسعي في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان
ثم انه بعد ذلك يسعى ان يكون حازما فانه لا يصل اليه الا ما قدره
الله ولا يحصل في الوجود الا ما اراد الله بقوله عليه السلام
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقه هو اشارة
الى رعاية الاسباب المعتبرة في هذا العالم وقوله وما اغني عنكم
من الله من شيء اشارة الى عدم الاعتداد بالحذر والبراءة
عن كل ما يجري الله تعالى وقوله العامل كيف يسأل
الى الجمع بين هذين القولين وجهه السؤال عمن يختصه به وذلك انه لا
نزاع انه لا بد من اقامة الطاعات والاحتراز عن المعاصي والسيئات
مع انا نعتقد ان السعيد من سعد في بطن امه وان الشقي من شقي
في بطن امه فكرارها هنا ما كل ونشرب ونحترز عن السموم
وعن الدخول في النار مع ان الموت والحياة لا يحصلان الا بتقدير
الله فكرارها هنا يظهر ان هذا السؤال ليس مختصا بهذا المقام بل هو
نجيب عن مسئلة الخبز والتربة الحق ان العبد يجب عليه ان يسعى ناصب

الجهد في الفقر بعد ذلك السعي البليغ والجهد الجهيد يعلم ان كل ما
يدخل في الوجود فلا بد ان يكون بعطاء الله ومشيته وسابق حكمه
وحكمته ثم انه تعالى لكي يؤكد هذا المعنى قال ان الحكم الا لله وهو اعلم ان
هذا من اقوى الدلائل على صحة قولنا في القضاء والقدر وذلك لان الحكم
عبارة عن الالزام والمنع ومنه سميت حكمة الدابة بعد الاسم لانها
تمنع الدابة من الجموح كان الفاسد فالحكم انما يسمى حكما لانه يمنع من
احداث في الممكن على الاخص لصحت تصير الظرف الاخر ممتنع الوقوع
فنقول تعالى ان العلم بعدم التغيير ليس الا الله سبحانه وذلك يدل
على ان جميع الممكنات يرجع الى فضله وقدره ومشيته وحكمه اما
بواسطة او بغير واسطة ثم قال عليه توكلت عليه فليتوكل المتوكلون
ومعناه انه لما ثبت ان الكل من الله بيقين انه لا يتوكل الا على الله فهذا
مقام نفيس شريف عال ولقد فرشنا الى هذا المعنى البرهان الخفي والعرائس
رحمه الله قد اطنب في تقرير هذا المعنى في كتاب التوكل من احياء علوم
الدين فمن اراد الاستقصاء فليطالع ذلك الكتاب والله اعلم ۞

قوله تعالى ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني
عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها والله لذو علم لما
علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۞ قال المعتزلة
لما قال يعقوب عليه السلام وما اغني عنكم من الله من شيء صدقه في ذلك
فقال وما كان ذلك الدعوى يعني من الله من شيء ونبه لحسان الخلق
الاول فقال من عنادي ذلك الدعوى ما كان يرد قضاء الله ولا
امر الله وقال الرجاج لو بد ان يصنع لاصابتهم وهم معروفون
كما يصنع وهم مجموعون وقال بن الانباري يكون في علم الله ان
العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم لاجلها عهم وهذه الكلمات

انه سد وامن العين لخوا استصل بالشئ المستحسن فيوصف به كما يوصف الصبح
والسم والنار وان كان مخالفا في وجه الباس لهذه الاشيا
قال القاضي هذا ضعيف لانه لو كان الامر كذلك لوجب ان
يوصف الشخص الذي لا يستحسن كما يوصف الشخص المستحسن
واعلم ان الاعتراض ضعيف وذلك لانه اذا استحسن شيا
فقد يحب بقاءه كما اذا استحسن ولده نفسه وقد يكره بقاءه كما اذا حسن
الحاسد حصول شئ حسن لعدوه فان كان الاول فانه يحصل عند ذلك
الاستحسان خوف شديد من زواله والخوف الشديد يوجب الحصار
الروح في داخل القلب ويحصل فيه سخونة شديدة ولهذا ان عند
الاستحسان القوي يسخن الروح جدا يسخن شعاع العين بخلاف
اذا لم يستحسن فانه لا يحصل هذه السخونة فظهر الفرق بين الصورتين
ولهذا السبب امر الرسول صلى الله عليه وسلم العائن بالوضوء من
اصابة العين بالاغتسال الوجه الثاني قال ابو هاشم
وابو القاسم البلخي لانه استحسان كان للصلحة له في تكليفه ان يفعل الله
ذلك الشخص وذلك الشئ حتى لا يفوت قلب ذلك المكلف
متعلقا به فهذا المعنى عن متمتع ثم لا يعد ايضا انه لو ذكر ربه فالله
سبحانه يعنه ولا يعنه ولما كانت هذه العادة مطردة قيل العين
حتى الوجه الثالث وهو قول الحكما فالواحد الكل الذي
مبني على مقدمة وهو انه ليس من شرط الموثر ان يكون مباشرا بحسب
هذه الكيفيات المحسوسة اعني الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة بل قد يكون الناس نفسانيا محضا ولا يكون للعين
الجسمانية بها تعلق والذي يدل عليه ان الروح الذي يكون قليل
العرض اذا وضع على الارض ودار الانسان على المشي عليه ولو كان

موصوفا

موصوفا من حاد ذي عالم بحيث الانسان عن المشي عليه وادراك
الالم خوفه من السقوط منه يوجب سقوطه منه فعلمنا ان الالم
النفساني موجود وايضا ان الانسان اذا تصور كون فلان موذيا
له حصل في قلبه غضب وسخن مزاجه حدا قويا مثل ذلك السخونة ليس
الا ذلك التصور النفساني ودلائل هذه الحركات البدنية ليس الا
التصورات النفسانية ولما ثبت ان تصور النفس يوثر في بدن الحاسد
لم يبعد ايضا ان يكون بعض النفوس بحيث يسري تاثيرها الى
سائر الابدان وايضا جواهر النفس مختلفة بالماهية فلا يمتنع ان
يكون بعض النفوس بحيث يوثر في بعض بدن حيوان اخر بشرط ان
يراه ويتعجب منه ثبت ان هذا المعنى امر محتمل والتجارب من الزمن
الاقدم شاهدت عليه والنصوص الشرعية نطقت به فعند هذا
لا يبقى في وقوعه شك واذا ثبت هذا ان الذي اطبق عليه المتقدمون
من المفسرين في هذه الاية باصابة العين كلام حق لا يمكن انكاره
والله اعلم القول الثاني وهو قول ابي علي الجبائي ان انبا
يعقوب اشتهر بالمصر وتحدث الناس بهم وبحسنهم وكانهم فقال
لا تدخلوا الملك المدينة من باب واحد على ما اتهم عليه من الحلد والهيئة
ولم يامن عليهم حسد الناس اذ قال لم يامن عليهم ان يحاربهم الملك
على ملكه فخصهم واعلم ان هذا الوجه محتمل لا انكار فيه
الا ان القول الاول اقرب منه لانه لا اضمار فيه بحسب العقل والمفسرون
المطبقون عليه فوجب المصير اليه ونقل عن الحسن انه قال كان على بعض
العين فقال لا تدخلوا من باب واحد وترجع الى علمه فقال وما اغني
عنكم من الله من شئ وعرف ان العين ليست بشئ وكان فيما قاله يعبث
الاية باصابة العين ويقول ليس في قوله وما اغني عنكم من الله من شئ

الذي يوثق به يقول لن ارسله معكم حتى تعطوني عهدا توثقون به وقوله
من الله اي عهدا موثوقا به سبب ما تكيد وما تشهدا لله وسبب
القسم بالله عليه وقوله لتاتنني به فحذف اللام فاضمر الفعل
اما معناه ان المراد بالموثق من الله اليمين وتعدون حتى تحلفوا بالله لتاتني
به وقوله الا ان يحاط بكم فيه قولان الاول قال صاحب الكشاف
هذا استثناء مستكمل بقوله الا ان يحاط بكم مفعول له والكلام
المثبت الذي هو لتاتنني به في تاويل النفي فكان المعنى لا تمنعون
من الاتيان به لعلة من العلل الا لعلة واحدة التعذر الثاني
قال الواحدي للمفسرين فيه قولان الاول ان قوله الا ان يحاط بكم
معناه الهلاك قال مجاهد الا ان تموتوا كلكم يكون ذلك عذرا لعبدي
والعرب تقول احيط بفلان اذا توقع هلاكه قال الله تعالى واحيط
بثمره اي اصابه ما اهلكه قال قطرب انهم احيط بهم واصلة
ان من احاط به العدو واستدف عليه مسالك النجاة وفي هلاكه
سواحيط به والقول الثاني ذكره قتادة الا ان يحاط بكم
الا ان تصيروا مغلوبين مقهورين لا تقدرون على الرجوع ثم قال
تعالى فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل يريد شهيد لا ان
الشهيد كفيل بمعنى انه موكول اليه هذا العهد فاز وفينتم به
جازاكم خير الجزاء ان عدتم به كافاكم ما اعظم العقوبات

قوله تعالى وقال يا بني لا تدخلوا من باب
واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء
ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما علم
ان انه العقوب لما عزموا على الخروج الى مصر وكانوا معروفين
بالكمال والجمال قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب

متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت
وفيه قولان الاول وهو قول جمهور المفسرين انه خاف من العين
عليهم ولهذا هاهنا تقاسيم الاول اما ان العين حق والذي
يدل عليه وجوه الاول وهو الطباق المتقدم من المفسرين
وعلى ان المراد من هذه الاية ذلك والثاني ما روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يعود الحسن والحسين ويقول اعوذ بكلمات
الله التامات من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول
هكذا كان يعوذ ابراهيم اسمعيل واسحق صلوات الله عليهم اجمعين
والثالث ما روي عباد بن الصامت قال دخلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اول النهار فرايته شديد الوجع ثم عدت
اليه اخر النهار فوجدته معافا فقال ان جبريل اتاني فرقاني
فقال بسم الله ارقيك من كل شيء يوذيك ومن كل عين وحاسد
الله يشفيك فقال صلى الله عليه وسلم فانعت الرابع الي
ابي جعفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا علما فاسما فقيل
يا رسول الله ان العين تسرع الينا فاسترقي لها من العين فقال نعم
الخامس دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وعندها
صبي يبكي فقالوا يا رسول الله اصابته العين فقال الا استرقي لها من العين
السادس قوله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شيء سبق القدر
سبقت العين القدر السابع قالت عايشة كان يؤمر العائن ان
يتوضا ثم يغتسل منه المعنى الذي اصيب بالعين القاسم الثاني في الكشف
عن ماهيته فنقول ان ابا علي الجبائي انكر هذا المعنى انكارا بليغا
ولم يذكر في ابطاله شبهة فضلا عن حجة واما الذين اعترفوا
به واقروا بوجوده فقد ذكروا فيه وجوها الاول ان الحاسد

قلنا لوجوه الاول انهم كبروا وما قالوا الى الجب والصلاح
والثاني انه كان شاهدا انه ليس معهم ومن سامهم من الحسد
والحقد مثل ما كان منهم ومن يوسف والثالث ان ضرورة
التخط اجوجته الى ذلك والرابع لعله تعالى اوحى الله ونبي
له حفظه وايصاله اليه فان قيل هل يدل قوله والله حير حفظا
على انه اذن في ذهاب نبيا من في ذلك الوقت قلنا الاكثرون قالوا
يدل عليه وقال آخرون لا يدل عليه وفيه وجهان الاول
انه يجوز ان لا اذن في خروجه معهم لكان في حفظ الله لا في حفظهم
الثاني انه لما اذن ليوسف قال الله خير حفظا ليوسف فلا بد
كان يعلم انه حي ۞ **قوله** تعالى ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا
ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير ۞
اعلم ان المتاع ما يصلح ان يستمتع به وهو عام في كل شيء
ويحتمل ان يراد به ههنا الطعام الذي نحن فيه ويجوز ان يراد به ايضا
الطعام ثم قال وجدوا بضاعتهم ردت اليهم واختلف القول
في ردها قال الاكثرون نقدهم الثمن اذ قال صاحب الكشاف
كسن الدال للدغة نقلت الى الواو كما في قوله قيل وسيق وعلى
نظرت انهم قالوا في قولنا ضرب ضربه في نقل الواو في سكنها
الى الصاد وامّا قوله ما نبغي فقيه كلمة ما قولان الاول
انها للنفي وعلى هذا ففيه وجوه الاول انهم كانوا قد وصفوا
يوسف بالكرم واللطف وقالوا انا قدمنا على رجل في غاية
الكرم انزلنا واكرمنا ولو كان رجلا من آل يعقوب لما فعل
ذلك فقولهم ما نبغي هذه بضاعتنا الذي ذكرناه ولا ذكرنا شيئا

حلوه

لم يكن الثاني انه بلغ في الاكرام الى غاية ما ينبغي وراء هذا شيئا آخر
فانه يقال فلان بالغ في اكرامنا وزاد بضاعتنا الثالث للمعنى
الله رد بضاعتنا التي نعطي لا ينبغي وراء هذا شيئا آخر بعد رد عنا اليه
بضاعة اخرى وهو التي بعناك فيه لنا والقول الثاني
ان كلمة ما ههنا للاستفهام والمعنى انه لما راى انه رد الدراهم
بضاعتهم قالوا ما ينبغي بعد هذا الاعطاء الطعام مرد الينا عن الطعام
على احسن الوجوه فاي شيء ينبغي وراء ذلك واعلم انا اذا حملنا
ما على الاستفهام صار التقدير اي شيء ينبغي بعد هذا الاكرام الرجل
رد دراهمنا الينا واذا حملناه على نفي كلمة ما فالمعنى انا لا نبغي
بعد هذا شيئا ونريد اكيل بعير يسير احيانا قال الاصمعي هان بعير من
الطعام ومنه قال ما عنده حبة ولا مبرة وقوله ونزداد كيل بعير يعني بسماه ان
يوسف عليه السلام كان يكيل لكل رجل حمل بعير فاذا احضر اخونا
فلا بد ان يزداد كيل بعير واما اذا احملنا كله ما على الذي كان
للعزيز لا ينبغي شيئا اخر وهذا بضاعتنا ردت الينا فكيف نمنع الطعام
منا في الذهاب والاياب الثاني ثم نفعل كذا وكذا واما قوله كيل
بعير فيه وجوه الاول قال مقاتل ذلك كيل يسير على هذا
الرجل المحسن وحسن ذكره على الدال وهو احتيار الزجاج والثاني
ذلك كيل يسير اي قصر المدة ليس بسبب قلة ان طول المدة فسبب الحبس
والمانع ثالثها ان يكون المراد ذلك الذي يدفع الملك الينا
احيانا شيء يسير قليل فلا تعتب اخانا معنا حتى نمير اهلنا لعلمك بالكيل
قوله تعالى قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من
الله لتاتنني به الا ان تحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول
وكل اعلم ان الموثق مصدر بمعنى المفعول بمعنى الثقة ومعناه العهد

في العدد القليل والصان في الكثير فوجه البنا الذي للعدد
القليل ان الذين يحملون بها يحملون صاعتهم فيه من رحالهم فان
هذا من باب الامر اذا وجب صونه الاعن العدد القليل ووجه
الجمع الكثير وجب ان يكون الذين يباشرون ذلك العمل
الكثير ٥ المسئلة الثانية اتفق الاكثرون
على ان قوله عليه السلام امر بذلك البضاعة على وجه لا يعرفون ذلك
ومنهم من قال انهم كانوا عارفين به وهو ضعيف لان قوله
لعلهم يعرفونها يبطل ذلك ثم اختلفوا في السبب الذي
لاجله امر يوسف بوضع بضاعتهم في رحالهم على وجوه
الاول انهم متى فتحوا المتاع يوجدوا بضاعتهم فيه علموا ان
ذلك كرم من يوسف وسخا فتحهم ذلك على العود اليه والحرص
على مقابلته الثاني خاف ان لا يكون عندهم عين لان
الزمان كان زمان قحط الثالث راى ان احدهم عن الطعام
من ابيه واخوته مع شدة حاجتهم الى الطعام لئلا يتم الذرائع
قال الفراء انهم متى شاهدوا بضاعتهم في رحالهم ربما ظنوا
انهم وضعوا ذلك البضاعة في رحالهم على سبيل السهو فيردوا
اليها واولادها سارعوا الى الرجوع اليه اورجعوا
ليردوا الملك الى مالكه الخامس اراد ان يحسن اليهم
على وجه لا يلحقهم عيب ولا منه السادس مقصوده ان
يعرفوا انه لم يطلب ذلك الا لاجل الاداء والظلم
ولا طلب زمان في الغد السابع اراد ان يعرف
اباه انه اكرمهم وطلبهم بعد الاكرام فلا يستقل على ابيه ان يسال
اخيه الثامن ومن اراد ان يكون ذلك المال معونة لهم

على شدة الزمان وكان يخاف اللصوص من قطاع الطرق فوضع تلك
الدراهم في رحالهم حتى متى فتحوا متاعهم الى ان يصلوا الى ابيهم التاسع انه
قابل انعامهم في الاصل بمبالغته في الاحسان اليهم ثم ان الله تعالى
حكى عنهم انهم لما رجعوا الى ابيهم قالوا اما انا منع منا الكيل ففيه
قولان الاول انهم لما طلبوا الطعام لابيهم والاخ الثاني الذي عند ابيهم منعوا
منه فقوله منع منا الكيل اسناد اليه والثاني انه منع الكيل
في المستقبل وهو اسناد الى قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل
لكم عندي ولا تقربون والدليل على ان المراد ذلك قوله فارسل
معنا اخانا نكتل فعدل على ان المراد من المنع ما ذكرنا وقال
فارسل معنا اخانا نكتل في احد القراءات بالياء
والباقون بالنون فالقراءة الاولى تقوي القول الاول والقراءة
الثانية تقوي القول الثاني قالوا واما له لحافظون خصوا كونهم
حافظين له فلما قالوا ذلك قال يعقوب عليه السلام هل امنكم عليه
الا كما امنتكم على اخيه من قبل والمعنى انكم ذكرتم مثل هذا الكلام
في يوسف ضممتم لي حفظه حتى قلتم واما له لحافظون ثم انكم ما اتيتم
ذكرتم هذا اللفظ بحسنه فهل يكون حالكم هاهنا الا كما كان حالكم ثمة
فحصل الامان هناك فكذا الحصل ههنا ثم قال تعالى
فالله خير حافظا قرا حمزة والكسائي حافظا بالالف على التمييز
والتفسير على تقدير هو خير لكم حافظا لقولهم هو خير منه رجلا ولله ذره
فارسا وقيل على الحال والباقون حفظا على تمييز الفذ قرا الاعمش
فالله خير حافظ وقرا الوهبي خير الحافظين وارحم الراحمين
وقيل معناه وثقت بكم في حفظ يوسف فكان ما كان فلان ابو كل
على الله في حفظ سائر بنيه فان قيل لم تعتد بهم وقد شاهد ما شاهد

شيخا كبيرا واخا اخر نبقى معه وذكروا ان اباهم لاجل سنه وشدة
حزنه لم يحصروا ان اباهم نبي فحدثه ابنه فلما ذكروا ذلك قال
يوسف فهذا يدل على ان حب ابيكم له اوفر من حبه لكم وهذا شيء
عجيب لانكم مع عالكم وعقلكم ووادتكم اذا كانت محبة ابيكم
لذلك الاخ اكثر من محبته لكم دل هذا على ان ذلك المحبوب في
العقل والفضل والادب فحببوني به حتى اراه فهذا السبب مناسب
والوجه الثاني انهم لما دخلوا عليه واطعامهم الطعام قال
لهم من انتم والوا نحن قوم رعاة من اهل السلم اصابنا الجوع
بحسانتان فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن
اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد وبقي واحد مع الاب
يتسلى به من ذلك الذي هلك ونحن عشرة وقد جيناك قال
فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخ لكم من ابيكم لتبلغ الي
رسالة انبيكم فعند هذا انبعثوا سمعوا واصابه الفزعة
سمعون وكان احسنهم راي في يوسف فلحقوه عند هم والوجه
الثالث لعلهم لما ذكروا انهم قال يوسف فلم تركتموه
وحيدا فربما قالوا اما تركناه وحدا بل بقي عندنا واحد
فقال لهم ولم استخلصهم لنفسه ولرحمته بعد المعنى قالوا لاجل
انه لحسنه اكثر من محبته لسائر الاولاد وعند هذا قال
يوصف لما ذكرتم ان اباكم رجل عالم حليم بعيد عن المحاربة
ثم انه خصه بمزيد المحبة وجب ان يكون زايدا عليكم في
العقل وصفات الكمال مع اني اراكم فضلا على احكما فاشتاقت
نفسي الى رؤية ذلك الاخ فاتوني به والسبب الثاني ذكره المفسرون

والاول

والاول والثالث محتمل والله اعلم ثم انه تعالى حكى عنه انه قال
الا ترون اني اوفي الكيل اي اوفيه ولا انقصه وانزلكم بعد اخذ
لاجل احسنكم وانا خير المنزلين اي خير المضيفين لانه حين انزلهم
احسن ضيافتهم واعلم ان هذا الكلام يصعب بالوجه الذي
ذهب الذي نقلناه عن المفسرين لان مراد ذلك الوجه الى انه
انتهم ونسبهم الى انهم جواسيس ولم يثبتهم من ذلك الكلام
ما لا يليق به ان يقول لهم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير
المنزلين وانتم بعد من يوسف مع كونه صديقا ان يقول
لهم انكم جواسيس وعيون مع انه يعرف براءتهم عن ذلك لان
البهتان لا يليق بحال الصديق ثم قال تعالى فان لم تاتوني
به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وذلك لانهم كانوا في بهاية
الحاجة الى تحصيل الطعام وما كان يمكنهم تحصيله الا من عند
فاذا منعهم من الحضور عند كان ذلك نهاية الزجر والتخويف
ثم انهم لما سمعوا هذا الكلام من يوسف قالوا سنراود عنه اباه وانا
لفاعلون اي سنجتهد ونحتال حتى يذعن من عنده فتى وانا لفاعلون
هذه المراودة والغرض من التكرير التاكيد وتحمل وانا لفاعلون
ان نجتهد به ونحتال وانا لفاعلون كلاما سمعناه في الباب ٥
قوله تعالى وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم
لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى
ابيهم قالوا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل
وانا له لحافظون ٥ في الآية مسائل ٥ المسألة الاولى
قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم لفتيانه بالالف والنون
والباقون لفتيته بالياء من غير الف وهما لغتان كالصبيان والصبية

حسن الذين امنوا وكانوا يتقون يدل على بطلان قول الموجبة الذين
يزعمون ان الثواب يحصل في الاخرة لمن لم يبق له كبائر قلنا
هذا ضعيف لانا ان حملنا اللفظ الخير على التفصيل لزم ان يكون
الثواب الحاصل للمتقين اصلح ولا يلزم ان يحصل لغيرهم اصلا
وان حملناه على اصل الخيرية فهذا يدل على حصول الخير للمتقين
ولا يدل على ان غيرهم لا يحصل لهم هذا الخير والله اعلم
قوله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم
وهم له منكرون اعلم انه لما عم القحط في البلاد ووصل
اثره الى البلد الذي كان يسكنه يعقوب عليه السلام وصعب
الزمان عليهم قال لبنيه ان بمصر رجلا صالحا من الناس فادهبوا
اليه يدر ابلكم وعدوا الطعام فخرجوا اليه مع عشر ودخلوا
على يوسف وصارت هذه الواقعة كالسبب في اجماع يوسف
باخوته وظهور صدق ما اخبر عنه في قوله ليوسف حتى
ما القوه في الجب لينبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون واخبر تعالى
ان يوسف عليه السلام عرفهم وهم ما عرفوه اما
انه عرفهم فلانه تعالى اخبر في قوله لينبئنهم بامرهم هذا انهم يصلون
اليه ويدخلون عليه وايضا الرؤيا التي رآها كانت دليلا
على انهم يصلون اليه ولهذا السبب كان يوسف عليه السلام
منتظرا لذلك الامر وكان كل من وصل الى بابه من البلاد
يفحص عنهم ويتعرف احوالهم ليعرف لزوما ولاي الواصلين
هل هم اخوته ام لا فلما وصل اخوة يوسف الى باب داره
يفحص عن احوالهم تفحصا ظهر له انهم اخوته واما انهم ما
عرفوه فلوجوه الاول انه عليه السلام امر حجابه بان يعرفهم
على

حسن الذين امنوا وكانوا يتقون يدل على بطلان قول الموجبة الذين
يزعمون ان الثواب يحصل في الاخرة لمن لم يبق له كبائر قلنا
هذا ضعيف لانا ان حملنا اللفظ الخير على التفصيل لزم ان يكون
الثواب الحاصل للمتقين اصلح ولا يلزم ان يحصل لغيرهم اصلا
وان حملناه على اصل الخيرية فهذا يدل على حصول الخير للمتقين
ولا يدل على ان غيرهم لا يحصل لهم هذا الخير والله اعلم
قوله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم
وهم له منكرون اعلم انه لما عم القحط في البلاد ووصل
اثره الى البلد الذي كان يسكنه يعقوب عليه السلام وصعب
الزمان عليهم قال لبنيه ان بمصر رجلا صالحا من الناس فادهبوا
اليه يدر ابلكم وعدوا الطعام فخرجوا اليه مع عشر ودخلوا
على يوسف وصارت هذه الواقعة كالسبب في اجماع يوسف
باخوته وظهور صدق ما اخبر عنه في قوله ليوسف حتى
ما القوه في الجب لينبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون واخبر تعالى
ان يوسف عليه السلام عرفهم وهم ما عرفوه اما
انه عرفهم فلانه تعالى اخبر في قوله لينبئنهم بامرهم هذا انهم يصلون
اليه ويدخلون عليه وايضا الرؤيا التي رآها كانت دليلا
على انهم يصلون اليه ولهذا السبب كان يوسف عليه السلام
منتظرا لذلك الامر وكان كل من وصل الى بابه من البلاد
يفحص عنهم ويتعرف احوالهم ليعرف لزوما ولاي الواصلين
هل هم اخوته ام لا فلما وصل اخوة يوسف الى باب داره
يفحص عن احوالهم تفحصا ظهر له انهم اخوته واما انهم ما
عرفوه فلوجوه الاول انه عليه السلام امر حجابه بان يعرفهم
على البعد وما كان يتكلم معهم الا بالواسطة ومتى كان الامر
كذلك لاجرم ما عرفوه لاشتغالهم بالملك وشدة الحاجة
فوجب كون الخوف وذلك يمنع التامل التام الذي عند تحمل
الغرفان والثاني انهم رأوه بعد وفور اللحية وبعد الدرب
والهيبة فانهم رأوه جالسا على سرير وعليه ثياب الحرير وعليه
طوق من ذهب وعلى راسه تاج من ذهب والقوم ايضا شوه
رأيه يوسف لطول المدة بحال ان من وقت ما القوه في الجب
الى هذا الوقت اربعون سنة وكل واحد من هذه الاسباب يمنع
من حصول المعرفة لاسيما عند اجتماعها الثالث ان حسن
الغرفان والذكر لخلق الله تعالى فلعله تعالى ما خلق ذلك الغرفان
في قلوبهم لضعفا لما اخبر عنه من قوله ليسوء بامرهم هذا وهم لا
يشعرون فكان ذلك من مخبرات يوسف ثم قال لما احضر متاعهم
بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل
وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
جهازهم للسفر لئلا يسرقوه وذلك جهاز العروس وكان الجهاز
اليه في وقته قال وسمعت اهل البصرة يسمون الجهاز والكيس
قال الاخفش القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة ليست بجيدة
قال للعسرون حمل البعير وواحدهم بعير واكوم ايضا بالنزول
واعطاهم ما احتاجوا اليه في السفر وذلك قوله تعالى جهزهم بجهازهم
قال لهم ايوبخ بلغ لكم من امكم واعلم انه لا بد من
كلام سابق حتى يكون ذلك الكلام سببا للسؤال يوسف عن حال
اخيهم وذكروا وجوها الاول وهو احسنها ان عادة يوسف
عليه السلام ان كل من جاءه يعطيه حمل لا يزيد ولا ينقص واخوته
الذين دخلوا اليه كانوا عشرة فاعطاهم عشر احمال فقالوا ان لنا ابا

نصب برجمتها من نشأ وفيه فوائد تدل الفائدة الاولى ان
هذا يدل على ان كلام الله قال العاصي ذلك الملك لما لم يتم الا
بامور فعلها الله صار وكانها حصلت من قوله تعالى ۞
الفائدة الثانية انا ندعي ان نفس ذلك الملك انما حصلت
من الله تعالى لان لفظ القرآن يدل على قوله والبرهان القاطع
الذي ذكرناه يقوي قولنا فصرف هذا اللفظ الى المجاز لا سبيل
اليه انه اذا ورد ذلك الملك لمحض المشيه الالهيه والقدره الدافعه
قال العاصي هذه الايه تدل على انه تعالى يجري امر بعده على ما
يقتضيه الصلاح قلنا الايه تدل على ان الامور معلقه بالمشيه
المحضه واما بعد الاصلح فامر اعتبر به انت في نفسك
مع ان اللفظ لا دل عليه قال تعالى انا لا نضيع اجر المحسنين ودلالة
لان اضاعة الاجر اما ان يكون للعجز او للجهل او للبخل والكل
ممتنع في حق الله تعالى فكانت الاضاعه ممتنعه واعلم ان
هذه شهادة من الله تعالى على ان يوسف عليه السلام كان من
المحسنين ولو صدق القول انه حبس من سبعها الاربع لامتنع
ان يقال انه من المحسنين ههنا لزم اما تكذيب الله
في حكمه على يوسف بانه كان من المحسنين وهو عين الكفر او
لزم تكذيب الحشوي بما رأوه وهو عين الايمان بالحق تم
قال تعالى ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون
وفيه مسائل ۞ المسئلة الاولى في تفسير هذه الايه
قولان الاول المراد منه ان يوسف عليه السلام وان
كان قد وصل الى المنازل العاليه والدرجات الرفيعه في الدنيا
الا ان الثواب الذي لعند الله في الاخرة خير وافضل واكمل وجهات

الرجح

الوجيه فقد ذكرناها في هذا الكتاب مرارا واطوارا وحاصل تلك
الوجوه ان الخير المطلق هو الذي يكون نفعا خالصا دائما مقرونا بالتعظيم
وكل هذه القيود الاربعه حاصله في ثواب الاخرة ومفقوده في
الدنيا القول الثاني ان لفظ الخير قد يستعمل لكون احد الامرين
افضل من الاخر كما يقال الخلاف خير من الوفاق وقد يستعمل لبيان
كونه في نفسه حسنا من غير ان يكون المراد منه سوى التفضيل
كما يقال الورد خير من الله يعني الورد خير من الخراء حاصل من الله
اذا عرفت هذا نقول قوله ولاجر الاخرة خير ان حملناه على الوجه
الاول لزم ان يكون ملاذ الدنيا موصوفة بالخير به ايضا
اما ان حملناه على الوجه الثاني لزم ان يقال ان منافع الدنيا
اضاحيات ۞ المسئلة الثانية لا شك ان المراد من
قوله ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون شرح حال يوسف
عليه السلام فوجب ان يصدق فيه انه من الذين امنوا وكانوا
يتقون وهذا يقتضي من الله عز وجل انه كان في الزمن السابق
من المتقين وليس هاهنا زمان سابق ليوسف يصلح الى بيان انه
كان فيه من المتقين الا ذلك الوقت الذي قال الله فيه ولقد همت
به وهم بها وكان هذا شهادة من الله عز وجل انه عليه السلام من
المحسنين وقوله تعالى ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون
عز وجل انه عليه السلام كان من المحسنين وانما قوله انه من
عبادنا المخلصين شهادة من الله عز وجل انه كان من المخلصين
والحاصل الحشوي يقول انه كان من المحسنين ولا شك انه لم يقل قول
الله سبحانه مع هذه الكلمات كان من الاخسرين ۞
المسئلة الثالثة قال العاصي قوله تعالى ولاجر الاخرة

خير الذين اسوا وكانوا اسوف فيه مسايل المسئلة الاولى
اعلم ان يوسف عليه السلام لما التمس من الملك ان يجعله على
خزائن الارض لم يذكر الله تعالى عن الملك انه قال قد فعلت بل الله
سبحانه قال وكذلك مكنا ليوسف في الارض فعاهنا المعروف
قالوا في الكلام محذوف وتقديره فقال الملك فعلت الا ان يمكن
الله له في الارض فذلك على ان الملك فوض ذلك اليه الى ما سال واقول
ما قالوه محسن الا ان هاهنا ما هو احسن منه وهو انه ما حاجه الملك
في عالم الظاهر واما الموتى الحقيقي فليس الا الله تعالى
مكنه في الارض وذلك لان الملك كان يمكنه من القبول
والرد فنسبه قدرته الى القبول والرد على التساوي وما دام
بقي هذا التساوي لم يصح حصول القبول فلا بد وان يرجح القبول
على الرد في خاطر ذلك الملك وذلك الترجيح لا يكون الا من
خلقه الله تعالى وايجاده الله تعالى ذلك الترجيح حصل القبول
لا محاله والتمكين ليوسف في الارض ليس الا من خلق الله
مجموع القدرة والداعية الجازمة التي عند حصولها يجب ان لا
يوجد هذا السبب فقول الله اجابه للملك وانتصر على ذكر
التمكين الالهي لان للموتى الحقيقي ليس الا هو **المسئلة**
الثانية تعالى ان الملك خاتم الملك من اصبعه ووضعه في اصبعه
وقلد سيفه ووضع له سرير من ذهب مكللا بالدر والياقوت
فقال يوسف عليه السلام اما السرير واسريد ملكك واما
الخاتم فادبر به امرك واما الراح فليس من لباسي ولا لباس
اباي وجلس على السرير وداسه المقول وعرض اليه الملك
امر وعول الملك فطفير زوج المراة المعلومة ومات بعد ذلك

وزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال السر هذا خير مما طلبت
فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائم ومنسا واقام العدل بمصر
واحبه الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس
وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في
السنة الاولى وبالحلي والجواهر في السنة الثانية ثم بالدواب
ثم بالضياع ثم بالعقار ثم ترقى بهم حتى استرقهم فقالوا والله ما راينا
ملكا اعظم منك سلمنا نفوسنا وما نملك كل الخلق عبيدك فلما سمع ذلك
قال اني اشهد الله اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم وردت
عليهم اموالهم وكان لا يبيع من احد من طلب الطعام اكثر من حمل
لان لا يصير الطعام عن الناس هكذا رواه صاحب الكشاف
والله اعلم بحقيقة الحال **المسئلة** الثالثة قوله
وكذلك الكاف منصوبه بالفتحة وذلك اشارة الى ما يعلم معنى
به ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه في تعريضه الله من قلب
الملك والخانا اياه من غم الحبس مكنا ليوسف في الارض
منها حيث يشا انفسر لقوله مكنا ليوسف بان يكون بعض
الصفة وبعض اسمها حيث يشا وسواي موضع نصب على الحال
يقدس ومكناه سواء قرا ابن كثير ما يشا بالنون مضافا الى الله
تعالى والباقون بالياء مضافا الى يوسف واعلم ان قوله
سواء حيث يشا يدل على انه صار في الملك بحيث لا يدافعه احد
ولا ينازعه منازع بل صار مستقلا بكل ما يشاء واراد تبين تعالى
ما يوكد ان ذلك من جلبه فقال نصيب برحمتنا من نشاء واعلم
انه تعالى ذكر اولا ان ذلك التمكين من الله لا من احد سواه وهو قوله
وكذلك مكنا ليوسف في الارض ثم اردفه ثانيا بقوله تعالى

اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لاكنه لما قال
له ذلك اخرج عنه بسنه واقول هذا من العجائب لانه لما
تاتى عن الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك على احسن الوجوه
ولما تنازع في ذكر هذا الكلام اخر الله تعالى ذلك عنه
وهذا يدل على ان ترك التصرف والتفويض بالكلية الى الله
اولى ☜ المسئلة الثانية لقائل ان يقول لم طلب
يوسف الامان والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن
سمرة لا تسال الامارة وايضا فكيف طلب الامانة
من سلطان كافر وايضا لم يصبر مدة ولم اظهر الرغبة في طلب
الامانة في الحال وايضا لم طلب امر الخزائن في اول الامر مع
ان هذا يورث فوع فضيحة وايضا كيف صح مدح نفسه مع قوله
تعالى فلا تزكوا انفسكم وايضا ما الفائدة في قوله اني حفيظ عليم
وايضا لم ترك الاستثناء في هذا فان الاحسن ان يقول انى حفيظ عليم
ان شاء الله بدليل قوله ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله فهذه اسئلة سبعة لابد من جوابها فنقول الاصل في جواب
هذه المسائل ان التصرف في امور الخلق كان واجبا عليه فحاز
له ان يتوصل اليه باي طريق كان لقائل ان ذلك التصرف
كان واجبا عليه لوجوه الاول انه كان رسولا حقا من عند الله
تعالى الى الخلق والرسول يجب عليه مصالح الامة بقدر الامكان
والنبي عليه السلام علم بالوحي انه سيحصل القحط والضيق
الشديد الذي ربما افضى الى هلاك شديد فلعله امن تعالى
بان يدبر في ذلك وتاتى بتدبير لاجله تقل مضرة ذلك القحط
في حق الخلق الثاني ان السعي في ايصال النفع الى المستحقين
ودفع الضرر عنهم امر مستحسن في العقول ولذلك ثبت هذا في العقول

انه عليه السلام كان مكلفا برعاية المصالح من هذه الوجوه وما كان يمكنه
برعايتها الا بهذه الطريق وكل ما لابد للواجب الا به فهو واجب فكان
هذه الطريق واجبا سقطت الاسولة الا كلية واما ترك الاستثنا
فنقول الواجب كان ذلك منه حطيه او حب عقوبة وهي انه
تعالى احدث عنه حصول ذلك المقصود بسببه واقول لعل السبب
فيه انه لو ذكر الاستثنا لاعتقد فيه الملك انه انما دلهم لعلمه بانه
لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما سعى لاجل هذا المعنى ترك الاستثنا
واما قوله لم مدح نفسه فجوابه من وجهين الاول لا نسلم انه
مدح نفسه والما سن لانه موصوفا بهاتين الصفتين الفائتين في حصول
هذا المقصود وكان قد غلب على ظنه انه محتاج الى ذكر هذا الوصف
لان الملك وان علم كماله في علوم الدين لكنه ما كان يعلم انه بقي
بهذا الامر ثم نقول هب انه مدح نفسه لا يكون مذموما الا اذا
قصد الرجل به التطاول والتفاخر والتوصل الى غرض عاجل واما
على هذا الوجه فلا نسلم انه محرم وقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم المراد
منه تزكية النفس وهو لا يعلم كونها متزكية والدليل عليه قوله
تعالى بعد هذه الاية هو اعلم بمن اتقى اما اذا كان عالما بانه صدق
فيه مستحق منه والله اعلم ☜ فان قيل ما الفائدة في وصف
نفسه بانه حفيظ عليم قلنا انه جار مجرى ان يقول احفظ الجميع
الوجوه التي منها الرجل والمال عليم بالجهات التي تحتاج ان يصرف
المال اليها او يقال حفيظ لجميع مصالح الناس عليم بوجوه مقابلتها
من الطاعة والخضوع وقد تقدم في سورة الانعام عند قوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا
منها حيث نشا نصيب برحمتنا من نشا ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة

قال ليوسف ثم الى الملك فتطف من درن السجن ولبس الثياب
الطيفه والهيه الحسنه وكتب على باب السجن هذا منازل البلوى
وقبور الاحيا وشماته الاعدا وحسن الاصدقا ولما دخل عليه قال
اللهم انى اسالك بحول من حولك وقوه بعد قلك وقدرتك من غير
ثم دخل عليه وسلم عليه ودعا له بالعبرانيه والاستخلاص طلب
خلوص النيه من شوائب الاشراك وهذا الملك طلب ان يكون
يوسف له وحده وان لا يشاركه فيه غيره لان عادة الملوك
ان ينفردوا بالاشيا النفيسه فعلم الملك انه وحده
وقيل انه اراد ان يقربه روى ان الملك قال ليوسف
ما احب الاواحب ان يسكن فنه الا بني اهلي والاني لانا بجل
معي فقال يوسف اخشا ان اكل معك وانا يوسف بن
يعقوب بن اسحق الذبيح ابن ابراهيم الخليل عليهم السلام ثم قال
فلما كلمه وفيه قولان احدهما فلما كلم الملك يوسف قالوا لان في
مجالس الملوك لاحسن لاحد ان يبدا الكلام وانما الذي يبدا فيه هو
الملك والثاني ان المراد فلم كلم يوسف الملك قبل لما صار يوسف
الى هذا الملك وكان في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنه راه الملك
حدثنا شابا فقال للشراني هذا الذي علم تاويل رويا ي ان السجن
والكهنه ما علموها قال نعم فقدم على يوسف واقبل عليه وقال
اني احب ان اسمع منك يا ويل رويا ي شفاها فاجابه بذلك
الجواب شفاها وشهد قلبه بصحته فعند ذلك قال له الملك
انك اليوم لدينا مكين امين قال ابن عباس ملك عند فلان بمعنى المكانه
اي المنزله وهي حاله تمكن صاحبها مما يريد وقوله امين اي
قد عرفنا امانتك وبراءتك فانسب اليه واعلم ان قوله تكن

ابن

امين كلمة جامعه لكل ما تحتاج اليه من الفضايل والمناقب
وذلك انه لابد في كونه مكينا من القدره والعلم اما القدره
فلان بها تحصل للملك نه واما العلم فلان كونه متمكنا
من افعال الخير لا تحصل الا به اذ لو لم يكن عالما بما ينبغي وبما لا ينبغي
لا يمكنه تخصيص ما ينبغي بالفعل ولا تخصيص ما لا ينبغي بالترك
فثبت ان كونه مكينا لا تحصل الا بالقدره والعلم واما كونه
امينا فهو عبارة عن كونه لا يفعل الفعل لداعي الشهوه وانما يفعله
لداعي الحكمه فثبت ان كونه مكينا امينا يدل على كونه قادرا وعلى
كونه عالما بمواضع الخير والصلاح والفساد وعلى كونه فعل لداعي الحكمه
لا لداعيه الشهوه وكل دليل من كان كذلك فانه لا يصدر عنه فعل
الشر والفساد ولهذا المعنى لما حاولت المعتزله اثبات انه تعالى
لا يفعل القبيح قالوا انه تعالى عالم بقبح القبيح غني عنه وكل من كان
كذلك لا يفعل القبيح قالوا وانما يكون غنيا عن القبيح اذا كان قادرا
واذا كان متمكنا من ذلك علمنا ان وصفه بكونه مكينا
امينا يدل على ما يمكن ان يدل من هذا الباب من خلق تعالى ان يوسف
عليه السلام قال في هذا المقام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ
عليم وفيه مسائل المسئله الاولى قال المفسرون
لما عبر يوسف رويا الملك بين يديه قال له الملك ما ترى ايها الصديق
قال ارى ان تزرع في هذه السنين المخصبه زرعا كثيرا وتبني الخزائن
وتجمع فيها الطعام واجابات السنين المجدبه بقيا العلات فتحصل
بهذا الطريق مال عظيم فقال له الملك ومن لي بهذا الشغل فقال اجعلني
على خزائن الارض اي على خزائن مصر ادخل الالف واللام
على الارض والمراد منه المعهود السابق روى ابن عباس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل

اى ذلك رحمه ربي هي التي توصف بالاستواء كقوله ولا هم يتقدون
الآية من ذلك ○ المسئلة الثالثة ○ اختلف العلماء
ان النفس الامارة بالسوء هي والمحققون قالوا النفس الانسانية
شيء واحد ولها صفات كثيرة فاذا مالت الى العلم الالهي كانت
نفسا مطمئنة واذا مالت الى الشهوة والغضب كانت امارة
بالسوء نفسا لجاجة والسبب فيه ان النفس من اول حدوثها
قد الفت المحسوسات وعشقتها واما شعورها بعالم المتخيرات
وميلها اليه فذلك لا يحصل الا فاذرا في حق الواحد والبعض فلما
كان ذلك التجرد والانكشاف طول عمره في الاوقات الكثيرة فلما
كان الغالب هو انحرافها الى العالم الجسماني فكان ميلها الى الصعود
الى العالم الاعلى نادرا لا جرم حكم عليها بكونها امارة بالسوء من
الناس من زعم ان النفس المطمئنة هي النفس العقلية النظرية
واما النفس الشهوانية والغضبية فمغايرتان للنفس العقلية
والكلام في تحقيق الحق في هذا الباب مذكور في المعقولات
المسئلة الرابعة تمسك اصحابنا في ان الطاعات
والايمان لا تحصل الا من الله بقوله تعالى الا ما رحم ربي قالوا دلت
هذه الآية على ان انصراف النفس عن السوء لا يكون الا من الله
ولفظ الآية شعر فانه من حصلت تلك الرحمة حصل له ذلك الانصراف
سؤال لا يمكن تفسير هذه الرحمة فاعطا العقل والقدرة والالطاف
كما قاله القاضي لان كل ذلك مشترك بين الكافر والمؤمن فوجب
تفسيرها بشيء اخر وهو ترجيح داعية الطاعة على داعية المعصية
وقد بينا ذلك الصارف البرهان القاطع وحينئذ يحصل هذا المطلوب
قوله تعالى وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما

كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض
اني حفيظ عليم في الآيتين مسائل ○ المسئلة الاولى اختلف
في هذا الملك ممن هو فقال هو العزيز ومنهم من قال هو الريان الذي
هو الملك الاكبر وهذا هو الاظهر لوجهين الاول ان قول يوسف
عليه السلام اجعلني على خزائن الارض يدل عليه الثاني ان
قوله استخلصه لنفسي يدل ايضا على انه قبل ذلك ما كان خالصا
له وكان يوسف قبل ذلك خالصا للعزيز فدل على ان هذا الملك هو
الملك الاكبر ○ المسئلة الثانية ○ ذكروا ان جبريل عليه السلام
دخل على يوسف وهو في الحبس وقال قل اللهم اجعل لي من عندك
فرجا ومخرجا وارزقني من حيث لا احتسب فعل الله دعاءه واظهر
هذا السبب في تخليصه من السجن وبعد هذا الكلام ان الملك عظم اعتقاده
في يوسف لوجوه احدها انه عظم اعتقاده في علمه وذلك لانه لما عجز
القوم عن الجواب فقد رهو على الجواب الموافق الذي يشهد العقل
بصحته مال الطبع اليه وثانيها انه عظم اعتقاده في صبره وديانته
وذلك انه بعد ان بقي في السجن سبع سنين لما اذن له بالخروج ما اسرع
الى الخروج بل صبر ووقف فطلب اولا ما يدل على براءة حاله عن
جميع انواع التهم فان الحكم لقوله بالطهارة والبراءة اليق عن
الحرم وخامسها ان الذي رآه في صفة حده في الطاعة واحسانه
في الاحسان الى الدين كانوا في السجن وهذه الامور كل واحد منها
يوجب الاعتقاد في الانسان فكيف مجموعها فلهذا السبب حسن
اعتقاد الملك فيه واذا اراد الله شيئا جمع اسبابه ومرادنا اذا عرفت
هذا فنقول لما ظهر للملك ان هذه الاحوال في يوسف رغب
في ان يتخذه لنفسه فقال ائتوني به استخلصه لنفسي وروي ان الرسول

مصلحه بوجه ما والاقدام على مثل هذه الوقاحه من غير فائده اصلا
لا يليق بواحد من العقلاء فكيف يليق اسناده الى سيد العقلاء وقدوه
الاصفياء مع ان هذه الايه تزيل دلالة قاطعه على ان براءته بما قوله
الجهال والحشويه ○ قوله تعالى وما ابرئ نفسي
ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم في الايه مسائل
المسئله الاولى اعلم ان تفسير هذه الايه يختلف
بسبب اختلاف ما قبلها لانا ان قلنا ان قوله ذلك ليعلم اني لم
اخنه بالغيب كلام يوسف كان هذا ايضا كلام يوسف وان قلنا
ان ذلك من تمام كلام المراه كان هذا ايضا كذلك اما اذا قلنا هذا
كلام يوسف عليه السلام فالحشويه تمسكوا به وقالوا انه لما قال
عليه السلام ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال جبريل ولا حين همممت
بعد هذا قال يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي اي عسى ان ربي غفور للذنب الذي همم به
رحيم اي لو معاقبته لتاب علي واعلم ان هذا الكلام ضعيف فانا
بينا ان الايه المتقدمه برهان قاطع على براءته من الذنب فبقي
ان يقال فما تقولون عن هذه الايه سؤال فنقول ان الجواب عن
انه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كان
ذلك كالمدح لنفسه وتزكيتها وقال تعالى فلا تزكوا
انفسكم واستدرك ذلك على نفسه فقال وما ابرئ نفسي
والمعنى وما اركي نفسي ان النفس لامارة بالسوء مائله الى القبائح
راغبه في المعصيه والوجه الثاني الايه لا تدل البته على
شيء مما ذكروه ودلك لان يوسف عليه السلام لما قال لم اخنه
بالغيب بين ان ترك الخيانه ما كان لعدم الرغبه ولعدم ميل النفس والطبعه

لان

لان النفس امارة بالسوء تواقة الى اللذات فمن بعد الكلام ان ترك
الخيانه ما كان لعدم الرغبه بل لقيام الخوف من الله تعالى اما
اذا قلنا ان الكلام من تمام كلام المراه فنقول وجهان الاول وما
ابرئ نفسي عن مراودته ومقصوده يصدق يوسف عليه السلام في
قوله هي راودتني عن نفسي الثاني انها لما قالت ذلك ليعلم اني
لم اخنه بالغيب قالت وما ابرئ نفسي عن الخيانه مطلقا فلعلي قد خنته
حين احلت الذنب عليه وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
او عذاب اليم وراودته عن نفسه فاستعصم فان قيل ان كان
قائل هذا الكلام هو يوسف فكيف جعله كلاما للمراه
قلنا جعله كلاما ليوسف مشكل لان قوله قالت امراه العزيز الان
حصحص الحق كلام موصول بعضه ببعض الى آخره فالقول بان بعضه
كلام المراه وبعضه كلام يوسف مع تخلل الفواصل الكثيره بين
القولين وبين المجلسين واما جعله كلاما للمراه مشكل ايضا لان قوله
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي لا يحسن الا من
احترز عن المعاصي بتذكر هذا الكلام على سبيل كثير النفس ولا يليق
ذلك بالمراه ○ المسئله الثانيه ○ قوله الا ما رحم
ربي معنى قوله ما في من النفس والنفس الا من رحم ربي وما ومن
كل واحد منهما يقوم مقام الاخر كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم
من النساء وقوله تعالى ومنهم من يمشي على اربع وقوله الا ما رحم ربي
استثناء متصل او منقطع فيه وجهان الاول انه متصل وفي تفسير
وجهان الاول ان يكون قوله الا ما رحم ربي اي الا البعض الذي
رحمه ربي الاوقات رحمه ربي يعني انها كانت بالسوء في كل وقت
الا في وقت العصمه والقول الثاني انه استثناء منقطع اي ذلك رحمه

لفظ الغيبة تعظيما للملك عن الخطاب والا فانه عليه السلام انما قال
ذلك عند عود الرسول اليه لان ذكر هذا الكلام في حضور الملك
سوء ادب هذا السؤال الثالث هذه الخيانة لو وقعت كانت
في حق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم العزيز انى لم اخنه والجواب
قيل المراد ذلك ليعلم الملك انى لم اخن العزيز بالغيب وقيل انه اداء
كان من رسوله فقد خامن بعض الوجوه وقيل ان الساقي لما رجع
الى يوسف وصوفي السجن قال ذلك ليعلم العزيز انى لم اخنه بالغيب
في حرم الكلام بقوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين ولعل المراد منه
انى لو كنت خائنا لما خلصني الله من هذه الورطة وحيث خلصني منها
ظهر انى لست بخائن فهذا ما حضرني في الجواب والله اعلم والقول الثاني ان
قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب كلام امراة العزيز والمعنى
انى ولو اوجدت الذنب عليه عند حضوره لكني ما اوجدت الذنب
عليه عند غيبته اما اولا فلانه وهو في السجن خلاف الحق ثم انها بالغت
في تاكيد هذا القول وقالت وان الله لا يهدي كيد الخائنين
اي لما اقدمت على الكذب والمكر لاجرم انفضحت فانه لما كان
برئا لاجرم طهره الله تعالى منه قال صاحب هذا القول والذي
يدل على صحته ان يوسف عليه السلام ما كان حاضرا في ذلك المجلس
حتى يقال لما ذكرت المراة قولها الآن حصحص الحق انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين فهي تلك الحالة تقول ليوسف ذلك
ليعلم انى لم اخنه بالغيب لم يحتج فيه ان يرجع الرسول من
ذلك المجلس الى السجن ويذكر له تلك الحكاية ثم ان يوسف يقول
ابتداء ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ومثل هذا لو صدر عن الكملاء
الاجنبي ما جاء البته في بيت ولا فظم فعلنا ان هذا من تمام كلام المراة والله اعلم

المسئلة الرابعة هذه الاية دالة على طغيان يوسف
عليه السلام من الوجوه الاول ان الملك لما ان نقل
الى يوسف عليه السلام وطلبه فلو كان يوسف متهما بفعل قبيح وكان
قد صدر منه ذنب وفحش لاستحال بحسب العرف والعادة ان يقال
من الملك ان يبحث عن تلك الواقعة كان ذلك سعيا منه في فضيحة نفسه
وفي جعل الاعداء على ان يذكروا في اطهار عيوبه والثاني ان
الغسل مستحب في المرة الاولى بطهارته ومن اضافه جيد فلم خاص
به وما هذا يشعر ان هذا الملك كريم وفي المرة الثانية فلم خاص الله تعالى
عليه من سوء والثالث ان امراة العزيز اعترفت في المرة
الاولى بطهارته بحيث لا ردته عن نفسه فاستعصم في المرة الثانية
وهي هذه الاية واعلم ان هذه الاية دالة على طهارته من وجوه
اولها قول المراة انا راودته عن نفسه والثاني قوله
وانه لمن الصادقين وهذا اشارة الى انه صادق في قوله هي راودتني
عن نفسي والثالث قول يوسف ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب
والمحشوة يذكرون انه لما قال يوسف هذا الكلام قال جبريل ولا حين همت
وهذا من دقائقهم الحمقاء وما صحت هذه الرواية في كتاب معتمد بل هم
يلحقونها بهذا الموضع سعيا منه في تحريف ظاهر القرآن ورابعها
قوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين يقتضي ان صاحب الخيانة لا يدوم
بنجاح ولو كنت خائنا لوجب ان يفتضح ولما خلصني الله من هذه الورطة
دل ذلك على اني ما كنت من الخائنين وهذا وجه احوط وهو اقوى
من الكل وهو ان في هذا الوقت تلك الواقعة صارت منسية
فاقدامه على قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب مع انه خانه بالعطيم
وجوه الخيانة اقدام على فاحشة عظيمة وعلى كذب عظيم من غير ان يطلبه

المنع لا يجوز واشار بقوله ان ربي بكيدهن عليم الى ما العتص في التوغب في ملك الحيانه وقالها انه استوحش منهن وخوفا من المكر والحيلة في قبح صوره يوسف عند الملك وكان المراد من هذا اللفظ دلك لانه تعالى حكى ان يوسف عليه السلام لما التمس من الملك دلك امر الملك باحضارهن وقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه وفيه وجهان الاول ان قوله اذ راودتن يوسف وان كان صيغته الجمع والمراد منه الواحد لقوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والثاني ان المراد منه خطاب الجماعة مع ما هنا وجهان الاول ان كل واحد منهن راودت يوسف عن نفسه لاجل امراة العزيز واللفظ محتمل لكل هذه الوجوه وعند هذا السؤال فلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء وهذا كما يذكر لما ذكرت في اول الامر في حقه وصوبوا لهن ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم واعلم ان امراة العزيز كانت خاصة وكانت تعلم ان هذه المخاطبات والكفحات انما وقعت بسببها ولاجلها فكشفت عن العطا ورجعت بقول الحق الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وفيه مسائل

المسئلة الاولى هذه شهادة حازمة من تلك المراة ان يوسف عليه السلام براعي جانب امراة العزيز حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فذكر هن ولم يذكر تلك المراة البتة فعرفت للمراة ان ترك ذكرها رعاية لحظها وتعظيما لحاشها واخفا للامر عليها فاراد ت ان تكافيه على هذا الفعل الحسن فلا جرم ازالت العطا والوطا

واعترفت

واعترفت بان الذنب كله كان من جهتها وان يوسف كان منزها عن الكل وذلك في الكتب ان امراة حاتم رجعت الى الماضي فادعت عليه المكر وامر القاضي ان يكشف عن وجهها حتى يمكن الشهود من اقامة الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر بصدقها في دعواها فقالت المراة الان حين الحق الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فشهدوا على اقرارها بذنبها من كل وجه فلهذا قال ذلك ليعلم يوسف المسئلة الثانية قال اهل اللغة حصحص الحق معناه وضح وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس من قولهم حصحص البعير في بروكه اذا تمكن واستقر في الارض قال الاخفش اشتقاقه في اللغة من الحصة التي اماتت الحق من حصه الباطل

المسئلة الثالثة اختلفوا في ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كلام من وفيه اقوال الاول وهو قول الاكثرين انه قول يوسف عليه السلام قال الفراء لا يبعد وصل كلام الساقي بكلام انسان اخر اذا دلت القرينة عليه ومثاله قوله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعز اهلها اذلة وهذا كلام بلقيس ثم قال تعالى وكذلك يفعلون وانما قوله انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه كلام الداعي ثم قال تعالى ان الله لا يخلف الميعاد ثم بنى على هذا القول سؤالات

الاول قوله ذلك اشارة الى الغائب والمراد هاهنا الاشارة الى تلك الحادثة الحاضرة والجواب اجبنا عنه في قوله ذلك الكتاب

وصل ذلك اشارة الى ما فعله من ترك الرسول بسؤال ذلك الذي تعلقته من تركي الرسول انما كان ليعلم الملك اني لم اخنه بالغيب

السؤال الثاني متى قال هذا القول الجواب روي عطا عن ابن عباس ان يوسف لما دخل على الملك قال ذلك فلما ذكر على

الى يوسف وقال لصاحب الملك فاتى يوسف عليه السلام ان
يخرج من السجن الاحزان يكشف امن ويزول التهمة بالكلية
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عجبت من يوسف عجبت من
يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن الفراش العجاف
والسمان ولو لبثت مكانه ما لبثه حتى اسرعت ان يخرج فرج
من السجن ولقد عجب منه حين اتاه الرسول وقال ارجع الى ربك
ولو كنت مكانه ولبث في السجن ما لبث لاسرعت الى الابواب
وبادرتهم الباب واعلم ان الذي فعله يوسف من الصبر
والوقوف الى ان يتحقق الملك من حاله هو الانسب والحزم وبيانه
من وجوه الاول انه لو خرج في الحال ربما كان يبقى في
نفس الملك من تلك التهمة اثر اما اذا التمس الملك ان يتحقق عن
حال تلك الواقعة دل ذلك على براءته من تلك التهمة بالكلية
وخروجه لا يقدر احد على ان يطعنه سلك الرد بله وان يتوسل
بها الى الطعن فيه الثاني ان الاسباب التي تبقى في السجن
اثنى عشر سنة اذا طلبه الملك وامر باخراجه فالظاهر انه
يبادر الى الخروج فحينئذ يخرج منه عرف منه كونه في نهاية
العقل والصبر والثبات وذلك يصير سببا لان يتغلب فيه
البراءة عن جميع انواع التهم وان يحكم بان كل ما نقل فيه كان
كذبا ومحالا الثالث ان الباعث من الملك ان
يتحقق عن حاله من تلك النسوة كان ايضا على شد طهارته اذ
لو كان ظلوما بوجه ما لكان لخزنه ان يذكر ما سبق الرابع
انه حين قال للشراب اذكرني عند ربك فبقي بسبب هذه الكلمة
في السجن بضع سنين وها هنا طلبه الملك فلم يلتفت اليه ولم يتم بطلبه

وربما

وربما اشتغل قلب براءته من التهمة ولعله كان غرضه عليه السلام
لا يبقى في قلبه التفات الى رد الملك وقبوله وكان هذا العمل
حاريا مجرى اللائق لما صدر من الموصل اليه في معرفة ادن ربي
عند ربك ولنظهر انصراف المعنى لذلك الشراب لانه هو الذي
كان واسطة في الحالين معا اما قوله وما سلسله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايدهن وهن مسائل ٥ المسئلة
الاولى قرا ابن كثير والكسائي سئله بغير همز والباقون بالهمز
وهما لغتان ٥ المسئلة الثانية ان هذا الاستفهام
انواع من اللطائف اولها قوله فاسأل الملك ما بال النسوة الاتي
قطعن ايدهن ليعلم براءتي من تلك التهمة الا انه اعتمد على سؤال الملك
عن تلك الواقعة لان لا يسهل اللفظ على ما يجري مجرى امر الملك بالفعل
او فعل وبانها انما يذكر شدته مع انها هي التي بعثته
بسعيها في السجن الطويل بل اقتصر على ذكر مسائل النسوة وبالبناء
ان الظاهر ان اولئك النسوة بسببه الى عمل صحيح وفعل شنيع عند
الملك فاقتصر يوسف عليه السلام على مجرد قوله ما بال النسوة الاتي
قطعن ايدهن وما شكا منهن على سبيل التعريض والتفصيل وقال
يوسف عليه السلام بعد ذلك ان ربي بكيدهن عليم ومعنى المراد
بقوله ان ربي وجهان احدهما انه ضمير الله تعالى فانه هو العالم
لحقيقات الامور والثاني المراد به الملك وجعله ربا للتقلبه
لكونه مربيا له وفيه اشعار الى كون هذا الملك عالما بكيدهن
وذكرهن واعلم ان كيدهن في حقه يحمل وجوها احدها
ان كل واحد منهن لما بلغت في غيبة يوسف في مواقعتها
سيدها على مرادها ويوسف علم ان مثل هذه الخيانة في حق السيد

ان

قوله والمطلقات يتربصن والوالدات يرضعن وانما لحرج الامر
في صوره الخبر للمبالغه في الايجاب بجعل كانه وجد وهو يخبر
عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله وقدروه في سبيله
وقوله دابا قال اصل اللغه الدأب المستمر والدأب استمرار الشي
على حال واحده وهو دأب يفعل كذا اذا استمر في فعله وقد دأب
يدأب دأبا او دراعة منوالله في هذه السنين قال ابو علي
الفارسي الاكثر في دأب الاسكان ولعل الصحيح العكس فيكون
كسمع وسمع ونهر ونهر قال الزجاج والنصب دأبا على
المصدر قال الزجوني دأبا وقيل انه مصدر وقع في موضع الحال بمعنى
مدئبين دائبين او محرزون وكلها الفاظ عن عباس وقوله تعالى
من بعد ذلك عام فيه يعاث الناس قال ابن عباس السبعه
المتقدمه هو الخصب وكل النبع والسبعه الثانيه هو القحط
والقله وهي معلومه من الرؤيا والما حال هذه السنه فما حصل
في ذلك العام شيء يدل عليه بل حصل ذلك من الوحي فكانه عليه

السلام ذكر انه تحصل بعد السبعه المخصبه والسبعه المجدبه
سنه مباركه كثر الخير عن النبع وعن عباد وزال الله عنا سنه
فان قيل لما كانت العجاف سبعا دل على ان الشبع المجدبه لا يزيد
على هذا العدد من المعلوم ان الحاصل بعد انقضاء القحط هذا
الخصب فكان هذا القدر من مدلولات المنام فلم قلتم انه حصل بالوحي
والالهام قلنا ذهب ان بعض القحط بالخصب معلوم من
المنام اما تفصيل الحال فيه وهو قوله فيه يعاث الناس وفيه
يعصرون لا يعلم الا بالوحي قال ابن السكيت عاث الناس
يعيثون عيثا اذا تركت بها العيث وقد عمت الارض يعاث
وقوله يعاث الناس معناه يمطرون ويجوز ان يكون من قولهم
اعاثه الله اذا انقذه من كرب او غم ومعناه يعقد الناس منه من
كرب الجدب وقوله وفيه يعصرون اي يعصرون السمسم دهنا
والعنب خمرا فالرسول ينا وهذا يدل على ذهاب الجدب
وحصول الخصب والخير وقيل معناه يمطرون من العصر
السحابه اذا اعتصرت بالمطر ومنه قوله تعالى وانزلنا من
المعصرات ماء ثجاجا والله اعلم ﴿ قوله تعالى ﴾
وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم
قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا
عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم
وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين
قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الارض
يتبوأ منها حيث يشاء نصيبنا برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين
ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه
فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من ابيكم
ألا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون قالوا سنراود عنه ابا وانا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا
الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون
قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو
ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا
ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير
ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا
ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا
تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء
ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب
قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على
يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش
وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد
احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني
من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في
الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ذلك من انباء الغيب نوحيه
اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكأين من آية في
السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا
وهم مشركون افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم الساعة بغتة
وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان
الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل
القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار
الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد
كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان
في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الر تلك آيات الكتاب المبين انا
انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا
اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني
رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص
رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك
يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب
كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم حكيم لقد كان في
يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن
عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه
ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه
في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا يا ابانا مالك لا
تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون
قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاءوا
ابا هم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا
فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه
بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من
الزاهدين وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او
نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله
غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما
وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد
همت به لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من
عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني
عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من
الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه
قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري
لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن
نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن
واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه
اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت
فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره
ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وان
لا تصرف عني كيدهن اصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف
عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه
حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر
اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من
المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما
مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون
واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء
ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي
السجن ءأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر ألا
تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن
اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي
الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني اراني سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني
في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام
بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فأرسلون يوسف
ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا
فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد
يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن
اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز
الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم
اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي
فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني
حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيبنا برحمتنا
من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم
قال ائتوني بأخ لكم من ابيكم ألا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان
لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه ابا وانا لفاعلون
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم
لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا
اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من
قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ
اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من
الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم
من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في
نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما
دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد
جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من
بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم
الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات
والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ذلك من
انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين
وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن
اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي
اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين
لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي
بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الر تلك آيات الكتاب
المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما
اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا
ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني
لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين
وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل
يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم حكيم لقد
كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا
ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم
وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه
في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا يا ابانا مالك لا
تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون
قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاءوا
ابا هم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا
فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه
بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من
الزاهدين وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او
نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله
غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما
وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد
همت به لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من
عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني
عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من
الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه
قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري
لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن
نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن
واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه
اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت
فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره
ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وان
لا تصرف عني كيدهن اصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف
عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه
حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر
اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من
المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما
مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون
واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء
ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي
السجن ءأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر ألا
تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن
اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي
الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني اراني سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني
في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام
بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فأرسلون يوسف
ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا
فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد
يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن
اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز
الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم
اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي
فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني
حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيبنا برحمتنا
من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم
قال ائتوني بأخ لكم من ابيكم ألا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان
لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه ابا وانا لفاعلون
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم
لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا
اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من
قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ
اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من
الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم
من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في
نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما
دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد
جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من
بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم
الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات
والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ذلك من
انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين
وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن
اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي
اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين
لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي
بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الر تلك آيات الكتاب
المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما
اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا
ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني
لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين
وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل
يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم حكيم لقد
كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا
ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم
وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه
في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا يا ابانا مالك لا
تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون
قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاءوا
ابا هم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا
فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه
بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من
الزاهدين وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او
نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله
غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما
وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد
همت به لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من
عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني
عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من
الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه
قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري
لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن
نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن
واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه
اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت
فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره
ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وان
لا تصرف عني كيدهن اصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف
عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه
حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر
اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من
المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما
مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون
واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء
ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي
السجن ءأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر ألا
تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن
اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي
الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني اراني سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني
في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام
بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فأرسلون يوسف
ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا
فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد
يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن
اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز
الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم
اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي
فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني
حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيبنا برحمتنا
من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم
قال ائتوني بأخ لكم من ابيكم ألا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان
لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه ابا وانا لفاعلون
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم
لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا
اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من
قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ
اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من
الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم
من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوك

ان رؤيا الملك من قسم الاضغاث تراجعوا انتم عن علم المنع بعبر هذا
القسم فكانهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة من اشياء كثيرة وما كان
كذلك فنحن لا نعتقد انها صادقة ولا نخلط علمنا بها وفيه ايهام ان
الكامل في هذا العلم والمسحور منه قد يعتقد انها صادقة هذا لمقاله
لانه كان يعتقد فيه كونه مسحورا في هذا العلم والله اعلم ۞
قوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا
انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف اعلم ان الملك لما سالهم عن
الرؤيا واعترفوا بالعجز عن الجواب قال الشرابي
ان في السجن رجلا كان العلم كنذ الطاعة فصت انا والخباز
عليه منامين فذكر لنا فاولها وصدق في كل ذلك وما اخطا
في حرف فان اذنتموني جئت بالجواب فهذا هو
قوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة سنوتي سيجي
تفسير ادكر عند قوله تعالى فنسي من ذكر في سورة القمر
قال صاحب الكشاف وادكر بالدال هو الفصيح وعن الحسن
وادكر بالدال اي بدكر وامتا الامة فقد وجوه الاول
بعد حين وذلك لان الحين لما حصل عند اجماع الامام الكثير
كان الامة لما حصل عند اجماع الجمع العظيم والحين كانه
امة من الايام والساعات والليالي فهو العقل بعد
امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال الشاعر
ثم بعد الفلاح والملك والامه وارلم هناك العبور
والمعنى وادكر بعد ما انعم الله عليه بالنجاة البالغة
فهو بعد امة اي بعد نسيان يقال امه اذا نسي والصحيح انها
بمعنى المدة وذكر انه سمع سنوتي للجمع وحاصل الكلام انه اما ان
يكون

يكون المراد وادكر بعد النسيان فان قبل قوله وادكر
بعد امة يدل على ان الذي هو الشرابي وانهم يقولون ان الذي
هو يوسف قلنا قال بن الانباري ادكر بمعنى ذكر
واخبر فهذا الامر على سوق الانسان فلعل الساقي انما يذكر الملك
خوفا من ان يكون ذلك ادكارا لذنبه الذي حبسه عليه فترك
للبشر ويحتمل ايضا ان يقال حصل النسيان ليوسف عليه السلام
ودخل ايضا ذلك الشرابي واما قوله فارسلون خطاب للملك
والجمع او للملك وحده على سنن التعظيم اما قوله يوسف
ايها الصديق والصديق هو المبالغ في الصدق وصفه بهذا الوصف
لانه لم يعرف عليه كذبا وقيل انه صدق في تعبير الرؤيا
وهذا يدل على انه من اراد ان يتعلم من احد شيئا فانه يجب عليه
ان يعظمه وان يخاطبه بالالفاظ المستقرة بالاجلال ثم انه
اعاد السؤال يعني اللفظ الذي ذكره الملك لعلي ارجع الى الناس
فان تعبير الرؤيا قد يختلف باختلاف الالفاظ كما هو مذكور في
ذلك العلم ثم قال تعالى لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون المراد
لعلي ارجع الى الناس بسؤالك لانه راى في السجن رجلا يعبر
المفسر عن جواب هذه المسئلة فخاف ان يعبر صوابا فيسقط عنه
فلهذا السبب قال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون ۞
قوله تعالى قال تزرعون سبع سنين دابا فما
حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك
سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي
من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ۞ اعلم
انه عليه السلام ذكر تفسير الرؤيا فقال تزرعون وهو خبر بمعنى الامر

رحم الله اخي يوسف لولا الكلمة التي قالها لما لبث في السجن
هذه المدة الطويلة تمسكي الحسن وقال لحسني اذا تاول هذا امر
تضرعنا الى الملاء ثم قوله تعالى وقال الملك
اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات ما ذكر الملا افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا
تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن باويل الاحلام بعالمين
اعلم انه تعالى اذا اراد شيئا هيا اسبابه وللهذا فرج يوسف
عليه السلام رؤيا ملك مصر في اليوم سبع بقرات سمان خرجن
من نهر وابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان
ورأى سبع سنبلات خضر واخر يابسات فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها فجمع الكهنة وذكروا لهم وهو المراد
من قوله ما ايها الملا افتوني في رؤياي وقال للقوم هذا مخلطه
ولا بد على تفسيرها بعد اظهار الاحلام وفيه مسائل

المسألة الاولى قال الليث العجف ذهاب السمن
والعقل يقال عجف يعجف والذكر اعجف والانثى عجفاء والجمع
عجاف في الدواب والاناث وليس في كلام العرب لعل
وفعلاء جمعها على فعال غير اعجف وعجفاء لانهما يعتقبان
ومن عادتهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض
واللام في قوله للرؤيا على صلة النعت ويجوز ان تكون للتعليل متعلقة
على الفعل وقال صاحب الكشاف يجوز ان يكون للرؤيا خبر
كان كما تقول كان ملك لهذا الامر اذا كان متعلقا به متكنا
منه وتعبرون خبرا خر او حال وتقال عبرت الرؤيا اعبرها
عبارة وعبرا اذا فسرتها وعلى الاخرى ان هذا ما حود من العبر
وهو جانب النهر والمعنى عبرت النهر والطريق نطقته الى الجانب

الاخر

وقيل لعابر الرؤيا عابر لانه سامل معاني الرؤيا فتفكر
في اطرافها وينتقل من احد الطرفين الى الاخر والاضغاث جمع
الضغث والضغث هو الحزمة من النبت والحشيش شرط ان يكون
مما قام على ساق واستدل قال الله تعالى وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا يحنث اذا عرفت هذا فنقول قالوا ان كانت
مخلوطة من اشياء غير متشابهة كانت بسببها بالضغث
المسألة الثانية انه تعالى جعل هذه الرؤيا سببا لخلاص
يوسف عليه السلام من السجن وذلك ان الملك لما راى ذلك ولم
واضطرب نفسه لانه سامها ان الباقي الضعف استولى على
الكامل فشهدت فطرته بان هذا امر عظيم وبه مقترن بنوع
من انواع الشر الا انه ما عرف كيفية الحال فيه والنبي اذا صار
معلوما من وجه ومخفي من وجه اخر عظم سوف النفس الى
تمام تلك المعرفة وثبوت الرعب في اتمام الناقص لا سيما اذا كان
الانسان عظيم الشباب واسع المملكة وكان ذلك التي ذا الاعلى
الشر من بعض الوجوه فبهذا الطريق قوى الله داعية ذلك الملك
بتحصيل العلم بتفسير هذه الرؤيا وانه تعالى صير المعبرون الذين
حضروا عند ذلك الملك في تحصيل العلم بتفسير هذه الرؤيا وانه
تعالى صير المعبرون الذين حضروا عند الملك عن جواب هذه المسئلة
وعماه عليهم ليصير ذلك سببا لخلاص يوسف عليه السلام من
تلك المحنة واعلم ان القوم لما عجزوا عن التفسير لم يتهم عالمين
بعلم التعبير بل قالوا ان علم التعبير على قسمين منه ما يكون الرؤيا
مشكلة مشتبهة فيسهل يجوز الاشتمال من الامور المتخيلة الى
الحقائق العقلية الروحانية ومنه ما يكون مختلطا مضطربا
ولا يكون فيها ترتيب معلوم وهو المسمى بالاضغاث فالقوم قالوا

من قال القول الاول اولى لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال
يرحم الله يوسف لولم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن
وعن قتادة ان يوسف عوقب بسبب رجوعه الى غير الله تعالى
وعن ابراهيم النخعي انه لما انتهى الى باب السجن قال له صاحبه ما احاك
قال ان يذكرني عند ربك قيل ما ليوسف الحذر من دون
وكيلا لا طلبن حيلة كي يوسف وقال طول البلاء انساني ذكر المولى
فقلت هذه الكلمة ويل لاخوتي قال صنف الكتاب محمد بن عمر
الرازي اراه الله برهانه ولقاه رضوانه والذي حرسته من اول
عمري الى الحين ان الانسان كلما عمل امرا من الامور على غير الله صار
ذلك سببا للبلاء والمحنة والشدة والفتنة واذا عول العبد على الله تعالى
ولم يرجع الى احد من الخلق حصل ذلك المطلوب على احسن الوجوه
وهذه التجربة قد اسمرت لي من اول عمري الى هذا الوقت الذي
بلغت فيه الى السبع والخمسين وعند هذا اسمر قلبي على انه لا مصلحة
للانسان في التعويل على شيء سوى الله واحسان الله ومن الناس
من رجح القول الثاني لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك
الرجل اولى من صرفها ليوسف الصديق عليه السلام ولان
الاستعانة بالعباد في التخليص من الظالمين جائز واعلم ان
الحق هو القول الاول وما ذكره هذا القائل الثاني يشك في ظاهر
الشريعة ومن كان له ذوق في مقام العبودية وشرب من مشرب
التوحيد عرف ان الامر كما ذكرناه وايضا في لفظ الآية ما يدل
على ان هذا القول ضعيف لانه لو كان المراد ذلك لقال
فانساه الشيطان ذكر يوسف المسئلة الثانية ان
الاستعانة بغير الله في دفع الظالمين في الشريعة لا انكان عليه

عليه الا انه لما كان مستندا الى المحقق في بحار العبودية لا جرم
صار يوسف عليه السلام مؤاخذا وعند هذا قول الذي يعتبر
مؤاخذا بهذا القدر لا يصير مؤاخذا بالاقدام على طلب الزاد وكاباه
الاحسان بالاساءة اولى فلما رأينا الله تعالى واخذ يوسف بهذا
القدر ولم يؤاخذ في تلك الغصة البتة وما عاتبه بل دل على عظم
وجوه المدح والثناء عليه انه عليه السلام كان من زهاد الله الجهال
والحشوية المسئلة الرابعة الشيطان لا يقدر
واما النسيان فلانه عبارة عن ازالة الشيء عن القلب والشيطان
لا قدرة له على ذلك والا لكان قد ازال معرفة الله تعالى من
قلوب بني آدم وجوابه انه يمكنه وسوسته بدعوة
الى سائر الاعمال والاشتغال والاشتغال بسائر الاعمال
يمنعه من استحضار ذلك العمل والعلم وتلك المعرفة المسئلة
الخامسة قوله فلبث في السجن بضع سنين وفيه لطائف اللغة قال
الاول قوله فلبث في السجن اللبث فيه حبس اللغة قال
الزجاج اشتقاقه من رصعت بعني ولصقت وسمي الملصق
العدد فقال العرب لا يذكرون اكثر من تسع عشر او عشرين الى
التسعين وذلك يقتضي ان يكون محصوصة بما بين البلاثة الى التسعة
قال وهكذا وجدنا العرب يقولون وما رأيتهم يقولون بضع
وما نقل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه كم البضع
قالوا ما دون العشر واتفق الاكثرون على ان المراد ببضع سنين
سبع سنين قالوا وانما ذكر يوسف عليه السلام حين قال ذلك الرجل
اذكرني عند ربك قال ابن عباس لما تضرع يوسف عليه السلام
لذلك الرجل كان قد قرب وقت خروجه فاذكره ذلك لانه في
السجن بعد سبع سنين وروى الحسن روى قوله صلى الله عليه وسلم

عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين فيه
مسائل ٥ المسئلة الاولى اختلفوا في ان القائل الموصوف
بالطن هو يوسف او الناجي فعلى الاول كان المعنى وقال للرجل الذي
ظن يوسف عليه السلام كونه ناجيا وعلى هذا القول فيه وجهان
الاول ان نحمل هذا الظن على العلم والنص وهذا اولى لانه
عليه السلام انما ذكر ذلك التعبير بناء على الوحي قال الغايلي ورد
لفظ الظن بمعنى اليقين في القرآن قال تعالى انهم ملاقو ربهم وقال
تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه والثاني ان نحمل الظن على حقيقته
وهذا اولى لانا انه عليه السلام ذكر ذلك التعبير لا بناء على الوحي
بل على الاصول المذكورة في ذلك العلم وهي لا تفيد الا الظن والقول
الثاني ان هذا الظن صفة الناجي فان الرجلين السائلين ما كانا موسى
بن يوسف ورسالته ولكنهما كانا يحسنان الاعتقاد فيه
فكان قوله في حقهما لا يبعد ان يحرد الظن المسئلة
الثانية ٥ قال يوسف عليه السلام للملك الرجل الذي حكم
بانه يخرج من السجن ويرجع الى خدمة الملك اذكرني عند ربك اي
عند الملك والمعنى اذكر عني الى مظلوم من جهة اخوته لما اخرجوني
وباعوني وانه مظلوم في هذه الواقعة الى اجلها حبس فهذا
هو المراد من الذكر ثم قال تعالى فانساه الشيطان ذكر
ربه فلبث في السجن بضع سنين وفيه قولان الاول راجع
الى يوسف والمعنى ان الشيطان انسى يوسف ان يذكر ربه
وعلى هذا القول فيه وجهان الاول انه راجع الى يوسف
ويعزى ان تمسكه بغير الله شرك عليه ونقص من مرتبة
الاولى ان مصلحته كانت لا ترجع من تلك الواقعة الى احد من

المخلوقين

الخلوقين وان لا يعرض حاجته على احد سوى الله تعالى فان يقتدي
بجده ابراهيم عليه السلام فانه حين وضع في المنجنيق حين مر الى
الهواء جبريل وقال هل من حاجة فقال اما اليك فلما وضع يوسف
الى المخلوق لاجرم ان الشيطان انساه ذلك التعويض وذلك التوحيد
ودعاه الى عرض الحاجة الى المخلوقين كما وصفه بذلك ربي
انه بقي كذلك السبب في السجن بضع سنين وحاصل الامر ان رجوع يوسف
الى المخلوق صار سببا لامور احدها انه صار سببا لقاء المحنة عليه
مدة طويلة الوجه الثاني ان يوسف عليه السلام قال
في حال الاديان ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
ثم انه هاهنا اثبت دنا عين حيث قال اذكرني عند ربك وعاد
الله ان تعالى انه حكم عليه بكونه ربا لكونه الغالب حكم عليه بالربوبية كما
يقال في الدار رب البيت لان الملك لفظ المربوبية عليه
حسب الظاهر فناقض لفظ الارباب الوجه الثالث انه
قال في تلك الاية ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وذلك نفي الشرك
على الاطلاق وفوض الامر بالكلية الى الله تعالى وهاهنا التجا
الى غير الله كما لنا فض كذلك التوحيد واعلم ان الاستعانة بالناس
في دفع الظلم جائز في الشريعة الا ان خواص الابرار يسيئ المقربين
يعدها وان كان جائزا العامة الخلق الا ان الاولى بالصديق ان يقطعوا
نظرهم عن الاسباب الوجه الثالث في تاويل الاية ان يقال
سبب انه توجه لغير الله وطلب من ذلك الناجي ان يسعى حاله
عند الملك الا انه كان من الواجب عليه انه لا يحكي ذلك الكلام من
ذكر الله مثل ان يقال نسي ذلك العبد ان يذكر يوسف للملك حتى
طال الامر ولبث في السجن بضع سنين لهذا السبب من الناس

ان هذه الاصنام الهة العالم بمعنى انها هي التي خلقت العالم الا انها
مطلق عليها اسم الالهة وتعبدها وتعظمها لاعتقادنا ان الله امرنا
بذلك وما اجاب الله تعالى عنه فقال اما تسميتها بالالهة فبما امر الله
بذلك ولا امر الله في حصول هذه التسمية حجة ولا برهانا ولا دليلا
ولا سلطانا وليس لغير الله الحكم واجب القبول ولا امر واجب
الالتزام بل الحكم والامر والتكليف ليس الا لله تم انه امر الا نعبد الا
الاياه وذلك لان العبد نهاية التعظيم والاجلال فلا يليق
الا بمن حصل منه الخلق والاحسان والعقل والرزق والهداية ونعم
الله كلي وجهاز احسانه الى الخلق عرفت هذه الاشياء قال والذي يدل
على ان هذه الاشياء لا تعلوق وتفسير ان
يقال دوران الحوادث الارضية الى الاتصالات الفلكية والمناسبات
الكوكبية لاجل انه تقرر في العقول ان الحادث لا بد له من
سبب فاذا اراد ان يعرف السبب في ارباع الفلك وتطوا الفصول
الاربعة تحركه الشمس لما شاهدوا ان حركة الشمس احوال
النبات والحيوان تختلف باختلاف الفصول الاربعة بعد الطوق
علت على طباع اكثر الخلق ان الذي يحدث الحوادث في هذا العالم
هو الشمس والقمر وسائر الكواكب ثم انه تعالى اذا اوقف اسبابا
حتى يترتب من هذه الاسباب وعرف انها في ذواتها وصفاتها
مفتقرة الى موجد مبدع قاهر قادر حكيم عليم وذلك التخلص
يكون في غاية القوة فلهذا قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون
قوله تعالى اما على السخر لاحد كما فيسقى ربه خمرا
واما الاخر فتصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اعلم انه عليه السلام لما قرر التوحيد والنبوة عاد الى الجواب

عن

عن السؤال الذي ذكراه والمعتبر هو امر وذلك لان الساقي لما نفى رؤياه
على يوسف وقد ذكر انه لم يقف عليه قال له يوسف ما احسن ما رايت
حسن اما الجملة فهو حسن مالك واما الاعتبار اللائق فهو ان
ايام بوجه الملك اليك عند انقضاء من فيرد الى عملك فتصير كما
كنت مل احسن وقال للخباز لما قص عليه ستة ما رايت الا
اللائق ملامه ايام بوجه الملك اليك بعد انقضاء من فيصلبك وتاكل الطير
من راسك ثم نقل في التفسير انهما لما راى انه تعالى قضى الامر الذي
فيه تستفتيان وحلف فما احله فالاولى ان يقال انهما سالا عما
لا دليل لهما على ذلك الجواب فالاولى ان يقال ان مثل هذا الجواب
الذي ذكر يوسف دليل مبنا على الوحي من قبل الله تعالى او مبني على علم
التعبير الاول باطل لان من عاين يقل انه لما ذكر على سبيل
التعبير وايضا قال الله تعالى وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني
عند ربك ولو كان التعبير مبنيا على الوحي كان الحاصل منه القطع والتفي
لا الظن والتخمين والتالي باطل فالمقدم مثله بيان ان علم التعبير مبني على الظن
والحساب والقضاء هو الالزام الجزم والحكم الذي لا يكتفي فيه الجزم
والقطع على الظن والحساب الجواب لا سعدا نهما سالاه
عن ذلك الحكم صدقا فيه او كذبا فان الله تعالى اوحى اليه ان عابر منهما
كل واحد منهما يكون على الوجه المخصوص فلما قبل الوحي بذلك
العبير عن ذلك السوال وقع في الظن انه دلكن على مثل التعبير
ولا سعدا يضا ان يقال انه بنى ذلك الجواب على علم التعبير وقوله
قضي الامر الذي فيه تستفتيان ما عنى به ان الذي دبر في حقي
لا محالة يكون حكمه في تعبير ما قالاه عنه ذلك الذي دبر في حقي
قوله تعالى وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني

فقوله ارباب اشارة الى الكثرة فحصل في مقابلته كونه تعالى
واحدا وقوله متفرقون اشارة الى كونها مختلفة في الكبر والصغر
واللون والشكل وكل ذلك انما يحصل بسبب المباحث
والصنائع تحت على تلك الصور بقوله متفرقون اشارة الى كونها
مقهورة عاجزة وحصل في مقابلتها كونه تعالى قهارا فهذا
الطريق الذي شرحناه اشتملت هذه الاية على هذين النوعين
الطاهرين الحجة الثالثة ان كونه تعالى واحدا يوجب عبادته
لانه لو كان ثمة من يعلم من الذي خلقنا ورزقنا ويعطينا ويدفع
الافات عنا وقع الشك في انا نعبده هذا ادراك وبديهة اشارة
الى ما يدل على فساد القول بعبادة الاوثان وذلك لان
يقدر ان يحصل المشاهدة على كونها مانعة ضارة الا انها لكنها
فحينئذ لا نعلم ان نفعنا ودفع الضرر عنا حاصل من هذا الصنم او
من ذاك الاخر او حاصل بمشاركتهما وحينئذ يقع الشك في ان
المستحق للعبادة هل هو هذا ام ذاك اما اذا كان المعبود واحدا
ارتفع هذا الشك وحصل التيقن بانه لا يستحق للعبادة الا هو
ولا معبود للمخلوقات والكائنات الا هو وهذا ايضا وجه
لطيف مستنبط من هذه الاية الحجة الرابعة
ان نقدر ان نشاهد على ان هذه الاصنام تنفع وتضر على ما
يقوله اصحاب الطلسمات الا انه لا يرتاب في انها تنفع في اوقات
مخصوصة وبحسب اذكار مخصوصة وعند شرائط مخصوصة
اما الاله تعالى فانه تعالى قادر على جميع المقدورات
فهو قهار على الاطلاق فكان الاستدلال بعبادته اولى
الحجة الخامسة وهي مبنية عليه وذلك لان شرط القهار

ان

ان لا يقهره احد سواه وان يكون هو قاهرا لكل ما سواه وهذا
يقتضي ان يكون الاله واجب الوجود لذاته اذ لو كان ممكنا
لكان مقهورا لا قاهرا ويجب ان يكون واحدا اذ لو حصل فيه
الوجود تمانعا احر كان قاهرا لكل ما سواه فالاله لا يليق الا ذاك
واحدا لذاته فكان واحدا فاذا كان المعبود يجب ان يكون كذلك
فهذا يقتضي ان يكون الاله شيئا غير الفلك وغير الكواكب وهي
ارباب متفرقون وهي ليست موصوفة بانها قهارة وكذا القول
في الطبايع والارواح والعقول والنفوس فهذا الحرف الواحد كاف
في اثبات هذا التوحيد المطلق وانه تعالى قال فهذا مجموع الدلايل
المستنبطة من هذه الاية مع ان فيها سؤالات السؤال
الاول لم سماها اربابا وليست كذلك الجواب لاعتقادهم
فيها انها كذلك وايضا الكلام خرج على سبيل الفرض والتقدير لو سلمنا
انه لو حصل منها ما لوحد الخير فهي خير ام الله الواحد القهار ثم قال
تعالى ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها انتم وابائكم ما انزل الله
بها من سلطان وفيه سؤال وهو انه تعالى قال فيما قبل هذه الاية
ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وذلك يدل على وجود
هذه المسميات ثم قال عقيب تلك الاية ما تعبدون من دونه الا اسما
سميتموها وهذا يدل على ان المسمى غير حاصل وسائر من وجب
الاول ان ذوات الاصنام وان كانت موجودة الا انها غير موصوفة
بصفات الالهية هو النور الاعظم فان الدلايل انما دلت على
على وجود تلك الانوار وصار قول القائل بانها موجودة كقول المشتغل على
العرش وبعدونه وهذا المتخيل غير موجود البتة فصح انهم لا يعبدون
الا محض اسما والعلم ان حاصله من بعد الاصنام قالوا الجن لا تقول

الله على الايمان ام لا فان قلت لا فقد خالفت الاجماع وان
سكوته فكيف يستكن على ما لس فعلا له تعالى شكرا نا اشكر لاجل
انه تعالى اعطانا القدرة والعقل والالة فيجب علينا ان نشكره
تعالى اعطا القدرة والالة فاما ان يسكن على الايمان مع ان الايمان
ليس فعلا له وذلك باطل فصعب الكلام على يسر فدخل عليهم تمامه
بن الاخرس وقال انا لا اسكر الله على الايمان بل الله يشكرنا
عليه كما قال تعالى فاولئك كان سعيهم مشكورا فقال يسر لما صعب
الكلام سهل والمسلم ان الذي الزمه تمامه باطل بعض هذه
الوجوه وذلك لانه تعالى بين ان علم الاشراك من فضل الله ثم
بين ان اكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة وانما دل على سبيل
الذم فدل هذا على انه يجب على كل مومن ان يشكر الله على نعمة
الايمان وجهد يقوى الحجة وتكمل الدلالة قال القاضي قوله
ذلك ان جعلناه اشارة الى الشكر والتوحيد وهو من فضل الله
تعالى لانه انما حصل بالطافه وتسهيله ويحتمل ان يكون اشارة الى
البعثة والجواب ان ذلك اشارة الى المذكور السابق وذلك
هو الاشراك وهو حسن يمكن ان يكون من الاشراك من فضل الله تعالى
والقاضي يصرفه الى الالطاف والتسهيل فكان هذا تركا للظاهر
واما صرفه الى البعثة فبعيد لان اللفظ الدال على الاشارة
يجب صرفه الى امر قد تقدم للمذكور وهو هاهنا علم الاشراك
قوله تعالى ما صاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله
الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها انتم وابائكم
ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك
الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون في الآية مسائل

المسألة

المسألة الاولى قوله ما صاحبي السجن يحتمل انه لما حصلت معرفتها
في السجن مدة قليلة اضيفا اليه واذا كانت المعرفة القليلة سببا
من كونه صاحبا من عرف الله طول عمره واحقه طول عمره اولى
بان يسمى عليه اسم للمومن العارف المحب هذه المسألة
الثانية دلت على ان عليه السلام لما ادعى النبوة في الآية الاولى
فكان اتيانه بالنبوة مبنيا على اثبات الالهية لان حرم شرع في هذه
الآية في تقرير الالهية ولما كان اكثر الخلق معترفين بوجود
الاله العالم القادر وانما الشان في انهم يعبدون اصناما على ضد
الاوامر الالهية ويعبدونها ويتوقعون حصول النفع والضر منها
لاجرم كان سعي الانبياء اكثر في الزام الناس المنع من هذا وكان الامر على هذا
القانون في زمان يوسف فلهذا السبب شرع ما ضافي ذكر
مسائل على فساد القول بعبادة الاصنام وذكر انواعا من الحجج في
قوله ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وتقرير هذه الحجة
ان نقول ان الله تعالى من اكمل الالهة يجب الخلل والفساد
في هذا العالم وهو قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فكون كذلك
الاله يوجب الخلل والفساد وكون الاله واحدا يقتضي حصول
انتظامه وحسن ترتيبه فلما فرغ هذا في مسائل الاصول قال يا صاحبي السجن ارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار والمراد منه الاستفهام على
سبيل الانكار والحجة الدالة ان هذه الاصنام معبودة الاعاملة
ومقهورة لا قاهرة وان الانسان اذا اراد كسرها وابطالها قدر عليه
فهي مقهورة لا ناصر لها ولا يمنع حصول مضرة ولا مستغنة من جهتها
والاله العالم تعالى قادر على ايصال الخيرات ودفع الشرور والآفات
فكان المراد هذه الالهية المقهورة الزائلة خير ام الله الواحد القهار

بتعليم الله تعالى ثم قال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالاخرة هم كافرون وفيه مسايل ○ **المسئلة الاولى**
لقائل ان يقول قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله يوم
انه عليه السلام كان في هذه الملة فيقول الجواب وجوه
الاول ان التزل عبارة عن عدم التعرض للشيء وليس من شرطه
ان يكون قد كان حاصلا فيه والثاني وهو الاصح ان يقال
انه عليه السلام كان حسابهم بحسب زعمهم واعتقادهم الفاسد
ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والايمان خوفا منهم
ثم انه اظهر في هذا الوقت فكان هذا جاريا مجرى ترك
ملة اولئك الكفار بحسب الظاهر ○ **المسئلة**
الثانية ○ تكرير لفظهم في قوله تعالى وهم بالاخرة هم كافرون
لبيان اختصاصهم بالكفر ولعل انكارهم للمعاد كان اشد من
انكارهم للمبدا فلاجل مبالغتهم في انكار المعاد كرر هذا اللفظ
للتاكيد واعلم ان قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله اشارة الى علم المبدا وقوله وهم بالاخرة هم كافرون اشارة
الى علم المعاد ومن تامل في القرآن المجيد وتذكر في دعوة الانبياء
عليهم السلام علم ان المقصود من ارسال الرسل وانزال
الكتب صرف الخلق الى الاقرار بالتوحيد وبالمبدا وبالمعاد
وان ما ورا ذلك غير مهم قال واتبعت ملة اباي ابراهيم
واسحاق ويعقوب وفيه سوالات **السوال الاول**
ما الفايدة في ذكر هذا الكلام الجواب انه عليه السلام
لما ادعى النبوة وتحدى بالمعجز وهو علم الغيب قرر به كونه
من اهل النبوة وان اباءه وجدوا كانوا انبياء الله فان الانسان متى

ادعى

ادعى حرفة ابيه وجده لم يستبعد ذلك منه وانضاف اليه ان درجة
ابراهيم عليه السلام واسحق ويعقوب كان امرا مشهورا في الدنيا فاذا ظهر
انه ولدهم عظموه ونظروا اليه بعين الاجلال فكان اتباعهم لدلالته
وتاثير كلامه اكمل **السوال الثاني** لما كان
الامر كذلك فكيف قال اتبعت ملة اباي والنبي لا بد وان يكون مختصا
بشريعة نفسه فلما لعل مراده التوحيد الذي لا تغير وايضا لعله كان
رسولا من عند الله الا انه كان على شريعة ابراهيم **السوال**
الثالث لم قال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وحال الناس وقت
التكليف كذلك الجواب ليس المراد نفوله ما كان لنا انه حرم ذلك
عليهم بل المراد انه تعالى طهره وطهر اباءه عن الكفر ونظيره قوله تعالى
ما كان لله ان يتخذ من ولد **السوال الرابع** ما الفايدة
في قوله من شيء الجواب ان اصناف الشرك كثيرة منهم من يعبد
الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من يعبد العقل والنفس والطبيعة
فقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء رد على كل هذه الطوائف
والفرق وارشاد الى الدين الحق وهو انه لا موجد الا الله ولا خالق الا
الله ولا رازق الا الله ثم قال ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس
وفيه مسايل ○ **المسئلة الاولى** انه قال ما كان
لنا ان نشرك بالله من شيء ثم قال ذلك من فضل الله علينا وعلى
الناس وفيه بقوله ذلك اشارة الى ما تقدم من عدم الاشراك وهذا
يدل على ان عدم الاشراك وحصول الايمان من الله ثم بين ان الامر
كذلك في حق نفسه وفي حق الناس ثم بين ان اكثر الناس لا يشكرون
وحسن ان يكون المراد انهم لا يشكرون نعمة الله على الايمان حتى
ان واحدا من اهل السنة دخل على بشر بن المعتمر وقال هذا يستحر

نقل هذا الاشكال ويقوي هذه المطالعه واذا وقفت الروح على
حاله من هذه الاحوال نزلت اثار مخصوصه مناسبه لتلك
الاحوال والروح الى عالم الخيال والمعبر يستدل بتلك الامور
الخياليه على تلك الاحوال الروحانيه فهذا كلام مجمل وتفصيله مذكور
في الكتب والشريعه موكده له روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الرؤيا ثلثه رؤيا الحديث الرجل بنفسه ورؤيا الحديث
من الشيطان وهذا التقسيم صحيح في العلوم العقليه وقال صلى الله عليه وسلم
رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوه ○
قوله تعالى قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما
بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحاق
ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله
علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون في الآيه
مسائل ○ المسئله الاولى اعلم ان المذكور في هذه
الآيه ليس بجواب لما سألا عنه فلا بد هاهنا من بيان الوجه
الذي لاجله عدل عن ذكر الجواب الى هذا الكلام والعلماء ذكروا
فيه وجوها الاول انه كان الغالب على السائلين انه تصلب ولا يشك
انه متى سمع ذلك عظم حزنه واشتد تعبه من سماع هذا الكلام
فرأى ان الصلاح ان يقول قبل ذلك ما يوثر معه تعلم وكلامه
حتى اذا اجابهما بعد ذلك خرج جوابه ان سن ازدحته
في العلم اعلا واعظم مما اعتقدوا فيه وذلك لانهم طلبوا منه علم
التعبير ولا شك ان هذا العلم مبني على الظن والتخمين فبين لهما
انه يمكنه الاخبار عن الغيوب على سبيل القطع واليقين
مع عجز كل الخلق عنه واذا كان الامر في علم التعبير اولى

فكان

فكان المقصود من ذكر تلك المقدمة تقرير كونه قائما في علم
التعبير وايصال العالي ما يرتفع اليه عين الثاني قال السدي
لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما
لعله عليه السلام لما علم انهما اعتقدا فيه وقبلا قوله فاورد عليهما ما
دل على كونه رسولا من عند الله قال الاشتغال باصلاح مهمات
الدين اولى من الاشتغال باصلاح مهمات الدنيا الخامس لعله
عليه السلام لما علم ان ذلك الرجل سيصلب اجتهد في ان يدخله
في الاسلام حتى لا يموت على الكفر ولا يستوجب العذاب الشديد
وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة السادس قال
لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله ممول على التعطف والمعنى
لا يأتيكما طعام الا اخبرتكما اي بطعام هو وكم هو وكيف يكون عاقبته
اي اذا اكله الانسان هو يفيد الصحة او السقم وفيه وجه آخر
قيل كان الملك اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما فارسله
اليه فقال يوسف عليه السلام لا يأتيكما طعام الا اخبرتكما
ان فيه سما ام لا فهذا هو المراد من قوله الا نبأتكما بتأويله وحاصله
انه راجع الى الاخبار عن الغيب وهو خبر محض قول عيسى عليه السلام
واذكركم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فالوجوه اللائقة الاول
التعبير انه ما توسع في علم الوجوه اللائقة للاخبار التعبير كونه مستمدا
من علم الله تعالى مع انه لم تتقدم ادعاء النبوه قلنا انه وان لم يتقدم
ذكر ذلك لكن يعلم انه لا بد وان يقال انه كان قد ذكر ايضا في قوله
ذلكما مما علمني ربي وفي قوله واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحق ويعقوب
ما يدل على ذلك ثم قال ذلكما مما علمني ربي اني لست اخبركما
على جهة الكهانة والنجوم وانما يوحي من الله سبحانه وتعالى حصل

صاحب شرابه رفع اليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمه وطن
ان الاخر يساعده عليه فتى فى الايه سؤالات السؤال
الاول كيف عرفنا انه عليه السلام عارف بالتعبير الجواب
لعله عليه السلام سالهما عن خبرهما وعمهما فذكرا ذلك او اتيا فى المنام
ويحتمل انهما رايا ذلك وقد اطلع بمعرفته مامور بان منه ايه بتعبير الرؤيا
فعند ذكر الله ذلك السؤال الثانى كيف عرف عرف
انهما عدوان للملك الجواب لقوله فيسقى ربه خمرا اى مولاه
ولقوله اذكرنى عند ربك السؤال الثالث كيف عرف ان
احدهما كان صاحب طعام الملك والاخر صاحب شرابه والجواب
رؤيا كل واحد منهما يناسب حرفته لان احدهما راى انه يعصر الخمر
والاخر كان يحمل فوق راسه خبزا السؤال الرابع كيف
وقعت رؤيا الغلام الجواب فيه قولان الاول ان يوسف
عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله انى اعبر الاحلام فقال احد
الفتيان للمحترف العبد العبرانى برويا واله فقالا ان من عبران يكونا
رئاسيا الماجا التجربة على القول الثانى قال مجاهد
كانا قد رياحتى ادخلا السجن رويا فاتيا يوسف فسالاه فقال
الساقى انى رايت كانى فى بستان فاذا اصل حبلة حسنة فيها
ثلاثة اغصان عليها اثلاثة عناقيد من عنب فجعلتها وكان كاس
الملك فعصرتها فيه واسقيت الملك فسر بذلك فقوله
انى ارانى اعصر خمرا وقال صاحب الطعام انى رايت كانى
فوق راسى ثلاث سلال فيها خبز والوان الاطعمة واذا سباع
الطير تنهش منها فذلك قوله تعالى وقال الاخر انى ارانى
احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه السؤال الخامس

كيف عرف يوسف ان المراد من قوله انى ارانى اعصر خمرا رؤيا المنام
الجواب لوجوه احدها انه لو لم يعتقد النوم كان ذكر قوله اعصر
بعينه عند ذكر قوله ارانى والثانى دل عليه قوله بتاويله
السؤال السادس كيف يفعل عصر الخمر الجواب فيه
ثلاثة اقوال احدها ان يكون المعنى اعصر عنبا خمرا اى العنب الذى
يكون عصيره خمرا فحذف المضاف والثانى ان العرب تسمى الشئ باسم
ما يئول اليه اذا الكيف للمعنى ولم تلبس تقولون فلان يطبخ دبسا
وهو يطبخ عصيرا والثالث قال ابو صالح ان عمان يحمون العنب
بالخمر فوضعته اللفظة الى اهل مكة فتطقوا بها قال الضحاك
نزل القران بالسنة العرب السؤال السابع ما معنى التاويل
فى قوله سنبئك بتاويله الجواب تاويل الشئ مما يرجع اليه وهو
الذى يؤول اليه احد ذلك الامر السؤال الثامن المراد من
قوله انا نراك من المحسنين الجواب من وجوه الاول معناه انا نراك
من المحسنين الى اهل السجن بتعبير الاحلام والثانى يكارم الاخلاق وجميل الافعال وقيل انه كان يعود مرضاهم
ويوقر كبيرهم فقالوا انك من المحسنين فى حق الشركاء والاصحاب وقيل
انه كان فى سوء الملوك على الطاعات من الصوم والصلاة فقالوا
انك من المحسنين فى امر الدين ومن كان كذلك فانه يعبر فيما يقوله
فى تعبير الرويا وسائر الامور وقيل المراد انا نراك من المحسنين
فى علم التعبير وذلك لانه لما عبر لم يخط كما قال وعلمنى من تاويل
الاحاديث السؤال التاسع ما حقيقة علم التعبير الجواب
القران والبرهان وذلك انه قد ثبت انه سبحانه خلق جوهر النفس
اللطيفة تحت هذه السماء الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة اللوح
المحفوظ وللمانع لها من ذلك اشتغالها بتدبير البدن فوقت النوم

المغفر ومتى كان الامر كذلك فقد قويت الدواعي في الفعل وضعفت
الدواعي في الترك فطلب من الله تعالى ان يخلق في قلبه انواعا
من الدواعي المعارضة للدواعي المقوية لداعي المعصية لو لم يحصل هذا
المعارض لحصل الترجيح للوقوع في المعصية فالباعث بعارضه
وذلك يوجب وقوع الفعل وهو المراد من قوله اصب الهمز
واكرز الحاصلين ٥ قوله تعالى ثم بدا لهم
من بعد ما رأوا الايات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان
قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني فوق
راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين
في الآية مسائل ٥ المسئلة الاولى اعلم ان
زوج المراة ظهر له براءة يوسف فالاحرى ان يعرض له واحتالت
المراة بعد ذلك لجميع الحيل حتى حمل يوسف على موافقتها على مرادها
على مرادها ما لطفت يوسف اليها فلما ايست منه احتالت في
طريق اخر وقالت لزوجها ان هذا العبد العبراني فضحني في الناس
بقوله لهم اني راودته عن نفسه وانا لا اقدر على اظهار عذري فاما
ان تاذن لي فاخرج واعتذر واما ان تحبسه فعند ذلك وقع في قلب
العزيز ان الاصلح حبسه حتى يسقط عن الناس ذكر هذا الحديث
وحتى تقل الفضيحة فهذا هو المراد من قوله بدا لهم من بعد ما رأوا
الآيات فان قد القميص من دبر وجميع الوجوه والقرائن الحكم
اما هو انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ودلت انه ظهرت
هناك انواع اخر من الآيات تبلغ مبلغ القطع ولكن القوم سكتوا
عنها سعيا في اخفاء الفضيحة ٥ المسئلة الثانية
قوله تعالى بدا لهم فعل وفاعله في هذا الوضع ليسجننه فهذا

هو

هو الكلام المقتضي اسناد الفعل الى فعل آخر لان النحويين اتفقوا على
ان اسناد الفعل الى الفعل لا يجوز فاذا قلت خرج ضرب لم تقل البته
بعد هذا فالواقع في تقدير الكلام ثم بدا لهم سجنه الا انه اقيم هذا الفعل
مقام ذلك الاسم والجواب حمل الفعل مجرى عنه لا يجوز
وليس لاحد ان يقول الفعل خبر فجعل الخبر مخبرا عنه لا يجوز لانا نقول
الاسم قد يكون خبرا كقولك زيد قائم فعلم اسم وخبر فعلمنا ان كون
الفعل لا يمنع كونه مخبرا عنه بل نقول في هذا الباب فنكون احدهما
انا اذا قلنا ضرب فعل فالمخبر عنه بانه فعل هو ضرب فالفعل صار
مخبرا عنه فان قالوا المخبر عنه هو هذه الصيغة فهذه الصيغة
اسم فنقول فعلى هذا التقدير يلزم ان يكون المخبر عنه بانه اسم
لا فعل وذلك كاذب بل نقول المخبر عنه بانه فعل ان كان
فعلا فقد صح ان الفعل يصح الاخبار عنه وان كان اسما كان
معناه انا اخبرنا عن الاسم بانه فعل ومعلوم انه باطل وفي هذا
الباب مباحث عميقة ذكرناها في كتبنا المطولات ٥
المسئلة الثالثة قال اصل اللغة الحين وقت
من الزمان غير محدود يقع على القصير منه وعلى الطويل قال ابن عباس
رضي الله عنه يريد الى انقطاع المقال وما شاع من الفاحشة
ثم قيل الحين هاهنا خمس سنين وقيل بل سبع سنين وقال مقاتل
بن سليمان حبس يوسف اثنى عشر سنة والصحيح ان هذه المقادير
غير معلومة واما القدر المعلوم انه بقي محبوسا مدة طويلة لقوله
تعالى ودخل معه السجن فتيان هاهنا محذوف والتقدير لما رأوا
حبسه حبسوه وحذف ذلك لدلالة قوله ودخل معه السجن فتيان
قيل هما غلامان للملك الاكبر مصر احدهما صاحب طعامه والاخر

لو وقع في السجن وفي الصغار ومعلوم ان التوعد بالصغار له تأثير عظيم
في حق من كان رفيع القدر عظيم الخطر مثل يوسف عليه السلام وقوله
وليكونا من والكتاي تعقان على وليكونا بالالف وكذلك
قوله لسجنه قوله تعالى قال رب السجن احب الي
مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين
اعلم ان المراد لما قالت لئن لم تفعل ما امره ليسجنن وليكونا
من الصاغرين وسائر النسوة سمعن هذا التهديد فالظاهر انهن
اجتمعن على يوسف وقلن له لا مصلحة لك في مخالفة امرها والا وقعت
في السجن وفي الصغار فعند ذلك اجتمع في حق يوسف عليه السلام
انواع من الوسوسة احدها ان ترك الجاه كالتنجي عليه الحبس
والثاني انها على عزم ان تذل الكل ليوسف بعد ان يساعدها
على مطلوبها الثالث ان النسوة اجمعن وكل واحدة
منهن كانت فرعت وتحرقت بطريق اخر ومكر النساء
هذا الباب شديد الرابع انه عليه السلام كان خائفا
من شرها ومن اقدامها على قتله واهلاكه فاجتمع في حقه
جميع صفات الترغيب على موافقتها وجميع جهات التخويف
على مخالفتها فخاف عليه السلام ان توثر هذه الاسباب الكثيرة
فيه واعلم ان الفوق البشرية والطاقة الانسانية لا تفي
بحصول هذه الغصة الفوية فعند هذا التجا الى الله وقال
رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وقوى السجن بالسجن على
المصدر وهو سؤالان السؤال الاول السجن في عايته
المكروهة وما دعته اليه في عايته المطلوبة فكيف قال
المشقة احب الي من اللذة والجواب ان تلك اللذة كانت

تستعقب آلاما عظيمة وهي الذم في الدنيا والعقاب في الاخرة
وذلك المكروه وهو اختيار السجن كان يستعقب سعادات عظيمة
وهي المدح في الدنيا والعفاف في الاخرى فلهذا السبب كان السجن احب
اليه مما دعته اليه السوال الثاني ان حبه لها معصية
كما ان الزنا معصية فكيف يجوز ان يحب السجن مع انه معصية
والجواب بتقرير الكلام أنه لا بد من التزام احد الامرين اعني الزنا
والسجن وهذا ولي لا بد متى لزم التزام احد فسمن كل واحد منهما عرفا
حقه اولاهما بالتحمل ثم قال والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن
واكن من الجاهلين بمالي صبا الى اللهو وصبوا صبوا اذا مال احتج
اصحابنا بهذه الاية على ان الانسان لا يصرف عن المعصية الا اذا صرفه
الله تعالى عنها قالوا لان هذه الاية تدل على انه ان لم يصرفه الله
عن ذلك الفعل وقع فيه وتقرير ان القدرة والداعي الى الفعل والترك
ان استويا امتنع الفعل لان الفعل رجحان لاحد الطرفين ومرجوحه
للطرف الاخر وحصولها على استوا الطرفين جمع بين النقيضين وهو
محال فان حصل الرجحان في احد الطرفين فذلك الرجحان ليس
من العبد والا لذهبت المرايب الى غير النهاية فالصارف عن
عن جعله مرجوحا لانه متى صار مرجوحا صار ممتنع الوقوع لان
الوقوع رجحان فلو وقع زاد المرجوحية لحصل الرجحان على حصول
المرجوحية وهو يقتضي حصول الجمع بين النقيضين وهو محال
ثبت بهذا ان انصراف العبد عن المعصية ليس الا من الله تعالى ولكن
تقرير هذا الكلام من وجهين احدهما انه كان يحصل في حق يوسف
جميع الاسباب المرغبة في المعصية وهو الانتفاع بالمال والجاه
والتمتع بالمطعوم والمنكوح وحصل في الاعراض عنها جميع الاسباب

تنبيه لعدد ذلك المراد عند النسوة والجواب قد سبق ○ المسئله
الخامسه ○ القايلون بان الملك افضل من البشر احتجوا بهذه
الايه قالوا لانه لا يمكن ان يراد بكون هذا الكلام في معرض تعظيم يوسف
عليه السلام فوجب ان يكون اخراجه من البشريه وادخاله
في الملكيه سببا للتعظيم شانه واعلا مرتبته وانما يكون الامر
كذلك لو كان للملك اعلا حا من البشر ثم نقول لا نعلم انا
ان يكون المقصود بيان كمال حاله في الحسن الظاهر وبيان
كمال حسنه الباطن هو الخلق الباطن والاول باطل
لوجهين الاول انهن وصفنه بكونه كريما وانما يكون
كريما بحسب الاخلاق الباطنه لا بحسب الخلقه الظاهره
والثاني انا نعلم بالضروره ان وجه الانسان لا يشبه وجوه
الملايكه البته انما لونه بعد من التهوه والغضب معرضا
عن الالات الخمسه متوجها الى عبوديه الله مستغرق القلب
والروح فيه فهو مشترك فيه بين الانسان الكامل وبين الملايكه
اذا ثبت هذا فنقول تشبيه الانسان بالملك في الامر الذي
حصلت المشابهه فيه على سبيل الحقيقه اولى من تشبيهه بالملك
فيما لم تحصل فيه المشابهه البته فثبت ان تشبيه يوسف
بالملك في هذا الباب انما وقع في الخلق الظاهر لا في الصوره
الظاهره وثبت انه متى كان الامر كذلك وجب ان يكون الملك
افضل من الانسان في هذه الفضايل فثبت ان الملك افضل
المسئله السادسه ○ لغه اهل الحجاز اعمال
ما عمل ليس بها ورد قوله ما هذا بشرا ومنها قوله
ما هن امهاتهم ومن قرا على لغه بني تميم قرا ما هذا بشر وهي قراه

ابن

ابن مسعود وقرى بشرى اي ما هو بعبد مملوك لبشراى هذا
الاملك كريم يقال ما هذا بشري اي ما استري بمعنى هذا لك
بشراء وبكراء والقراه المعتبره هي الاولى لموافقتها المصحف ولمقابله
بشر بملك ○ قوله تعالى قالت فذلكن الذي
لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره
ليسجنن وليكونا من الصاغرين ○ اعلم ان النسوه لما
قلن في امراه العزيز قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين عظم
ذلك عليها فجمعتهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن فعند ذلك
ذكرت انهن اللوم احق لانهن بنظره واحده لحقهن اعظم مما لحقها
مع انها كونه عندها فان قتل فلن قالت فذلكن الذي
كان خاطر الجواب من وجوه الاول قال ابن الانباري
اسارت بصنعه ذلك الى يوسف بعد انصرافه من المجلس والثاني
هو الاصح كان صاحب الكساء وهو احسن ما قيل فيه ان النسوه
كن قلن انها عشقت عبدها الكنعاني فلما راينه ورين من ذلك
قالت هذا الذي رايتموه هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه
يعني انكن لم تصورنه لحق صورته فلو حصلت في حالكن صورته
لتركتن هذه الملامه واعلم انها اظهرت عذرها عند النسوه
في شدة محبتها له كشفت عن حقيقه الحال فقالت ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم واعلم ان هذا تصريح بانه عليه السلام
كان يريد من تلك المهمه وعن السدي انه قال فاستعصم بعد
حل السراويل وما ادري ما الذي حمله على الحاق الرياد الناس الكاطله
بعض الكتاب ثم قال تعالى ولئن لم يفعل ما امره به ليسجنن وليكونا من
الصاغرين والمراد ان يوسف عليه السلام ان لم يوافقها على مرادها

الحدس تلك السكين بعينها فكانت تفصل الحراحه بكفها

المسئله الرابعه اتفق الاكثرون على ان هذه الآيه تدل على حسن الحال الفائق والحسن الكامل قيل كان فضل يوسف عليه السلام على الناس كفضل القمر ليله البدر على الكواكب ومن الى صلى الله عليه وسلم مرت بيوسف ليله اسرى بي عرج بي منها الى السماء قلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف رايته قال كالقمر ليله البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى بالنور وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه الله هذا القول هو الذي اعتمد عليه وعندي انه يحتمل وجها آخر سوى هذه الوجوه وهو ان نقول انه لما رأى عليه نور النبوة وعلم الرسالة قابلها بالخضوع والانابة وشاهد فيه معاني الهيبة الملكية وفي علم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكمال الحال العظيم تقرونا سلك الهيبة والهيبة محسن من تلك الحاله فلا جرم اكبرنه وعظمنه ووقع الرعب والمهابه في قلوبهن وعندي ان حمل هذه الآيه على هذا الوجه اولى فان قيل فاذا كان الامر كذلك فكيف يطبق على هذا الدليل قولها ذلك الذي لمتنني فيه فكيف تصور هذه الحاله عندها مع ان الحب في قوة العشق وافراط المحبة فلنا قد تقرر ان المحبوب ممنوع فكانها قالت انه مع هذا الخلق العجيب وهذه السيرة الملكية الطاهرة المطهرة محسنة توجب الحب الشديد وسيرته الملكية توجب البأس عن الوصول اليه فلهذا السبب وقعت في المحنة والحبس والارق والقلق

ومن

وهذا الوجه في تاويل الآية احسن المسئله الثالثه قرأ الاكثرون حاش لله بالالف بعد السين وفي روايه اليحمدي عن نافع وهو الاصل كانه من الحياشاه وهو السحه والسعيد واللاعون بحذف الالف للتخفيف وكثر دورها على الالسن واتباعا للمصحف وحاش كلمه تنبيه معنى التنزيه والمعنى هاهنا تنزيه الله تعالى من العجز حيث قدر على حلو حمل متلدوا ما قول حاش لله ما علمنا عليه من سوء فالعجب من ورود ته على حلوق عصمت مثله المسئله الرابعه قوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فيه وجهان الاول وهو المشهور ان المقصور منه اضافة الحسن العظيم له قالوا لانه تعالى وكبى في الطباع ان لا حي احسن من الملك كما انه وكبى فيها انه لا حي اقبح من الشيطان وكذلك فانه تعالى قال في صفة جهنم طلعها كانه رؤس الشياطين وذلك لما ذكرناه انه تقرر في الطباع ان اقبح الاشياء هو الشيطان فكذلك هاهنا تقرر في الطباع ان احسن الاشياء هو الملك فلما اراد النسوة المبالغه في وصف يوسف بالحسن لم يجدوا شبهه بالملك الوجه الثاني وهو الاقرب عندي ان المشهور عند الجمهور ان للملائكة مطهرون عن نوازعات الشهوة وجواذب الغضب ونوازع الوهم والخيال فطعامهم توحيد الله وشرابهم التاملي الله تعالى فلما رأين يوسف لم يلتفت اليهن ورأين عليه هيبة النبوة وهيبة الرسالة وسيما الطهارة قلن ما رأينا فيه اثرا من الشهوة ولا شيا من البشرية ولا صفة من الانسانية فلما ظهر من جميع الصفات المعدودة في البشر فهو مدرج من الانسانية ودخل في الملائكة فان قالوا فان كان المراد ما ذكرتم فكيف

شغفها حبا اى دخل الحب الجلد حتى اصاب القلب والثانى
ان حبه اصاب قلبها مثل احاطه الشغاف بالقلب ومعنى
احاطه ذلك الحب بقلبها وهو ان اشغافها احبها اصابها بحبا
سهما وشغل بحبها عن كل ما سوى هذا الحب فلا تعقل سواه ولا تخطر
ببالها سواه ۞ المسأله الثالثه قال الزجاج شغاف حبه
القلب وشويد القلب والمعنى ان حبه وصل سويدا قلبها فاشتمل
فهذا كنايه عن الحب المتديد والعشق العظيم ۞ المسأله
الثانيه قرا اصحابه من الصحابه والتابعين
سغفها حبا بالعين قال من السكيت يقال شغفها الهوى
اذا بلغ الى حد الاحراق وسغف بالام النفس اذا بلغ منه الالم
الى حد الاحراق الحب القلب يع تحدها كما ان البعير اذا طلى
بالقطران بلغ منه مثل ذلك ثم لم يرجع اليه وقال من الامالى
الشغف رؤس الجبال ومعنى شغف بفلان اذا ارتفع حبه
الى اعلا المواضع من قلبه ۞ المسأله الثالثه قوله
حكايه على لسان من قال انا لنراها فى ضلال مبين ثم قال
تعالى فلما سمعت بمكرهن ارسلت المراد من قوله فلما سمعت
بمكرهن انها سمعت قولهن ولما سمى قولهن مكرا لوجوه
الاول ان السر لما ذكر ذلك الكلام اسند الى الرويه
يوسف والطرائق وجهه لانهن اذا اردن ذلك عرضن يوسف
عليهن ليشهد عذرها عندهن الثانى ان المراه العذرا
اسرت الهن حبها وطلبت منهن كتمان هذا السر فلما احضرن
هذا السر كان ذلك عذرا ومكرا الثالث انهن وصفن فى
العشق والعبث وانما اذكرن على سبل الخفيه فاسمت المكر ۞

المسأله الرابعه انما اسمعت اى دعتهن فاسمعها على تلك المجده
اردت ان اعذرها فاعتقت ما بها ودعتهن حاجه من اكا بدهن
واعتدت لهن متكا وفى تفسير وحى الاول المتكى المتزق
الذى يتكا عليه الثانى المتكا هو الطعام قال الفتى والا
صل فيه ان من دعوته لتطعم عندك فقد اعتدت وسادا وسمى
الطعام متكا على سبل الاستعارة الثالث متكا ابرجه
وانكر ذلك الوعيد ولكنها محموله على انها اعتدت من
انواع الفواكه فى ذلك المجلس والسبب الرابع متكا لطعاما
يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان الطعام متى كان كذلك احتاج
الانسان الى ان يتكى عليه عند القطع ثم نعود لحاصل الكلام انها
دعتا ولك النسوه واعتدت لكل واحد منهن مجلسا معينا
واتت كل واحده منهن سكينا اما الاحل الواكد او لاحل قطع اللحم
ثم انها امرت يوسف عليه السلام فان يخرج اليهن ويعبر عليهن
فلما رايته اكبرنه وقطعن ايديهن وهاهنا مسائل ۞
المسأله الاولى فى قوله اكبرنه وجهان الاول
اعظمنه والثانى اكبرن بمعنى حضن قال الازهرى وانها
لتسكت يقال اكبرت المراه اذا حاضت وبزعت وربما
اسقطت ولدها فحاضت فان صح تفسير الاكبار بالحيض
فالسبب فيه ما ذكرناه وقوله وقطعن ايديهن كانه عن
دهشتهن وحيرتهن والسبب فى حصول هذه الكيفيه انهن
لما دهشت فكانت تظن انها تقطع الفاكهه فكانت تقطع يد
نفسها ويقال انها لما دهشت فكانت تظن انها تقطع الفاكهه
فصارت تحتز لا محالة بين ثمارها من حديدها فكانت تاخذ الحديد

ان يكون ذلك جاريا مجرى المقدمات والمرجحات الا انه تعالى
اخبر وقال فلما راى قميصه وذلك يحتمل السيد الذي هو
زوجها ويحتمل الشاهد فلذلك اختلفوا فيه فقد من قبر وقال
انه من كيدكن اي حولك وما جرى من اراده اهلك سوا من
كيدكن ان كيدكن عظيم فان قيل انه تعالى قال وخلق الانسان
ضعيفا فكيف وصف كيد النساء بالعظم والجواب انما ذكر الرجل فدل بذلك
على ان المراد والجواب عن الاول ان خلقه الانسان بالنسبه
الى خلقه الملايكه والسموات والكواكب خلقه ضعيفه وكيد
النساء بالنسبه الى كيد البشر عظيم ولامانع من القولين
وايضا فالشاهد في هذا الباب من المكر والحيل ما لا يكون
للرجل فلا يكاد يقع في هذا الباب بورق من البعاد ما لا يوثق به
كيد الرجال واعلم انه لما ظهر للقوم براءه يوسف
عن ذلك الفعل اخبر تعالى انه قال ليوسف اعرض عن هذا
حتى لا ينتشر خبرها ولا تحصل العار العظيم بسببها وكما امر يوسف
بكمان هذه الواقعه امر المراه بالاستغفار فقال واستغفري
لذنبك وظاهر ذلك طلب للعفو ويحتمل ان يكون المراد
من الزوج ويكون المراد من الغفران العفو والصلح وعلى هذا
التقدير فالاقرب ان قايل هذا القول هو الشاهد ويحتمل ان
يكون المراد بالاستغفار من الله لان اولئك القوم كانوا يرتكبون
الصغاير الا انهم مع ذلك كانوا يعدون الاوثان بدلائل
قول يوسف عليه السلام ارباب متفرقون خير ام الله الواحد
القهار وعلى هذا التقدير فيجوز ان يكون القايل هو الزوج وقوله
انك كنت من الخاطئين تنسبه لها انها كانت كذبه في الخطاء فيما تقدم

وهذا

وهذا احد ما يدل على ان الزوج عرف في اول الامر ان الذنب
للمراه لا ليوسف لانه كان يعرف منها اقدامها على ما لا ينبغي
وقال ابو مسلم الاصح ان ذلك الزوج كان قليل الغيره فاكتفى
منها بالاستغفار وقال صاحب الكشاف قلنا بل من الخاطب
تغليبا للذكور على الاناث ويحتمل ان يقال انك من قبل الاناث
الخاطين ممن ذلك النسوة حرى ذلك العرف بينهن قوله
تعالى وقال نسوة في المدينه امراه العزيز تراود فتاها عن نفسه
قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن
ارسلت اليهن واعتدت لهن متكا واتت كل واحده منهن
سكينا وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن
وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم في الايه مسايل
المسئله الاولى لم لم يقل وقالت النسوة ليوسف
الاولى ان النسوة اسم مفرد لجمع المراه وباشته عن جميع
ذلك لم يلحق فعله تاء التانيث الثاني قال الواحدي
تقدم الفعل يدعو الى اسقاط علامة التانيث والجمع
المسئله الثانيه قال الكلبي من اربع امراه سلمى العزيز
وامراه حمان وامراه صاحب سجنه وزليخا وقال مقاتل امراه الحاجب
والاشبه ان تلك الواقعه شاعت في البلد واشتهرت وتحدث
بها الناس وامراه العزيز هي هذه للمراه العلوم انها راودت فتاها
عن نفسه الفتى الحدث الشاب والعلاه الحدثه الشابه ويشغفها
حبا فيه مسئلتان المسئله الاولى ان الشغاف
جلده محيطه بالقلب يقال لها غلاف القلب يقال شعفت فلانا
اذا اصبت شغاف قلبه كما يقال كبده اذا اصبت كبده قوله تعالى

على مثل هذا الفعل المنكر وذلك ايضا ما يقوى الظن الخامس
ان المراد ما نسبته الى طلب الفاحشة على سبيل التصريح بل ذكرت
كلاما مجملا واما يوسف فانه صرح بالامر ولو كان منها لما اقدم
على التصريح باللفظ الصريح فان الخائن خائف السادس فلان
زوج المراة كان غاجرا واما رطلب الشهوة في حق المراة كانت
ممكنة منه فالحاصل هذه القرينة لما كان من المراة فاستغنى الروح
عن يوسف وسكت لعلمه ان يوسف صادق والمراة كاذبة
ترا انه تعالى اظهر ليوسف دليلا اخر يقوى تلك الدلايل
المذكورة ويدل على انه برئ عن الذنب وان المراة هي
المذنبة وهو قوله وشهد شاهد من اهلها وفي هذا الشاهد
ثلاثة اقوال الاول انه كان لها ابن عم وكان رجلا
حكيما واتفق في ذلك الوقت انه كان مع الملك فاراد ان يدخل
عليهما فقال الحليم ان كان قد شق القميص من قدامه فانت صادقة
والرجل كاذب وان كان من خلفه فالرجل صادق وانت كاذبة
فلما نظر الى القميص وراى الشق من خلفه قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم اي من عملكن ثم قال ليوسف
اعرض عن هذا اي اكتمه وقال لها استغفري لذنبك
وهذا اول طائفة معظمة من المفسرين والقول الثاني
وهو الاصح منقول عن ابن عباس وسعيد بن المسيب والضحاك
ان ذلك الشاهد كان صبيا انطقه الله في المهد وقال ابن
عباس تكلم في المهد صغار شاهد يوسف وعيسى بن مريم
وصاحب جريج الراهب فحال الحامي القول الاول اولى
لوجوه الاول انه تعالى لو انطق الطفل بهذا الكلام

لكان مجرد قوله انها كاذبة كافيا وبرهانا قاطعا لانه من
العجايب المعجزات القاهرة والاستدلال بحوتن القميص من
قبل ومن دبر دليل ضعيف ظني والعدول من الحجة القاطعة حال
حصولها الى الدلالة الظنية لا يجوز الثاني انه تعالى
قال وشهد شاهد من اهلها ليكون اولى في حق المراة لان
الظاهر من حال من يكون من اقارب المراة واهلها الانقصادها
بالضرر والاضرار والمقصود بذكر ذو هذا الرجل من اهلها
يقويه قول ذلك الرجل فهذه الترجيحات انما تصار اليها
عند كون الدلالة ظنية ولو كان هذا القول صادرا عن الصبي
الذي في المهد لكان قوله حجة قاطعة ولانتفاء الحال
من ان يكون من اهلها ومن ان لا يكون وخلص لا يبقى لهذا القيد
وجه والثالث ان لفظ الشاهد لا يقع في العرف الا على
من تقدمت معرفته بالواقعة واحاطته بها الرابع ان هذا
الشاهد هو القميص قال مجاهد الشاهد قميصه سقوطا من دبر
وهذا في غاية الضعف لان القميص لا يوصف بهذا ولا ينسب الى
الاهل واعلم ان العمل الاول عليه اشكالات ودلائل
العلامات المذكورة لا تدل قطعا على براءة يوسف عن المعصية
لان من المحتمل ان الرجل قصد المراة لطلب الزنا فالمراة عصيت
عليه فهرب الرجل بعدت المراة خلف الرجل وجذبه لتقصد
ان تضربه ضربا وجيعا على هذا الوجه يكون القميص متخرقا من دبر
مع ان المراة تكون بريئة عن الذنب والرجل يكون مذنبا
اذا بينا ان علامات كذب المراة كانت كذلك والغه بلغ التقيض
وضموا الى هذا هذه العلامة لا لاجل ان يعولوا في الحكم عليها بل لاجل

كل واحد منهما ان يسبق صاحبه فان سبق يوسف فتح الباب
وخرج وان سبقت المراة امسكت الباب ليلا يخرج وقوله و
استبقا الباب كقوله تعالى واختار موسى قومه اى من
واعلم ان يوسف عليه السلام سبقها الى الباب وارادا
الخروج والمراة تعدو خلفه فلما وصل الى الى دبر القميص
قدته اى قطعته طولا وفى ذلك الوقت حصل وجودهما
وهو المراد بقوله والفيا سيدها لدى الباب اى صادفت
المراة بعلها سيدى واما لم يقل سيدها لان يوسف
عليه السلام ما كان مملوكا لذلك الرجل حقيقة فعند ذلك
خافت المراة من التهمة فبادرت الى ان رمت يوسف
بالفعل القبيح وقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا
ان يسجن او عذاب اليم والمعنى ظاهر وفى الآية لطائف
احدها ان ما يحتمل ان يكون نافية اى ليس جزاؤه الا
السجن ويجوز ان يكون استفهاما بمعنى اى شئ جزاؤه
الا السجن كما تقول من فى الدار الا زيد وثانيها
ان جعلها السدد ليوسف حملها على رعايته وتقييدى
فى هذا الموضع وذلك لانها بدات بذكر السجن واخرت
ذكر العذاب لان المحب لا يسعى فى ايلام المحبوب
وايضا المريد يذكر ان يوسف يحب ان يقابل احد هذين
الامرين فذكرت ذلك ذكرا كليا صونا للمحبوب عن
الذكر بالسوء وايضا قالت الا ان يسجن والمراد منه
ان يسجن يوما او يومين او اقل على سبيل التخفيف فاما الحبس
الدائم فانه لا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب ان يجعل

من المسجونين الا ترى الى فرعون كيف قال حين هدد موسى لان اتخذت
الها غيرى لاجعلنك من المسجونين وثالثها انها لما شاهدت
من يوسف عليه السلام انه اشتغل مع انه كان فى عنفوان العمر
وكمال القوة ونهاية الشهوة عظم اعتقادها فى طهارته ونهايه
نزاهته فاستحيت ان تقول ان يوسف قصدنى بالسوء وما وجدت
من نفسها ان تنسبه بهذا الكذب وان هذا لهو الذنب
العظيم السيئ ورابعها ان يوسف عليه السلام اراد ان
يصرفها ويدفعها عن نفسه وان ذلك لا يمنعه البتة اجابها بما يجرى
السوء فقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او محرى فعلها
بقلبها كانت تريد اقدامه على دفعها ومنعها وفى ظاهر الامر
كانت تروم انه قصدها لا السعى واعلم ان المراة لما
ذكرت هذا الكلام ولطخت عرض يوسف عليه السلام احتاج
يوسف الى ازالة هذه التهمة فقال هى راودتنى عن نفسى وان
يوسف عليه السلام ما هتك ستر ما فى اول الامر لانه لما خاف
على النفس وعلى العرض اظهر الامر واعلم ان العلامات
الكثيرة دالة على ان يوسف هو الصادق فالاول ان يوسف
عليه السلام فى ظاهر الامر كان عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يبسط
يده على مولاه الى هذا الحد الثانى انهم شاهدوا يوسف يعدو
عدوا والرجل الطالب للمراة لا يخرج من الدار على هذا
الوجه والثالث انهم راوا للمراة زينة تقسها على اكمل
الوجوه واما ليوسف ما كان عليه اثر من اثار الزينة فكان
الحاق هذه المسئلة بالمراة اولى الرابع انهم كانوا قد شاهدوا
احوال يوسف فى المدة الطويلة فما راوا عليه حالة تناسب اقدامه

ولا يسمع ولا يبصر ولا استحى من الفي القائم على كل نفس
بما كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا قالوا هذا هو البرهان
الثاني نقلوا عن ابن عباس انه سئل ليعقوب فراه عاصا على
اصابعه تقول له اعمل عمل النجار وانت مكتوب في زمن الانبيا
فاستحيى منه وقالوا وهو قول علمائنا ومجاهد والحسن
وسعيد بن جبير مثل ليعقوب قضب في صدره فخرجت شهوته
من انامله اليمنى قالوا انه سمع في الهوا يا ايلا لا تقول ما ابن يعقوب
لا ملكا لطهر يكون له نبي فاذا ذاهب نبوته والرابع
نقلوا عن ابن عباس ان يوسف لما رجع يرويه يعقوب عشى وكضه
جبريل فلم يتوقف شيء من الشهوة الاخرج وما نقل الواحدي
هذا تصلف ومحال وهذا الذي ذكرناه قول ائمة التفسير
الذين اخذوا الدليل عن مشاهدة فيقال له انك لما اثبتا ابدا
الانبياء التكليفات التي لا يؤيد فيها فاين هذا من هذه الجملة
والدليل والانصاف ان تترادف الدلائل على التي الواجب جايز وانه
عليه السلام كان مستغنا عن الوحي بالحسب الدلائل الاصلية فلما
انضاف اليها هذه الزواجر ورد وي ان جبريل اسمع من محمد
النبي صلى الله عليه وسلم المسيء وقع هناك بعد علمه اربعين
يوما وهلة واحدا وعوا الى يوسف حتى اشتغاله بالفاحشة
دهشت الله جبريل ولو ان افسق الخلق واكفرهم كان مشتغلا
بفاحشة فلما دخل عليه رجل على ذي الصالحين استحيى منه
وتول ذلك العمل وهاهنا يعقوب عليه السلام عض على انامله
فلم يلتفت ثم ان جبريل علم جلالة قدر ته دخل عليه فلم يمنع ايضا

عن

عن ذلك الفتح لسبب حضوره حتى احتاج جبريل عليه السلام
الى ان زكضه الله تعالى على ظهره فقال الله ان يصونا عن
الغي في الدين والمذلان في طلب القربين وهذا هو الكلام
الملخص في هذه المسئلة ○ المسئلة الثالثة في
الفرق بين السوء والفحشاء فيه وجوه الاول ان السوء
خيانة السيد والفحشا الزنا الثاني السوء مقدمات الفاحشة
من القبلة والنظر بشهوة والفحشا هو الزنا انه من عبادنا
المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله ومن قبح اللام اراد الذين خلصهم
الله من الاسواء ويحتمل ان يكون المراد انه من درية
الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة ذكرى المسئلة الرابعة
قرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو المخلصين بكسر اللام في جميع
القران والباقون بفتح اللام ○ قوله تعالى
واستبقا الباب وقد قميصه من دبر والفيا سيدها لدا
الباب قال ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب
اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان
قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر
قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا
واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ○ اعلم ان
تعالى لما حكى عنها انها همت بعد بكسبه للجماع وعزمه
تعالى واستبقا الباب فالمراد انه هرب منها وخاف
الخروج من الباب وعدت للدار خلفه لحرقته الحيا فعسما
والاستباق طلب السبق الى الشي ومعناه فبادر الى الباب ليسبقها

ان تهيج الهم بحركات النفس وذلك لان للمراه العاقله في الحسن
والجمال اذا ورثت وتهيات للدخول الهوى فلابد ان يقع هناك
مزج الشهوه والحكمه وبين النفس والعقل محاربات ومنازعات
فان تقوى داعيه الطبيعه والشهوه وبان تقوى داعيه
العقل والحكمه فالقرءان عبارات عن حوادث الطبيعه وردوده
البرهان عبارات عن حوادث العبوديه ومثاله ان الرجل الصالح
العالم في الصيف الصائف اذا راى الحلاب المبرد بالثلج
فان طبعته تحمله على شربه الان دينه وهواه منعه منه فهذا
لايدل على حصول الذنب بل كل ما يتصور في هذه الحاله اشد كان
القوى في العلم بلوازم العبوديه اكمل وقد طهر بحمد الله تعالى
صحه القول الذي ذهبنا اليه وليس في يد الواحدي الا
مجرد التعنيف وتغليط اسلافه المفسرين ولو كان قد ذكر في تقرير
ذلك القول شبهه لاجبنا عنها الا انه ما زاد على الروايه عن
بعض المفسرين واعلم ان بعض الحشويه روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم ما ذكر ابراهيم الا ثلاث كذبات نقلت الاولى ان
لاتقبل هذه الاخبار فقال على سبيل الاستنكار ان كنا
نقبله لزمه تكذيب الرواه فقلت له يا مسكين ان قبلناه
لزمنا الحكم بتكذيب ابراهيم عليه وان رددناه لزمنا الحكم
بتكذيب الرواه ولاشك ان صون ابراهيم عليه السلام
عن الكذب اولى من صون طائفه من الجاهيل عن الكذب
اذا عرفت هذا الاصل يقول للواحدي ومن الذي يضمن لنا
ان الذين نقلوا هذا القول عن المفسرين كانوا صادقين او كاذبين

والله

والله اعلم المسئله الثانيه في ان المراد بذلك البرهان
ما هو اما المحققون فلقولهم للبتول للعصمه فقد ذكروا وجوه البرهان
بوجوه الاول انه حجه الله تعالى في تحريم الزنا والعلم على
الزاني من العذاب والثاني ان الله تعالى طهر نفوس الانبياء عن
الاخلاق الذميمه بل يقول انه تعالى طهر نفوس المتصلين بهم
عنها كما قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا فالمراد بهذا البرهان هو حصول
تلك الاخلاق وترك الاحوال الرديه لهم الى الاقدام على
المنكرات الثالث انه راى مكتوبا في سقف البيت
ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشه ومقتا وساء سبيلا الرابع
ان الاصل المانعه من ارتكاب الفواحش والقبائح هو العقل
الامر بعث المنع الخلق عن القبائح والفضائح فلو انهم منعوا
الناس عنها مع انهم دعوا على افتح انواعها وافحش اقسامها
لدخل الخلق قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وايضا ان الله تعالى
عير اليهود بقوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وما كان عيبا في حق اليهود فهو بان ينسب الى الرسول اليهود
بالمعجزات واما الذين نسبوا المعصيه الى يوسف عليه السلام
فقد ذكرنا في ذلك البرهان وجوها الاول ان المراه
لما مدت يدها الى صنم مكلل بالدر والياقوت فزاوبير
البيت فسترته بثوب فقال يوسف ولم فعلت ذلك فقالت استحي من
الهي هذا ان يراني على المعصيه فقال يوسف تستحي من صنم لايعقل

والذي هم بشانه اعني فكان الاولى جواز التقديم موقوفا بشدة
الاهتمام فادا نقص بعض الالفاظ بالمنع ذلك مما لايليق بالحكمة
وايضا ذكر جواب لولا باللام جايز اما هذا لايدل على ان ذكره
بغير اللام لايجوز بل ذكر اية اخرى تدل على فساد قول
الزجاج في هذين السوالين وهو قوله تعالى ان كادت
لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها واما السوال
الثالث وهو انه لولم يوجد الهم لم يتم لقوله لولا ان راى
برهان ربه فاقول نقول بل فيه اعظم الفوايد وهو بيان ان
ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته في النساء ولا لعدم قدرته عليهن
بل لاجل ان دلايل دين الله منعته عن ذلك العمل ثم يقول الذي
يدل على ان جواب لولا ما ذكرناه ان لولا يستدعي جوابا
وهذا المذكور يصلح جوابا فوجب الحكم بكونه جوابا الا ان
نضم له جوابا او نترك الجواب كما في القرآن فنقول لا نراع انه
ذكر في القرآن الا ان الاصل ان لا يكون محذوفا ايضا فالجواب
انما يحسن تركه وحذفه اذا حصل في الملفوظ ما يدل على
تعينه وههنا بعد ان يكون الجواب محذوفا فليس في
اللفظ ما يدل على تعين الجواب فان ههنا انواعا من الاضمار
يحسن اضمار كل واحد منها فليس اضمار بعضها اولى من بعض
اضمار الثاني فظهر الفرق وللقوم الثاني في الكلام على
هذه الاية ان نقول سلمنا ان الهم قد حصل الا انا نقول وهم بها
لايمكن حمله على ظاهره لان تعلق الهم بذات المراة محال
لان الهم من جنس القصد والقصد لا يتعلق بالذوات البتة
سلمنا انه لابد من اضمار فعل مخصوص فجعل متعلقا لذلك الهم وذلك

الفعل

الفعل المحرم اتباع الفاحشة مثلا ونحن نضمر شيئا اخر فنعارض بما
ذكروه وبيانه من وجوه الاول المراد انه عليه السلام لم يترك
عن نفسه وشهواتها من ذلك القبيح لان الهم هو القصد فوجب ان
يحمل في حق كل واحد على القصد الذي يليق به فما يليق بالمراة هو
الوصول الى الملاذ والتمتع والنعم والذي يليق بالرسول المتعلق الى
الطف القصد الى زجر العاصي عن معصيته والى الامر بالعروف
والنهي عن المنكر فان همت بقتلك اي قصدته ودفعته فانت
فافعل هذا القدر لا يستقيم لقوله لولا ان راى برهان ربه فانه
قلنا بل فيه اعظم الفوايد وبيانه من وجهين الاول
انه تعالى علم يوسف انه لو لم يدفعها لقتلته او كانت تامر الحاضرين
بقتله فاعلمه الله تعالى ان الاشتغال من صرفها اولى من صرفها
لصون النفس عن الهلاك الثاني انه عليه السلام لو اشتغل
بدفعها عن نفسها تعلقت به لكان يتخرق ثوبه من قدام او من
وكان في علم الله ان الشاهد لا يشهد ان ثوبه لو خرق من قدام لكان
يوسف هو الخاين ولو كان ثوبه محرقا من خلفه لكان الشاهد هو
الخاين فالله تعالى اعلمه هذا المعنى فالجرم لم يشتغل بدفعها
عن نفسه بل ولاها ظهره حتى صارت شهادة الشاهد حجة
له على براءته عن المعصية والوجه الثاني هو الذي في الجواب
ان تفسير الهم بالشهوة وهذا مستعمل في اللغة العالية يقول العاشق
مهما لاشتهيه لا يعني هذا وفيما يشتهيه هذا الهم الا ترى الى
قسمي الله سهو يوسف فما معنى الاية ولقد اشتهته واشتهاها
لولا ان راى برهان ربه لاحل ذلك العمل في الوجود الوجه الثالث

وحيث لم يوقع شيء من ذلك علمنا انه ما صدر عنه في هذه الواقعة
ذنب ولا معصية السرابع ان كل من كان يعلق ملك الواقعة
بعد شهادة براءة يوسف عليه السلام عن المعصية واعلم ان
الذين لهم تعلق بهذه الواقعة بعد شهادة البراءة ليوسف عليه السلام
والمراءة والنسوة وزوجها وربة العالم شهدت بانه بريء عن
المعصية وابليس اعترف ايضا انه بريء عن المعصية واذا كان كذلك
فحسبنا لهذا المسلم الوقوف في هذا الباب فنقول اما سؤال ان يوسف
عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام وما ابرئ
نفسي وقوله عليه السلام رب السجن احب الي مما يدعونني
اليه واما سؤال ان المراءة اعترفت بذلك فلانها قالت الئن حصحص الحق
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وايضا قالت الان حصحص الحق
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما ان زوج
المراءة اقر بذلك فهو قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف
اعرض عن هذا واستغفري لذنبك واما الشهود فقوله
تعالى وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من دبر الاية
واما شهادة الله تعالى بذلك فقوله كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقد شهد الله تعالى في هذه
الاية على طهارته اربع مرات اولها قوله تعالى لنصرف عنه
السوء والفحشاء والثاني قوله انه من عبادنا مع انه تعالى
قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما والرابع قوله المخلصين وهذا يدل
على ان الله استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته على كل وجه
فانه من اول الالفاظ على كونه منزها مما اضافوه اليه واما بيان

ان

ان ابليس ابن بطهارته فانه قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين فكان هذا اقرارا من ابليس بانه ما اغواه وانما اضله
عن طريق الهدى وعند هذا نقول هذا ولا الجهال الذين نسبوا
الى يوسف هذه الفضيحة ان كانوا من اتباع دين الله فليقبلوا
شهادة الله على طهارته وان كانوا من اتباع ابليس وجنوده
فليقبلوا شهادة ابليس على طهارته ولعلهم يقولون كنا في اول
الامر بالامد ابليس الى ان جرحنا فرد ناعليه في الشهادة كما قال
الحروري

وكنت امرا من جند ابليس فارتمى بي الامر حتى صار ابليس من جندي
فلو مات قبلي كنت احسن بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

ثبت بهذه الدلايل ان يوسف عليه السلام بريء عما يقوله
هذا ولا الجهال فاذا عرفت هذا نقول الكلام على ظاهر
هذه الاية يقع في مقامين المقام الاول ان يوسف عليه السلام
لما هم بها والدليل عليه انه تعالى قال ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى
برهان ربه وجواب لولا ها هنا مقدم وهو كما يقال قد كنت
من الهالكين لولا ان فلانا خلصك وطعن الحاج في هذا الجواب
من وجهين الاول ان يقدم جواب لولا شاذ وغير موجود في الكلام
الفصيح الثاني لو لاحوا بها باللام فلو كان الامر على ما ذكرتم
لقال ولقد همت به ولهم بها لو لا ورد ذكر عن الحاج سؤال
قالت وهو انه لم يوجد الهم لما كان لقوله لولا ان رأى برهان
ربه فائدة واعلم ان ما ذكره الحاج بعيد لانا لا نسلم ان
تاخير لولا ليس بحسن جائز الا ان جواز لا يمنع من جواز تقديره هذا
الجواب وكيف ونقل عن سيبويه انهم يقدمون اللام فالاهم

والاحتراز عنها فقوله انه لا يفلح الظالمون اشارة اليه
فيبقى ان هذه الخوارق الملبسة مزينة على احسن وجوه التركيب
قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى
برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا
المخلصين اعلم ان هذه الاية قد اكثر الاعتناء بها والبحث
عنها وفي هذه الاية مسائل
المسئلة الاولى في انه
عليه السلام هم بها قولان الاول ان يوسف عليه السلام
قال الواحدي في كتاب البسيط قال المفسرون هم يوسف
ايضا بهذه المرأة هما صحيحا وجلس مجلس الرجل من المرأة فلما
رأى البرهان من ربه زال كل شهوة قال ابو جعفر الباقر
ما اساء عن علي كرم الله وجهه انه قال طمعت فيه وطمع فيها
ثم ان الواحدي طول في الكلام وعرج عن الفائدة في هذا الباب
وما ذكر فيما احتج به حديثا صحيحا يعول عليه في هذه المقالة
ولما اعرض في الكلمات العربية عن الفائدة روي ان يوسف
عليه السلام لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال
له جبريل ولا حين هممت يا يوسف فقال عند ذلك وما
ابرئ نفسي وهذا خلاصة كلامه في هذا الباب القول
الثاني ان يوسف عليه السلام كان قد هم بالفعل الباطل والهم
المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول
وعنه نذب واعلم ان الدلائل الدالة على عصمة الانبياء عليهم
السلام قد ذكرنا هاهنا فلا نعيدها الا انا نزيد هاهنا وجوها الحجة
الاولى ان الزنا من منكرات الكبائر والخيانة في بعض الامانة
ايضا من منكرات الذنوب وايضا مقابلة الاحسان العظيم بالاساءة

للفضيحة التامة والعار الشديد من منكرات الذنوب وايضا النبي
اذا رقى في حجر الانسان وبقي مكفي المؤنة مصون العرض من اول
صباه الى زمان شبابه وكمال قوته فاقدام هذا النبي على افعال
اقبح انواع الاساءة الى ذلك المنعم المتفضل من منكرات الاعمال
اذا ثبت هذا فنقول ان هذه المعصية اذا نسبوها الى يوسف عليه
السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الاربع وكل واحد من المعصية
لو نسبت الى افسق خلق الله وابعدهم عن كل خير لاستنكف عنه
فكيف يجوز اسنادها الى الرسول الذي هو من المعجزات الظاهرة الباهرة
الثاني انه تعالى قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وذلك
يدل على ان ما هو فيه السوء وما هو فيه الفحشاء مصروف عنه ولا شك
ان المعصية التي نسبوها اليه اعظم انواع السوء والفحشاء ايضا
فلانه يدل على قولنا من وجه آخر وذلك لانا نقول هب ان هذه
الاية تدل على نفي هذه المعصية عنه الا انه لا شك انها تفيد
المدح العظيم والثناء البالغ فلا يليق بحكمة الله تعالى ان يحكي عن انسان
اقدامه على معصية ثم يمدحه ويثني عليه بما هو اعظم المدائح والاسه
عسى ان يحكي عنه ذلك الذنب العظيم فان مثل هذا اذا حكي
السلطان عن بعض عبيده اقبح الذنوب وافحش الاعمال ثم يذكره
بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه فان ذلك يستنكر جدا فكذا
هاهنا الثالث ان الانبياء عليهم السلام متى صدرت عنهم
زلة وهفوة استعظموا ذلك واتبعوه بالطامات بالندامة والتوبة
والتواضع ولو كان يوسف اقدم هاهنا على هذه الكبيرة المنكرة
لكان من المحال الا سمعها بالتوبة والاستغفار ولو اتى
بالتوبة لحكى الله تعالى ذلك عنه كما في سائر المواضع وحيث لم

لاهل حوران تسقطت الى مكة فتكلموا بها وان من الانباري
وحدا وفاق من لغة قريش واهل حوران كما اتفقت لغة الروم والعرب
في القسطاس ولغة العرب والعرس في الخيل ولغة العرب والترك
في الفساق ولغة العرب والحبشة في ماشية الليل ۞
المسئلة الثانية قرا نافع وابن عامر هيت لك بكسر
الهاء وفتح الياء وقرا ابن كثير هيت مثل عيت وروى عن ابن عامر
هيت لك بفتح الهاء وسكون الياء انه تعالى اخبر ان المراد
لما ذكرت هذا الكلام قال يوسف عليه السلام انه معاذ الله انه
ربي احسن مثواي فقوله معاذ الله اي اعوذ بالله معاذ احسن
مثواي حسن قال لك اكرمي مثواه فلا يليق بالعقل ان اجازيه على
ذلك الاحسان بهذه الخيانة القبيحة انه لا يفلح الظالمون
الدين يجازون الاحسان بالاساءة وقيل اراد اذا كرياه لانهم
ظلموا انفسهم لان علمهم يقتضي وضع الشيء في غير موضعه وهاهنا
سؤالات السؤال الاول ان يوسف عليه السلام كان
حرا فما كان عبدا لاحد فقوله انه ربي يكون كريما وذلك ذنب
وكيف الجواب انه عليه السلام اجرى هذا الكلام لحسب
الظاهر وعلى وفق ما كانوا يعتقدون فيه من كونه عبدا وايضا انه
رباه وانعم عليه بالوجوه الكثيرة وبالجملة كونه مربيا وهو من
باب المجاز بضرب الحسنة قال اهل الظاهر لحملونه على كونه ربا
وهو كان يعني به انه كان مربيا منعما عليه ۞ السؤال الثاني
هل يدل قول يوسف معاذ الله على صحة مذهبنا في القضاء والقدر
الجواب انه يدل عليه دلالة الظاهر لان قوله عليه السلام
اعوذ بالله معاذا طلب من الله تعالى ان يعصمه عن ذلك الفعل وتلك

الاحمال

لست عبارة عن لفظ الفعل والقدرة واز احة الاعذار وازالة الموانع
وفعل الالطاف وكل هذا قد فعله الله تعالى فيكون ذلك اما
طلبا لتحصيل الحاصل او طلبا لتحصيل الممتنع وانه محال فعلمنا
ان تلك الاعانة التي طلبها يوسف من الله تعالى لا معنى لها
الا ان يخلق فيه داعية هازمة في جانب الطاعة وان يزيل
عن قلبه داعية المعصية وذلك هو المطلوب والدليل على ان
المراد ما ذكرناه ما نقل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وضع يده على
رسنه قال يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وكان المراد منه تقوية
داعية الطاعة وازالة داعية المعصية فكذا هاهنا وكذلك قوله
صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فالمراد
من الاصبعين داعية الفعل وداعية الترك وعند هذا ظهر ان الاعتزالي
لا يحصل له ان يخلق الله والا لافتقر الى داعية اخرى ولتسلسل
التسلسل يمتنع ان يقول يوسف عليه السلام معاذ الله من اولئك
الدلائل على قولنا السؤال الثالث ذكر يوسف عليه السلام
في الجواب عن كلامها بالله اشياء احدها قوله معاذ الله والثاني
قوله انه ربي احسن مثواي والثالث قوله انه لا يفلح الظالمون
فما وجه تعلق هذه الجوابات ببعض الجواب هذا الترتيب غاية الحسن
وذلك لان الانقياد لامر الله تعالى وتكاليفه امر الاشياء كثيرة
اعظمها والطافه في حق العبد فقوله معاذ الله اشارة الى ان حق الله
ممنوع عن هذا الفعل وانه حقوق الخالق واجبة الرعاية فلما كان
هذا الرجل قد انعم علي حتى تقبح معاملته انعامه بالاساءة وايضا صون
النفس عن الفرج واجب وهذه اللذة قليلة وشقاوتها في
الدنيا وعذاب في الاخرة وهذه الفعلة اذا لزمها ضرر شديد ينبغي تركها

النفس عن هوايها فالمراد من الحكم الحكمه العمليه والمراد من العلم
الحكمه النظريه لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون
الى الحكمه العمليه ثم يترقون منها الى الحكمه النظريه واما
اصحاب الافكار العقليه فانهم يصلون الى الانوار الروحانيه
ثم يصلون الى الحكمه العمليه وطريقه يوسف عليه السلام هو الاول
لانه صبر على البلاء والمحنه ففتح الله عليه ابواب المكاشفات
فلهذا السبب قال اتيناه حكما وعلما والقول الثالث
الحكمه هي النبوه لان به يكون حاكما على الخلق وعلم الدين والقول
الثالث يحتمل ان يكون المراد من الحكم ضبط وره تمنعه المطمئنه
حاكمه على نفسه الامارة بالسوء مستعليه عليها فاذا هذه
لها والما صارت القوه الشهوانيه والغضبيه مقهوره ضعيفه
فاضت الانوار القدسيه والاحوال الالهيه من عالم القدس على
جوهر النفس وتحقيق القول في هذا الباب ان جوهر النفس الناطقه
خلقت قابله للمعارف الكليه والانوار العقليه الا انه قد يمنع عنها
بحسب البراهين العقليه والمكاشفات العلويه الروحانيه ان
الارواح البشريه مختلفه بالماهيات فمنها ذكيه وبليد ومنها
خيره وبليده ومنها شريفه وخسيسه ومنها عظيمه الميل الى
عالم الروحانيات وعظيمه الرغبه في الجسمانيات فهذه الاقسام
كثيره فكل واحد من هذه المقامات قابل للاشد والاضعف
والاكمل والانقص فاذا اتفق ان يكون جوهر النفس الناطقه انما
يقوى على افعالها باستعمال الآلات الجسمانيه وهذه الآلات
في حال الصغر تكون الرطوبات مستوليه عليها فاذا كبر الانسان
واستولت الحرارات العزيزيه على البدن يبست تلك الرطوبات وقلت

واعتدلت فصارت تلك الآلات البدنيه صالحه لان يستعملها النفس
الانسانيه فاذا كانت النفس في اصل جوهرها شريفه فعند
كمالات الآلات البدنيه تكمل معارفها وتقوى انوارها وتعظم المعات
الاصوافيها فقوله تعالى ولما بلغ اشده اشار الى اعتدال الآلات
البدنيه وقوله اتيناه حكما وعلما اشار الى استكمال النفس في قوتها
العمليه والنظريه ۞ قوله تعالى وراودته التي هو
في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ
الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ۞ اعلم ان يوسف
عليه السلام كان في غايه الجمال فلما راته المراه طمعت فيه وتمالت
انها ان زوجها كان عاجزا تمام العجز وذلك حارسته على نفسها
وزاودته هي عن نفسه اراد ها وكل واحد منهما الوطي والجماع وغلقت
الابواب والسبب فيه ان ذلك العمل لا يوتى به الا في المواضع المستوره
لاسيما اذا كان حراما ومع قيام الخوف الشديد فقوله وغلقت الابواب
اي لغلقتها قال الواحدي واصل هذا من قولهم في كل فعل
شيء في شيء يلزمه قد علق يقال علق في الباطل وعلق في غضبه
ومنه علق الدهر ثم يعدى بالالف فيقال اعلق الباب اذا جعله
بحيث يعلق به قال المفسرون وانما قال غلقت على التذكير لانها
غلقت سبعه ابواب ودعته الى نفسها قال تعالى وقالت
هيت لك وفيه مسايل ۞ المسئله الاولى قال
الواحدي هيت لك اسم للفعل المجوز ومعناه هلم في قول جميع اهل
اللغه قال الاخفش هيت لك مفتوحه الهاء والتاء والجوز ايضا
كسر الهاء ورفعه قال الواحدي قال ابو الفضل عن ابي زيد قال
هيت لك بالعبرانيه هيت الج تعال عربه القرآن وقال الفراء لغه

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ رب يسر بخير يا كريم ۞

قوله تعالى ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما ولذلك نجزي المحسنين ۞ في الآية مسائل ۞ المسئلة الاولى وجه التطبيق بين قوله تعالى أن اخوته لما اساءوا به صبر على تلك الشدايد والاساءة والمحن مكنه الله في الارض ثم لما بلغ اشده اتاه الله الحكم والعلم والمقصود بيان ان جميع ما قام به من النعم كان جزاء له على صبره على تلك المحن ومن الناس من قال ان النبوة جزاء على الاعمال الحسنة وهم من قال ان من اجتهد وصبر على بلاء الله وشكر نعم الله وجد منصب الرسالة واصحوا على صحته قوله تعالى لما ذكر صبر يوسف على تلك المحن ذكر انه اعطاه النبوة والرسالة قال وكذلك نجزي المحسنين وهذا يدل على ان كل من اتى بالطاعات الحسنة التي اتى بها يوسف فان الله تعالى يعطيه تلك المناصب وهذا بعيد لاتفاق العلماء على ان النبوة غير مكتسبة واعلم ان من الناس من قال ان يوسف ما كان رسولا ولا نبيا واما كان في ذلك الوقت الذي قال الله في حقه واوحينا اليه وما كان رسولا ثم انه صار رسولا من ذلك الوقت اعني قوله ولما بلغ اشده اتاه حكما وعلما ومن الناس من قال انه كان رسولا من ذلك الوقت الذي القي في غيابات الجب ۞ المسئلة الثانية ۞ قال الواحدي تقول العرب بلغ فلان اشده اي انتهى منتهاه في شبابه وقوته قال ابن الاعرابي الاشد واحد وجمع تقول بلغ اشده وبلغوا اشدهم وقد ذكرنا تفسير الاشد في سورة الانعام حتى بلغ اشده واما التفسير فروى ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس ولما بلغ اشده قال ثلاثا

وثلاثين سنة واقول هذه الرواية شديدة الانطباق على القوانين الطبيعية وذلك لان الاطباء قالوا الانسان يحدث في اول الامر وتزايد في كل يوم شيأ فشيأ الى ان ينتهي الى غاية الكمال ثم يأخذ في التراجع والاستدبار الى الجبل لا يفيق منه شيء فكانت حالة تشبه حال القمر فانه يتزايد ضوءه قليلا قليلا الى ان يصير قمرا تاما ثم يتراجع الى ان يصير الى المحاق والمحاق فاذا اعتبرت هذا قالوا الحرمن القرء اسد وعشرون يوما وكسر فاذا جعلت هذه الادوار الاربعة اقساما كان كل قسم منها سبعة ايام فالجرم ينمو احواله الابدان على الاسابيع والانسان اذا ولد كان ضعيف الخلقة حتى يتركب الى ان يتم له سبع سنين فاذا حصل في السبعة الماضية حصل فيه اما زائد القلم والذكاء والقوة ثم لا يزال في السير الى ان يتم له اربع عشرة سنة فاذا دخل السنة الخامسة عشرة دخل في الاسبوع الثالث وهناك يكمل العقل ويبلغ الى حد التكليف ويخرج عن الشهوة ثم لا يزال يترقى في هذه الحالة الى ان يتم السنة الحادية والعشرون وهي اصابع الاسبوع الثالث وتدخل في السنة الثانية والعشرون وهذا الاسبوع اخر سوابع النشو والنما فاذا تمت السنة الثلاثة والعشرون فقد كمل النشو والنما وحصل الانسان منه الى هذا الوقوف وهو الزمان الذي بلغ الانسان فيه اشده وتمام هذا الاسبوع يحصل الاستكمال خمسة وثلاثون سنة وهذا الاسبوع الخامس هو اسبوع الشيب والكمال يمتد من السنة التاسعة والعشرون الى الثلاثة والثلاثين وقد يمتد الى الخامسة والاربعين وهذا اصح الطرق المعقولة في هذا الباب والله اعلم بحقائق الاشياء ۞ المسئلة الثالثة ۞ في تفسير الحكم والعلم وفيه اقوال الاول ان الحكم والحكمة اصلها احسن

الجزء الثاني عشر من التفسير الكبير للامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه

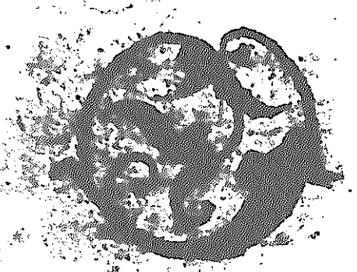

3044

الثانى عشر

لفيسر نامه

لعبد سيد الوحيد

المتنبى

3044

MAFĀTIḤ AL-GHAIB, by FAKHR AL-DĪN AL-RĀZĪ (d. 606/1209).

[The twelfth part of the great commentary; see No. 3034.]

Foll. 205. 26 × 17·7 cm. Clear naskh.

Undated, 7/13th century.

PIETERSE DAVISON
INTERNATIONAL Ltd
microfilm service
Chester Beatty
Library
MS

23 09 1978

5 cm